



تأليف

(الامام الفقيه أبي محمد عبد الله بن مسلم)

(ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٠ هـ رحمه الله)

اعتني بطبعه وتصحيحه وشرح بعض مسائله مع كلماته اللغوية

محمد محمود الرافعي

سنة ١٣٢٢ هجرية

مطبعة النيل بشارع محمد على بدرب [illegible] بمصر

مقدمة ناشر الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد امام المتقين وخاتم النبيين . وعلى آله مصابيح الايمان وخلفائه ملاذ الاسلام ومن تبعهم باحسان . امابعد فقد تعلقت يدي بهذا الكتاب المستطاب فوضعتها منه على ثمرة غضة جنية مازال يشتهيها منذ القدم كل أديب وعالم لبيب . وجدته فريداً في بابه حسناً في اسلوبه لم يكن في موضوعه مثله . فقد جمع فيه مؤلفه رحمه الله من طرائف الاخبار ونوادر التاريخ فيما يتعلق بمسائل الامامة وما وقع ايام الصحابة والمتقدمين رضوان الله عليهم من ضروب الآراء ونقط السياسة المهمة في تولية كل خليفة مع ما اختاره في أثناء ذلك من الخطب الشريفة والرسائل البديعة والكلم النوابغ مما صار به حاجة الادباء وحجة العلماء وذلك انه سلك فيه مسلكا ينبغي ان لا يغفل عنه طالب البدائع وخاطب الحكم الروائع . ولا يخفى ما لابن قتيبة رحمه الله وطيب ثراه من بعد النظر وسعة الاطلاع ووفرة المادة مع اسلوب في الكتابة

بارع ونوع من التعبير خلوب رائع . حتى ان قارئ هذا الكتاب ليجد فيه من كل مطالبه معاني والفاظا

ولذلك آثرنا طبعه وعممنا نفعه رغبة في انتشار العلوم بعد ان صححناه تصحيحا وافيا وضبطا شافيا وتحرينا فيما أثبتنا من أسماء الرجال واسناد الروايات الدقة وعلقنا عليه حلا لطيفا مفيدا لما يلزم بيانه . وقد صدرناه بلمعة من تاريخ المؤلف ايذانا بفضله وطول باعه رحمه الله . هذا ونسأل الله التيسير في الامور والعصمة من الزلل والتوفيق الى الصواب

محمد محمود الرافعي



﴿ ترجمة المؤلف ﴾

هو ابو عبد الله بن مسلم بن قُتَيْبَةَ الدينوري النحوي اللغوي، صاحب كتاب المعارف وأدب الكاتب. كان فاضلا ثقة سكن بغداد وحدث بها عن اسحاق بن راهويه وأبي اسحاق ابراهيم ابن سفيان الزيادي وأبي حاتم السجستاني وتلك الطبقة. وروي عنه ابنه أحمد وابن درستويه وتصانيفه كلها مفيدة منها ماتقدم ذكره ومنها: تفسير القرآن الكريم وغريب الحديث وعيون الاخبار ومشكل الحديث وطبقات الشعراء وكتاب التفقيه وكتاب الخيل، وكتاب اعراب القرآءت وكتاب الانواء وكتاب المسائل والجوابات وكتاب الميسر والقداح وغير ذلك . وقيل ان اباه مروزي واما هو فمولده ببغداد وقيل بالكوفة واقام بالدينور مدة قاضيا فنسب اليها وكانت ولادته سنة ثلاث عشر ومائتين وتوفي في ذي القعدة سنة سبعين وقيل في رجب سنة ست وسبعين ومائتين وكانت وفاته فجأة صاح صيحة سمعت من بعد ثم اغمي عليه ومات رحمه الله.

وقتيبة وهي تصغير قتبة وهي واحدة الأقتاب والاقتاب الأمعاء وبها سمي الرجل . والدّينَوَري نسبة الى دينور وهي بلدة من بلاد الجبل عند قرميسين خرج منها خلق كثير .



﴿ قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة رحمه الله تعالى ﴾

نفتتح كلامنا بحمد الله تعالى ونقدس ربنا بذكره والثناء عليه لا إله الا هو لا شريك له الذي اتخذ الحمد لنفسه ذكراً. ورضي به من عباده شكراً. وصلى الله على سيدنا محمد الذي أرسله بالهدى. وختم به رسل الله السعداء. صلاة زاكية وسلم تسليماً كثيراً أبداً

﴿ فضل أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما ﴾

حدثنا ابن أبي مريم قال حدثنا أسد بن موسى قال حدثنا وكيع عن يونس بن أبي اسحاق عن الشعبي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: كنت جالساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فقال عليه السلام: هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين الا النبيين والمرسلين عليهم السلام ولا تخبرهما يا عليّ. حدثنا يحي بن عبد الحميد الحمامي رضي الله عنه

حدثنا أحمد بن حواش الحنفي قال حدثنا ابن المبارك عن عمر
ابن سعيد عن أبي مليكة قال سمعت ابن عباس رضي الله عنه
يقول :وُضع عمر رضي الله عنه على سريره فتكنّفه الناس يدعون
ويصلون قبل أن يُرفع فلم يَرُعْني الا رجل قد أخذ بمَنكِبي
من ورائي فالتفت فاذا عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه يترحم
على عمر رضي الله عنه وقال: والله ما خلفت أحداً أحب اليّ
أن ألقى الله تعالى بمثل عمله منك يا عمر . وأيم الله ان كنت
لأرجو أن يجعلك مع صاحبك وذاك اني كنت سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ذهبت أنا وأبو بكر وعمر
وكنت أنا وأبو بكر وعمر واني كنت لأظن أن يجعلك الله
تعالى معهما . وأخبرنا ابن أبي شيبة قال حدثنا يزيد بن الحُباب
عن موسى بن عبيد قال أخبرني أبو مُعاذ وأبو الخطاب عن
عليّ رضي الله عنه قال : بينما أنا جالس مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذ أقبل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فقال يا عليّ
هذان سيدا كهول أهل الجنة الا ما كان من الانبياء عليهم
السلام ولا تخبرهما . حدثنا الوليد بن مسلم عن عبد الله بن عبد
الله العلي عن القاسم بن أبي عبد الرحمن رضي الله عنهما ان رسول

الله صلى الله عليه وسلم قال : لقد هممت أن أبعث الى الامم رجالاً يدعونهم الى الاسلام ويرغبونهم فى الدين فابعث أبيّ ابن كعب وسالم مولى أبى حذيفة ومعاذ بن جبل كما فعل عيسى ابن مريم عليهما السلام . فقالوا يارسول الله أفلاتبعث أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فقال صلى الله عليه وسلم : هما لا بدلي منهما هما مني بمنزلة السمع والبصر . وحدثنا قال أخبرنا ابن المبارك قال أخبرنا محمد بن الزبير قال أرسلني عمر بن عبدالعزيز الى الحسن البصري رحمهما الله تعالى أسأله ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلف أبا بكر رضي الله عنه . فأتيته فاستوى جالساً وقال : أي والذي لااله الا هو استخلفه وهو كان أعلم بالله تعالى وأتقي لله تعالى من أن يتوثب عليهم لولم يأمره

﴿ استخلاف رسول الله أبا بكر رضى الله عنه ﴾

عن ابن أبى مريم قال حدثنا العرياني عن أبي عون بن عمرو بن تيم الانصاري رضي الله عنه وحدثنا سعيد بن كثير عن عفير بن عبد الله بن عبدالرحمن قال حدثنا بقصة استخلاف رسول الله صلي الله عليه وسلم لأبي بكر وشأن السقيفة وما جرى فيها من القول والتنازع بين المهاجرين والانصار وبعضهم

يزيد على بعض في الكلام فجمعت ذلك وألّفته على معنى حديثهم ومجاز لفتهم أن رسول الله صلي الله عليه وسلم خرج في مرضه الذي قبض فيه متوكأً على الفضل بن العباس رضي الله عنهما وغلام يقال له ثوبان رضي الله عنه ثم رجع صلي الله عليه وسلم فدخل منزله وقال لغلامه اجلس على الباب ولا تحجب أحداً من الانصار رضي الله عنهم فأحدقوا بالباب وقالوا للغلام أئذن لنا على رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال عنده نساؤه رضى الله تعالى عنهن فسمع رسول الله صلي الله عليه وسلم بكاءهم فقال من هؤلاء فقيل له الانصار رضى الله عنهم يبكون فخرج صلي الله عليه وسلم متوكا على عليّ والعباس رضي الله عنهما فدخل المسجد واجتمع الناس اليه فقال صلي الله عليه وسلم : إنه لم يمت نبيّ قط الا خلف وراءه تركةً وان تركتي فيكم الانصار رضي الله عنهم وهم كَرِشي التي آوى اليها. أوصيكم بتقوى الله تعالى والاحسان اليهم فقد علمتم أنهم شاطروكم وواسَوْكم في العسر واليسر ونصروكم في النَّشَط والكسل فاعرفوا لهم حقهم واقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى منزله

وهو معصوب الرأس شديد الوجع فلما كانت الصلاة أتى بلال
المؤذن رضى الله عنه يدعو الى الصلاة ففتح صلى الله عليه وسلم
عينه وقال للنساء :ادعُنّ لي حبيبي . فعرفت عائشة رضي الله عنها
أنه يريد أبا بكر فقالت أُرسل الى عمر فان أبا بكر رجل رقيق
وان قام مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم افتضح من البكاء
وعمر أقوى منه فأرسلت الى عمر رضى الله عنه فأتى فسلم ففتح
رسول الله صلى الله عليه وسلم عينيه فرد السلام ثم أطرق عنه
فعرف عمر أنه لم يرده فلما خرج أقبل صلى الله عليه وسلم عليهنّ
وقال :ادعنّ لي حبيبي فقالت عائشة رضى الله عنها: يارسول الله
ان أبا بكر رجل رقيق فلو أمرت عمر يصلي بالناس فقال صلى
الله عليه وسلم: إنكنّ صواحبات يوسف عليه السلام ادعن لي
حبيبي انما أفعل ما أُومر فدعى أبو بكر رضى الله تعالى عنه
فلما جاء قال له : اذهب مع المؤذن فصل بالناس فلم يزل
أبو بكر رضى الله عنه يصلي بالناس حتى كان اليوم الذي مات
فيه رسول الله وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين
فأتمروا فقال قائل يدفن رسول الله صلى عليه وسلم حيث كان
يصلى في مقامه فقال أبو بكر رضي الله عنه : معاذ الله أن نجعله

وثناً نعبده . وقال قائل : ندفنه صلى الله عليه وسلم في البقيع
حيث دفن إخوانه من المهاجرين والانصار فقال أبو بكر انا
نكره أن نخرج قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين
أظهرنا الى البقيع قالوا فما ترى يا أبا بكر قال سمعته صلى الله
عليه وسلم يقول: ما قبض نبيّ قط الا دفن جسده حيث قبض
روحه . قالوا فأنت والله رضى ومقنع وكان العباس بن عبد
المطلب رضى الله تعالى عنه قد لقي علياً كرم الله وجهه فقال
ان النبي صلى الله عليه وسلم يقبض فاسأله ان كان الامر لنا بيّنه
وان كان لغيرنا أوصى بنا خيراً فلما قبض رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال العباس لعليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه أبسط
يدك أبايعك فيقال عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع ابن
عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبايعك أهل بيتك فان
هذا الامر اذا كان لم يُقال . فقال له عليّ كرم الله وجهه : ومَن
يطلب هذا الامر غيرنا وقد كان العباس رضي الله عنه لقي أبا
بكر فقال هل أوصاك رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء قال:
لا . ولقى العباس أيضاً عمر فقال له مثل ذلك فقال عمر :لا . فقال
العباس لعليّ رضى الله عنه: ابسط يدك أبايعك ويبايعك أهل بيتك

﴿ ذكر السقيفة وما جرى فيها من القول ﴾

وحدثنا قال حدثنا بن عفير عن أبي عون عن عبد الله ابن عبد الرحمن الانصاري رضي الله عنه ان النبي عليه السلام لما قبض اجتمعت الانصار رضي الله عنهم الى سعد بن عبادة فقالوا له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبض فقال سعد لابنه قيس رضى الله عنهما انى لاأستطيع ان أسمع الناس كلاماً لمرضى ولكن تلق مني قولي فأسمعهم . فكان سعد يتكلم ويحفظ ابنه رضى الله عنهما قوله فيرفع صوته لكى يسمع قومه . فكان مما قال رضى الله عنه بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه : يامعشر الانصار إن لكم سابقة في الدين وفضيلة في الاسلام ليست لقبيلة من العرب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث في قومه بضع عشرة سنة يدعوهم الى عبادة الرحمن وخلع الاوثان فما آمن به من قومه الا قليل والله ما كانوا يقدرون ان يمنعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يعرفوا دينه ولا يدفعوا عن أنفسهم حتى أراد الله تعالى لكم الفضيلة وساق اليكم الكرامة وخصكم بالنعمة ورزقكم الايمان به وبرسوله صلى الله عليه وسلم والمنع له ولاصحابه والاعزاز

لدينه والجهاد لأعدائه فكنتم أشد الناس على من تخلف عنه
منكم وأثقله على عدوكم من غيركم حتى استقاموا لأمر الله تعالى
طوعاً وكرهاً وأعطى البعيدُ المَقادة صاغراً داحراً حتى أثخن
الله تعالى لنبيه بكم الارض ودانت بأسيافكم له العرب توفاه
الله تعالى وهو راضٍ عنكم قرير العين فشدوا أيديكم بهذا الامر
فانكم أحق الناس وأولاهم به فأجابوه جميعاً ان قد وفقت في
الرأي وأصبت في القول وكنى بعد ذلك مارأيت بتوليتك
هذا الامر فأنت مقنع ولصالح المؤمنين رضى. قال فأتى الخبر
الى أبي بكر رضى الله عنه ففزع أشد الفزع وقام معه عمر
رضى الله عنهما فخرجا مسرعين الى سقيفة بني ساعدة فلقيا أبا
عبيدة بن الجرّاح رضي الله عنه فانطلقوا رضي الله عنهم جميعاً
حتى دخلوا سقيفة بنى ساعدة وفيها رجال من الاشراف معهم
سعد بن عبادة رضي الله عنه فاراد عمر رضى الله عنه أن
يبدأ بالكلام وقال : خشيت ان يقصر أبو بكر رضى الله عنه
عن بعض الكلام فلما تيسر عمر للكلام تجهز أبو بكر رضى
الله عنه وقال له : على رسلك فستكفى الكلام فتشهد أبو
بكر رضي الله عنه وانتصب له الناس فقال : ان الله جل ثناؤه

بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق فدعا الى الاسلام فأخذ الله تعالى بنواصينا وقلوبنا الى مادعا اليه فكنا معشرَ المهاجرين أول الناس اسلاماً والناس لنا فيه تبع ونحن عشيرة رسول الله صلي الله عليه وسلم ونحن مع ذلك أوسط العرب انسابا ليست قبيلة من قبائل العرب الا ولقريش فيها ولادة وأنتم أيضاً والله الذين آوَوْا ونصروا وأنتم وزراؤنا في الدين ووزراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم اخواننا في كتاب الله تعالى وشركاؤنا في دين الله عز وجل وفيما كنا فيه من سراء وضراء والله ما كنا في خير قط الا كنتم معنا فيه فأنتم أحب الناس الينا وأكرمهم علينا . وأحق الناس بالرضى بقضاء الله تعالى والتسليم لامر الله عز وجل لما ساق لكم ولاخوانكم المهاجرين رضى الله عنهم وأحق الناس فلا تحسدوهم وأنتم المؤثرون على أنفسهم حين الخصاصة والله مازلتم مؤثرون اخوانكم من المهاجرين وأنتم أحق الناس الا يكون هذا الامر واختلافه على أيديكم وأبعد ان لاتحسدوا اخوانكم على خير ساقه الله تعالي اليهم وانما أدعوكم الى أبي عبيدة أو عمر وكلاهما قد رضيت لكم ولهذا الامر

وكلاهما له أهــل . فقال عمر وأبو عبيــدة رضي الله عنهما أما
ينبغي لاحد من الناس ان يكون فوقك ياأبا بكر أنت صاحب
الغار ثانيَ اثنين وأمرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة
فأنت أحق الناس بهذا الامر . فقال الانصار والله مانحسدكم
على خير ساقه الله اليكم وانّا لــكما وصفت ياأبا بكر والحمدلله ولا
أحدمن خلق الله تعــالى أحب الينا منكم ولا أرضى عندنا ولا
أيمن ولكنا نشفق ممــا بعد اليوم ونحذران يغلب على هذاالامر
من ليس مناولا منكم فلوجعلتم اليوم رجلا منا ورجلا منكم
بايعنا ورضينا على انه اذا هلك اخترنا آخر من الانصار فاذا
هلك اخترنا آخر من المهاجرين أبداً مابقيت هذه الامة كان
ذلك اجدران يعدل في أمة محمدصلى الله عليه وسلم وان يكون
بعضنا يتبع بعضاً فيشفق القرشيّ ان يرفع فينقض عليه الانصاريّ
ويشفق الانصاريّ ان يرفع فينقض عليه القرشيّ فقام أبوبكر
فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال : ان الله تعالى بعث محمداً صلى
الله عليه وسلم رسولاً الي خلقه وشهيداً على أمة ليعبــدوا الله
ويوحدوه وهم اذ ذاك يعبدون آلهة شتى يزعمون انها لهم شافعة
وعليهم بالغة نافعة . وانمــا كانت حجارة منحوتة وخشــباً

منجورة فاقرأوا ان شئتم «إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ . وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مالا يَنْفَعُهُمْ ولا يَضُرُّهُمْ . ويقولون هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عند الله . وقالوا وما نَعْبُدُهُمْ الا لِيقرِّبُونَا الى الله زُلْفَى » فعظم على العرب ان يتركوا دين آبائهم فخص الله تعالى المهاجرين الاولين رضي الله عنهم بتصديقه والايمان به والمواساة والصبر معه على الشدة من قومهم وإذلالهم وتكذيبهم إياهم وكل الناس مخالف عليهم زارٍ لهم فلم يستوحشوا قلة عددهم وازراء الناس لهم واجتماع قومهم عليهم فهم أول من عبد الله في الارض . وأول من آمن بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وهم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بالامر من بعده لا ينازعهم فيه الا ظالم وأنتم يامعشر الانصار من لا ينكر فضلهم ولا النعمة العظيمة لهم في الاسلام . رضيكم الله تعالى أنصاراً لدينه ولرسوله وجعل اليكم مهاجرته فليس بعد المهاجرين الاولين أحد عندنا بمنزلتكم فنحن الامراء وأنتم الوزراء لا تفتات (١) دونكم بمشورة ولا تقضى دونكم الامور . فقام الحُباب بن المنذر

---

(١) افتات عليه فى الامر اذا حكم دونه

ابن زيد بن حرَام رضي الله عنه فقال : يامعشر الانصار املكوا على أيديكم فانما الناس في فيئكم وظلالكم ولن يجير مجير (١) على خلافكم ولن يصدر الناس الا عن رأيكم . أنتم أهل العز والثروة وأولوا العدد والنجدة وانما ينظر الناس ماتصنعون فلا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم وتقطع أموركم أنتم أهل الايواء واليكم كانت الهجرة ولكم في السابقين الاولين مثل مالهم وأنتم أصحاب الدار والايمان من قبلهم والله ماعبدوا الله علانية الافى بلادكم ولا جمعت الصلاة الافى مساجدكم ولا دانت العرب للاسلام الا بأسيافكم فأنتم أعظم الناس نصيباً في هذا الامر وان أبي القوم فمنا أمير ومنهم أمير . فقام عمر رضي الله عنه فقال : هيهات لايجمع سيفان في غمد واحد انه والله لاترضى العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم ولكن العرب لاينبغي ان تولي هذا الامر الا من كانت النبوة فيهم وأولى الامر منهم . لنا بذلك على من خالفنا من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين من ينازعنا سلطان محمد وميراثه ونحن أولياؤه وعشيرته الامدل بباطل أو متجانف لاثم أو

---

(١) في رواية ولن يجترئ مجترئ

متورط في هلكة . فقام الحباب ابن المنذر رضى الله عنه فقال : يامعشر الانصار املكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الامر فان أبوا عليكم ما سألتم فاجلوهم عن بلادكم وولوا عليكم وعليهم من أردتم فأنتم والله أولى بهذا الامر منهم فانه دان لهذا الامر ما لم يكن يدين له بأسيافنا (١) أما والله ان شئتم لنعيدنها جذعة والله لا يرد على أحد ما أقول الا حطمت أنفه بالسيف. قال عمر بن الخطاب : فلما كان الحُباب هو الذي يجيبني لم يكن لى معه كلام لانه كان بيني وبينه منازعة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاني عنه فحلفت ان لا أكلمه كلمة تسوءه أبداً . ثم قام أبو عبيدة فقال: يامعشر الانصار أنتم أول من نصر وآوى فلا تكونوا أول من يبدل ويغير .

﴿ مخالفة قيس بن سعد ونقضه لمهدهم ﴾ . قال وان قيساً لما رأى ما اتفق عليه قومه من تأمير سعد بن عبادة قام حسداً لسعد وكان قيس من سادات الخزرج فقال : يامعشر الانصار أما والله لئن كنا أولوا الفضيلة في جهاد

---

(١) في رواية :انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب. اما والله الخ

المشركين والسابقة في الدين ماأردنا ان شاء الله غير رضا ربنا وطاعة نبينا والكرم لانفسنا وما ينبغي ان نستطيل بذلك على الناس ولا نبتغي به غرضاً من الدنيا فان الله تعالى ولي النعمة والمنة علينا بذلك ثم ان محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من قريش وقومه أحق بميراثه وتولى سلطانه . وأيم الله لا يراني أنازعهم هذا الامر أبداً فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تخادعوهم .

﴿ بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ﴾ قال ثم ان أبا بكر قام على الانصار فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم دعاهم الى الجماعة ونهاهم عن الفرقة وقال اني ناصح لكم في أحد هذين الرجلين أبي عبيدة بن الجراح أو عمر [1] فبايعوا من شئتم منهما . فقال عمر: معاذ الله ان يكون ذلك وأنت بين أظهرنا أنت أحقنا بهذا الامر وأقدمنا صحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأفضل منا في المال وأنت أفضل المهاجرين وثاني اثنين وخليفته على الصلاة والصلاة أفضل أركان دين

(١) ويروي : فقالت الانصار ان رسول الله حدثنا انه سيصيبنا بعده اثرة منا الامراء ومنكم الوزراء وهذا عمر وأبو عبيدة فبايعوا من شئتم

الاسلام فمن ذا ينبغى أن يتقدمك ويتولى هذا الامر عليك أبسط يدك أبايعك فلما ذهبا يبايعانه سبقهما اليه قيس الانصاري فبايعه فناداه الحُباب بن المنذر: ياقيس بن سعد عاقك عائق ما اضطرك الى ما صنعت ؟ حسدت ابن عمك علي الإمارة ! قال لا والله ولكني كرهت ان أنازع قوماً حقا لهم فلما رأت الاوس ماصنع قيس بن سعد وهو من سادات الخزرج وما دعوا اليه المهاجرين من قريش وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عُبادة قال بعضهم لبعض وفيهم اسيد بن حُضير رضى الله عنه لئن وليتموها سعداً عليكم مرة واحدة لا زالت لهم بذلك عليكم الفضيلة ولا جعلوا لكم نصيبا فيها ابداً فقوموا فبايعوا أبا بكر رضى الله عنه فقاموا اليه فبايعوه فقام الحباب بن المنذر الى سيفه فأخذه فبادروا اليه فأخذوا سيفه منه فجعل يضرب بثوبه وجوههم حتى فرغوا من البيعة فقال: فعلتموها يامعشر الانصار أما والله لكأنى بابنائكم على ابواب أبنائهم قد وقفوا يسألونهم بأكفهم ولا يسقون الماء. قال أبو بكر: أمنا نخاف ياحُباب قال: ليس منك أخاف ولكن ممن يجيء بعدك. قال أبو بكر: فاذا كان ذلك كذلك فالامر اليك والى أصحابك ليس لنا عليكم طاعة. قال

الحباب : هيهات يا أبا بكر اذا ذهبت أنا وأنت جاءنا بعدك من يسومنا الضيم .

﴿ تخلف سعد بن عبادة رضى الله عنه عن البيعة ﴾ فقال سعد بن عبادة أما والله لو أن لي ما أقوى به على النهوض لسمعتم مني في أقطارها زئيراً يخرجك أنت وأصحابك ولا لحقتك بقوم كنت فيهم تابعاً غير متبوع خاملا غير عزيز فبايعه الناس جميعاً حتى كادوا يطأون سعدا . فقال سعد : قتلتموني فقيل اقتلوه قتله الله فقال سعد : احملوني من هذا المكان فحملوه فأدخلوه داره وترك أياماً . ثم بعث اليه أبو بكر رضى الله عنه أن أقبل فبايع فقد بايع الناس وبايع قومك فقال : أما والله حتى أرميكم بكل سهم في كنانتي من نبل وأخضب منكم سناني ورمحي وأضربكم بسيفي ماملكته يدي وأقاتلكم بمن معي من أهلي وعشيرتي ولا والله لو ان الجن اجتمعت لكم مع الانس ما بايعتكم حتى أعرض على ربي وأعلم حسابي . فلما أوتي بذلك أبو بكر من قوله قال عمر : لا تدعه حتى يبايعك . فقال لهم قيس بن سعد انه قد أبى ولج وليس يبايعك حتى يقتل وليس بمقتول حتى يقتل ولده معه وأهل

بيته وعشيرته ولن تقتلوهم حتى تقتل الخزرج ولن تقتل الخزرج حتى تقتل الاوس فلا تفسدوا على أنفسكم أمراً قد استقام لكم فاتركوه فليس تركه بضارّكم وانما هو رجل واحد فتركوه وقبلوا مشورة[1] بشير بن سعد واستنصحوه لما بدا لهم منه . فكان سعد لا يصلي بصلاتهم ولا يجتمع بجمعتهم ولا يفيض بإفاضتهم ولو يجد عليهم أعواناً لصال بهم ولو يبايعه أحد على قتالهم لقاتلهم فلم يزل كذلك حتى توفى أبو بكر رحمه الله وولى عمر بن الخطاب فخرج الى الشام فمات بها ولم يبايع لاحد رحمه الله وان بني هاشم اجتمعت عند بيعة الانصار الى عليّ بن أبي طالب ومعهم الزبير بن العوام رضي الله عنه وكانت أمه صفية بنت عبد المطلب وانما كان يعد نفسه من بني هاشم وكان علي كرم الله وجهه يقول : مازال الزبير منا حتى نشأ بنوه فصرفوه عنا واجتمعت بنو امية الى عثمان واجتمعت بنو زهرة الى سعد وعبد الرحمن بن عوف فكانوا في المسجد الشريف مجتمعين . فلما أقبل عليهم أبو بكر وأبو عبيدة وقد بايع الناس أبا بكر قال لهم عمر : مالي أراكم مجتمعين حِلَقاً شتى قوموا

---

(١) وهو المعارض لسعد فيما تقدم لاقيس فليتنبه

فبايعوا أبا بكر فقد بايعته وبايعه الانصار فقام عثمان بن عفان ومن معه من بني أميـة فبايعوه وقام سـعد وعبد الرحمن بن عوف ومن معهما من بني زهرة فبايعوا . وأما عليّ والعباس ابن عبد المطلب ومن معهما من بني هاشم انصرفوا الى رحالهم ومعهم الزبير بن العوّام فذهب اليهم عمر في عصابة فيهم اسيد ابن حضير وسلمة بن اشيم فقالوا انطلقوا فبايعوا أبا بكر فأبوا فخرج الزبير بن العوام رضى الله عنه بالسيف فقال عمر رضي الله عنه : عليكم بالرجـل فخذوه فوثب عليه سلمة بن اشيم فأخذ السيف من يده فضرب به الجدار وانطلقوا به فبايع وذهب بنو هاشم أيضاً فبايعوا

﴿ إباية عليّ كرم الله وجهه بيعة أبي بكر رضي الله عنهما ﴾

ثم ان علياً كرم الله وجهه أُتي به الى أبي بكر وهو يقول أنا عبد الله وأخو رسوله فقيل له بايع أبا بكر فقال أنا أحق بهذا الأمر منكم لا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي أخذتم هذا الامر من الانصار واحتججتم عليهم بالقرابة من النبي صلى الله عليه وسلم وتأخذوه منا أهـل البيت غصباً ألستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الامر منهم لما كان محمد منكم فأعطوكم المقادة

وسلموا اليكم الإمارة فاذا احتج عليكم بمثل ما احتججتم على الأنصار نحن أولى برسول الله حيا وميتاً فانصفونا إن كنتم تؤمنون والا فبؤا بالظلم وأنتم تعلمون فقال له عمر : انك لست متروكاً حتى تبايع فقال له عليّ أحلب حلباً لك شطره وشد له اليوم يردده عليك غداً ثم قال : والله يا عمر لاأقبل قولك ولا أبايعه فقال له أبو بكر فان لم تبايع فلا أكرهك فقال أبو عبيدة بن الجراح لعليّ كرم الله وجهه : يا ابن عمّ انك حديث السن وهؤلاء مشيخة قومك ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالامور ولا أرى أبا بكر الا أقوى على هذا الامر منك وأشد احتمالا واستطلاعاً فسلم لابي بكر هذا الامر فانك ان تعش ويطل بك بقاء فأنت لهذا الامر خليق وحقيق في فضلك ودينك وعلمك وفهمك وسابقتك ونسبك وصهرك . فقال عليّ كرم الله وجهه: ألله الله يامعشر المهاجرين لا تخرجوا سلطان محمد في العرب من داره وقعر بيته الى دوركم وقعور بيوتكم وتدفعون أهله عن مقامه في الناس وحقه فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أحق الناس به لانا أهل البيت ونحن أحق بهذا الامر منكم ما كان فينا القارئ لكتاب الله

الفقيه في دين الله العالم بسنن رسول الله المتطلع لأمر الرعية المدافع عنهم الامور السيئة القاسم بينهم بالسوية والله انه لفينا فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحق بعداً . وقال بشير بن سعد الانصاري : لو كان هذا الكلام سمعته الانصار منك يا عليّ قبل بيعتها لابي بكر ما اختلفت عليك قال : وخرج عليّ كرم الله وجهه يحمل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم على دابة ليلاً في مجالس الانصار تسألهم النصرة فكانوا يقولون يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ولو ان زوجك وابن عمك سبق الينا قبل أبي بكر ماعدلنا به فيقول عليّ كرم الله وجهه : أفكنت ادع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته لم أدفنه واخرج أنازع الناس سلطانه ؟ فقالت فاطمة : ما صنع أبو الحسن الا ما كان ينبغي له ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم

﴿ كيف كانت بيعة عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه ﴾

قال وان أبا بكر رضي الله عنه تفقد قوماً تخلفوا عن بيعته عند علي كرم الله وجهه فبعث اليهم عمر فجاء فناداهم وهم في دار عليّ فأبوا أن يخرجوا فدعا بالحطب وقال : والذي

نفس عمر بيده لتخرجُنّ أو لأُحرقنّها على من فيها فقيل له يا أبا حفص ان فيها فاطمة فقال وإن . فخرجوا فبايعوا الا علياً فانه زعم أنه قال حلفت أن لا أخرج ولا أضع ثوبي على عاتقي حتى أجمع القرآن فوقفت فاطمة رضي الله عنها على بابها فقالت: لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم تركتم رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازة بين أيدينا وقطعتم أمركم بينكم لم تستأمرونا ولم تردوا لنا حقاً فأتى عمر أبا بكر فقال له : ألا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة فقال أبو بكر لقنفذ وهو مولى له : اذهب فادع لي علياً قال فذهب الى عليّ فقال له ماحاجتك فقال يدعوك خليفة رسول الله فقال عليّ : اسريعٌ ما كذبتم على رسول الله فرجع فأبلغ الرسالة قال : فبكى أبو بكر طويلا فقال عمر : الثانية أن لا تمهل هذا المتخلف عنك بالبيعة فقال أبو بكر رضي الله عنه لقنفذ : عد اليه فقل له أمير المؤمنين يدعوك لتبايع فجاءه قنفذ فأدى ما أمر به فرفع عليّ صوته فقال سبحان الله لقد ادعى ما ليس له فرجع قنفذ فأبلغ الرسالة فبكى أبو بكر طويلا . ثم قام عمر فمشي معه جماعة حتي أتوا باب فاطمة فدقوا الباب فلما سمعت أصواتهم نادت بأعلى

صوتها : يا أبت يا رسول الله ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة فلما سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين وكادت قلوبهم تنصدع وأكبادهم تنفطر وبقي عمر ومعه قوم فأخرجوا علياً فمضوا به الى أبي بكر فقالوا له بايع فقال إن أنا لم أفعل فمه قالوا اذاً والله الذي لا إله الا هو نضرب عنقك قال اذاً تقتلون عبد الله وأخا رسوله قال عمر : أما عبدالله فنعم وأما أخو رسوله فلا وأبو بكر ساكت لا يتكلم فقال له عمر : ألا تأمر فيه بأمرك فقال : لا اكرهه على شيء ما كانت فاطمة الى جنبه . فلحق عليّ بقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يصيح ويبكي وينادي : يا ابن أمّ ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فقال عمر لأبي بكر رضي الله عنهما : انطلق بنا الى فاطمة فانا قد أغضبناها فانطلقا جميعاً فاستأذنا على فاطمة فلم تأذن لهما فأتيا علياً فكلماه فأدخلهما عليها فلما قعدا عندها حوّلت وجهها الى الحائط فسلما عليها فلم ترد عليهما السلام فتكلم أبو بكر فقال : ياحبيبة رسول الله (١) والله ان قرابة رسول الله

---

(١) ويروى : يا حبيبة رسول الله أغضبناك في ميراثك منه وفي زوجك فقالت ما بالك يرثك أهلك ولا نرث محمداً فقال والله ان قرابة الخ .

أحب اليّ من قرابتي . وانك لأحب اليّ من عائشة ابنتى
ولوددت يوم مات أبوك اني متّ ولا أبقى بعده . أفتراني
أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وأمنعك حقك وميراثك من
رسول الله الا أني سمعت أباك رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
لا نورث ما تركنا فهو صدقة . فقالت أرأيتكما ان حدثتكما حديثاً
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرفانه وتفعلان به قالا نعم
فقالت نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول : رضا فاطمة
من رضاي وسخط فاطمة من سخطي فمن أحب فاطمة ابنتي
فقد أحبني ومن أرضى فاطمة فقد ارضاني ومن اسخط فاطمة
فقد اسخطني . قالا : نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه
وسلم قالت : فاني اشهد الله وملائكته انكما اسخطتماني وما
ارضيتماني ولئن لقيت النبي لاشكونكما اليه . فقال ابو بكر :
انا عائذ بالله تعالى من سخطه وسخطك يافاطمة ثم انتحب ابو
بكر يبكي حتى كادت نفسه ان تزهق وهي تقول : والله
لادعون الله عليك في كل صلاة اصليها ثم خرج باكيا فاجتمع
اليه الناس فقال لهم : يبيت كل رجل منكم معانقا حليلته
مسروراً بأهله وتركتموني وما انا فيه لاحاجة لي في بيعتكم

أقيلوني بيعتى قالوا ياخليفة رسول الله ان هـذا الامر
لايستقيم وانت اعلمنا بذلك انه ان كان هـذا لم يقم لله دين
فقال : والله لولا ذلك وما أخافه من رخاوة هذه العروة مابت
ليلة ولي في عنق مسلم بيعة بعد ماسمعت ورأيت من فاطمة
قال فلم يبايع عليّ كرم الله وجهه حتى ماتت فاطمة رضي الله
عنهما ولم تمكث بعد ابيها الا خمساً وسبعين ليلة . قال فلما
توفيت ارسل عليّ الى ابى بكر ان اقبل الينا فاقبل ابو بكر
حتى دخل على عليّ وعنده بنو هاشم فحمد الله واثنى عليه
ثم قال : اما بعد ياابا بكر فانه لم يمنعنا ان نبايعك انكاراً
لفضيلتك ولا نفاسة عليك ولكنا كنا نرى ان لنا في
هذا الامر حقاً فاستبددت علينا ثم ذكر عليّ قرابته من
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل يذكر ذلك حتى بكي
ابو بكر . فقال ابو بكر رضي الله عنه : لَقرابة رسول الله
أحب اليّ ان اصل من قرابتى وانى والله لاادع امراً رأيت
رسول الله يصنعه الا صنعته ان شاء الله تعالى فقال علي :
موعدك غداً في المسجد الجامع للبيعة ان شاء الله . ثم خرج
فأتى المغيرة بن شعبة فقال : اترى يا ابا بكر ان تلقوا العباس

فتجعلوا له في هذا الامر نصيباً يكون له ولعقبه وتكون لكما الحجة على عليّ وبني هاشم اذا كان العباس معكم قال فانطلق ابو بكر وعمر وابو عبيدة حتى دخلوا على العباس رضي الله عنه فحمد الله ابو بكر واثنى عليه ثم قال: ان الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم نبياً وللمؤمنين ولياً فمنّ الله تعالى بمقامه بين أظهرنا حتي اختار له الله ماعنده فخلى على الناس امرهم ليختاروا لانفسهم في مصلحتهم متفقين لامختلفين فاختاروني عليهم والياً ولا مورهم راعياً وما أخاف بحمد الله وهناً ولا حيرة ولا جبناً وما توفيقي الا بالله العلي العظيم عليه توكلت واليه انيب وما زال يبلغني عن طاعن يطعن بخلاف ما اجتمعت عليه عامة المسلمين ويتخذونكم لجافا فاحذروا ان تكونوا جهد المنيع فإما دخلتم فيما دخل فيه العامة أو دفعتموهم عما مالوا اليه وقد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الامر نصيباً يكون لك ولعقبك من بعدك اذ كنت عم رسول الله وان كان الناس قدراً وامكانك ومكان أصحابك فعدلوا الامر عنكم على رسلكم بني عبد المطلب فان رسول الله منا ومنكم. ثم قال عمر اي والله وأخرى انا لم نأتكم حاجة منا اليكم ولكنا كرهنا أن

يكون الطعن منكم فيما اجتمع عليه العامة فيتفاقم الخطب بكم وبهم فانظروا لانفسكم ولعامتكم . فتكلم العباس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ان الله بعث محمداً كما زعمت نبياً وللمؤمنين ولياً فمنّ الله بمقامه بين أظهرنا حتى اختار له ماعنده فخلى على الناس أمرهم ليختاروا لانفسهم مصيبين للحق لا مائلين عنه بزيغ الهوى فان كنت برسول الله طلبت فحقنا أخذت وان كنت بالمؤمنين طلبت فنحن منهم متقدمون فيهم وان كان هذا الامر انما يجب لك بالمؤمنين فما وجب اذ كنا كارهين فاما مابذلت لنا فان يكن حقاً لك فلا حاجة لنا فيه وان يكن حقاً للمؤمنين فليس لك أن تحكم عليهم وان كان حقنا لم نرض عنك فيه ببعض دون بعض وأما قولك ان رسول الله منا ومنكم فانه قد كان من شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها . قال ثم خرج أبو بكر الى المسجد الشريف فأقبل على الناس فعذر علياً بمثل مااعتذر عنده ثم قام علي فعظّم حق أبي بكر وذكر فضيلته وسابقته ثم مضى فبايعه فأقبل الناس على علي فقالوا أصبت ياأبا الحسن وأحسنت . قال فلما تمت البيعة لابي بكر أقام ثلاثة أيام يقيل الناس ويستقيلهم يقول قد أقلتكم في بيعتي هل

من كاره هـل من مبغض فيقوم عليّ في أول الناس فيقول والله لانقيلك ولا نستقيلك أبداً قد قدّمك رسول الله صلى الله عليه وسلم لتوحيد ديننا من ذا الذي يؤخرك لتوجيه دنيانا

﴿ خطبة أبي بكر الصديق رضى الله عنه ﴾ قال ثم ان أبا بكر قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ان الله الجليل الكريم العليم الحكيم الرحيم الحليم بعث محمداً بالحق وأنتم معشر العرب كما قد علمتم من الضلالة والفرقة الف بين قلوبكم ونصركم به وأيدكم ومكن لكم دينكم وأورثكم سيرته الراشدة المهدية فعليكم بحسن الهدى ولزوم الطاعة وقد استخلف الله عليكم خليفة ليجمع به الفتكم ويقيم به كلمتكم فأعينونى على ذلك بخير ولم أكن لابسط يداً ولا لساناً على من لم يستحل ذلك ان شاء الله وأيم الله ماحرصت عليها ليلاً ولا نهاراً ولا سألتها الله قط فى سرّ ولا علانية ولقد قلدت أمراً عظيما مالى به طاقة ولا يد ولوددت اني وجدت أقوي الناس عليه مكانى فأطيعوني ما أطعت الله . فاذا عصيت الله فلا طاعة لى عليكم ثم بكى وقال اعلموا أيها الناس انى لم أجعل لهذا المكان أن أكون خيركم ولوددت أن بعضكم كفانيه ولئن

أخذتموني بما كان الله يقيم به رسوله من الوحي ما كان ذلك عندي وما أنا الا كأحدكم فاذا رأيتموني قد استقمت فاتبعوني وان زغت فقوموني واعلموا أن لي شيطاناً يعتريني أحياناً فاذا رأيتموني غضبت فاجتنبوني لا أوثر باشعاركم وابشاركم ثم نزل . ثم دعا عمر والأوجاه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ماترون لي من هذا المال فقال عمر انا والله أخبرك مالك منه أما ما كان لك من ولد قد بان عنك وملك أمره فسهمه كرجل من المسلمين وأما ما كان من عيالك وضعفة أهلك فتقوت منه بالمعروف وقوت أهلك . فقال ياعمر : انى لا اخشى ان لا يحل لى أن أطعم عيالى من فيء المسلمين فقال عمر : ياخليفة رسول الله انك قد شغلت بهذا الامر عن ان تكسب لعيالك قال ولما تمت البيعة لابي بكر واستقام له الامر اشرأب النفاق بالمدينة وارتدت العرب فنصب لهم أبو بكر الحرب وأراد قتالهم فقالوا نصلي ولا نؤدي الزكاة فقال الناس أقبل منهم ياخليفة رسول الله فان العهد حديث والعرب كثير ونحن شر ذمة قليلون لا طاقة لنا بالعرب مع انا قد سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها

عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله فقال أبو بكر هذا من حقها لا بد من القتال فقال الناس لعمر اخل به فكلمه لعله يرجع عن رأيه هذا فيقبل منهم الصلاة ويعفيهم من الزكاة فخلا به عمر نهاره أجمع فقال والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله لقاتلتهم عليه ولو لم أجد أحداً أقاتلهم به لقاتلتهم وحدي حتى يحكم الله بيني وبينهم وهو خير الحاكمين وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أمرت أن أقاتل الناس على ثلاث شهادة الا اله الا الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة فوالله الذي لا اله الا هو لا أقصر دونهن فضرب منهم من أدبر بمن أقبل حتى دخل الناس في الاسلام طوعاً وكرهاً وحمدوا رأيه وعرفوا فضله . قال ابو رجاء العطاردي رأيت الناس مجتمعين وعمر يقبل رأس أبي بكر ويقول أنا فداؤك لولا أنت لهلكنا فحمد له رأيه في قتال أهل الردة

﴿ مرض أبي بكر واستخلافه عمر رضي الله عنهما ﴾

قال ثم ان أبا بكر عمل سنتين وشهوراً ثم مرض مرضه الذي مات فيه فدخل عليه أناس من أصحاب النبي عليه السلام فيهم عبد الرحمن بن عوف فقال له : كيف أصبحت يا خليفة

رسول الله فانى أرجو أن تكون بارئاً قال أترى ذلك قال نعم قال أبو بكر : والله انى لشديد الوجع ولما ألقى منكم يامعشر المهاجرين أشد على من وجعي إني وَليت أمركم ولست خيركم في نفسي فكلكم وَرِم أنفه [١] ارادة أن يكون هذا الامر له وذلك لما رأيتم الدنيا قد أقبلت أما والله لتتخذن نضائد [٢] الديباج وستور الحرير ولتألمن النوم على الصوف الأذربيّ كما يألم أحدكم النوم على حسك السعدان والله لئن يقدَّم أحدكم فتضربَ عنقه فى غير حدث خير له من أن يخوض غمرات الدنيا فقال له عبد الرحمن ابن عوف خفض عليك من هذا يرحمك الله فان هذا يهيضك على مابك وانما الناس رجلان رجل رضي ماصنعت فرأيه كرأيك ورجل كره ما صنعت فأشار عليك برأيه ما رأينا من صاحبك الذي وليت الا خيراً وما زلت صالحا مصلحاً ولا أراك تأسى على شيء من الدنيا فاتك قال : أجل والله ماآسى الا على ثلاث فعلتهن ليتنى كنت تركتهن وثلاث تركتهن ليتنى فعلتهن وثلاث ليتني سألت رسول الله عنهن فأما اللاتى فعلتهن وليتني

(١) ورم أنفه أي امتلأ غضباً قال الشاعر : ولا يهاج اذا ما أنفه ورما اي لا يكلم عند الغضب (٢) نضائد الديباج واحدتها نضيدة وهي الوسادة

لم أفعلهن فليتنى تركت بيت عليّ وان كان أعلن على الحرب وليتنى يوم سقيفة بني ساعدة كنت ضربت على يد أحد الرجلين أبى عبيدة أو عمر فكان هو الامير وكنت أنا الوزير وليتني حين أتيت بالفجاءة السلميّ أسيراً انى قتلته ذبيحاً أو أطلقته نجيحاً ولم أكن أحرقته بالنار وأما اللاتى تركتهن وليتني كنت فعلتهن حين أتيت بالاشعث بن قيس أسيراً انى قتلته ولم استحيه فانى سمعت منه وأراه لا يرى غياً ولا شراً الا أعان عليه وليتنى حين بعثت خالد بن الوليد الى الشام انى كنت بعثت عمر بن الخطاب الى العراق فأكون قد بسطت يدىّ جميعاً فى سبيل الله . وأما اللاتى كنت أود أنى سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهن فليتني سألته لمن هذا الامر من بعده فلا ينازعه فيه أحد وليتنى كنت سألته هل للانصار فيها من حق وليتني كنت سألته عن ميراث بنت الاخ والعمة فان في نفسى من ذاك شيئاً ثم دخل عليه أناس من أصحاب رسول الله فقالوا يا خليفة رسول الله ألا ندعو لك طبيباً ينظر اليك فقال قد نظر اليّ قالوا فماذا قال ؟ قال انى فعال لما أريد ثم قال لهم انظروا ماذا نفقت

من بيت المال فنظروا فاذا هو ثمانية آلاف درهم فأوصى أهله
أن يؤدوها الى الخليفة بعده ثم دعا عثمان بن عفان فقال اكتب
عهدي فكتب عثمان وأملى عليه : بسم الله الرحمن الرحيم
هذا ما عهد به ابو بكر بن ابي قحافة آخر عهده في الدنيا نازحاً
عنها وأول عهده بالآخرة داخلا فيها اني استخلفت عليكم عمر
ابن الخطاب فان تروه عدل فيكم فذلك ظني به ورجائي فيه
وان بدّل وغيّر فالخير اردت ولا أعلم الغيب وسيعلم الذين
ظلموا ايّ منقلب ينقلبون . ثم ختم الكتاب ودفعه ودخل
عليه المهاجرون والانصار حين بلغهم انه استخلف عمر فقالوا
نراك استخلفت علينا عمر وقد عرفته وعلمت بوائقه فينا وانت
بين أظهرنا فكيف اذا وليت عنا وانت لاقٍ الله عز وجل
فسائلك فما انت قائل ؟ فقال ابو بكر : لئن سألني الله لأقولن
استخلفت عليهم خيرهم في نفسي قال ثم امر ان تجتمع له
الناس فاجتمعوا فقال : ايها الناس قد حضرني من قضاء الله
ماترون وانه لابد لكم من رجل يلي أمركم ويصلي بكم ويقاتل
عدوّكم فيأمركم فان شئتم اجتمعتم فأتمرتم ثم وليتم عليكم من
أردتم وان شئتم اجتهدت لكم رأيي ووالله الذي لااله الاهو

لا آلوكم في نفسي خيراً قال فبكى وبكى الناس وقالوا يا خليفة رسول الله أنت خيرنا وأعلمنا فاخترلنا قال سأجتهد لكم رأيي وأختار لكم خيركم ان شاء الله . قال فخرجوا من عنده ثم أرسل الى عمر فقال : يا عمر أحبك محبٌّ وأبغضك مبغضٌ وقديماً يحب الشر ويبغض الخير فقال عمر : لا حاجة لي بها . فقال أبو بكر : لكن بها اليك حاجة والله ماحبوتك بها ولكن حبوتها بك ثم قال خذ هذا الكتاب وأخرج به الى الناس وأخبرهم أنه عهدي وسلهم عن سمعهم وطاعتهم . فخرج عمر بالكتاب وأعلمهم فقالوا سمعاً وطاعة . فقال له رجل ما في الكتاب يا أبا حفص قال لا أدري ولكني أول من سمع وأطاع قال لكني والله أدري ما فيه . أمّرته عام أول وأمّرك العام

﴿ ولاية عمر بن الخطاب رضي الله عنه ﴾

قال ولما توفي أبو بكر وولي عمر قعد في المسجد مقعد الخلافة أتاه رجل فقال يا أمير المؤمنين أدنو منك فان لي حاجة قال عمر لا قال الرجل اذاً اذهب فيغنيني الله عنك فولى ذاهباً فاتبعه عمر ببصره ثم قام فأخذه بثوبه فقال له : ما حاجتك فقال الرجل بغضك الناس وكرهك الناس قال عمر : ولم ويحك

فقال الرجل للسانك وعصاك قال فرفع عمر يديه فقال : اللهم حببهم اليّ وحببني اليهم . قال الرجل فما وضع يديه حتى ما على الارض أحب اليّ منه . وكان أهل الشام قد بلغهم مرض أبي بكر واستبطؤا الخبر فقالوا انا لنخاف أن يكون خليفة رسول الله قد مات وولى بعده عمر فان كان عمر هو الوالي فليس لنا بصاحب وانا نرى خلعه قال بعضهم فابعثوا رجلا ترضون عقله قال فانتخبوا لذلك رجلا فقدم على عمر وقد كان عمر استبطأ خبر أهل الشام فلما أتاه قال له كيف الناس قال سالمون صالحون وهم كارهون لولايتك ومن شرك مشفقون فأرسلوني أنظر أحلوٌ أنت أم مرّ قال فرفع عمر يديه الى السماء وقال اللهم حببني الى الناس وحببهم اليّ قال فعمل عمر عشر سنين بعد أبي بكر فوالله ما فارق الدنيا حتى أحب ولايته من كرهها لقد كانت إمارته فتحاً واسلامه عزّا ونصراً اتبع في عمله سنة صاحبيه وآثارهما كما يتبع الفصيل أثر أمه ثم اختار الله له ما عنده

﴿ قتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ﴾

قال عمرو بن ميمون : شهدت عمر بن الخطاب يوم طعن

فما منعني أن أكون في الصف الاول الا هيبته فكنت في الصف الذي يليه وكان عمر لا يكبر حتى يستقبل الصف المتقدم بوجهه فان رأى رجلا متقدماً من الصف أومتأخراً ضربه بالدرّة فذلك الذي منعني من التقدم قال فأقبل لصلاة الصبح وكان يغلس [١]بها فعرض له أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة فطعنه ثلاث طعنات فسمعت عمر وهو يقول دونكم الكلب فانه قد قتلني وماج الناس فخرج ثلاثة عشر رجلا وصاح بعضهم ببعض دونكم الكلب فشد عليه رجل من خلفه فاحتضنه وماج الناس فقال قائل الصلاة عباد الله طلعت الشمس فدفعت عبدالرحمن ابن عوف فصلي بأقصر سورتين في القرآن واحتمل عمر ومات من الذين جرحوا ستة أو سبعة وجرى الناس الى عمر فقال يا ابن عباس أخرج فناد في الناس أعن ملأ ورضي منهم كان هذا فخرج فنادى فقالوا معاذ الله ما علمنا ولا اطلعنا قال فأتاه الطبيب فقال أي الشراب أحب اليك قال النبيذ فسقوه نبيذاً فخرج من بعض طعناته فقال الناس صديد أسقوه لبناً فخرج اللبن فقال الطبيب لا أرى أن

(١) غلس فى الصلاة صلاها بالغلس وهو ظلام آخر الليل

تمسي فما كنت فاعلا فافعل فقال لابنه عبدالله ناولني الكتف (١)
فلو أراد الله أن يمضي مافيه أمضاه فمحاها بيده وكان فيها
فريضة الجد . ثم دخل عليه كعب الاحبار فقال ياأمير المؤمنين الحق
من ربك فلا تكونن من الممترين قد كنت أنبأتك انك شهيد
قال ومن أين لي بالشهادة وأنا بجزيرة العرب . ثم جعل الناس
يثنون عليه ويذكرون فضله فقال ان من غررتموه لمغرور
اني والله وددت ان أخرج منها كفافاً كما دخلت فيها والله
لو كان لى اليوم ماطلعت عليه الشمس لافتديت به من هول
المطلع فقالوا ياأمير المؤمنين لابأس عليك فقال ان يكن
القتل بأساً فقد قتلني أبو لؤلؤة قالوا فان يكن ذلك فجزاك الله
عنا خيراً فقال لاأراكم تغبطونني بها فوالذي نفس عمر بيده
ماأدري على ماأهجم ولوددت اني نجوت منها كفافاً لالي
ولا علي فيكون خيرها بشرها ويسلم لي ما كان قبلها من
الخير ودخل على ابن أبي طالب فقال ياعلي أعن ملأ منكم
ورضي كان هذا فقال علي ما كان من ملأ منا ولا رضي
ولوددنا أن الله زاد من أعمارنا في عمرك . قال وكان رأسه

(١) يريد مايكتب فيها العهد أو الوصية

فى حجر ابنه عبد الله فقال له ضع خدي بالارض فلم يفعل فلحظه وقال ضع خدي بالارض لا أم لك فوضع خده بالارض فقال الويل لعمر ولام عمران لم يغفر الله لعمر ثم دعا عبد الله بن عباس وكان يحبه ويدنيه ويسمع منه فقال له : ياابن عباس انى لاظن أن لي ذنباً ولكن أحب ان تعلم لي أعن ملأ منهم ورضى كان هذا نخرج ابن عباس فجعل لا يرى ملأ من الناس الا وهم يبكون كأنما فقدوا اليوم أنصارهم فرجع اليه فأخبره بما رأى قال فمن قتلني قال أبو لؤلؤة المجوسي غلام المغيرة ابن شعبة قال عبد الله فرأيت البشر في وجهه فقال الحمد لله الذي لم يقتلني رجل يحاجني بلااله الا الله يوم القيامة ثم قال ياعبد الله ألا لو أن لي ماطلعت عليه الشمس وما غربت لافتديت به من هول المطلع وما ذاك والحمد لله أن اكون رأيت الا خيراً فقال له ابن عباس فإن يك ذاك يا أمير المؤمنين فجزاك الله عنا خيراً أليس قد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعز الله بك الدين والمسلمون محتسبون بمكة فلما أسلمت كان اسلامك عزاً أعز الله به الاسلام وظهر النبي وأصحابه ثم هاجرت الى المدينة فكانت هجرتك فتحاً ثم لم تغب عن مشهد شهده رسول

الله من قتال المشركين وقال فيك رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم كذا وكذا ثم قبض رسول الله وهو عنك راض ثم ارتد
الناس بعد رسول الله عن الاسلام فوازرت الخليفة على منهاج
رسول الله وضربتم من أدبر بمن أقبل حتى دخل الناس في
الاسلام طوعاً وكرهاً ثم قبض الخليفة وهو عنك راض ثم
وليت بخير على مايلي أحد من الناس . مصر الله بك الامصار
وجبا بك الاموال ونفى بك العدوّ وأدخل الله على أهل كل
بيت من المسلمين توسعة في دينهم وتوسعة في أرزاقهم ثم ختم
الله لك بالشهادة فهنيئاً لك فصب الله الثناء عليك صباً فقال
أتشهد لي بهذا ياعبد الله عند الله يوم القيامة قال نعم فقال عمر
اللهم لك الحمد .

﴿ تولية عمر بن الخطاب الستة الشورى وعهده اليهم ﴾

قال ثم ان المهاجرين دخلوا على عمر رضى الله عنه وهو في البيت
من جراحه تلك فقالوا ياأمير المؤمنين استخلف علينا قال والله لا
أحملكم حياً وميتاً ثم قال ان استخلفت فقد استخلف من هو خير مني
يعني أبا بكر وان أدع فقد ودع من هو خير مني يعني النبي عليه السلام
فقالوا جزاك الله خيراً ياأمير المؤمنين فقال ماشاء الله راغباً وددت

أن أنجو منها لا لى ولا عليّ فلما أحس بالموت قال لابنه اذهب
الى عائشة وأقرئها مني السلام واستأذنها أن أقبر في بيتها مع
رسول الله ومع أبي بكر فأتاها عبد الله بن عمر فاعلمها فقالت
نعم وكرامة ثم قالت يابني أبلغ عمر سلامي وقل له لا تدع أمة
محمد بلا راعٍ استخلف عليهم ولا تدعهم بعدك هملا فاني أخشى
عليهم الفتنة فأتى عبد الله فأعلمه فقال ومن تأمرني ان استخلف
لو أدركت ابا عبيدة بن الجراح باقياً استخلفته ووليته فاذا
قدمت على ربي فسألني وقال لي من وليت على امة محمد قلت
اي ربي سمعت عبدك ونبيك يقول : لكل امة أمين وأمين
هذه الامة أبو عبيدة بن الجراح ولو أدركت معاذ بن جبل
استخلفته فاذا قدمت على ربي فسألني من وليت على أمة محمد
قلت أي ربي سمعت عبدك ونبيك يقول: ان معاذ بن جبل
يأتي بين يدي العلماء يوم القيامة ولو أدركت خالد بن الوليد
لوليته فاذا قدمت على ربي فسألني من وليت على امة محمد
قلت أي ربي سمعت عبدك ونبيك يقول: خالد بن الوليد سيف
من سيوف الله سله على المشركين ولكني سأستخلف النفر
الذين توفى رسول الله وهو عنهم راض. فأرسل اليهم فجمعهم

وهم على بن أبي طالب وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وعبدالرحمن بن عوف رضوان الله عليهم وكان طلحة غائباً فقال : يامعشر المهاجرين الاولين اني نظرت فى أمر الناس فلم أجد فيهم شقاقاً ولا نفاقاً فإن يكن بعدي شقاق ونفاق فهو فيكم تشاوروا ثلاثة أيام فإن جاءكم طلحة الى ذلك والا فأعزم عليكم بالله ان لا تتفرقوا من اليوم الثالث حتى تستخلفوا أحدكم فان أشرتم بها الى طلحة فهو لها أهل وليصل بكم صهيب (١) هذه الثلاثة أيام التي تشاوروا فيها فانه رجل من الموالي لا ينازعكم امركم واحضروا معكم من شيوخ الانصار وليس لهم من أمركم شيء واحضروا معكم الحسن بن علي وعبد الله بن عباس فان لهما قرابة وأرجو لكم البركة في حضورهما وليس لهما من أمركم

(١) هو صهيب بن سنان وهو الذي أراده المشركون مع نفر معه على ترك الاسلام وقتلوا بعضهم . فقال لهم صهيب : أنا شيخ كبير ان كنت عليكم لم أضركم وان كنت معكم لم أنفعكم فخلوني وما أنا عليه وخذوا مالي فقبلوا منه وأتى المدينة فلقيه أبو بكر فقال : ربح البيع ياصهيب . فقال له وأنت ربح بيعك . وتلا قوله تعالى : ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله

شيء ويحضر ابني عبد الله مستشاراً وليس له من الامر شيء
قالوا ياأمير المؤمنين ان فيه للخلافة موضعاً فاستخلفه فانا
راضون به فقال: حسب آل الخطاب تحمل رجل منهم الخلافة
ليس له من الامر شيء ثم قال ياعبد الله اياك ثم اياك
لاتتلبس بها ثم قال ان استقام أمر خمسة منكم وخالف
واحد فاضربوا عنقه وان استقام أربعة واختلف اثنان فاضربوا
أعناقهما وان استقام ثلاثة واختلف ثلاثة فاحتكموا الى ابني
عبد الله فلأي الثلاثة قضى فالخليفة منهم وفيهم فان أبى الثلاثة
الأخر من ذلك فاضربوا أعناقهم . فقالوا قل فينا يا أمير
المؤمنين مقالة نستدل فيها برأيك ونقتدي به فقال والله مايمنعني
أن أستخلفك ياسعد الا شدتك وغلظتك مع أنك رجل حرب
وما يمنعني منك ياعبد الرحمن الا أنك فرعون هذه الأمة وما
يمنعني منك يازبير الا أنك مؤمن الرضا كافر الغضب وما يمنعني
من طلحة الا نخوته وكبره ولووليها وضع خاتمه في إصبع امرأته
وما يمنعني منك ياعثمان الا عصبيتك وحبك قومك وأهلك
وما يمنعني منك ياعليّ الا حرصك عليها وانك احرى القوم ان
وليتها أن تقيم على الحق المبين . والصراط المستقيم . أوصى

الخليفة منكم بتقوى الله العظيم واحذره مثل مضجعي هـذا
وأخوفه يوماً تبيض فيه وجوه وتسود وجوه يوم تعرضون على الله
لاتخفى منكم خافية ثم غشي عليه حتى ظنوا انه قد قضى فجعلوا
ينادونه ولا يفيق من اغمائه فقال قائل ان كان شيء ينبه
فالصلاة فقالوا : ياأمير المؤمنين الصلاة ففتح عينيه فقال : الصلاة
هاأنا ذا ولا حظ في الاسلام لمن ترك الصلاة فصلى وجرحه
يثعب دماً ثم التفت اليهم وقال قد قوّمت لكم الطريق فلا
تعرجوه ثم التفت الى علي بن أبي طالب . فقال : لعلّ هؤلاء
القوم يعرفون لك حقك وقرابتك وشرفك من رسول الله
وما آتاك الله من العلم والفقه والدين فيستخلفونك فان وليت
هذا الامر فاتق الله ياعليّ فيه ولا تحمل أحداً من بني هاشم على
رقاب الناس ثم التفت الى عثمان فقال : ياعثمان لعل هؤلاء القوم
يعرفون لك صهرك من رسول الله وسنك وشرفك وسابقتك
فيستخلفونك فان وليت هـذا الامر فلا تحمل أحداً من بني
أمية على رقاب الناس ثم دعا صهيباً فقال : ياصهيب صلّ بالناس
ثلاثة أيام ويجتمع هؤلاء النفر ويتشاورون بينهم اخرجوا عني
اللهم الّفهم واجمعهم على الحق ولا تردّهم على أعقابهم وولّ أمر

أمة محمد خيرهم فخرجوا من عنده . وتوفى رحمه الله تعالى من يومه ذلك ودفن وصلى عليه صهيب .

﴿ ذكر الشوري وبيعة عثمان بن عفان رضي الله عنه ﴾

ثم ان بعد موت عمر اجتمع القوم فخلوا في بيت أحدهم وأحضروا عبد الله بن عباس والحسن بن علي وعبد الله بن عمر فتشاوروا ثلاثة أيام فلم يبرموا فتيلا فلما كان في اليوم الثالث قال لهم عبد الرحمن بن عوف أتدرون أي يوم هذا ؟ هذا يوم عزم عليكم صاحبكم أن لا تتفرقوا فيه حتى تستخلفوا أحدكم قالوا أجل قال فانى عارض عليكم أمراً قالوا وما تعرض قال ان تولوني أمركم وأهب لكم نصيبي فيها وأختار لكم من أنفسكم قالوا قد أعطيناك الذي سألت . فلما سلم القوم قال لهم عبد الرحمن اجعلوا أمركم الى ثلاث منكم فجعل الزبير أمره الى علي وجعل طلحة أمره الى عثمان وجعل سعد أمره الى عبد الرحمن بن عوف . قال المسوَر بن مخرمة: فقال لهم عبد الرحمن كونوا مكانكم حتى آتيكم وخرج يتلقى الناس في أنقاب المدينة متلثما لا يعرفه أحد فما ترك أحداً من المهاجرين والانصار وغيرهم من ضعفاء الناس ورعاعهم الا سألهم واستشارهم . أما

أهل الرأي فأتاهم مستشيراً وتلقى غيرهم سائلا يقول : من ترى الخليفة بعد عمر ؟ فلم يلق أحداً يستشيره ولا يسأله الا ويقول عثمان فلما رأى اتفاق الناس واجتماعهم على عثمان قال المسور جاءني رضي الله عنه عشاء فوجدني نائماً فخرجت اليه فقال:الا أراك نائماً فوالله ماا كتحلت عيني بنوم منذ هذه الثلاثة ادع لي فلاناً وفلاناً (نفراً من المهاجرين) فدعوتهم له فناجاهم في المسجد طويلا ثم قاموا من عنده فخرجوا ثم دعا علياً فناجاه طويلا ثم قام من عنده على طمع ثم قال ادع لي عثمان فدعوته فناجاه طويلا حتى فرق بينهما ان آنت صلاة الصبح فلما صلوا جمعهم فأخذ على كل واحد منهم العهد والميثاق لئن بايعتك لتقيمن لنا كتاب الله وسنة رسوله وسنة صاحبيك من قبلك فأعطاه كل واحد منهم العهد والميثاق على ذلك وأيضاً لئن بايعت غيرك لترضين ولتسلمن وليكونن سيفك معي على من أبى فأعطوه ذلك من عهودهم ومواثيقهم . فلما تم ذلك أخذ بيد عثمان فقال له عليك عهد الله وميثاقه لئن بايعتك لتقيمن لنا كتاب الله وسنة رسوله وسنة صاحبيك وشرط عمر أن لا تجعل أحداً من بني أمية على رقاب الناس فقال عثمان

نعم ثم أخذ بيد عليّ فقال له : أبايعك على شرط عمر أن لا تجعل
أحداً من بني هاشم على رقاب الناس . فقال عليّ عند ذلك
مالك ولهذا اذا قطعتها في عنقي فان عليّ الاجتهاد لأمة محمد
حيث علمت القوة والامانة استعنت بها كان في بني هاشم أو
غيرهم . قال عبد الرحمن : لا والله حتى تعطيني هذا الشرط قال
عليّ والله لا أعطيكه أبداً فتركه فقاموا من عنده فخرج عبد
الرحمن الى المسجد فجمع الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :
اني نظرت في أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان فلا تجعل
يا عليّ سبيلا الى نفسك فانه السيف لا غير ثم أخذ بيد عثمان
فبايعه وبايع الناس جميعاً . قال فكان عثمان رضي الله عنه ست
سنين في ولايته وهو أحب الى الناس من عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وكان عمر رجلا شديداً قد ضيق على قريش
أنفاسها لم ينل أحد معه من الدنيا شيئاً إعظاماً له واجلالا
وتأسياً به واقتداء فلما وليهم عثمان ولي رجل لين قال الحسن
البصري : شهدت عثمان وهو يخطب وأنا يومئذ قد راهقت
الحلم فما رأيت قط ذكراً ولا أنثى أصبح وجهاً ولا أحسن
نضرة منه فسمعته يقول أيها الناس اغدوا على أعطياتكم

فيأخذونها وافية أيها الناس اغدوا على كسوتكم فيغدون
فيجاء بالحلل فتقسم بينهم حتى والله سمعت أذناي يا معشر
المسلمين أغدوا على السمن والعسل فيغدون فيقسم بينهم السمن
والعسل ثم يقول يا معشر المسلمين اغدوا على الطِّيب فيغدون
فيقسم بينهم الطيب من المسك والعنبر وغيره . والعدوان والله
منفي والاعطيات دارّة والخير كثير وما على الارض مؤمن
يخاف مؤمناً من لقى في أي البلدان فهو أخوه وأليفه وناصره
ومؤدبه فلم يزل المال متوفراً حتي لقد بيعت الجارية بوزنها
ورقاً وبيع الفرس بعشرة آلاف دينار وبيع البعير بألف والنخلة
الواحدة بألف ثم أنكر الناس على عثمان أشياء أشراً وبطراً .
قال ابن عمر لقد عيبت عليه أشياء لو فعلها عمر ماعيبت عليه

﴿ ذكر الانكار على عثمان رضي الله عنه ﴾

قال عبد الله بن مسلم حدّثنا ابن ابي مريم وابن عفير
قالا حدثنا ابن عون قال اخبرنا المخول ابن ابراهيم وابو حمزه
الثُمالى وبعضهم يزيد على بعض والمعني واحد فجمعته والّفته على
قولهم ومعنى ما أرادوا عن علىّ بن الحسين قال : لما أنكر
الناس على عثمان بن عفان صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم

قال : أما بعد فان لكل شيء آفة ولكل نعمة عاهة وان آفة هذا الدين وعاهته هذه الملة . قوم عيّابون طعانون يُرونكم ماتحبون ويسرون ماتكرهون أما والله يا معشر المهاجرين والانصار لقد عبتم عليّ أشياء ونقمتم أموراً قد أقررتم لابن الخطاب مثلها ولكنه وقمكم وقمعكم ولم يجترئ أحد يملابصره منه ولا يشير بطرفه اليه . أما والله لانا اكثر من ابن الخطاب عدداً وأقرب ناصراً وأجدر . الى أن قال لهم : أتفقدون من حقوقكم شيئاً فمالى لا أفعل في الفضل ما أريد فلو كنت اماماً اذاً . أما والله ماغاب على من عاب منكم أمراً أجهله ولا أتيت الذي أتيت الا وأنا أعرفه . قال وقدم معاوية بن أبي سفيان على أثر ذلك من الشام فأتى مجلساً فيه عليّ بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف وعمار بن ياسر فقال لهم يامعشر الصحابة أوصيكم بشيخي هذا خيراً فوالله لئن قتل بين أظهركم لأملأنها عليكم خيلا ورجالا ثم أقبل على عمار بن ياسر فقال : ياعمار ان بالشام مائة ألف فارس كل يأخذ العطاء مع مثلهم من أبنائهم وعبْدانهم لا يعرفون علياً ولا قرابته ولا عماراً ولا سابقته ولا

الزبير ولا صحابته ولا طلحة ولا هجرته ولا يهابون ابن عوف ولا ماله ولا يتقون سعداً ولا دعوته فاياك ياعمار أن تقع غداً في فتنة تنجلي فيقال هذا قاتل عثمان وهذا قاتل عليّ . ثم أقبل على ابن عباس فقال : يا ابن عباس انا كنا واياكم في زمان لا نرجو فيه ثواباً ولا نخاف عقاباً وكنا أكثر منكم فوالله ما ظلمناكم ولا قهرناكم ولا أخرناكم عن مقام تقدمناه حتى بعث الله رسوله منكم فسبق اليه صاحبكم فوالله ما زال يكره شركنا ويتغافل به عنا حتى ولي الامر علينا وعليكم ثم صار الامر الينا واليكم فأخذ صاحبنا على صاحبكم لسنه ثم غير فنطق ونطق على لسانه فقد أوقدتم ناراً لا تطفى بالماء . فقال ابن عباس كنا كما ذكرت حتى بعث الله رسوله منا ومنكم ثم ولي الامر علينا وعليكم ثم صار الامر الينا واليكم فأخذ صاحبكم على صاحبنا لسنه ولما هو أفضل من سنه فوالله ما قلنا الا ما قال غيرنا ولا نطقنا الا بما نطق به سوانا فتركتم الناس جانباً وصيرتمونا بين ان أقمنا متهمين أو نزعنا معتبين وصاحبنا من قد علمتم والله لا يهجهج مهجهج الا ركبه ولا يرد حوضاً الا أفرطه وقد أصبحت أحب منك ما أحببت وأكره ما كرهت ولعلي لا ألقاك الا في خير .

﴿ ذكر القول والمجادلة لعثمان ومعاوية رضي الله عنهما ﴾

قال وذكروا أن ابن عباس قال خرجت الى المسجد فاني لجالس فيه مع عليّ حين صليت العصر اذ جاء رسول عثمان يدعو علياً فقال عليّ نعم فلما أن ولى الرسول أقبل عليّ فقال: لمَ تراه دعاني قلت له دعاك ليكلمك فقال انطلق معي فأقبلت فاذا طلحة والزبير وسعد وأناس من المهاجرين فجلسنا فاذا عثمان عليه ثوبان أبيضان فسكت القوم ونظر بعضهم الى بعض فحمد الله عثمان ثم قال: أما بعد فان ابن عمي معاوية هذا قد كان غائباً عنكم وعن ما نلتم مني وما عاتبتكم عليه وعاتبتموني وقد سألني أن يكلمكم وأن يكلمه من أراد فقال سعد بن أبي وقاص: وما عسى أن يقال لمعاوية أو يقول الا ما قلت أو قيل لك فقال علي ذلكم تكلم يا معاوية فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد يا معشر المهاجرين وبقية الشورى فاياكم أعني واياكم أريد فمن أجابني بشيء فمنكم واحد فاني لم أرد غيركم . توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايع الناس أحد المهاجرين التسعة ثم دفنوا نبيهم فأصبحوا سالما أمرهم كأن نبيهم بين أظهرهم فلما أيس الرجل من نفسه بايع رجلا من بعده أحد

المهاجرين فلما احتضر ذلك الرجل شك في واحد أن يختاره
فجعلها في ستة نفر بقية المهاجرين فأخذوا رجلا منهم لا يألون
عن الخير فيه فبايعوه وهم ينظرون الى الذي هو كائن من بعده
لا يشكون ولا يمترون . مهلاً مهلاً معشر المهاجرين فان
وراءكم من ان دفعتموه اليوم اندفع عنكم ومن ان فعلتم الذي
أنتم فاعلوه دفعكم بأشدّ من ركنكم وأعدّ من جمعكم ثم استن
عليكم بسنتكم ورأى أن دم الباقي ليس بمتنع بعد دم الماضي
فسددوا وارفقوا لا يغلبكم على أمركم من حذرتكم . فقال علي
ابن أبي طالب كأنك تريد نفسك يا ابن اللخناء لست هنالك
فقال معاوية مهلاً عن بنت عمك فانها ليست بشر نسائك .
يا معشر المهاجرين وولاة هذا الامر ولاكم الله اياه فأنتم أهله
وهذان البلدان مكة والمدينة مأوى الحق ومنتهاه وانما ينظر
التابعون الى السابقين والبلدان الى البلدين فان استقاموا
استقاموا وأيم الله الذي لا إله الا هو لئن صفقت احدي اليدين
على الاخرى لا يقوم السابقون للتابعين ولا البلدان للبلدين
وليسلبنّ أمركم ولينقلن الملك من بين أظهركم . وما أنتم في
الناس الا كالشامة السوداء في الثور الابيض فاني رأيتكم نشبتم

في الطعن على خليفتكم وبطرتم معيشتكم وسفهتم أحلامكم وما كل نصيحة مقبولة والصبر على بعض المكروه خير من تحمله كله . قال ثم خرج القوم وأمسك عثمانُ ابنَ عباس فقال له عثمان يا ابن عمي ويا ابن خالتي فانه لم يبلغني عنك في أمري شيءٌ أحبه ولا أكرهه عليَّ ولا ليَ وقد علمت أنك رأيت بعض ما رأى الناس فمنعك عقلك وحلمك من أن تظهر ما أظهروا وقد أحببت أن تعلمني رأيك فيما بيني وبينك فأعتذر . قال ابن عباس فقلت يا أمير المؤمنين انك قد ابتليتني بعد العافية وأدخلتني في الضيق بعد السعة ووالله ان رأيي لك أن يجلّ سنك ويعرف قدرك وسابقتك ووالله لودِدت أنك لم تفعل ما فعلت مما ترك الخليفتان قبلك فان كان شيئاً تركاه لما رأيا انه ليس لهما علمت انه ليس لك كما لم يكن لهما وان كان ذلك لهما فتركاه خيفة أن ينال منهما مثل الذي نيل منك تركته لما تركاه له ولم يكونا أحق باكرام أنفسهما منك باكرام نفسك . قال فما منعك أن تشير عليّ بهذا قبل أن أفعل ما فعلت قال وما علمي أنك تفعل ذلك قبل أن تفعل قال فهب لي صمتاً حتى ترى رأيي . قال فخرج ابن عباس فقال عثمان لمعاوية : ما ترى فان

هؤلاء المهاجرين قد استعجلوا القدر ولا بد لهم مما في أنفسهم افقل معاوية الرأي أن تأذن لي فأضرب أعناق هؤلاء القوم قال مَن . قال عليّ وطلحة والزبير قال عثمان : سبحان الله أقتل أصحاب رسول الله بلا حدث أحدثوه ولا ذنب ركبوه قال معاوية فان لم تقتلهم فانهم سيقتلوك قال عثمان : لا أكون أول من خلف رسول الله في أمته بإهراق الدماء قال معاوية فاختر مني احدى ثلاث خصال قال عثمان وما هى قال معاوية أرتب لك ههنا أربعة آلاف فارس من خيل أهل الشام يكونون لك ردءاً وبين يديك يداً قال عثمان ارزقهم من أين قال من بيت المال قال عثمان ارزق اربعة آلاف من الجند من بيت مال المسلمين لحرز دمي لافعلت هذا . قال فثانية قال وما هى قال فرقهم عنك فلا يجتمع منهم اثنان في مصر واحد واضرب عليهم البعوث والندب حتى يكون دبر بعير احدهم أهم عليه من صلاته . قال عثمان سبحان الله شيوخ المهاجرين وكبار أصحاب رسول الله وبقية الشوري اخرجهم من ديارهم وافرق بينهم وبين اهلهم وابنائهم لاأفعل هذا قال معاوية فثالثة قال وما هي قال اجعل لى الطلب بدمك ان قتلت قال عثمان

نم هذه لك ان قتلت فلا يطلّ دمي. قال ثم خرج عثمان فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال: أما بعد ايها الناس ان نصيحتي كذبتني ونفسي منتني وقد سمعت رسول الله يقول: لا تمادوا في الباطل فان الباطل يزداد من الله بعداً من أساء فليتب ومن أخطأ فليتب وانا أول من اتعظ والله لئن ردني الحق عبداً لأنتسبن نسب العبيد ولأكونن كالمرقوق الذي ان ملك صبر وان أعتق شكر. ثم نزل فدخل على زوجته نائلة بنت القُرافصة ودخل معه مروان بن الحكم فقال: يا أمير المؤمنين أتكلم أو أسكت فقالت له نائلة: بل اسكت فوالله لئن تكلمت لتغرنه ولتوبقنه فالتفت اليها عثمان مغضباً فقال اسكتي تكلم يا مروان فقال مروان: يا أمير المؤمنين انك والله لو قلت الذي قلت وانت في عز ومنعة لتابعتك ولكنك قلت الذي قلت وقد بلغ السيل الزُّبى (١) وجاوز الحزام الطبيين فانقض التوبة ولا تقر بالخطيئة.

﴿ ما أنكر الناس على عثمان رحمه الله ﴾ قال وذكروا انه اجتمع ناس من أصحاب النبي عليه السلام فكتبوا كتاباً ذكروا

(١) جمع زبية مصيدة الاسد ولا تتخذ الا في قلة او رابية تضرب مثلا لما جاوز الحد

فيه ما خالف فيه عثمان من سنة رسول الله وسنة صاحبيه وما كان من هبته خمس أفريقيـة لمروان وفيه حق الله ورسوله ومنهم ذووا القربى واليتامى والمساكين وما كان من تطاوله في البنيان حتى عدوّا سبع دُورٍ بناها بالمدينـة داراً لنائلة وداراً لعائشـة وغيرهما من أهله وبناته وبنيان مروان القصور بذي خشب (١) وعمـارة الاموال بها من الخمس الواجب لله ولرسوله وما كان من افشائه العمل والولايات في أهـله وبني عمه من بني أمية أحداث وغلمة لاصحبة لهم من الرسول ولا تجربة لهم بالامور . وما كان من الوليد بن عقبة بالـكوفة اذ صلى بهم الصبح وهو أمير عليها سكران أربع ركعات ثم قال لهم : ان شئتم ان أزيدكم صلاة زدتكم . وتعطيله إقامة الحـد عليه وتأخيره ذلك عنه وتركه المهاجرين والانصار لايستعملهم على شيء ولا يستشيرهم واستغنى برأيه عن رأيهم وما كان من الحمى الذي حمى حول المدينـة وما كان من إدراره القطائع والارزاق والاعطيات على أقوام بالمدينة ليست لهم صحبة من النبي عليـه السلام ثم لايغزون ولا يذبون وما كان من

---

(١) ذو خشب موضع باليمن

مجاوزته الخيزران الى السوط وانه أول من ضرب بالسياط
ظهور الناس وانما كان ضرب الخليفتين قبله بالدرة والخيزران
ثم تعاهد القوم ليدفعن الكتاب في يد عثمان وكان ممن حضر
الكتاب عمار بن ياسر والمقداد بن الاسود وكانوا عشرة فلما
خرجوا بالكتاب ليدفعوه الى عثمان والكتاب في يد عمار
جعلوا يتسللون عن عمار حتى بقي وحده فمضى حتى جاء دار
عثمان فاستأذن عليه فأذن له في يوم شاة فدخل عليه وعنده
مروان بن الحكم وأهله من بني أمية فدفع اليه الكتاب
فقرأه فقال له أنت كتبت هذا الكتاب قال نعم قال ومن
كان معك قال كان معي نفر تفرقوا فرقاً منك قال ومن هم
قال لا أخبرك بهم قال فلم اجترأت عليّ من بينهم فقال مروان
ياأمير المؤمنين ان هذا العبد الاسود (يعني عمارا) قد جرأ
عليك الناس وانك ان قتلته نكلت به مَن وراءه قال عثمان
اضربوه فضربوه وضربه عثمان معهم حتى فتقوا بطنه فغشي
عليه فجروه حتى طرحوه على باب الدار فأمرت به أم سلمة
زوج النبي عليه السلام فأدخل منزلها وغضب فيه بنو المغيرة
وكان حليفهم فلما خرج عثمان لصلاة الظهر عرض له هشام بن

الوليد بن المغيرة فقال أما والله لئن مات عمّار من ضربه هذا لاقتلن به رجلا عظيما من بني أمية فقال عثمان لست هناك .
قال ثم خرج عثمان الى المسجد فاذا هو بعليّ وهو شاكٍ معصوب الرأس فقال له عثمان والله ياأبا الحسن ما أدري أشتهي موتك أم أشتهي حياتك فوالله لئن متّ ما أحب أن أبقى بعدك لغيرك لاني لا أجد منك خلفا ولئن بقيت لا أعدم طاغياً يتخذك سلما وعضداً ويعدّك كهفاً وملجأً لايمنعني منه الامكانه منك ومكانك منه فأنا منك كالابن العاق من أبيه ان مات فجعه وان عاش عقّه . فاما سلم فنسالم واما حرب فنحارب فلا تجعلني بين السماء والارض فإنك والله ان قتلتني لاتجد مني خلفاً ولئن قتلتك لا أجد منك خلفاً ولن يلي أمر هذه الامة باديء فتنة . فقال على : ان فيما تكلمت به لجواباً ولكني عن جوابك مشغول بوجعي فانا أقول كما قال العبد الصالح فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون . قال مروان إنا والله اذاً لنكسرنّ رماحنا ولنقطعن سيوفنا ولا يكون في هذا الامر خير لمن بعدنا فقال له عثمان : اسكت ما أنت وهذا فقام اليه رجل من المهاجرين فقال له ياعثمان أرأيت ماحميت من الحمى

آللّهُ أَذِنَ لكم أم على الله تَفْتَرُون فقال عثمان انه قد حمى الحمى قبل عمر لأبل الصدقة وانما زادت فزدت فقام عمرو ابن العاص فقال : ياعثمان انك ركبت بالناس نهابير من الامر فتب الى الله يتوبوا فرفع عثمان يديه وقال توبوا الى الله من كل ذنب اللهم اني أول تائب اليك ثم قام رجل من الانصار فقال ياعثمان مابال هؤلاء النفر من أهل المدينة يأخذون العطايا ولا يغزون في سبيل الله وانما هذا المال لمن غزا فيه وقاتل عليه الا من كان من هذه الشيوخ من أصحاب محمد عليه السلام فقال عثمان نأستغفر الله وأتوب اليه ثم قال ياأهل المدينة من كان له منكم ضرع فليلحق بضرعه ومن كان له زرع فليلحق بزرعه فانا والله لانعطى مال الله الا لمن غزا في سبيله الا من كان من هذه الشيوخ من الصحابة . قال فما بال هذا القاعد الشارب لاتقيم عليه الحدّ (يعني الوليد بن عقبة) فقال عثمان لعليّ دونك ابن عمك فأقم عليه الحدّ فقال على للحسن قم فاجلده فقال الحسن ما أنت وذاك هذا لغيرك قال علي لا ولكنك عجزت وفشلت يا عبد الله بن جعفر قُم فأجلده فقام فضربه وعلي يعد فلما بلغ أربعين أمسك وقال جلد رسول الله أربعين

وأبو بكر أربعين وكلها عمر ثمانين وكلٌ سنة .

﴿ حصار عثمان رضي الله عنه ﴾ قال وذكروا انه لما اشتد الطعن على عثمان استأذنه عليّ في بعض بواديه ينتحي اليها فأذن له واشتد الطعن على عثمان بعد خروج على ورجا الزبير وطلحة ان يميلا اليهما قلوب الناس ويغلبا عليهم واغتنما غيبة عليّ فكتب عثمان الى عليّ اذ اشتد الطعن عليه : أما بعد فقد بلغ السيل الزُّبى وجاوز الحزامُ الطُّبْيَيْنِ وارتفع أمر الناس في شأني فوق قدره وزعموا أنهم لا يرضَون دون دمي وطمع فيّ من لا يَدفع عن نفسه .

وإنك لم يفخر عليك كفاخر * ضعيف ولم يغلبك مثل مغلَّب

وقد كان يقال : أكل السبع خير من افتراس الثعلب .

فأقبل عليّ أولي

فان كنتُ مأكولا فكن خيرآكل * والا فأدركني ولما أمزَّقِ

قال حويطب بن عبد العزّى : أرسل اليّ عثمان حين اشتد حصاره فقال : قد بدا لي أن أتهم نفسي لهؤلاء فأت عليا وطلحة والزبير فقل لهم هذا أمركم تولوه واصنعوا فيه ما شئتم فخرجت حتي جئت عليا فوجدت على بابه مثل الجبال

من الناس والباب مغلق لايدخل عليه أحد ثم انصرفت فأتيت الزبير فوجدته فى منزله ليس ببابه أحد فأخبرته بما أرسلني به عثمان فقال قد والله قضي ماعليه أمير المؤمنين هل جئت علياً قلت نم فلم أخلص اليه . فقمنا جميعاً فأتينا طلحة ابن عبيد الله فوجدناه في داره وعنده ابنه محمد فقصصنا عليه ماقال عثمان فقال قد والله قضي ماعليه أمير المؤمنين هل جئتم عليا قلنا نعم فلم نخلص اليه فأرسل طلحة الى الاشتر فأتاه فقال لى أخبره فأخبرته بما قال عثمان فقال طلحة وقد دمعت عيناه قد والله قضي ماعليه أمير المؤمنين فقام الاشتر فقال تبعثون الينا وجاءنا رسولكم بكتابكم وها هو ذا فأخرج كتاباً فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من المهاجرين الاولين وبقية الشوري الى من بمصر من الصحابة والتابعين أما بعد أن تعالوا الينا وتداركوا خلافة رسول الله قبل أن يسلبها أهلها فان كتاب الله قد بدل وسنة رسوله قدغيرت وأحكام الخليفتين قدبدلت فننشد الله من قرأ كتابنا من بقية أصحاب رسول الله والتابعين بأحسان الا أقبل الينا وأخذ الحق لنا وأعطاناه فاقبلوا الينا ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وأقيموا الحق على المنهاج

الواضح الذي فارقتم عليه نبيكم وفارقكم عليه الخلفاء غلبنا على حقنا واستولى على فيئنا وحيل بيننا وبين أمرنا وكانت الخلافة بعد نبينا خلافة نبوة ورحمة وهي اليوم ملكا عضوداً من غلب على شيء أكله . أليس هذا كتابكم الينا ؟ فبكى طلحة فقال الاشتر لما حضرنا أقبلتم تعصرون أعينكم والله لانفارقه حتى نقتله وانصرف . قال ثم كتب عثمان كتاباً بعثه مع نافع ابن طريف الى أهل مكة ومن حضر الموسم يستغيثهم فوافى به نافع يوم عرفة بمكة وابن عباس يخطب وهو يومئذ على الناس كان قد استعمله عثمان على الموسم فقام نافع ففتح الكتاب فقرأه فاذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله عثمان أمير المؤمنين الى من حضر الحج من المسلمين أما بعد فاني كتبت اليكم كتابي هذا وأنا محصور أشرب من بئر القصر ولا آكل من الطعام مايكفيني خيفة أن تنفد ذخيرتي فأموت جوعاً أنا ومن معي لاأدعى الى توبة أقبلها ولا تسمع مني حجة أقولها فأنشد الله رجلا من المسلمين بلغه كتابي الا قدم علي فأخذ الحق فيّ ومنعني من الظلم والباطل . قال ثم قام ابن عباس فأتم خطبته ولم يعرض لشيء من شأنه . وكتب الى أهل الشام عامة والى

معاوية وأهل دمشق خاصة : أما بعد فاني في قوم طال فيهم مقامي واستعجلوا القدر في وقد خيروني بين أن يحملوني على شارف من الابل الدحيل وبين أنزع لهم رداءالله الذي كساني وبين أن أقيدهم ممن قتلت . ومن كان على سلطان يخطيء ويصيب فياغوثاه ياغوثاه ولا أمير عليكم دوني فالعجل العجل يامعاوية وأدرك ثم أدرك وما أراك تدرك .

﴿ تولية محمد بن أبي بكر علي مصر﴾ قال وذكروا أن أهل مصر جاؤا يشكون ابن أبي سرح عاملهم فكتب اليه عثمان كتاباً يتهدده فيه فأبى ابن أبي سرح أن يقبل مانهاه عنه عثمان وضرب بعض من أتاه به من قبل عثمان من أهل مصر حتى قتله فخرج من أهل مصر سبعمائة رجل فنزلوا المسجد وشكوا الى أصحاب رسول الله في مواقيت الصلاة ماصنع بهم ابن أبي سرح فقام طلحة فتكلم بكلام شديد وأرسلت عائشة الى عثمان فقالت له قد تقدم اليك أصحاب رسول الله وسألوك عزل هذا الرجل فأبيت الا واحدة فهذا قد قتل منهم رجلا فأنصفهم من عاملك . ودخل عليه علي رض وكان متكلم القوم فقال له انما يسألونك رجلا مكان رجل وقد ادعوا قبله دماً فاعزله عنهم واقض بينهم فان وجب

لهم عليه حق فأنصفهم منه فقال اختاروا رجلا أوليه عليهم فقالوا استعمل محمد بن أبي بكر فكتب عهده وولاه وخرج معه عدد من المهاجرين والانصار ينظرون فيما بين ابن أبي سرح وأهل مصر فخرج محمد ومن معه حتى اذا كانوا على مسيرة ثلاث ليال من المدينة فاذاهم بغلام أسود على بعير يخبط البعير كأنه رجل يَطلبُ أو يُطلَب فقال له أصحاب محمد ما قصتك وما شأنك كأنك طالب أو هارب فقال أنا غلام أمير المؤمنين وجهني الى عامل مصر فقال له رجل هذا عامل مصر معنا قال ليس هذا أريد فأخبر محمد بأمره فبعث في طلبه رجلا فجاء به اليه فقال له غلام من أنت فأقبل مرة يقول انا غلام مروان ومرة يقول انا غلام أمير المؤمنين حتى عرفه رجل أنه لعثمان فقال له محمد الى من أرسلك قال الى عامل مصر قال بماذا قال برسالة قال أما معك كتاب قال لا ففتشوه فلم يجدوا معه كتابا قال وكانت معه إداوة قد يبست فيها شيء يتقلقل فحركوه ليخرج فلم يخرج فشقوا إداوته فاذا فيها كتاب من عثمان الى عبد الله ابن أبي سرح فجمع محمد من كان معه من المهاجرين والانصار ثم فك الكتاب بمحضر منهم فقرأه فاذا فيه : اذا

أتاك محمد بن أبي بكر وفلان وفلان فاقتلهم وأبطل كتابهم
وأقر على عملك حتى يأتيك رأيي فلما رأوا الكتاب فزعوا منه
ورجعوا الى المدينة وختم محمد الكتاب بخواتم النفر الذين كانوا
معه ودفعه الى رجل منهم ثم قدموا المدينة فجمعوا طلحة والزبير
وعلياً وسعداً ومن كان من أصحاب رسول الله ثم فكوا
الكتاب بمحضر منهم وأخبرهم بقصة الغلام وأقرأهم الكتاب
فلم يبق أحد من أهل المدينة الا حنق على عثمان . وقام أصحاب
النبي فلحقوا بمنازلهم وحصر الناس عثمان وأحاطوا به ومنعوه
الماء والخروج ومن كان معه وأجلب عليه محمد بن أبي بكر

﴿حصار أهل مصر والكوفة عثمان رحمه الله﴾ قال وذكروا
أن أهل مصر أقبلوا الى عليّ فقالوا ألم تر عدوّ الله ماذا كتب
فينا قم معنا اليه فقد أحل الله دمه فقال علي لا والله لا أقوم معكم
قالوا فلم كتبت الينا قال علي لا والله ما كتبت اليكم كتاباً قط
فنظر بعضهم الى بعض ثم أقبل الاشتر النخعي من الكوفة
في الف رجل وأقبل ابن ابي حذيفة من مصر في أربعمائة رجل
فأقام أهل الكوفة وأهل مصر بباب عثمان ليلا ونهاراً وطلحة
يحرض الفريقين جميعاً على عثمان ثم ان طلحة قال لهم ان عثمان

لايبالي ماحصرتموه وهو يدخل اليه الطعام والشراب فامنعوه الماء ان يدخل عليه .

﴿مخاطبة عثمان من أعلى القصر طلحة وأهل الكوفة وغيرهم﴾

قال وذكروا ان عثمان لما منع الماء صعد على القصر واستوى في أعلاه ثم نادى أين طلحة فأتاه فقال ياطلحة أما تعلم ان بئر رومة كانت لفلان اليهودي لايسقي أحداً من الناس منها قطرة الا بثمن فاشتريتها بأربعين الفاً فجعلت رشائى فيها كرشاء رجل من المسلمين لم استأثر عليهم ؟ قال نعم . قال فهل تعلم ان أحداً يمنع ان يشرب منها اليوم غيري لم ذلك قال لانك بدلت وغيرت . قال فهل تعلم ان رسول الله قال من اشترى هذا البيت وزاده فى المسجد فله به الجنة فاشتريته بعشرين الفاً وأدخلته في المسجد قال طلحة نعم قال فهل تعلم اليوم احداً يمنع فيه من الصلاة غيري قال لاقال لم قال لانك غيرت وبدلت ثم انصرف عثمان وبعث الى على يخبره انه منع من الماء ويستغيث به فبعث اليه على ثلاث قرب مملوءة ماء فما كادت تصل اليه فقال طلحة ماأنت وهذا وكان بينهما فى ذلك كلام شديد فبينماهم كذلك اذ أتاهم آت فقال لهم ان معاوية قد

بعث من الشام يزيد بن أسيد ممدًّا لعثمان في أربعة آلاف من خيل الشام فاصنعوا ما أنتم صانعون والا فانصرفوا . وكان معه في الدار مائة رجل ينصرونه منهم عبد الله بن الزبير ومروان ابن الحكم والحسن بن علي وعبد الله بن سلام وأبو هريرة فلما سمع القوم اقبال أهل الشام قاموا فألهبوا النار بباب عثمان فلما نظر أهل الدار الى النار نصبوا للقتال وتهيئوا فكره ذلك عثمان قال لا أريد أن تهرق فيّ محجمة دم وقال لجميع من في الدار أنتم في حلّ من بيعتي لا أحب أن يقتل فيّ أحد وكان فيهم عبد الله بن عمر فقال يا أمير المؤمنين مع من تأمرني أكون ان غلب هؤلاء القوم عليك قال عليك بلزوم الجماعة قلت فان كانت الجماعة هي التي تغلب عليك قال عليك بلزوم الجماعة حيث كانت قال ثم دخل عليه الحسن بن عليّ فقال مرني بما شئت فاني طوع يديك فقال له عثمان ارجع يا ابن أخي اجلس في بيتك حتى يأتي الله بأمره ثم دخل عليه أبو هريرة متقلداً سيفه فقال طاب الضراب يا أمير المؤمنين قد قتلوا منا رجلا وقد ألهبوا النار فقال عثمان عزمت عليك يا أبا هريرة الا ألقيت سيفك قال أبو هريرة فألقيته فلا أدري من أخذه

قال ودخل المغيرة بن شعبة فقال له ياأمير المؤمنين ان هؤلاء قد اجتمعوا عليك فان أحببت فألحق بمكة وان أحببت أن تخرق لك باباً من الدار فتلحق بالشام ففيها معاويه وأنصارك من أهل الشام وان أبيت فاخرج ونخرج ونحاكم القوم الى الله تعالى فقال عثمان أما ما ذكرت من الخروج الى مكة فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يلحد بمكة رجل من قريش عليه نصف عذاب هذه الأمة من الانس والجن فلن أكون ذلك الرجل ان شاء الله وأما ما ذكرت من الخروج الى الشام فان المدينة دار هجرتي وجوار قبر النبي عليه السلام فلا حاجة لي في الخروج من دار هجرتي وأما ماذكرت من محاكمة هؤلاء القوم الى الله فلن أكون أول من خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته باهراق الدم ثم قال اني رأيت أبا بكر وعمر أتياني الليلة فقالا لي صم فانك مفطر عندنا الليلة واني أصبحت صائماً واني أعزم على من كان يؤمن بالله واليوم الآخر الا خرج من الدار سالماً فقالوا انا ان خرجنا لم نأمن على أنفسنا منهم فاذن لنا فنكون في موضع من الدار فلما رأى ذلك عليّ بعث الى طلحة والزبير وسعد

وعمار ونفر من أصحاب محمد كلهم بَدْرِيّ ثم دخلوا
على عثمان ومعهم الكتاب والغلام والبعير فقال عليّ
الغلام غلامك والبعير بعيرك فقال نعم قال فأنت كتبت هذا
الكتاب قال لا وحلف بالله ما كتبت ولا أمرت ولا علمت
فقال له فالخاتم خاتمك قال نعم قال فكيف يخرج غلامك
ببعيرك وكتاب عليه خاتمك لا تعلم به فحلف بالله ما كتبت
هذا الكتاب ولا وجهت ولا أمرت فشك القوم في أمر
عثمان وعلموا انه لا يحلف بباطل فقال قوم منهم لا يبرأ عثمان
عن قلوبنا الا ان يدفع الينا مرْوان حتى نعرف كيف يأمر
بقتل رجال من أصحاب رسول الله وقطع أيديهم بغير حق فإن
كان عثمان كتبه عزلناه وان كان مرْوان كتبه نظرنا في أمره
وما يكون في أمر مروان فانصرف القوم عنه ولزموا بيوتهم
وأبي عثمان ان يخرج اليهم مروان وخشي عليه القتل . فبلغ
عليا ان عثمان يراد قتله فقال انا أردنا مروان فاما قتل عثمان فلا
ثم قال للحسن والحسين اذهبا بسيفيكما حتى تقوما على باب
عثمان ولا تدعا أحداً يصل اليه وبعث الزبير ابنه على كره
وبعث طلحة ابنه كذلك وبعث عدة من أصحاب النبي صلى الله

عليه وسلم أبناءهم يمنعون الناس ان يدخلوا على عثمان ويسألو -
ان يخرج مروان فاشرف عليهم عثمان من أعلى القصر فقال :
يامعشر المسلمين أذكركم الله ألستم تعلمون ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم طلب دار بني فلان ليوسع بها للمسلمين في
مسجدهم فاشتريتها من خالص مالي وأنتم اليوم تمنعوني ان
أصلي فيه أذكركم الله يامعشر المسلمين ألستم تعلمون ان بئر
رومة كانت تباع القربة منها بدرهم فاشتريتها من خالص مالي
فجعلت رشائي كرشاء واحد من المسلمين وأنتم تمنعونى ان
اشرب من مائها وأنا اشتريتها حتى اني ما أفطر الا على ماء البحر
ألستم تعلمون انكم نقمتم على أشياء فاستغفرت الله وتبت اليه
منها وتزعمون اني غيرت وبدلت فابعثوا على شاهدين مسلمين
والا فاحلف بالله الذي لا اله الا هو ما كتبت الكتاب ولا
أمرت به ولا اطلعت عليه . ياقوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم
مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح ياقوم
لا تقتلوني فانكم ان قتلتموني كنتم هكذا وشبك بين أصابعه
ياقوم ان الله رضي لكم السمع والطاعة وحذركم المعصية والفرقة
فاقبلوا نصيحة الله واحذروا عقابه فانكم ان فعلتم الذى أنتم

فاعلون لاتقوم الصلاة جميعاً ويسلط عليكم عدوكم واني أخبركم
ان قوما أظهروا للناس انهم انما يدعونني الى كتاب الله تعالى
والحق فلما عرض عليهم الحق رغبوا عنه وتركوه وطال عليهم
عمري واستعجلوا القدر بي وقد كانوا كتبوا اليكم انهم قدرضوا
بالذي أعطيتهم ولا أعلم اني تركت من الذي عاهدتهم عليه
شيئاً وكانوا زعموا انهم يطلبون الحدود وترك المظالم وردها
الى أهلها فرضيت بذلك وقالوا يؤمر عمرو بن العاص وعبد
الله بن قيس ومثلهما من ذوي القوة والامانة وكل ذلك
فعلت فلم يرضوا وحالوا بيني وبين المسجد فابتزوا ماقدروا
عليه بالمدينة وهم يخيرونني بين احدى ثلاث أما ان يقيدونى
بكل رجل أصبت خطأ أو عمداً وأما ان اعتزل عن الامر
فيؤمروا أحداً وأما ان يرسلوا الى من أطاعهم من الجنود
وأهل الانصار فارسلوا اليكم فأتيتم لتبتزوني من الذى جعل
الله لي عليكم من السمع والطاعة فسمعتم منهم واطعتموهم
والطاعة لي عليكم دونهم فقلت لهم أما اقادة من نفسي فقد
كان قبلي خلفاً ومن يتولى السلطان يخطئ ويصيب فلم يستقد
من أحد منهم وقد علمت انهم يريدون بذلك نفسي وأما

ان أتبرأ من الامر فان يصلبوني أحب الى من أتبرأ من جنة الله تعالى وخلافته بعد قول رسول الله صلي الله عليه وسلم لى : يا عثمان ان الله تعالي سيقمصك قيصاً بعدى فان ارادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني ولم أكن استكرهتهم من قبل على السمع والطاعة ولكن أتوها طائعين يبتغون بذلك مرضاة الله وصلاح الامة ومن يكن منهم يبتغى الدنيا فلن ينال منها الا ما كتب له فاتقوا الله فاني لا أرضى لكم ان تنكثوا عهدالله وانى انشدكم الله والاسلام ان لا تأخذوا الحق ولا تعطوه منى وما ابرئ نفسى ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربي وانى عاقبت اقواماً وما ابتغي بذلك الا الخير وانى اتوب الى الله من كل عمل عملته واستغفره . اما والله لقد علمتم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا يحل دم امريء مسلم الا في احدي ثلاث الردة عن الاسلام والزنا بعد الاحصان ولا والله ما كان ذلك مني في جاهلية ولا اسلام او رجل قتل رجلا فيقاد به . فقال بعضهم انه ليقول مقالا وقال آخر لئن سمعتم منه ليصر فنكم فابوا وزموه بالسهام واستقبلوه بما لا يستقبل مثله ثم اشرف عليهم عبد الله بن سلام وكان من اهل الدار فقال يا معشر من حاصر دار عثمان من المهاجرين والانصار

ممن انعم الله عليهم بالاسلام لا تقتلوا عثمان فوالله ان حقه على كل
مؤمن كحق الوالد على ولده ووالله ان على حوائط المدينة اثني عشر
الف ملك منذ أمد الله بهم نبيكم صلى الله عليه وسلم ووالله لئن
قتلتموه ليسخطن عليكم ربكم ولتتفرقن ملائكته عنكم وليقتلن
بقتله أقواماهم في الاصلاب والارحام وما خلقوا . وأنى لأجده
في التوراة التي أنزل الله على موسى عليه السلام وكتب بيده
عز وجل اليكم بالعبرانى وبالعربى خليفتكم المظلوم الشهيد
والذي نفسي بيده لئن قتلتموه لاتؤدى بعده طاعة الا عن
مخافة ولا توصل رحم عن مكافأة وليقتلن به الرجال ومن فى
الاصلاب فقالوا له أيا يهودي أشبع بطنك واكسي ظهرك
والله لا ينتطح فيه شاتان ولا يتناقر فيه ديكان فقال أما الشاتان
والديكان فصدقتم ولكن التيسان الاكبران يتناطحان فيه
فحصبوه ورموه حتى شجوه فالتفت الى عثمان فقال له زعموا
انك أشبعت بطني وكسوت ظهري فاصبر ياأمير المؤمنين
فوالذى نفسي بيده انى أجدك فى كتاب الله تعالى المنزل الخليفة
المظلوم الشهيد فرميت بالسهام من كل جانب وكان الحسن بن
على حاضراً فأصابه سهم فخضبه الدم وأصاب مروان سهم

وهو فى الدار وخضب محمد بن طلحة وشج قنبر مولى على
نخشي محمد بن أبي بكر ان يغضب بنو هاشم للحسن فيسيرونها
فتنة. ﴿قتل عثمان رضي الله عنه وكيف كان﴾ قال وذكروا ان
محمد بن أبي بكر لما خرج الحسن بن على أخذ بيد رجلين
فقال لهما ان جاءت بنو هاشم فرأوا الدماء على وجه الحسن
كشفوا الناس عن عثمان وبطل ما تريدون ولكن قوموا حتى
نتسوّر عليه فنقتله من غير ان يعلم أحد فتسور هو وصاحباه
من دار رجل من الانصار حتى دخلوا على عثمان وما يعلم أحد
ممن كان معه لان كل من معه كان فوق البيت ولم يكن معه
الا امرأته فدخل عليه محمد بن أبي بكر فصرعه وقعد على
صدره وأخذ بلحيته وقال يا نَعْثَل (١) ما أغنى عنك معاوية وما
أغنى عنك ابن عامر وابن أبي سرح فقال له عثمان: لو رآني
أبوك رضي الله عنه لبكاني ولساءه مكانك مني فتراخت يده
عنه وقام عنه وخرج فدعا عثمان بوضوء فتوضأ وأخذ مصحفاً
فوضعه في حجره ليحترم به ودخل عليه رجل من أهل الكوفة

---

(١) النعثل الشيخ الاحمق . ورجل لحيانى كان يشبه به عثمان رضي الله عنه

بمشقص (١) في يده فوجأ بها منكبه مما يلي الترقوة فأدماه ونضح الدم على ذلك المصحف وجاء آخر فضربه برجله وجاء آخر فوجأه بقائم سيفه فغشي عليه ومحمد بن أبي بكر لم يدخل مع هؤلاء فتصايح نساؤه ورش الماء على وجهه فأفاق فدخل محمد بن أبي بكر وقد أفاق فقال له أي نعثل غيرت وبدلت وفعلت ثم دخل رجل من أهل مصر فأخذ بلحيته فنتف منها خصلة وسلّ سيفه وقال افرجوا لي فعلاه بالسيف فتلقاه عثمان بيده فقطعها فقال عثمان أما والله أنها أول يد خطت المفصّل (٢) وكتبت القرآن . ثم دخل رجل أزرق قصير مجدّر ومعه جُرز من حديد فمشى اليه فقال على أي ملة أنت يا نعثل فقال لست بنعثل ولكني عثمان بن عفان وأنا على ملة ابراهيم حنيفاً وما أنا من المشركين قال كذبت وضربه بالجرز على صدغه الأيسر فغسله الدم وخرّ على وجهه وحالت نائلة بنت الفُرافصة زوجته بينه وبينه وكانت جسيمة وألقت بنت شيبة نفسها عليه ودخل عليه رجل من أهل مصر ومعه سيف

---

(١) المشقص كمنبر نصل عريض أو سهم فيه ذلك (٢) المفصل من القرآن من الحجرات الى آخره وسمي لكثرة الفصول بين سوره

مصلت فقال والله لأقطعن أنفه فعالج امرأته عنه فكشف عنها
درعها فلما لم يصل اليه أدخل السيف بين قرطها ومنكبها
فضربت على السيف فقطع أناملها فقالت يارباح غلام لعثمان
أسود ومعه سيف أعن عني هذا فضربه الاسود فقتله ثم
دخل آخر معه سيف فقال افرجوا الى فوضع ذباب السيف
في بطن عثمان فامسكت نائلة زوجته السيف فحز أصابعها ومضي
السيف في بطن عثمان فقتله فخرجت امرأته وهي تصيح
وخرج القوم هاربين من حيث دخلوا فلم يسمع صوت نائلة
لما كان في الدار من الجلبة فصعدت امرأته الى الناس فقالت
ان أمير المؤمنين قد قتل فدخل الحسن والحسين ومن كان
معهما فوجدوا عثمان مقتولا قد مثل به فأكبوا عليه يبكون
وخرجوا فدخل الناس فوجدوه مقتولا فبلغ علياً الخبر وطلحة
والزبير وسعداً ومن كان بالمدينة فخرجوا وقد ذهبت عقولهم
فدخلوا عليه واسترجعوا واكبوا عليه يبكون ويعولون حتى
غشي على علي ثم أفاق فقال لابنيه كيف قتل أمير المؤمنين
وأنتما على الباب فرفع يده فضرب الحسن والحسين وشتم محمد
ابن طلحة ولعن عبد الله بن الزبير وخرج علي وقد سلب عقله

لا يدري مايستقبل من أمره فقال طلحة مالك ياأبا الحسن ضربت الحسن والحسين فقال ياطلحة يقتل أمير المؤمنين ولم نقم عليه بيّنة ولا حجة فقال طلحة لو دفع مروان لم يقتل فقال علي لو دفع مروان قتل قبل ان تقوم عليه حكومة فخرج علي فأتى منزله وأغلق الباب . وكتبت نائلة بنت الفرافصة الى معاوية تصف دخول القوم على عثمان وأخذه المصحف ليتحرم به وما صنع محمد بن أبي بكر وأرسلت بقميص عثمان مضرجاً بالدم ممزقاً وبالخصلة التي نتفها محمد بن أبي بكر من لحيته فعقدت الشعر في زر القميص ثم دعت النعمان بن بشير الانصارى (١) فبعثته الى معاوية ومضي بالقميص حتى أتى على يزيد بن أسيد ممداً لعثمان بعثه معاوية في أربعة آلاف فاخبرهم بقتل عثمان فانصرفوا الى الشام قال ثم دخل أهل مصر الدار فلما رأوا عثمان مقتولا ندموا واستحيوا وكره أكثرهم ذلك وثار أهل الدار في وجوههم فأخرجوهم منها ثم اقتتلوا عند الباب فضرب مروان بالسيف فصرع

﴿دفن عثمان بن عفان رضي الله عنه﴾ قال وذكروا ان

---

(١) النعمان هذا أبوه بشير بن سعد المتقدم ذكره

عبد الرحمن بن أزهر قال لم أكن دخلت في شيء من أمر
عثمان لا عليه ولا له فاني لجالس بفناء داري ليلا بعد ماقتل
عثمان بليلة اذ جاءني المنذر بن الزبير فقال ان أخي يدعوك فقمت
اليه فقال لي إنا أردنا ان ندفن عثمان فهل لك قلت والله مادخلت
في شيء من شأنه وما أريد ذلك فانصرفت عنه ثم اتبعته فاذا
هو في نفر فيهم جبير بن مطعم وأبو الجهم بن حذيفة والمسور
ابن مخرمة وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن الزبير فاحتملوه
على باب وان رأسه ليقول طق طق فوضعوه في موضع الجنائز
فقام اليهم رجال من الانصار فقالوا لهم لا والله لا تصلون عليه
فقال أبو الجهم الا تدعونا نصلي عليه فقد صلى الله تعالى عليه
وملائكته فقال له رجل منهم ان كنت فأدخلك الله مدخله فقال
له حشرني الله معه فقال له ان الله حاشرك مع الشياطين والله
ان تركنا كم به لعجز منا فقال القوم لابي الجهم اسكت عنهم
وكف فسكت فاحتملوه ثم انطلقوا مسرعين كأني أسمع وقع
رأسه على اللوح حتي وضعوه في أدنى البقيع فأتاهم جبلة بن
عمرو والساعدى من الانصار فقال لا والله لا تدفنوه في بقيع
رسول الله ولا نتركـكم تصلون عليه . فقال ابو الجهم انطلقو ابنا

ان لم نصل عليه فقد صلى الله عليه فخرجوا ومعهم عائشة بنت عثمان معها مصباح في حق حتى اذا أتوا به جسر كوكب (١) حفروا له حفرة ثم قاموا يصلون عليه وأمهم جبير بن مطعم ثم دلوه في حفرته فلما رأته ابنته صاحت فقال ابن الزبير والله لئن لم تسكتي لاضربن الذي فيه عينيك فدفنوه ولم يلحدوه بلبن وحثوا عليه التراب حثواً

﴿ بيعة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وكيف كانت ﴾

قال وذكروا انه لما كان في الصباح اجتمع الناس في المسجد وكثر الندم والتأسف علي عثمان رحمه الله وسقط في أيديهم وأكثر الناس على طلحة والزبير واتهموهما بقتل عثمان فقال الناس لهما أيها الرجلان قد وقعتما في أمر عثمان فخليا عن أنفسكما فقام طلحة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس انا والله مانقول اليوم الا ما قلناه أمس إن عثمان خلط الذنب بالتوبة حتي كرهنا ولايته وكرهنا أن نقتله وسرنا أن نكفاه وقد كثر فيه اللجاج وأمره الى الله ثم قام الزبير فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ان الله قد رضي لكم الشورى فأذهب بها الهوى وقد

---

(١) جسر كوكب موضع بالمدينة

تشاورنا فرضينا علياً فبايعوه وأما قتل عثمان فانا نقول فيه أن أمره الى الله وقد أحدث أحداثاً والله وليه فيما كان . فقام الناس فأتوا عليا في داره فقالوا نبايعك فمدّ يدك لا بدمن أمير فأنت أحق بها فقال ليس ذلك اليكم انما هو لأهل الشورى وأهل بدر فمن رضي به أهل الشورى وأهل بدر فهو الخليفة فنجتمع وننظر في هذا الامر فأبى أن يبايعهم فانصرفوا عنه وكلم بعضهم بعضاً فقالوا يمضي قتل عثمان في الآفاق والبلاد فيسمعون بقتله ولا يسمعون أنه بويع لأحد بعده فيثور كل رجل منهم في ناحية فلا نأمن أن يكون في ذلك الفساد . فارجعوا الى علىّ فلا نتركوه حتى يبايع فيسير مع قتل عثمان بيعة على فيطمئن الناس ويسكنون فرجعوا الى على وترددوا الى الاشتر النخعي فقال لعلي ابسط يدك نبايعك فقال له مثل ماقال لهم فقال الاشتر والله لتمدنّ يدك نبايعك اولتعصرن عينيك عليها ثالثة ولم يزل به يكلمه ويخوفه الفتنة ويذكر له انه ليس أحد يشبهه فمد يده فبايعه الاشتر ومن معه ثم اتوا طلحة فقالوا له اخرج فبايع قال من؟ قالوا عليا قال نجتمع الشورى وننظر فقالوا اخرج فبايع فامتنع عليهم فجاؤا به يلببونه فبايعه بلسانه ومنعه يده فقال ابو ثور

كنت فيمن حاصر عثمان فكنت آخذ سلاحي وأضعه وعلى ينظر الى لا يأمرني ولا ينهاني فلما كانت البيعة له خرجت في أثره والناس حوله يبايعونه فدخل حائطاً من حيطان بني مازن فألجؤه الى نخلة وحالوا بيني وبينه فنظرت اليهم وقد أخذت أيدي الناس ذراعه تختلف أيديهم على يده ثم أقبل الى المسجد الشريف وكان أول من صعد المنبر طلحة فبايعه بيده وكانت أصابعه شلاً فتطير منها على فقال ماأخلقها ان تنكث ثم بايعه الزبير وسعد وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جميعاً ثم نزل فدعا الناس وأمر بطلب مروان فهرب منه وطلب نفراً من بني أمية وابن أبي معيط فهربوا وخرجت عائشة باكية تقول قتل عثمان رحمه الله فقال لها عمّار بالامس تحرضين عليه الناس واليوم تبكينه ثم جاء على الى امرأة عثمان فقال لها من قتل عثمان قالت لا أدرى دخل عليه رجال لا أعرفهم الا ان ارى وجوههم وكان معهم محمد بن ابي بكر فدعا على محمداً فسأله عما ذكرت امرأة عثمان فقال محمد صدقت قد والله دخلت عليه فذكر لي أبي فقمت عنه وأنا تائب الى الله تعالى والله ما قتلته ولا أمسكته فقالت صدق ولكن هو أدخلهم

قال ثم خرج طلحة فلقى عائشة فقالت له ماصنع الناس قال قتلوا عثمان قالت ثم ماصنعوا قال بايعوا عليا ثم أتوني فأكرهوني ولببوني حتى بايعت قالت وما لعلي يستولى على رقابنا لاأدخل المدينة ولعلي فيها سلطان فرجعت وكان الزبير خارجاً لم يشهد قتل عثمان وكان عمرو بن العاص بفلسطين يوم قتل عثمان فطلع عليه راكب من الحجاز فقال له ماوراءك قال تركت عثمان محصوراً فقال عمرو قد يضرط البعير والمكواة في النار ثم لبث أياماً فطلع عليه راكب آخر فقال له عمرو ما الخبر قال قتل عثمان قال فما فعل الناس فقال بايعوا علياً قال فما فعل علي في قتلة عثمان قال دخل عليه الوليد بن عقبة فسأله عن قتله فقال ما أمرت ولا نهيت ولا سرني ولا ساءني قال فما فعل بقتلة عثمان فقال آوى ولم يرض وقد قال له مروان ان لا تكن أمرت فقد توليت الامر وان لا تكن قتلت فقد آويت القاتلين فقال عمرو بن العاص خلط والله أبو الحسن: قال ثم كتب عمرو بن العاص الى سعد بن أبي وقاص يسأله عن قتل عثمان ومن قتله ومن تولى كبره فكتب اليه سعد : انك سألتني من قتل عثمان واني اخبرك أنه قتل بسيف سلته عائشة وصقله طلحة وسمه ابن أبي طالب وسكت

الزبير وأشار بيده وامسكنا نحن ولو شئنا دفعنا عنه ولكن
عثمان غيرّ وتغير وأحسن وأساء فان كنا أحسنا فقد أحسنا
وان كنا أسأنا فنستغفر الله وأخبرك ان الزبير مغلوب بغاية
أهله وبطابه بذنبه وطلحة لو يجد أن يشق بطنه من حب
الإمارة لشقه قال وكان ابن عباس غائباً بمكة المشرفة فأقبل
الى المدينة وقد بايع الناس علياً قال ابن عباس فوجدت عنده
المغيرة ابن شعبة فجلست حتى خرج ثم دخلت عليه فسألني
وسألته ثم قلت له ماقال لك الخارج من عندك آنفاً قال قال
لي قبل هذه الدخلة أرسل الى عبد الله بن عامر بعهده على
البصرة والى معاوية بعهده على الشام فانك تهدئ عليك
البلاد وتسكن عليك الناس ثم أتاني الآن فقال لي اني كنت
أشرت عليك برأي لم أتعقبه فلم أر ذلك رأيا واني أرى ان تنبذ
اليهما العداوة فقد كفاك الله عثمان وهما أهون موتة منه
فقال له ابن عباس أما المرة الاولى فقد نصحك فيها وأما الثانية
فقد غشك فيها قال فاني قد وليتك الشام فسر اليها قال قلت
ليس هذا برأي أترى معاوية وهو ابن عم عثمان مخلياً بيني وبين
عمله ولست آمن ان ظفر بي ان يقتلني بعثمان وأدنى ماهو صانع

ان يحبسني ويحكم عليّ ولكن أكتب الى معاوية فمنه وعده فان استقام لك الامر فابعثني قال ثم أرسل بالبيعة الى الآفاق والى جميع الامصار فجاءته البيعة من كل مكان الا الشام فانه لم يأته منها بيعة . فأرسل الى المغيرة بن شعبة فقال له سر الى الشام فقد وليتكها قال تبعثني الى معاوية وقد قتل ابن عمه ثم آتيه والياً فيظن اني من قتلة ابن عمه ولكن ان شئت أبعث اليه بعهده فانه بالحريّ اذا بعثت له بعهده يسمع ويطيع فكتب على الى معاوية: أما بعد فقد وليتك ماقبلك من الامر والمال فبايع من قبلك ثم اقدم اليّ في ألف رجل من أهل الشام. فلما أتي معاوية كتاب على دعا بطومار فكتب فيه من معاوية الى علي: أما بعد فإنه

ليس بيني وبين قيس عتاب * غير طعن الكلَى وضرب الرقاب

فلما أتى عليا الكتاب ورأى مافيه وما هو مشتمل عليه كره ذلك وقام فأتى منزله فدخل عليه الحسن ابنه فقال له : أما والله كنت أمرتك فعصيتني فقال له عليّ وماأمرتني به فعصيتك فيه قال أمرتك ان تركب رواحلك فتلحق بمكة المشرفة فلا تتهم به ولا تحل شيئاً من أمره فعصيتني وأمرتك

حين دعيت الى البيعة ان لاتبسط يدك الا على بيعة جماعة فعصيتني وأمرتك حين خالف عليك طلحة والزبير ان لاتكرههما على البيعة وتخلي بينهما وبين وجههما وتدع الناس يتشاورون عاماً كاملا فوالله لو تشاوروا عاماً مازويت عنك ولا وجدوا منك بداً وأنا آمرك اليوم ان تقيلهما بيعتهما وترد الى الناس أمرهم فان رفضوك رفضتهم وان قبلوك قبلتهم فاني والله قد رأيت الغدر في رؤسهم وفي وجوههم النكث والكراهية . فقال له علي أنا اذاً مثلك لا والله يابنيّ ولكن أقاتل بمن أطاعني من عصاني وأيم الله يابني مازلت مبغيا عليّ منذ هلك جدّك فقال له الحسن وأيم الله ياأبتي ليظهرن عليك معاوية لانه من قتل مظلوما فقد جعلنا لوليّه سلطانا فقال علي يابني وماعلينا من ظلمه والله ماظلمناه ولا أمرنا ولا نصرنا عليه ولا كتبت فيه الى أحد سواداً في بياض وانك لتعلم ان اباك أبرأ الناس من دمه ومن أمره فقال له الحسن: دع عنك هذا والله اني لا أظن بل لا أشك انما بالمدينة عاتق ولا عذراء ولا صبيّ الا وعليه كفل من دمه فقال يابني انك لتعلم ان أباك قد رد الناس عنه مراراً أهل الكوفة وغيرهم وقد أرسلتكما

جميعاً بسيفيكما لتنصرانه وتموتان دونه فنهاكما عن القتال ونهى أهل الدار أجمعين وأيم الله لو أمرني بالقتال لقاتلت دونه أو أموت بين يديه قال الحسن دع عنك هذا حتى يحكم الله بين عباده يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون. قال ثم دخل المغيرة بن شعبة فقال له علي هل لك يامغيرة في الله قال فأين هو ياأمير المؤمنين قال تأخذ سيفك فتدخل معنا في هذا الامر فتدرك من سبقك وتسبق من معك فاني أري أموراً لابد للسيوف أن تشحذ لها وتقطف الرؤس بها فقال المغيرة اني والله يا أمير المؤمنين ما رأيت عثمان مصيباً ولا قتله صواباً وأنها لمظلمة تتلوها ظلمات فأريد ياأمير المؤمنين ان أذنت لي ان أضع سيفي وأنا في بيتي حتى تنجلي الظلمة ويطلع قمرها فنسري مبصرين نقفوا آثار المهتدين ونتقي سبيل الجائرين قال علي قد أذنت لك فكن من أمرك على مابدا لك. فقام عمار فقال معاذ الله يامغيرة تقعد أعمى بعد أن كنت بصيراً يغلبك من غلبته ويسبقك من سبقته أنظر ماترى وما تفعل فأما انا فلا أكون الا في الرعيل الاول. فقال له المغيرة ياأبا اليقظان اياك ان تكون كقاطع السلسلة فر من الضحل فوقع في الرمضاء فقال علي لعمار دعه فانه لن يأخذ من

الآخرة الا ماخالطته الدنيا أما والله يامغيرة انها المتوبة المؤدية تؤدي من قام فيها الى الجنة ولما اختار بعدها فاذا غشيناك فنم في بيتك فقال المغيرة انت والله ياأمير المؤمنين اعلم مني ولئن لم أقاتل معك لا أعين عليك فان يكن ما فعلت صوابا فاياه أردت وان خطأ فمنه نجوت ولى ذنوب كثيرة لاقبل لي بها الا الاستغفار منها .

﴿خطبة على بن أبى طالب كرم الله وجهه﴾ قال وذكروا ان البيعة لماتمت بالمدينة خرج على الى المسجد الشريف فصعد المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ووعد الناس من نفسه خيراً وتألفهم جهده ثم :قال: لا يستغنى الرجل وان كان ذا مال وولد عن عشيرته ودفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم . هم أعظم الناس حيطة من ورائه واليهم سعيه وأعطفهم عليه ان أصابته مصيبة أو نزل به بعض مكاره الامور ومن يقبض يده عن عشيرته فانه يقبض عنهم يداً واحدة وتقبض عنه أيد كثيرة ومن يبسط يده بالمعروف ابتغاء وجه الله تعالى يخلف الله له ماأنفق في دنياه ويضاعف له في آخرته . واعلموا ان لسان صدق يجعله الله للمرء في الناس خير له من المال فلا يزدادن أحدكم

كبرياء ولا عظمة في نفسه ولا يغفل أحدكم عن القرابة ان يصلها بالذى لا يزيده ان أمسكه ولا ينقصه ان أهلكه . واعلموا ان الدنيا قد أدبرت والآخرة قد أقبلت الا وان المضمار اليوم والسبق غداً الا وان السبقة الجنة والغاية النار الا ان الامل يشهى القلب ويكذب الوعد ويأتي بغفلة ويورث حسرة فهو غرور وصاحبه في عناء فافزعوا الى قوام دينكم واتمام صلاتكم وأداء زكاتكم والنصيحة لامامكم وتعلموا كتاب الله وأصدقوا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوفوا بالعهد اذا عاهدتم وأدوا الأمانات اذا ائتمنتم وارغبوا ثواب الله وارهبوا عذابه واعلموا بالخير تجزوا بالخير يوم يفوز بالخير من قدم الخير

﴿ اختلاف الزبير وطلحة على علي كرم الله وجهه ﴾ قال وذكروا ان الزبير وطلحة أتيا عليا بعد فراغ البيعة فقالا هل تدري على ما بايعناك ياأمير المؤمنين قال على نعم على السمع والطاعة وعلى ما بايعتم عليه أبا بكر وعمر وعثمان فقالا : لا ولكنا بايعناك على انا شريكاك في الامر قال على لا ولكنكما شريكان في القول والاستقامة والعون على العجز والاولاد قال وكان الزبير

لايشك في ولاية العراق وطلحة في اليمن فلما استبان لهما ان
عليا غير موليهما شيئا أظهرا الشكاة فتكلم الزبير في ملأ من
قريش فقال هذا جزاؤنا من على قمنا له في أمر عثمان
حتى أثبتنا عليه الذنب وسببنا له القتل وهو جالس في
بيته وكفي الامر فلما نال بنا ما أراد جعل دوننا غيرنا فقال
طلحة ما اللوم الا انا كنا ثلاثة من أهل الشورى كرهه
أحدنا وبايعناه وأعطيناه مافي أيدينا ومنعنا مافى يده فاصبحنا قد
أخطأنا مارجونا . قال فانتهى قولهما الى عليّ فدعا عبد الله بن
عباس وكان استوزره فقال له بلغك قول هذين الرجلين قال نعم
بلغني قولهما قال فما ترى قال أرى أنهما أحبا الولاية فول البصرة
الزبير وولّ طلحة الكوفة فانهما ليسا بأقرب اليك من الوليد
وابن عامر من عثمان فضحك على ثم قال ويحك ان العراقين بهما
الرجال والاموال ومتى تملكا رقاب الناس يستميلا السفيه بالطمع
ويضربا الضعيف بالبلاء ويقويا على القوى بالسلطان ولو كنت
مستعملا أحداً لضره ونفعه لاستعملت معاوية على الشام ولولا ما
ظهر لى من حرصهما على الولاية لكان لى فيهما رأى قال ثم
أتي طلحة والزبير الى على فقالا يا أمير المؤمنين ائذن لنا الى العمرة

فان تقم الى انقضائها رجعنا اليك وأن تسر نتبعك فنظر اليهما علي ّ وقال نعم والله ماالعمرة تريدان ان تمضيا الى شأنكما فمضيا

﴿خلاف عائشة رضي الله عنها على علي ّ﴾ قال وذكروا ان عائشة لما أتاها انه بويع لعلي وكانت خارجة عن المدينة فقيل لها قتل عثمان وبايع الناس عليا فقالت ما كنت أبالي ان تقع السماء على الارض قتل والله مظلوما وأنا طالبة بدمه فقال لها عبيد أنا أول من طعن عليه وأطمع الناس فيه لانت ولقد قلت اقتلوا نعثلا فقد فجر فقالت عائشة قد والله قلت وقال الناس وآخر قولي خير من أوله فقال عبيد عذر والله ضعيف ياأم المؤمنين . ثم قال

منكِ البداء ومنك الغير * ومنك الرياح ومنك المطر
وانت أمرت بقتل الاما * م وقلت لنا انه قد فجر
فهبنا أطعناك في قتله * وقاتله عندنا من أمر

قال فلما أتى عائشة خبر أهل الشام انهم ردوا بيعة علي وأبوا ان يبايعوه أمرت فعمل لها هودج من حديد وجعل فيه موضع عينيها ثم خرجت ،ومعها الزبير وطلحة وعبد الله ابن لزبير ومحمد بن طلحة .

﴿ اعتزال عبد الله بن عمر وسعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة عن مشاهدة علي وحروبه ﴾ قال وذكروا ان عمار بن ياسر قام الى علي فقال ياأمير المؤمنين ائذن لي آتي عبد الله ابن عمر فأكلمه لعله يخف معنا في هذا الامر فقال علي نعم فأتاه فقال له ياأبا عبد الرحمن انه قد بايع عليا المهاجرون والانصار ومن ان فضلناه عليك لم يسخطك وان فضلناك عليه لم يرضك وقد أنكرت السيف في أهل الصلاة وقد علمت أن على القاتل القتل وعلى المحصن الرجم وهذا يقتل بالسيف وهذا يقتل بالحجارة وان عليا لم يقتل أحداً من أهل الصلاة فيلزمه حكم القاتل فقال ابن عمر ياأبا اليقظان ان أبي جمع أهل الشورى الذين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راضٍ فكان أحقهم بها عليّ غير انه جاء أمر فيه السيف ولا أعرفه ولكن والله ما أحب ان لي الدنيا وما عليها واني أظهرت وأضمرت عداوة علي قال فانصرف عنه فاخبر عليا بقوله فقال علي لو أتيت محمد بن مَسلمة الانصاري فأتاه عمار فقال له محمد مرحباً بك ياأبا اليقظان على فرقة ما بيني وبينك والله لولا ما في يدي من رسول الله صلى الله عليه وسلم لبايعت علياً

ولو ان الناس كلهم عليه لـكنت معه ولـكنه ياعمـار كان من النبي أمر ذهب فيه الرأي فقال عمار كيف . قال قال رسول الله اذا رأيت المسلمين يقتتلون أو اذا رأيت أهل الصلاة فقال عمار فان كان قال لك اذا رأيت المسلمين فوالله لا ترى مسلمين يقتتلان بسيفيهما أبداً وان كان قال لك أهل الصلاة فمن سمع هذا معك انما أنت أحد الشاهدين فتريد من رسول الله قولاً بعـد قوله يوم حجة الوداع : دماؤكم وأمـوالـكم عليكم حرام الا بحـدث . فتقول يامحمد لانقاتل المحدثين قال حسبك ياأبا اليقظان . قال ثم أتى سعد بن أبي وقاص فـكلمه فأظهر الـكلام القبيح وانصرف عمار الى علي فقال له علي : دع هؤلاء الرهط أما ابن عمر فضعيف وأما سـعد فحسود وذنبي الى محمد بن مسلمة اني قتلت أخاه يوم خيبر مرحب اليهودي

﴿ هروب مَرْوان بن الحكم من المدينة المنورة ﴾

قال وذكروا أن مَرْوان بن الحـكم لمـا بويع عليّ هرب من المدينة فلحق بعائشة بمكة فقالت له عائشة ماوراءك فقال مروان غلبنا على أنفسنا فقال له رجـل من أهل مكة اياك وعليا فقد طلبك ففر من بين يديه فقال مروان لم فوالله ما يجد الي

سبيلا أما هو فقد علمت أنه لا يأخذني بظن ولا ينصب على الا اليقين وأيم الله ما أبالي اذا قصر على سيفه ما طال على من لسانه فقال الرجل اذا أطال الله عليك لسانه طال سيفه . قال مروان: كلا إن اللسان أدبٌ والسيف حكم

﴿ خروج عليّ من المدينة ﴾ قال وذكروا أن عليا تردد بالمدينة أربعة أشهر ينتظر جواب معاوية وقد كان كتب اليه كتاباً بعد كتاب يمنّيه ويَعِدُه أولاثم كتاباً يخوفه ويتواعده فحبس معاوية جواب كتابه ثلاثة أشهر ثم أتاه جوابه على غير ما يجب فلما أتاه ذلك شخص من المدينة في تسعمائة راكب من وجوه المهاجرين والانصار من أهل السوابق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم بشر كثير من أخلاط الناس . واستخلف على المدينة قثم بن عباس وكان له فضل وعقل وأمره أن يشخص اليه من أحب الشخوص ولا يحمل أحداً على ما يكره فخف الناس الى علي بعده ومضى معه من ولده الحسن والحسين ومحمد فلما كان في بعض الطريق أتاه كتاب أخيه عقيل بن أبي طالب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم :أما بعد يا أخي كلأك الله والله جائرك من كل سوء

وعاصمك من كل مكروه على كل حال واني خرجت معتمراً
فلقيت عائشة معها طلحة والزبير وذووهما وهم متوجهون الى
البصرة قد أظهروا الخلاف ونكثوا البيعة وركبوا عليك قتل
عثمان وتبعهم على ذلك كثير من الناس من طغاتهم وأوباشهم
ثم مر عبد الله بن أبي سرح في نحو من أربعين راكباً من
أبناء الطلقاء [١] من بني أمية فقلت لهم وعرفت المنكر في
وجوههم أبمعاوية تلحقون عداوة . والله انها منكم ظاهرة
غير مستنكرة تريدون بها اطفاء نور الله وتغيير أمر الله
فأسمعني القوم وأسمعتهم ثم قدمت مكة فسمعت أهلها يتحدثون
أن الضحاك بن قيس أغار على الحيرة واليمامة فأصاب ما شاء
من أموالهما ثم انكفأ راجعاً الى الشام فأف لحياة في زهو
جرأ عليك الضحاك وما الضحاك الا فقع بقرقرة [٢] فظننت

---

(١) الطلقاء سمي به أهل مكة يوم الفتح وذلك أن النبي عليه السلام لما دخل مكة يوم الفتح وكان الله قد أمكنه منهم وكانوا له فيء أوقف على باب الكعبة . وقال: يا معشر قريش ما ترون انى فاعل بكم قالوا خيراً أخ كريم وابن أخ كريم . قال: اذهبوا فانتم الطلقاء فعفا عنهم (٢) يريد أنه ضعيف القوة والفقع البيضاء الرخوة من الكمأة . ويقال للذليل: هو أذل من فقع بقرقرة لانه لا يمتنع على من اجتناه أو لانه يوطأ بالارجل

حين بلغني ذلك أن أنصارك خذلوك فاكتب الي ياابن أمي برأيك وأمرك فان كنت الموت تريد تحملت اليك بني أخيك وولد أبيك فعشنا ما عشت ومتنا معك اذا مت فوالله ماأحب أن أبقى بعدك فوالله الأعز الأجل ان عيشاً أعيشه بعدك في الدنيا لغير هنيء ولا مريء ولا نجيع والسلام . فكتب اليه علي كرم الله وجهه : أما بعد يا أخي فكلاك الله كلاءته من يخشاه انه حميد مجيد قدم على عبد الرحمن الازدي بكتابك تذكر فيه انك لقيت ابن أبي سرح في أربعين من أبناء الطلقاء من بني أمية متوجهين الى المغرب وابن أبي سرح يا أخي طال ما كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصد عن كتابه وسنته وبغاها عوجاً فدع ابن أبي سرح وقريشاً وتركاضهم في الضلال فان قريشاً قد اجتمعت على حرب أخيك اجتماعها على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل اليوم وجهلوا حقي وجحدوا فضلي ونصبوا لي الحرب وجدوا في اطفاء نور الله اللهم فاجز قريشاً عني بفعالها فقد قطعت رحمي وظاهرت علي وسلبتني سلطان ابن عمي وسلمت ذلك لمن ليس في قرابتي وحقي في الاسلام وسابقتي التي لا يدعي مثلها مدع الا أن

يدعي ما لا أعرف ولا أظن الله يعرفه والحمد لله على ذلك كثيراً. وأما ما ذكرت من غارة الضحاك على الحيرة واليمامة فهو أذل وألأم من أن يكون مرّ بها فضلا عن الغارة ولكن جاء في خيل جريدة فسرحت اليه جنداً من المسلمين فلما بلغه ذلك ولى هارباً فاتبعوه فلحقوه ببعض الطريق حين همت الشمس للاياب فاقتتلوا وقتل من أصحابه بضعة عشر رجلا ونجا هارباً بعد ان أخذ منه بالمخنّق فلولا الليل ما نجا وأما ما سألت ان أكتب اليك منه برأيي فان رأيي جهاد المحلين حتى القى الله لا يزيدني كثرة الناس حولي عزة ولا تفرقهم عني وحشة لاني محق والله مع المحق وما أكره الموت على الحق لان الخير كله بعد الموت لمن عقل ودعا الى الحق . وأما ما عرضت به من مسيرك الى بنيك وبني أبيك فلا حاجة لي في ذلك فذرهم راشداً مهديا فوالله ما أحب ان تهلكوا معي ان هلكت. وانا كما قال أخو بني سليم [1]

فإن تسأليني كيف صبري فانني * صبورٌ على ريب الزمان صليب
عزيزٌ علي أن أري بكآبة * فيشمت واشٍ أو يساء حبيب

---

(١) هو صخر بن عمرو بن الشريد أخو الخنساء

﴿ كتاب أم سلمة الى عائشة ﴾ قال وذكروا انه لما تحدث الناس بالمدينة بمسير عائشة مع طلحة والزبير ونصبهم الحرب لعلي وتألفهم الناس كتبت أم سلمة الى عائشة : أما بعد فانك سُدة بين رسول الله وبين أمته وحجابك مضروب على حرمته قد جمع القرآن الكريم ذيلك فلا تبذليه وسكن عقيرتك فلا تضحيه الله من وراء هذه الامة قد علم رسول الله مكانك لو أراد أن يعهد اليك وقد علمت ان عمود الدين لا يثبت بالنساء ان مال ولا يرأب بهن ان انصدع خُمرات النساء غض الابصار وضم الذيول ما كنت قائلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو عارضك بأطراف الجبال والفلوات على قعود من الابل من منهل الي منهل ان يعين الله مهواك وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تردين وقد هتكت حجابه الذي ضرب الله عليك عهيداه ولو أتيت الذى تريدين ثم قيل لي ادخلي الجنة لاستحييت ان ألقى الله ها تكة حجاباً قد ضربه على فاجعلي حجابك الذى ضرب عليك حصنك فابغيه منزلا لك حتى تلقيه فانّ أطوع ما تكونين اذا مالزمته وأنصح ما تكونين اذا مافعدت فيه ولو ذكرتك كلاماً قاله رسول الله صلى

الله عليه وسلم لنهشتني نهش الحية والسلام . فكتبت اليها عائشة:
ما أقبلني لوعظك وأعلمني بنصحك وليس مسيري على ما تظنين ولنعم
المطلع مطلع فرقت فيه بين فئتين متناجزتين فان أقدرففي غير
حرج وان أحرج مالي ما لاغنى بي عن الازديادمنه والسلام

﴿ استنفار عديّ بن حاتم قومه لنصرة علي رضي الله عنه ﴾

قال وذكروا ان بن حاتم قام الى علي فقال يا أمير المؤمنين
لو تقدمت الى قومي أخبرهم بمسيرك واستنفرهم فان لك من
طيّ مثل الذي معك فقال علي نعم فافعل فتقدم عدي الى قومه
فاجتمعت اليه رؤساء طيء : فقال لهم : يا معشر طيّ انكم
أمسكتم عن حرب رسول الله صلي لله عليه وسلم في الشرك
ونصرتم الله ورسوله في الاسلام على الردة وعلى قادم عليكم
وقد ضمنت له مثل عدة من معه منكم نخفوا معه وقد كنتم
تقاتلون في الجاهلية على الدنيا فقاتلوا في الاسلام على الآخرة
فان أردتم الدنيا فعند الله مغانم كثيرة وأنا أدعوكم الى الدنيا
والآخرة وقد ضمنت عنكم الوفاء وباهيت بكم الناس فأجيبوا
قولي فانكم أعز العرب داراً لكم فضل معاشكم وخيلكم
فاجعلوا أفضل المعاش للعيال وفضول الخيل للجهاد وقد أظلكم

علي والناس معه من المهاجرين والبـدريين والانصار فكونوا أكثرهم عدداً فان هذا سبيل للحي فيه الغنى والسرور وللقتيل فيه الحياة والرزق فصاحت طيء نعم نعم حتى كاد ان يصم من صياحهم . فلما قدم على طيء أقبل شيخ من طيء قد هرم من الـكبر فرفع له من حاجبيه فنظر الى علي فقال له أنت ابن أبي طالب ؟قال نعم .قال مرحبا بك وأهلا قد جعلناك بيننا وبين الله وعدياً بيننا وبينك ونحن بينه وبين الناس والله لو أتيتنا غير مبايعين لك لنصرناك لقرابتك من رسول الله صلى الله عليـه وسلم وايامك الصالحة ولئن كان مايقال فيك من الخـير حقاً ان في أمرك وأمر قريش لعجبا اذ أخروك وقدموا غـيرك . سر فوالله لايتخلف عنك من طيء الا عبـد أودعى الا باذنك فشخص معه من طيء ثلاثة عشر آلاف راكب

﴿استنفار زفر بن زيد قومه لنصرة علي﴾ قال وذكروا ان زفر بن زيد بن حذيفة الاسدي وكان من سادة بني أسد قام الى علي فقال ياأمير المؤمنين ان طيأ اخواننا وجيراننا قد أجابوا عديا ولي في قومي طاعة فاذن لي فآتيهم قال نعم . فأتاهم فجمعهم وقال: يابني أسد ان عدي بن حاتم ضمن لعلي قومه فأجابوه وقضوا عنه

ذمامه فلم يعتل الغنيّ بالغنى ولا الفقير بالفقر وواسى بعضهم بعضا حتى كأنهم المهاجرون فى الهجرة والانصار في الاثرة وهم جيرانكم في الديار وخلطاؤكم في الاموال فانشدكم الله لا يقول الناس غداً نصرت طيّ وخذلت بنو أسد وان الجار يقاس بالجار كالنعل بالنعل فان خفتم فتوسعوا في بلادهم وانضموا الى جبلهم وهذه دعوة لها ثواب من الله في الدنيا والآخرة فقام اليـه رجـل منهم فقال له يازفر انك لست كعدىّ ولا أسد كطيّ ارتدت العرب فثبتت طيّ على الاسلام وجاد عدي بالصدقة وقاتل بقومه قومك فوالله لو نفرت طيّ بأجمعها لمنعت رعاؤها دارها ولو ان معنا أضعافنا لخفنا على دارنا فان كان لا يرضـيك منا الا ماأرضى عديا من طيّ فليس ذلك عندنا وان كان يرضيك قدر مايرد عنا عذر الخذلان وأثم المعصية فلك ذلك منا فسار معه من أسد جماعة ليست كجماعة طيّ حتى قدم بها على عليّ

﴿ توجه عائشة وطلحة والزبير الى البصرة ﴾

قال وذكروا انه لما اجتمع طلحة والزبير وذووهما مع عائشة واجمعوا على المسير من مكة أتاهم عبد الله بن عامر فدعاهم الى النصرة ووعدهم الرجال والاموال فقال سـعيد بن العاصي

لطلحة والزبير ان عبد الله بن عامر يدعوكما الى النصرة وقد فر من اهلها فرار العبد الآبق وهم في طاعة عثمان ويريد ان يقاتل بهم عليا وهم في طاعة على وخرج من عندهم أميراً ويعود اليهم طريداً وقد وعدكم الرجال والاموال فاما الاموال فعنده وأما الرجال فلا رجل فقال مروان بن الحكم أيها الشيخان مايمنعكما ان تدعوا الناس الى بيعة مثل بيعة عليّ فان اجابوكما عارضتماه ببيعة كبيعته وان لم يجيبوكما عرفتما مالكما في انفس الناس فقال طلحة يمنعنا ان الناس بايعوا عليا بيعة عامة فبم ننقضها ؟ وقال الزبير ويمنعنا أيضاً من ذلك تثاقلنا عن نصرة عثمان وخفتنا الى بيعة على . فقال الوليد بن عقبة ان كنتما اسأتما فقد أحسنتما وان كنتما أخطأتما فقد اصبتما وانتما اليوم خير منكما امس فقال مروان أما انا فهواي الشام وهواكما البصرة وانا معكم وان كانت الهلكة فقال سعيد بن العاصي اما أنا فراجع الى منزلي فلما استقام أمرهم واجتمعت كلمتهم على المسير قال طلحة للزبير انه ليس شيء انفع ولا ابلغ في استمالة اهواء الناس من ان تشخص لعبد الله بن عمر فاتياه فقولا يا ابا عبدالرحمن ان أمنا عائشة خفت لهذا الامر رجاء الاصلاح بين الناس فاشخص معنا فان لك

بها اسوة فان بايعنا الناس فانت أحق بها فقال ابن عمر ايها
الشيخان أتريدان أن تخرجانى من بيتي ثم تلقيانى بين مخالب
ابن أبي طالب؟ ان الناس انما يخدعون بالدينار والدرهم وانى قد
تركت هذا الامر عيانا فى عافية انالها فانصرفا عنه. وقدم يعلى بن
منيه عليهم من اليمن وكان عاملا لعثمان فاخرج اربعمائة بعير
ودعا الى الحملان فقال الزبير دعنا من ابلك هذه واقرضنا من
هذا المال فاقرض الزبير ستين ألفا واقرض طلحة أربعين
الفاً ثم سار القوم فقال الزبير الشام بها الرجال والاموال وعليها
معاوية وهو ابن عم الرجل ومتي نجتمع يولنا عليه وقال عبد الله
ابن عامر البصرة فان غلبتم عليا فلكم الشام وان غلبكم على
كان معاوية لكم جنة وهذه كتب اهل البصرة الى فقال يعلي
ابن منيه وكان ذاهبا ايها الشيخان قدرا قبل ان ترحلا ان
معاوية قد سبقكم الى الشام وفيها الجماعة وانتم تقدمون عليه غداً
في فرقة وهو ابن عم عثمان دونكم أرأيتم ان دفعكم عن الشام
أو قال اجعلها شورى ما أنتم صانعون أتقاتلونه أم تجعلونها
شورى فتخرجا منها وأقبح من ذلك ان تأتيا رجلا في يديه
أمر قد سبقكما اليه وتريدان ان تخرجاه منه فقال القوم فالى

أين قال الى البصرة فقال الزبير لعبد الله بن عامر من رجال البصرة ؟ قال ثلاثة كلهم سيد مطاع كعب بن سور في اليمن والمنذر بن ربيعة في ربيعة والاحنف بن قيس في مصر . فكتب طلحة والزبير الى كعب بن سور : أما بعد فانك قاضي عمر بن الخطاب وشيخ أهل البصرة وسيد أهل اليمن وقد كنت غضبت لعثمان من الاذى فاغضب له من القتل والسلام . وكتب الى الاحنف بن قيس : أما بعد فانك وافد عمر وسيد مضر وحليم أهل العراق وقد بلغك مصاب عثمان ونحن قادمون عليك والعيان أشفى لك من الخبر والسلام . وكتب الى المنذر : أما بعد فان أباك كان رئيسا في الجاهلية وسيداً في الاسلام وانك من أبيك بمنزلة المصلي [1] من السابق يقال كاد أو لحق وقد قتل عثمان من أنت خير منه وغضب له من هو خير منك والسلام . فلما وصلت كتبهما الى القوم قام زياد بن مضر والنعمان بن شوّال وغزوان فقالوا مالنا ولهذا الحي من

---

(١) المصلي الذي فى أثر السابق وانما سمي مصليا لانه مع صلوى السابق وهما عرقان في الردف قال الشاعر :

تركت الرمح يعمل في صلاه * كأن سنانه خرطوم نسر

قريش أ يريدون ان يخرجونا من الاسلام بعد ان دخلنا فيه ويدخلونا في الشرك بعد ماخرجنامنه قتلوا عثمان وبايعوا عليا لهم مالهم وعليهم ماعليهم. وكتب كعب بن سور الى طلحة والزبير: أما بعد فانا غضبنا لعثمان من الاذى والغير باللسان فجاء أمر الغير فيه بالسيف فان يك عثمان قتل ظالما فما لكما وله وان كان قتل مظلوما فغيركما أولى به وان كان أمره أشكل على من شهده فهو على من غاب عنه اشكل. وكتب الاحنف اليهما: أما بعد فانه لم يأتنا من قبلكم أمر لانشك فيه الا قتل عثمان وأنتم قادمون علينا فان يكن في العيان فضل نظرنا فيه ونظرتم والا يكن فيه فضل فليس في أيدينا ولا في أيديكم ثقة والسلام. وكتب المنذر: أما بعد فانه لم يلحقني بأهل الخير الا ان اكون خيراً من أهل الشر وانما اوجب حق عثمان اليوم حقه امس وقد كان بين اظهركم فخذلتموه فمتى استنبطتم هذا العلم وبدا لكم هذا الرأي. فلما قرءا كتب القوم ساءهما ذلك وغضبا. ثم غدا مروان الى طلحة والزبير فقال لهما عاودا ابن عمر فلعله ينيب. فعاوداه فتكلم طلحة: فقال: ياأباعبد الرحمن انه والله لرب حق ضيعناه وتركناه فلما حضر العذر قضينا بالحق وأخذنا بالحظ أن

علياً يرى انفاذ بيعته وأن معاوية لا يرى أن يبايع له وانا نرى أن نردها شورى فان سرت معنا ومع أم المؤمنين صلحت الامور والا فهي الهالكة. فقال ابن عمر: ان يكن قولكما حقاً ففضلا ضيعت وان يكن باطلا فشر منه نجوت واعلما أن بيت عائشة خير لها من هودجها وأنتما المدينة خير لكما من البصرة والذل خير لكما من السيف وان يقاتل علياً الا من كان خيراً منه وأما الشورى فقد والله كانت فقدم وأخرتما وان يردها الا أولئك الذين حكموا فيها فاكفياني أنفسكما فانصرفا. فقال مروان استعينا عليه بحفصة فأتيا حفصة فقالت لو أطاعني أطاع عائشة دعاه فاتركاه وتوجها الى البصرة. وأتاهما عبد الله ابن خلف فقال لهما: انه ليس أحد من أهل الحجاز كان منه في عثمان شيء الا وقد بلغ أهل العراق وقد كان منكما في عثمان من التخليب والتأليب ما لا يدفعه جحود ولا ينفعكما فيه عذر وأحسن الناس فيكما قولا من أزال عنكما القتل وألزمكما الخذل وقد بايع الناس علياً بيعة عامة والناس لاقوكما غداً فما تقولان؟ فقال طلحة ننكر القتل ونقر بالخذل ولا ينفع الاقرار بالذنب الا مع الندم عليه ولقد ندمنا على ما كان منا . وقال

الزبير بايعنا علياً والسيف على أعناقنا حيث تواثب الناس بالبيعة اليه دون مشورتنا ولم نصب لعثمان خطأً فتجب علينا الدية ولا عمداً فيجب علينا القصاص . فقال عبد الله بن خلف عذركما أشد من ذنبكما قال فتهيأ القوم للمسير فقال طلحة والزبير اسرعوا السير لعلنا نسبق علياً من خلاف طريقه الى البصرة قال وكتب قثم بن عباس الى عليّ يخبره أن طلحة والزبير وعائشة قد خرجوا من مكة يريدون البصرة وقد استنفروا الناس فلم يخف معهم الا من لا يعتقد بمسيره ومن خلفت بعدك فعلى ماتحب . فلما قدم على علي كتابه ثمه ذلك وأعظمه الناس وسقط في أيديهم فقام قيس بن سعد بن عبادة فقال: يا أمير المؤمنين انه والله ما غمنا بهذين الرجلين كغمنا بعائشة لان هذين الرجلين حلالا الدم عندنا لبيعتهما ونكثهما ولأن عائشة من علمت مقامها في الاسلام ومكانها من رسول الله مع فضلها ودينها وأمومتها [1] منا ومنك ولكنهما يقدمان البصرة وليس كل أهلها لهما وتقدم الكوفة وكل أهلها لك

---

(١) اى ان تكون اما للمؤمنين . قال تعالى وقوله الحق: النبي أولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم .

وتسير بحقك الى باطلهم ولقد كنا نخاف أن يسيرا الى الشام فيقال صاحبا رسول الله وأم المؤمنين فيشتد البلاء وتعظم الفتنة فأما اذ أتيا البصرة وقد سبقت اليه طاعتك وسبقوا الي بيعتك وحكم عليهم عاملك ولا والله ما معهما مثل من معك ولا يقدمان على مثل ما تقدم عليه فسر فان الله معك وتتابعت الانصار فقالوا وأحسنوا . قال ولما نزل طلحة والزبير وعائشة بأوطاس من أرض خيبر أقبل عليهم سعيد بن العاصي على نجيب له فأشرف على الناس ومعه المغيرة بن شعبة فنزل وتوكأ على قوس له سوداء فأتى عائشة فقال لها أين تريدين يا أم المؤمنين قالت أريد البصرة قال وما تصنعين بالبصرة قالت أطلب بدم عثمان قال فهؤلاء قتلة عثمان معك ثم أقبل على مروان فقال له وأنت أين تريد أيضاً قال البصرة قال وما تصنع بها قال أطلب قتلة عثمان قال فهؤلاء قتلة عثمان معك ان هذين الرجلين قتلا عثمان «طلحة والزبير» وهما يريدان الامر لانفسهما فلما غلبا عليه قالا نغسل الدم بالدم والحوبة بالتوبة . ثم قال المغيرة بن شعبة: ايها الناس ان كنتم انما خرجتم مع امكم فارجعوا بها خيراً لكم وان كنتم غضبتم لعثمان فرؤساؤكم قتلوا عثمان وان كنتم نقمتم على علي

شيئاً فبينوا مانقمتم عليه أنشدكم الله فتنتين في عام واحد. فأبوا
الا ان يمضوا بالناس فلحق سعيد بن العاصي باليمن ولحق المغيرة
بالطائف فلم يشهدا شيئاً من حروب الجمل ولا صفّين فلما انتهوا
الى ماء الحوب في بعض الطريق ومعهم عائشة نبحها كلاب
الحوب فقالت لمحمد بن طلحة أي ماء هذا قال هذا ماء الحوب
فقالت ما أراني الا راجعة قال ولم قالت سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول لنسائه: كأني باحدا كن قد نبحها كلاب
الحوب واياك ان تكوني انت ياحميراء. فقال لها محمد بن طلحة
تقدمي رحمك الله ودعي هذا القول . وأتى عبد الله بن الزبير
فحلف لها بالله لقد خلفتيه اول الليل واتاها ببينة زور من
الاعراب فشهدوا بذلك فزعموا انها اول شهادة زور شهد
بها في الاسلام فلما نتهى اقبالهم على اهل البصرة ودنوا
منها قام عثمان بن حُنَيف عامل البصرة لعلي بن ابي طالب
فقال : يا أيها الناس انما بايعتم الله يد الله فوق ايديهم فمن نكث
فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه الله
اجراً عظيما والله لو علم على ان احدا احق بهذا الامر منه ماقبله ولو
بايع الناس غيره لبايع من بايعوا وأطاع من ولوا وما به الى احد

من صحابة رسول الله حاجة وما باحد عنه غني ولقد شاركهم في محاسنهم وما شاركوه في محاسنه ولقد بايعه هذان الرجلان وما يريد الله فاستعجلا الفطام قبل الرضاع والرضاع قبل الولادة والولادة قبل الحمل وطالبا ثواب الله من العباد وقد زعما انهما بايعامستكرهين فان كانا استكرها قبل بيعتهما وكانا رجلين من عرض قريش لهما ان يقولا ولا يأمرا الا وان الهدى ما كانت عليه العامة والعامة على بيعة علي فما ترون أيها الناس؟ فقام حكيم بن جبل العبدي : فقال : نرى ان دخلا علينا قاتلناهما وان وقفا تلقيناهما والله ماأبالي ان أقاتلهما وحدي وان كنت أحب الحياة وما أخشى في طريق الحق وحشة ولا غيرة ولا غشاً ولا سوأ منقلب الى بعث وانها لدعوة قتيلها شهيد وحيها فائز والتعجيل الى الله قبل الاجر خيرمن التأخير في الدنيا وهذه ربيعة معك

﴿ نزول طلحة والزبير وعائشة البصرة ﴾

قال وذكروا انطلحة والزبير نزلا البصرة قال عثمان بن حنيف نعذر اليهما برجلين فدعا عمران بن الحصين صاحب رسول الله وأبا الاسود الدؤلي فأرسلهما الى طلحة والزبيرفذهبا اليهما .

فناديا ياطلحة فأجابهما فتكلم أبو الاسود الدؤلي فقال ياأبا محمد انكم قتلتم عثمان غير مؤامرين لنا في قتله وبايعتم عليا غير مؤامرين لنا في بيعته فلم نغضب لعثمان اذ قتل ولم نغضب لعلي اذ بويع ثم بدا لكم فأردتم خلع علي ونحن على الامر الاول فعليكم المخرج مما دخلتم فيه . ثم تكلم عمران فقال ياطلحة انكم قتلتم عثمان ولم نغضب له اذ لم تغضبوا ثم بايعتم علياوبايعنا من بايعتم فان كان قتل عثمان صوابا فسيركم لماذا وان كان خطأ فحظكم منه الاوفر ونصيبكم منه الاوفي . فقال طلحة ياهذان ان صاحبكما لا يرى ان معه في هذا الامر غيره وليس على هذا بايعناه وأيم الله ليسفكن دمه .فقال أبو الاسود ياعمران أما هذا فقد صرح انه انما غضب للملك . ثم أتيا الزبير فقالا ياأبا عبد الله انا أتينا طلحة قال الزبير ان طلحة واياي كروح في جسدين وانه والله ياهذان قد كانت منا في عثمان فلتات احتجنا فيها الى المعاذير ولو استقبلنا من أمرنا ما استدبرنا نصرناه ثم أتيا فدخلا على عائشة فقالا ياأم المؤمنين ماهذا المسير أمعك من رسول الله به عهد قالت :قتل عثمان مظلوما غضبنا لكم من السوط والعصا ولا نغضب لعثمان من القتل

فقال أبو الاسود وما أنت من عصانا وسيفنا وسوطنا فقالت ياأبا الاسود بلغني ان عثمان بن حنيف يريد قتالي فقال أبو الاسود نعم والله قتالا أهونه تندر منه الرؤس . وأقبل غلام من جهينة الى محمد بن طلحة فقال له حدثني عن قتلة عثمان قال نعم دم عثمان على ثلاثة أثلاث ثلث على صاحبة الهودج وثلث على صاحب الجمل الاحمر (١) وثلث على علي بن أبي طالب فضحك الجهيني ولحق بعلي بن أبي طالب وبلغ طلحة قول ابنه محمد وكان محمد من عباد الناس فقال له يامحمد أتزعم عنا قولك اني قاتل عثمان كذلك تشهد على أبيك كن كعبد الله بن الزبير فوالله ما أنت بخير منه ولا أبوك بدون أبيه كف عن قولك والا فارجع فان نصرتك نصرة رجل واحد وفسادك فساد عامة فقال محمد ماقلت الا حقا ولن أعود .

﴿نزول علي بن أبي طالب الكوفة﴾

قال وذكروا أن علياً لما نزل قريباً من الكوفة بعث عمار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر الى أبي موسى الاشعري وكان أبو

---

(١) أما صاحبة الهودج يشير الى عائشة وأما صاحب الجمل الاحمر يعني به أباه طلحة

موسى عاملا لعثمان على الكوفة فبعثهما عليّ اليه والى أهل الكوفة يستنفرهم فلما قدما عليه قام عمار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر فدعوا الناس الى النصرة لعلي فلما أمسوا دخل رجال من أهل الكوفة على أبي موسى فقالوا ما ترى أنخرج مع هذين الرجلين الى صاحبهما ام لا؟فقال أبوموسى: اما سبيل الآخرة ففي أن تلزموا بيوتكم واما سبيل الدنيا فالخروج مع من أتاكم فأطاعوه فتباطأ الناس على علي وبلغ عماراً ومحمداًما أشار أبو موسى على أولئك الرهط فأتياه فأغلظا له في القول قال أبو موسى ان بيعة عثمان في عنقي وعنق صاحبكم ولئن أردنا القتال ما لنا الى قتال أحد من سبيل حتى نفرغ من قتلة عثمان. ثم خرج أبو موسى فصعد المنبر ثم قال : أيها الناس ان أصحاب رسول الله الذين صحبوه في المواطن اعلم بالله ورسوله ممن لم يصحبه وان لكم حقاً علي أؤديه اليكم. ان هذه الفتنة النائم فيها خير من اليقظان والقاعد خير من القائم والقائم فيها خير من الساعي والساعي خير من الراكب فاغمدوا سيوفكم حتى تنجلي هذه الفتنة . فقام عمار بن ياسر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ان أبا موسى ينهاكم عن الشخوص الى هاتين

الجماعتين ولعمري ما صدق فيما قال وما رضي الله من عباده
بما ذكر . قال الله عز وجل: «وإنْ طائفتان من المؤمنين اقتتلوا
فأصلحوا بينهما فان بَغَتْ إحداهما على الأُخرى فقاتلوا التي
تبغي حتى تفيءَ الي أمر الله فان فاءتْ فأصلحوا بينهما بالعدل
وأقسطوا» وقال : «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنةٌ ويكونَ الدينُ
كله لله » فلم يرض من عباده بما ذكر أبو موسى من ان
يجلسوا في بيوتهم ويخلوا بين الناس فيسفك بعضهم دماء
بعض فسيروا معنا الي هاتين الجماعتين واسمعوا من حججهم
وانظروا من أولي بالنصرة فاتبعوه فان أصلح الله أمرهم
رجعتم مأجورين وقد قضيتم حق الله وان بغى بعضهم على
بعض نظرتم الى الفئة الباغية فقاتلتموها حتي تفيء الى أمر
الله كما أمركم الله وافترض عليكم ثم قعد . فلما انصرفا الى على
من عند ابي موسي واخبراه بما قال أبوموسي بعث اليه الحسن
ابن على وعبد الله بن عباس وعمار بن ياسر وقيس بن سعد
وكتب معهم الى أهل الكوفة : أما بعد فاني أخبركم عن
أمر عثمان حتي يكون سامعه كمن عاينه ان الناس طعنوا على
عثمان فكنت رجلا من المهاجرين أقل عيبه واكثر استعتابه

وكان هـذان الرجلان طلحة والزبير أهون سيرهما فيه اللهجة والوجيف وكان من عائشة فيه قول على غضب فانتحى له قوم فقتلوه وبايعنى الناس غير مستكرهين وهما أول من بايعني على مابويع عليه من كان قبلي ثم استأذنا الى العمرة فأذنت لهما فنقضا العهد ونصبا الحرب واخرجا أم المؤمنين من بيتها ليتخذاها فتنة وقد سارا الى البصرة اختياراً لاهلها ولعمري ما اياى تجيبون ما تجيبون الا الله. وقد بعثت ابنى الحسن وابن عمي عبدالله بن عباس وعمار بن ياسر وقيس بن سعد فكونوا عند ظننا بكم والله المستعان. فسار الحسن ومن معه حتى قدموا الكوفة على ابي موسى فدعوه الى نصرة على فبايعهم ثم صعد ابو موسي المنبر وقام الحسن اسفل منه فدعاهم الي نصرة على واخبرهم بقرابته من رسول الله وسابقته وبيعة طلحة والزبير اياه ونكثهما عهده. واقرأهم كتاب على فقام شريح بن هانئ فقال لقد اردنا ان نركب الى المدينة حتى نعلم قتل عثمان فقد اتانا الله به في بيوتنا فلا تخالفوا عن دعوته والله لولم يستنصر بنا لنصرناه سمعا وطاعة ثم قام الحسن بن على: فقال: ايها الناس انه قد كان من مسير اميرالمؤمنين على بن ابي طالب ماقد بلغكم وقد اتينا كم مستنفرين

لانكم جبهة الانصار ورؤس العرب وقد كان من نقض طلحة والزبير بعد بيعتهما وخروجهما بامائشة ما بلغكم وتعلمون أن وهن النساء وضعف رأيهن الى التلاشي ومن أجل ذلك جعل الله الرجال قوّامين على النساء وايم لله لو لم ينصره منكم أحد لرجوت أن يكون فيمن أقبل معه من المهاجرين والانصار كفاية فانصروا الله ينصركم ثم قام عمار بن ياسر فقال يا أهل الكوفة ان كان غاب عنكم أنباؤنا فقد انتهت اليكم أمورنا ان قتلة عثمان لا يعتذرون من قتله الى الناس ولا ينكرون ذلك وقد جعلوا كتاب الله بينهم وبين محاجيهم. فيه أحيا الله من أحيا وأمات من أمات . وان طلحة والزبير كانا أول من طعن وآخر من أمر وكانا أول من بايع علياً فلما أخطأهما ما أملاه نكثا بيعتهما من غير حدث وهذا ابن بنت رسول الله الحسن قد عرفتموه وقد جاء يستنفركم وقد أظلكم علي في المهاجرين والبدريين والانصار الذين تبوّؤا الدار والايمان فانصروا الله ينصركم . ثم قام قيس بن سعد :فقال : أيها الناس ان الامر لو استقبل به أهل الشورى كان عليّ أحق بها وكان قتال من أبى ذلك حلالا فكيف والحجة على طلحة والزبير وقد بايعاه

رغبة وخالفاه حسداً وقد جاءكم المهاجرون والانصار .

﴿ دخول طلحة والزبير وعائشة البصرة ﴾

قال وذكروا أنه لما نزل طلحة والزبير وعائشة البصرة اصطف لها الناس في الطريق يقولون يا أم المؤمنين ما الذي أخرجك من بيتك فلما أكثروا عليها تكلمت بلسان طلق وكانت من أبلغ الناس فحمدت الله وأثنت عليه: ثم قالت: ايها الناس والله مابلغ من ذنب عثمان ان يستحل دمه ولقد قتل مظلوماً . غضبنا لكم من السوط والعصا ولا نغضب لعثمان من القتل وان من الرأى ان تنظروا الى قتلة عثمان فيقتلوا به ثم يرد هذا الامر شورى على ماجعله عمر بن الخطاب . فمن قائل يقول صدقت وآخر يقول كذبت فلم يبرح الناس يقولون ذلك حتى ضرب بعضهم وجوه بعض فبينماهم كذلك أتاهم رجل من اشراف البصرة بكتاب كان كتبه طلحة في التأليب على قتل عثمان فقال لطلحة هل تعرف هذا الكتاب قال نعم قال فما ردك على ما كنت عليه وكنت أمس تكتب الينا تؤلبنا على قتل عثمان وأنت اليوم تدعونا الى الطلب بدمه وقد زعمتما ان علياً دعاكما الى ان تكون البيعة لكما قبله اذ

كنتما أسن منه فأبيتما الا ان تقدماه لقرابته وسابقته فبايعتماه
فكيف تنكثان بيعته بعد الذى عرض عليكما قال طلحة
دعانا الى البيعة بعد ان اغتصبها وبايعه الناس فعلمنا حين عرض
علينا انه غير فاعل ولو فعل أبي ذلك المهاجرون والانصار
وخفنا ان نرد بيعته فنقتل فبايعناه كارهين قال فما بدالكما في
عثمان قال ذكرنا ما كان من طعننا عليه وخذ لاننا اياه فلم نجد
من ذلك مخرجا الا الطلب بدمه. قال ما تأمراني به قال بايعنا
علي قتال علي ونقض بيعته قال أرأيتما ان أتانا بعدكما من
يدعونا الى ما تدعوان اليه مانصنع؟ قالا لا تبايعه قال ما أنصفتما
أتأمراني ان أقاتل علياً وانقض بيعته وهي في أعناقكما
وتنهياني عن بيعة من لا بيعة له عليكما أما اننا فقد بايعنا علياً فان
شئتما بايعنا كما بيسار أيدينا . قال ثم تفرق الناس فصارت فرقة
مع عثمان بن حنيف وفرقة مع طلحة والزبير ثم جاء جارية بن
قدامة فقال :ياأم المؤمنين لقتل عثمان كان أهون علينا من
خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون انه كانت لك من
الله تعالى حرمة وستر فهتكت سترك وأبحت حرمتك انه
من رأى قتالك فقد رأى قتلك فان كنت ياأم المؤمنين أتيتينا

طائعة فارجعي الى منزلك وان كنت أتيتينا مستكرهة فاستعيني الله

﴿ قتل أصحاب عثمان بن حنيف عامل عليّ على البصرة ﴾

قال وذكروا انه لما اختلف القوم اصطلحوا على ان لعثمان بن حنيف دار الإمارة ومسجدها وبيت المال وان ينزل أصحابه حيث شاؤا من البصرة وان ينزل طلحة والزبير وأصحابهما حيث شاؤا حتى يقدم علي فان اجتمعوا دخلوا فيما دخل فيه الناس وان يتفرقوا يلحق كل قوم باهوائهم عليهم بذلك عهد الله وميثاقه وذمة نبيه وأشهدوا شهوداً من الفريقين جميعاً فانصرف عثمان فدخل دار الإمارة وأمر أصحابه أن يلحقوا بمنازلهم ويضعوا سلاحهم وافترق الناس وكتموا ما في أنفسهم غير بني عبد القيس فانهم أظهروا نصرة علي وكان حكيم بن جبل رئيسهم فاجتمعوا اليه فقال لهم: يامعشر عبد القيس ان عثمان ابن حنيف دمه مضمون وأمانته مؤداة وأيم الله لو لم يكن عليّ أميراً لمنعناه لمكانته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف وله الولاية والجوار فاشخصوا بانصاركم وجاهدوا العدوّ فاما ان تموتوا كراماً وإما ان تعيشوا أحراراً فمكث عثمان ابن حنيف في الدار اياماً ثم ان طلحة والزبير ومروان ابن

الحكم أتوه نصف الليل في جماعة معهم في ليلة مظلمة سوداء مطيرة وعثمان نائم فقتلوا أربعين رجلا من الحرس فخرج عثمان بن حنيف فشد عليه مروان فأسره وقتل أصحابه فأخذه مروان فنتف لحيته ورأسه وحاجبيه فنظر عثمان بن حنيف الى مروان فقال أما انك إن فتني بها في الدنيا لم تفتني بها في الآخرة.

﴿ تعبئة الفئتين للقتال ﴾

وذكروا انه لما تعبأ القوم للقتال فكانت الحرب للزبير وعلى الخيل طلحة وعلى الرجّالة عبد الله بن الزبير وعلى القلب محمد بن طلحة وعلى المقدمة مروان وعلى رجال الميمنة عبد الرحمن بن عبادة وعلى الميسرة هلال بن وكيع فلما فرغ الزبير من التعبئة قال: أيها الناس وطنوا أنفسكم على الصبر فانه يلقاكم غداً رجل لا مثل له في الحرب ولا شبيه ومعه شجعان الناس فلما بلغ عليا تعبئة القوم عبأ الناس للقتال فاستعمل على المقدمة عبد الله ابن عباس وعلى الساقة هند المرادي وعلى جميع الخيل عمار بن ياسر وعلى جميع الرجالة محمد بن أبي بكر ثم كتب الى طلحة والزبير: أما بعد فقد علمتما اني لم أرد الناس حتى أرادوني ولم أبايعهم حتى بايعوني وانكما لممن أراد وبايع وان العامة لم تبايعني لسلطان

خاص فان كنتما بايعتماني كارهين فقد جعلتما لي عليكما السبيل باظهاركما الطاعة وإسراركما المعصية وان كنتما بايعتماني طائعين فارجعا الى الله من قريب . انت يازبير لفارس رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريّه وانك ياطلحة لشيخ المهاجرين وان دفاعكما هذا الأمر قبل ان تدخلا فيه كان أوسع عليكما من خروجكما منه بعد إقراركما به وقد زعمتما اني قتلت عثمان فبيني وبينكما فيه بعض من تخلف عني وعنكما من أهـل المدينة وزعمتما اني آويت قتلة عثمان فهؤلاء بنو عثمان فليدخلوا في طاعتي ثم يخاصموا اليّ قتلة أبيهم وما أنتما وعثمان ان كان قتل ظالماً أو مظلوماً وقد بايعتماني وأنتما بين خصلتين قبيحتين نكث بيعتكما واخراجكما أمكما . وكتب الى عائشة : أما بعد فانك خرجت غاضبة لله ولرسوله تطلبين أمراً كان عنك موضوعاً ما بال النساء والحرب والاصلاح بين الناس تطلبين بدم عثمان ولعمري لمن عرضك للبلاء وحملك على المعصية أعظم اليك ذنباً من قتلة عثمان وما غضبت حتى أغضبت وما هجت حتى هيجت فاتقي الله وارجـعي الى بيتك . فاجابه طلحة والزبير انك سرت مسيراً له ما بعده ولست راجعاً وفي نفسك منه

حاجة فامض لامرك أما أنت فلست راضياً دون دخولنا في طاعتك ولسنا بداخلين فيها أبداً فاقض ما أنت قاض .
وكتبت عائشة: جلّ الأمر عن العتاب والسلام. قال ورجعت رسل علي من البصرة فمنهم من اجابه واتاه ومنهم من لحق بعائشة وطلحة والزبير وبعث الاحنف بن قيس الى عليّ: ان شئت أتيتك في مائتي رجل من أهل بيتي وان شئت كففت عنك أربعة آلاف سيف فأرسل اليه علي بل كف عني أربعة آلاف سيف وكفى بذلك ناصراً . فجمع الاحنف بني تميم فقال: يا معشر بني تميم ان ظهر أهل البصرة فهم اخوانكم وان ظهر علي فلن يهيجكم وكنتم قد سلمتم. فكف بنو تميم ولم يخرجوا الى احد الفريقين . قال ولما كتب علي الى طلحة والزبير أتى زمعة ابن الاسود الى طلحة والزبير فقال لهما ان علياً قد أكثر اليكما الرسل كأنه طمع فيكما وأطمعتماه في أنفسكما فاتقيا الله ان كنتما بايعتماه طائعين واتقيا الله علينا وعلى أنفسكما فان اللبن في الضرع ومتى يحلب لا يرجع وان كنتما بايعتماه مكرهين فاخرقا هذا الوطب وادفعا هذا اللبن فما أغنانا عن هذه الكتب والرسل. قال فخرج طلحة والزبير وعائشة وهي على جمل عليه

هودج قد ضرب عليه صفائح الحديد فبرزوا حتى خرجوا من الدور ومن أفنية البصرة فلما تواقفوا للقتال أمر علي منادياً ينادي في أصحابه لا يرمين أحد سهماً ولا حجراً ولا يطعن برمح حتى اعذر الى القوم فأتخذ عليهم الحجة البالغة . قال فكلم علي طلحة والزبير قبل القتال فقال لهما استحلفا عائشة بحق الله وبحق رسوله عليها اربع خصال ان تصدق فيها : هل تعلم رجلا من قريش أولى مني بالله ورسوله واسلامي قبل كافة الناس اجمعين وكفايتي رسول الله كفار العرب بسيفي ورمحي وعلى براءتي من دم عثمان وعلى اني لم استكره احداً على بيعة وعلى اني لم اكن احسن قولا في عثمان منكما . فأجابه طلحة جواباً غليظاً ورق له الزبير ثم رجع علي الى اصحابه فقالوا يا امير المؤمنين بم كلمت الرجلين فقال عليٌّ ان شأنهما لمختلف اما الزبير فقاده اللجاج ولن يقاتلكم واما طلحة فسألته عن الحق فأجابني بالباطل ولقيته باليقين ولقيني بالشك فوالله ما نفعه حقي ولا ضرني باطله وهو مقتول غداً في الرعيل الاول . قال ثم خرج علي على بغلة رسول الله الشهباء بين الصفين وهو حاسر فقال ابن الزبير فخرج اليه حتى اذا كانا بين الصفين اعتنق كل واحد

منهما صاحبه وبكيا ثم قال عليّ يا عبد الله ما جاء بك هاهنا قال جئت أطلب دم عثمان. قال علي تطلب دم عثمان قتل الله من قتل عثمان انشدك الله يازبير هل تعلم انك مررت بي وانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متكئ على يدك فسلم عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك الي ثم التفت اليك فقال لك يازبير انك تقاتل عليا وانت له ظالم قال اللهم نعم قال على فعلى م تقاتلني قال الزبير نسيتها والله ولو ذكرتها ما خرجت اليك ولا قاتلتك فانصرف علي الى اصحابه فقالوا يا امير المؤمنين مررت الى رجل في سلاحه وانت حاسر قال علي: أتدرون من الرجل ؟ قالوا لا قال ذلك الزبير بن صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انه قد اعطى الله عهداً انه لا يقاتلكم اني ذكرت له حديثاً قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو ذكرته ما اتيتك . فقالوا الحمد لله يا امير المؤمنين ما كنا نخشى في هذا الحرب غيره ولا نتقي سواه انه لفارس رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريّه ومن عرفت شجاعته وبأسه ومعرفته بالحرب فاذ قد كفاناه الله فلا نمد من سواه الا صرعى حول الهودج.

﴿ رجوع الزبير عن الحرب ﴾

قال وذكروا ان الزبير دخل على عائشة فقال: يا أماه ماشهدت موطناً قط في الشرك ولا في الاسلام الاولي فيه رأى وبصيرة غير هذا الموطن فانه لا رأى لى فيه ولا بصيرة وانى لعلى باطل . قالت عائشة يا أبا عبد الله خفت سيوف بني عبد المطلب فقال أما والله ان سيوف بني عبد المطلب طوال حداد يحملها فتية انجاد ثم قال لابنه عبدالله عليك بحربك أما أنا فراجع الى بيتي فقال له ابنه عبد الله: الآن حين التقت حلقتا البطان واجتمعت الفئتان والله لا نغسل رؤسنا منها فقال الزبير لابنه لا تعد هذا مني جبنا فوالله مافارقت أحداً في جاهلية ولا اسلام قال فما يردك قال يردني ما ان علمته كسرك . فقام بأمر الناس عبدالله بن الزبير.

﴿ قتل الزبير بن العوام ﴾ قال وذكروا ان الزبير لما انصرف راجعاً الى المدينة أتاه ابن جرموز فنزل به فقال يا أبا عبدالله أحييت حرباً ظالماً أو مظلوماً ثم تنصرف اتائب أنت أم عاجز؟ فسكت عنه ثم عاوده فقال له يا أبا عبدالله حدثني عن خصال خمس أسألك عنها فقال هات قال خذلك عثمان وبيعتك علياً واخراجك أم المؤمنين وصلاتك خلف ابنك ورجوعك عن الحرب . فقال الزبير نعم

اخبرك :أما خذلي عثمان فأمر قدّر الله فيه الخطيئة واخر التوبة. واما بيعتي علياً فوالله ماوجدت من ذلك بداً حيث بايعه المهاجرون والانصار وخشيت القتل واما اخراجنا امنا عائشة فأردنا امراً واراد الله غيره واما صلاتي خلف ابني فانما قدمته عائشة ام المؤمنين ولم يكن لي دون صاحبي امر واما رجوعي عن هذا الحرب فظن بي ماشئت غير الجبن فقال ابن جرموز والهفاه على ابن صفية اضرمها ناراً ثم اراد ان يلحق بأهله قتلني الله ان لم اقتله . ثم اتاه فقال له ياابا عبد الله كالمستنصح له: ان دون اهلك فيافي فخذ نجيبي هذا وخل فرسك ودرعك فانهما شاهدتان عليك بما تكره فقال الزبير انظر في ذلك ليلتي ثم الح عليه في فرسه ودرعه فلم يزل حتى اخذهما منه وانما اراد ابن جرموز ان يلقاه حاسراً لما علم بأسه ثم اتى ابن جرموز الاحنف بن قيس فساره بمكان الزبير عنده وبقوله فقال له الاحنف اقتله قتله الله مخادعاً . واتى الزبير رجل من كلب فقال له ياابا عبد الله انت لي صهر وابن جرموز لم يعتزل هذا الحرب مخافة الله ولكنه كره ان يخالف الاحنف وقد ندم (الاحنف) على خذله علياً ولعله ان يتقرب بك اليه وقد اخذ منك

درعك وفرسك وهذا تصديق ما قلت لك فبت عندي الليلة ثم اخرج بعد نومه فانك ان فتهم لم يطلبوك فتهاون بقوله ثم بدا له فقال له فما ترى يا أخا كلب قال أرى ان ترجع الى فرسك ودرعك فتأخذهما فان أحداً من الناس لا يقدم عليك وأنت فارس أبدا فاصبح الزبير عاديا وسار معه ابن جرموز وقد كفر على الدرع فلما انتهى الى وادي السباع استغفله فطعنه ثم رجع برأسه وسلبه الى قومه فقال له رجل من قومه يا ابن جرموز فضحت والله اليمن بأسرها قتلت الزبير رأس المهاجرين وفارس رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه وابن عمته والله لو قتلته في حرب لعز ذلك علينا ولمسنا عارك فكيف في جوارك وذمتك والله ليزيدك عليّ ان يبشرك بالنار فغضب ابن جرموز وقال والله ماقتلته الا له ووالله ما أخاف فيه قصاصاً ولا أرهب فيه قرشياً وان قتله على لهيّن .

﴿ مخاطبة على لطلحة بين الصفين ﴾ قال وذكروا ان علياً نادى طلحة بعد انصراف الزبير فقال له يا أبا محمد ماجاء بك قال أطلب دم عثمان قال على قتل الله من قتله قال طلحة نخل بيننا وبين من قتل عثمان أما تعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال انما يحل دم المؤمن في أربع خصال زان فيرجم أو محارب لله أو مرتد عن الاسلام أو مؤمن يقتل مؤمناً عمداً فهل تعلم ان عثمان أتى شيئاً من ذلك فقال علي لا قال طلحة فأنت أمرت بقتله قال علي اللهم لا قال طلحة فاعتزل هذا الأمر ونجعله شورى بين المسلمين فان رضوا بك دخلت فيما دخل فيه الناس وان رضوا غيرك كنت رجلا من المسلمين قال علي أو لم تبايعني يا أبا محمد طائعاً غير مكره فما كنت لاترك بيعتي قال طلحة بايعتك والسيف على عنقي قال ألم تعلم اني ما أكرهت أحداً على البيعة ولو كنت مكرهاً أحداً لأكرهت سعداً وابن عمر ومحمد بن مسلمة ٠أبوا البيعة واعتزلوا فتركتهم قال طلحة كنا في الشورى ستة فمات أثنان وقد كرهناك ونحن ثلاثة قال علي انما كان لكما أن لا ترضيا قبل الرضى وقبل البيعة وأما الآن فليس لكما غير ما رضيتما به الا ان تخرجا مما بويعت عليه بحدث فان كنت أحدثت حدثاً فسموه لي وأخرجتم أمكم عائشة وتركتم نساءكم فهذا أعظم الحدث منكم أرضىً هذا لرسول الله ان تهتكوا ستراً ضربه عليها وتخرجوها منه فقال طلحة انما جاءت للاصلاح

فقال علي هي لعمر الله الى من يصلح لها أمرها أحوج أيها الشيخ أقبل النصح وارض بالتوبة مع العار قبل أن يكون العار والنار

﴿في التحام الحرب﴾ قال وذكروا انه بينما الناس وقوف اذ رمى رجل من أصحاب علي فجيء به الى علي فقالوا يا أمير المؤمنين هذا أخونا قد قتل فقال علي أعذروا الى القوم فقال عبد الرحمن بن أبي بكر الى متى قدو الله أعذرنا وأعذرت ان كنت تريد الاعذار والله لتأذنن لنا في لقاء القوم أو لننصرفن . الى متى نستهدف نحورنا للقتال والسلاح يقتلوننا رجلا رجلا فقال علي قدو الله أرانا أعذرنا أين محمد ابني فقال ها أنا ذا فقال أي بني خذ الراية فابتدر الحسن والحسين ليأخذاها فأخرهما عنها وكان علي يؤخرهما شفقة عليهما فأخذ محمد الراية ثم قام علي فركب بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دعا بدرع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبسها ثم قال أحزموني فحزم بعمامة أسفل من سرته ثم خرج وكان عظيم البطن فقال لابنه تقدم وتضعضع الناس حين سمعوا به قد تحرك فبينماهم كذلك اذ سمعوا صوتا فقال علي ماهذا فقيل عائشة تلعن قتلة عثمان فقال علي ورفع بصره الى السماء لعن الله قتلة عثمان في السهل والجبل .

وقد كان عليّ عبأ الناس أثلاثا فجعل مضر قلب العسكر واليمن ميمنته وربيعة ميسرته وعبأ أهل البصرة مثل ذلك فاقتتل القوم قتالا شديداً فهزمت يمن البصرة يمن علي وهزمت ربيعة البصرة ربيعة علي قال حية بن جهين نظرت الى علي وهو يخفق نعاساً فقلت له تالله ما رأيت كاليوم قط ان بازائنا لمائة الف سيف وقد هزمت ميمنتك وميسرتك وأنت تخفق نعاسا فانتبه ورفع يديه وقال اللهم انك تعلم اني ما كتبت في عثمان سواداً في بياض وان الزبير وطلحة ألبا وأجلبا على الناس اللهم أولانا بدم عثمان نخذه اليوم . ثم تقدم علي فنظر الى أصحابه يهزمون ويقتلون فلما نظر الى ذلك صاح بابنه محمد ومعه الراية ان اقتحم فأبطأ وثبت فأتى على من خلفه فضربه بين كتفيه وأخذ الراية من يده ثم حمل فدخل عسكرهم وإن الميمنتين والميسرتين تضطربان في احداهما عمار وفي الاخرى عبد الله بن عباس ومحمد بن أبي بكر قال فشق علي في عسكر القوم يطعن ويقتل ثم خرج وهو يقول الماء الماء فأتاه رجل بأداوة فيها عسل فقال له ياأمير المؤمنين أما الماء فانه لايصلح لك في هذا المقام ولكن أذوقك هذا العسل

فقال هات لحسا منـه حسوة ثم قال ان عـلك لطائفي قال الرجل لعجبا منك والله يا أمير المؤمنين لمعرفتك الطائفي من غيره في هذا اليوم وقـد بلغت القلوب الحناجر فقال له علي انه والله يابن أخي ماملأ صدر عمك شيء قط ولا هابه شيء ثم أعطي الراية لابنـه وقال هكذا فاصنع فتقدم محمـد بالراية ومعه الانصار حتى انتهى الى الجمـل والهودج وهزم مايليـه فاقتتل الناس ذلك اليوم قتالا شـديداً حتى كانت الواقعـة والضرب على الركب وحمل الاشتر النخعي وهو يريد عائشة فلقيه عبد الله بن الزبير فضربه الاشتر واعتنقه عبد الله فصرعه وقعد على صدره ثم نادي عبد الله: اقتلوني ومالكا . فلم يدر الناس من مالك[١] فانفلت الاشترمنه فلما رأى كعب بن سور الهزيمة أخذ بخطام البعير ونادى أيها الناس الله الله فقاتل وقاتل الناس معـه وعطفت الازد على الهودج وأقبـل علي وعمـار والاشتر والانصار معهم يريدون الجمل فاقتتل القوم حوله حتى حال بينهم الليـل وكانوا كذلك يروحون ويغدون على القتال.

---

(١) انما كان يعرف بالاشتر ولو علموه لقتلوه . ويروى ان الزبير كان يقول:

اقتلوني وما لكا   واقتلوا مالكا معي

سبعة أيام وان علياً خرج اليهم بعد سبعة أيام فهزمهم فلما رأى
طلحة ذلك رفع يديه الى السماء وقال اللهم ان كنا قد داهنا في
أمر عثمان وظلمناه فخذله اليوم منا حتى ترضى. قال فما مضى
كلامه حتى ضربه مروان ضربة أتى منها على نفسه فخر وثبتت
عائشة وحماها مروان في عصابة من قيس ومن كنانة وبنى
أسد فأحدق بهم علي بن أبي طالب ومال الناس الى علي وكلما
وثب رجل يريد الجمل ضربه مروان بالسيف وقطع يده حتى
قطع نحو عشرين يداً من أهل المدينة والحجاز والكوفة حتى
أوتي مروان من خلفه فضرب ضربة فوقع وعرقب الجمل
الذي عليه عائشة وانهزم الناس وأسرت عائشة وأسر مروان
ابن الحكم وعمرو بن عثمان وموسى بن طلحة وعمرو بن سعيد
ابن العاصى فقال عمار لعلي ياأمير المؤمنين أقتل هؤلاء الاسرى
فقال على لاأقتل أسير أهل القبلة اذا رجع ونزع فدعا علي
بموسى بن طلحة فقال الناس هذا أول قتيل يقتل فلما أتى به
علي قال تبايع وتدخل فيما دخل فيه الناس قال نعم فبايع
وبايعوا الجميع وخلى سبياهم وسأل الناس علياً ما كان عرض
عليهم قبل ذلك فأعطاه ثم أمر المنادي فنادى لايقتلنّ مدبر

ولا يجهز على جريح ولكم مافي عسكرهم وعلى نسائهم العدة
وما كان لهم من مال في أهليهم فهو ميراث على فرائض الله
فقام رجل فقال ياأمير المؤمنين كيف تحل لنا أموالهم ولا
تحل لنا نساؤهم ولا أبناؤهم فقال لايحل ذلك لكم فلما أكثروا
عليه في ذلك قال اقترعوا هاتوا بسهامكم ثم قال ايكم يأخذ أمكم
عائشة في سهمه فقالوا نستغفر الله فقال وأنا أستغفر الله قال
ثم ان عليا مر بالقتلى فنظر الى محمد بن طلحة وهو صريع في
القتلى وكان يسمى السجاد لما بين عينيه من أثر السجود
فقال: رحمك الله يامحمد لقد كنت في العبادة مجتهداً آناء الليل
قواماً وفي الحرور صواماً ثم التفت الى من حوله فقال هذا
رجل قتله برّ أبيه فاختلفوا في طلحة وابنه محمد أيهما قتل قبل
فشهدت عائشة لمحمد انها رأته بعد قتل أبيه فورثوا ولده في
مال طلحة . قال وأتى محمد بن أبي بكر فدخل على أخته عائشة
رضي الله عنها قال لها أما سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم : يقول : عليّ مع الحق والحق مع علي ثم خرجت تقاتلينه
بدم عثمان . ثم دخل عليهما علي فسلم وقال ياصاحبة الهودج
قد أمرك الله ان تقعدى في بيتك ثم خرجت تقاتلين

أتر تحلي قالت أرتحـل فبعث معها علي رضي الله عنه أربعين امرأة وأمرهن ان يلبسن العمائم ويتقلدن السيوف وأن يكنّ من الذين يلينها ولا تطلع على انهن نساء فجعلت عائشـة تقول في الطريق فعل الله في ابن أبي طالب وفعل بعث معي الرجال فلما قدمن المدينة وضعن العمائم والسيوف ودخلن عليها فقالت جزى الله ابن أبي طالب الجنة . قال ودفن طلحة في ساحة البصرة فأتى عائشة في المنام فقال حوّليني من مكاني فان البرد قد أذاني لخولتـه . وقال عبد الله بن الزبير أمسيت يوم الجمل وفيّ بضع وثلاثون بين ضربة وطعنة وما رأيت مثل يوم الجمل قط ماينهزم منا أحد ولا يأخذ أحد منا بخطام الجمل الا قتل أو قطعت يده حتى ضاع الخطام من يد بني ضبة فعقر الجمل . قال دخل موسى بن طلحة على علي فقال له علي : إني لأرجو ان أكون أنا وأبوك ممن قال الله فيهم « ونَزَعْنامافي صُدُورهم من غلٍّ إخـواناً على سُرُرٍ متقابلـين » وامسى علي بالبصرة ذلك اليوم الذي أتاه فيه موسى بن طلحـة فقال ابن الـكواء أمسيت بالبصرة ياأمـير المؤمنين فقال كان عندي ابن أخي قال ومَن هو قال موسى بن طلحة فقال ابن الـكواء لقد شقينا

ان كان ابن أخيك . فقال علي ويحك ان الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم . ثم قال ابن الكواء يا أمير المؤمنين من أخبرك بمسيرك هذا الذي سرت فيه تضرب الناس بعضهم ببعض وتستولى بالامر عليهم أرأي رأيته حين تفرقت الأمة واختلفت الدعوة فرأيت انك أحق بهذا الامر منهم لقرابتك فان كان رأياً رأيته أجبناك فيه وان كان عهداً عهده اليك رسول الله فانت الموثوق به المأمون على رسول الله فيه حدثت عنه فقال علي أنا أول من صدقه فلا أكون أول من كذب عليه أما أن يكون عندي عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا والله ولكن لما قتل الناس عثمان نظرت في أمري فاذا الخليفتان اللذان أخذاها من رسول الله قد هلكا ولا عهد لهما واذا الخليفة الذي أخذها بمشورة المسلمين قد قتل وخرجت ربقته من عنقي لانه قتل ولا عهد له . قال ابن الكواء صدقت وبررت ولكن مابال طلحة والزبير و استحللت قتالهما وقد شاركاك في الهجرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الشورى مع عمر بن الخطاب؟ قال علي: بايعا بالحجاز ثم خالفاني بالعراق فقاتلتهما على خلافهما ولو فعلا ذلك

مع أبي بكر وعمر لقاتلاهما .

﴿ مبايعة أهل الشام بالخلافة معاوية ﴾ قال وذكروا ان النعمان بن بشير لما قدم على معاوية بكتاب زوجة عثمان تذكر فيه دخول القوم عليه وماصنع محمد بن أبي بكر من نتف لحيته في كتاب قد رققت فيه وأبلغت حتى اذا سمعه السامع بكي حتى يتصدع قلبه وبقميص عثمان مخضباً بالدم ممزقا وعقدت شعر لحيته في زرّ القميص . قال فصعد المنبر معاوية بالشام وجمع الناس ونشر عليهم القميص وذكر ماصنعوا بعثمان فبكى الناس وشهقوا حتى كادت نفوسهم أن تزهق ثم دعاهم الى الطلب بدمه فقام اليه أهل الشام فقالوا هو ابن عمك وانت وليّه ونحن الطالبون معك بدمه فبايعوه أميراً عليهم وكتب وبعث الرسل الى كور الشام وكتب الى شرحبيل بن السمط الكندي وهو بحمص يأمره ان يبايع له بحمص كما بايع أهل الشام فلما قرأ شرحبيل كتاب معاوية دعا أناساً من أشراف أهل حمص فقال لهم ليس من قتل عثمان بأعظم جرماً ممن يبايع لمعاوية أميراً وهذه سقطة ولكنا نبايع له بالخلافة ولا نطلب بدم عثمان مع غير خليفة . فبايع لمعاوية بالخلافة هو وأهل حمص

ثم كتب الى معاوية : أما بعد فانك أخطأت خطأً عظيماً حين كتبت الى أن أبايع لك بالامرة وانك تريد أن تطالب بدم الخليفة المظلوم وأنت غير خليفة وقد بايعتُ ومن قبلي لك بالخلافة . فلما قرأ معاوية كتابه سرّه ذلك ودعا الناس وصعد المنبر وأخبرهم بما قال شرحبيل ودعاهم الى بيعته بالخلافة فأجابوه ولم يختلف منهم أحد فلما بايع القوم له بالخلافة واستقام له الامر كتب الى علي: سلام الله على من اتبع الهدى أما بعد فانا كنا نحن وإيا كم يداً جامعة والفة اليفة حتى طمعت يا ابن أبي طالب فتغيرت وأصبحت تعد نفسك قوياً على من عاداك بطغام أهل الحجاز وأوباش أهل العراق وحمقى الفسطاط وغوغاء السواد وأيم الله لينجلين عنك حمقاها ولينقشعنّ عنك غوغاؤها انقشاع السحاب عن السماء . قتلت عثمان بن عفان ورقيت سلماً أطلعك الله عليه مطلع سوء عليك لا لك . وقتلت الزبير وطلحة وشرّدت أمك عائشة ونزلت بين المصرين فمنيت وتمنيت وخيل لك ان الدنيا قد سخرت لك بخيلها ورجلها وانما تعرف أمنيتك لو قد زرتك في المهاجرين من أهل الشام بقية الاسلام فيحيطون بك من ورائك ثم يقضي الله علمه

فيك والسلام على أولياء الله . فأجابه علي : أما بعد فقدّر الامور تقدير من ينظر لنفسه دون جنده ولا يشتغل بالهزل من قوله فلعمري لئن كانت قوتي بأهل العراق أوثق عندي من قوتي بالله ومعونتي به ليس عند الله تعالى يقين من كان على هذا فناج نفسك مناجاة من يستغنى بالجد دون الهزل فان في القول سعة ولن يعذر مثلك فيما طمح اليه الرجال . وأما ما ذكرت من انا كنا واياكم يداً جامعة وكنا كما ذكرت ففرق بيننا وبينكم ان الله بعث رسوله منا فآمنابه وكفرتم . ثم زعمت اني قتلت طلحة والزبير فذلك أمر غبت عنه ولم تحضره ولو حضرته لعلمته فلا عليك ولا العذر فيه اليك وزعمت انك زائرى في المهاجرين وقد انقطعت الهجرة حين أسر أبوك فان يك فيك عجل فاستبقه وإن أزرك فجدير أن يكون الله بعثني عليك للنقمة منك والسلام .

﴿ قدوم عقيل بن أبي طالب على معاوية ﴾ قال وذكروا ان عقيل بن أبي طالب قدم على أخيه عليّ بالكوفة فقال له علي مرحباً بك وأهلاً ما أقدمك يا أخي قال تأخر العطاء عنا وغلا السعر ببلدنا وركبني دين عظيم فجئت لتصلني فقال علي والله مالى مما ترى شيئاً

الا عطائي فاذا خرج فهولك فقال عقيل وانما شخوصي من الحجاز اليك من أجل عطائك وما ذا يبلغ مني عطاؤك وما يدفع من حاجتي؟ فقال علي هل فمه تعلم لي مالا غيره أم تريد أن يحرقني الله في نار جهنم في صلتك بأموال المسلمين ؟فقال عقيل والله لأخرجن الى رجل هو أوصل لي منك «يريدمعاوية» فقال له علي راشداً مهدياً . فخرج عقيل حتى أتى معاوية فلما قدم عليه قال له معاوية مرحباً وأهلا بك يا ابن أبي طالب ما أقدمك علي فقال قدمت عليك لدين عظيم ركبني فخرجت الى أخي ليصلني فزعم انه ليس له مما يلي الا عطاؤه فلم يقع ذلك مني موقعاً ولم يسد مني مسداً فأخبرته اني سأخرج الى رجل هو أوصل منه لي فجئتك . فازداد معاوية فيه رغبة وقال يا أهل الشام هـذا سيد قريش وابن سيدها عرف الذي فيه أخوه من الغواية والضلالة فأثاب الى أهل الدعاء الى الحق ولكني أزعم ان جميع ما تحت يدي لي فما أعطيت فقربة الى الله وما أمسكت فلا جناح علي فيه . فأغضب كلامه عقيلا لما سمعه ينتقص أخاه فقال: صدقت خرجت من عند أخي على هذا القول وقد عرفت من في عسكره لم أفقد والله رجلا من المهاجرين والانصار ولا

والله مارأيت في عسكر معاوية رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . فقال معاوية عند ذلك ياأهل الشام أعظم الناس من قريش عليكم حقاً ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وسيد قريش وهاهو ذا تبرأ الى الله مما عمل به أخوه . قال وأمر له معاوية بثلثمائة الف دينار قال له هذه مائة الف تقضي بها ديونك ومائة ألف تصل بها رحمك ومائة ألف توسع بها على نفسك .

﴿ نعي عثمان بن عفان الى معاوية ﴾ قال عبدالله بن مسلم وذكر ابن عفير عن عون بن عبد الله بن عبد الرحمن الانصاري قال قدم الحجاج بن خزيمة الشام بكتاب معاوية بعد قتل عثمان بأيام فقال له أتعرفني قال نعم أنت الحجاج بن خزيمة فما وراءك فقال الحجاج انا النذير العريان أنعى اليك أمير المؤمنين عثمان ثم قال اني كنت ممن خرج معيناً لعثمان مع يزيد بن أسد فتقدمت الى الربذة فلقينا بها رجلا حدثنا عن قتل عثمان وزعم انه ممن قتله فقتلناه واني أخبرك يامعاوية انك تقوي على علي بدون مايقوي به عليك لأن من معك لايقولون اذا قلت ولا يسألون اذا أمرت ولأن من مع علي يقولون اذا قال ويسألون اذا أمر فقليلٌ ممن معك خير من

كثير ممن معه. واعلم ان علياً لايرضيه الا الرضى وان رضاه يسخطك ولست وعلى بالسواء لايرضى علي بالعراق دون الشام ورضاؤك بالشام دون العراق. قال وذكروا انه لما فرغ من وقعة الجمل بايع له القوم جميعا وبايع له أهل العراق واستقام له الامر بها كتب الى معاوية : أما بعد فان القضاء السابق والقدر النافذ ينزل من السماء كقطر المطر فتمضى أحكامه عز وجل وتنفذ مشيئته بغير تحاب المخلوقين ولا رضا الآدميين وقد بلغك ما كان من قتل عثمان رحمه الله وبيعة الناس عامة اياى ومصارع الناكثين لي فادخل فيما دخل الناس فيه والا فأنا الذي عرفت وحولي من تعلمه والسلام. فلما قدم على معاوية كتاب علي مع الحجاج بن عدي الانصاري الفاه وهو يخطب الناس بدمشق فلما قرأه اغتم بذلك وأعظمه وأسره عن أهل الشام ثم قام الحجاج بن عدي خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أهل الشام ان أمر عثمان أشكل على من حضره المخبر عنه كالأعمى والسميع كالأصم عابه قوم فقتلوه وغدره قوم فلم ينصروه فكذبوا الغائب واتهموا الشاهد وقد بايع الناس علياً على منبر رسول الله صلى الله عليه

وسلم بيعة عامة من رغب عنها رد اليها صاغراً داحراً فانظروا في ثلاث وثلاث ثم اقضوا على أنفسكم :اين الشام من الحجاز واين معاوية من على وأين أنتم من المهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان. قال فغضب معاوية لقوله وقال ياحجاج أنت صاحب زيد بن ثابت يوم الدار قال نعم فان كان بلغك والا أحدثك قال هات قال: أشرف علينا زيد بن ثابت وكان مع عثمان في الدار وقال يامعشر الانصار انصروا الله مرتين فقلت يازيد انا نكره ان نلقى الله فنقول كما قال القوم « رَبَّنا إنا أطعْنا سادَاتِنا وكبراءَنا فأَضَلُّونا السبيل » فقال معاوية انصرف الى علي وأعلمه ان رسولي علي أثرك ثم ان معاوية انتخب رجلا من عبس وكان له لسان فكتب معاوية الى علي كتاباً عنوانه :من معاوية الى علي وداخله: بسم الله الرحمن الرحيم : لاغير . فلما قدم الرسول دفع الكتاب الى علي فعرف علي ما فيه وان معاوية محارب له وانه لايجيبه الى شيء مما يريد وقام رسول معاوية خطيباً فحمد الله واثنى عليه ثم قال هل ههنا أحد من أبناء قيس غيلان وبني عبس ذبيان قالوا نعم هم حولك قال فاسمعوا ما أقول لكم: يامعشر قيس اني أحلف بالله لقد خلفت بالشام

خمسين الف شيخ خاضبين لحاهم من دموع أعينهم تحت قميص عثمان رافعيه على الرماح مخضوباً بدمائه قد أعطوا الله عهداً أن لا يغمدوا سيوفهم ولا يغمضوا جفونهم حتى يقتلوا قتلة عثمان يوصى به الميت الحي ويرثه الحي من الميت حتى والله نشأ عليه الصبي وهاجر عليه الاعرابي وترك القوم تعس الشيطان وقالوا تعساً لقتلة عثمان وأحلف بالله ليأتينكم من خضر الخيل أثنا عشر الفاً فانظروا كم الشهب وغيرها . فقال له علي ما يريدون بذلك قال يريدون بذلك والله خبط رقبتك فقال علي تربت يداك (١) وكذب فوك أما والله لو أن رسولاً قتل لقتلتك فقام الصلت بن زفر : فقال : ليس وافد أهل الشام انت ورائد أهل العراق ونعم العون لعلي وبئس العون لمعاوية يا أخا عبس أتخوف المهاجرين والانصار بخضر الخيل وغضب الرجال أما والله ما نخاف غضب رجالك ولا خضر خيلك فأما بكاء أهل الشام على قميص عثمان فوالله ماهو بقميص يوسف ولا بحزن يعقوب ولئن بكوا عليه بالشام لقد خذلوه بالحجاز وأما قتالهم

---

(١) ترب الرجل اذا افتقر وقل ماله . وقوله هنا تربت يداك هو على الدعاء . أي لا أصاب خيراً .

عليا فان الله يصنع في ذلك ما أحب. قال وان العبسي أقام بالعراق عند علي حتى اتهمه معاوية ولقيه المهاجرون والانصار فأشربوه حب علي وحدثوه عن فضائله حتى شك في أمره ..

﴿ قدوم ابن عم عديّ بن حاتم الشام ﴾

قال وذكروا ان عدي بن حاتم قدم الى على بالكوفة قبل أن يسير الى البصرة فقال يا أمير المؤمنين لسنا نخاف أحداً الا معاوية وعندي رجل من قومي يريد أن يزور ابن عم له بالشام يقال له حابس بن سعد فلو أمرناه أن يلقى معاوية لعله أن يكسره ويكسر أهل الشام فقال له علي افعل فأغروه بذلك فلما قدم علي ابن عمه وكان سيد طئ بالشام سأله فأخبره انه شهد قتل عثمان بالمدينة المنورة وسار مع علي الى الكوفة وكان له لسان وهيبة فغدا به حابس الى معاوية فقال هذا ابن عمي قدم من الكوفة وكان مع على وشهد قتل عثمان بالمدينة وهو ثقة فقال له معاوية حدثنا عن أمر عثمان قال نعم: وليه محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر وتجرد في أمره ثلاث نفر عدي بن حاتم والاشتر النخعي وعمرو ابن الحصين ودب في أمره رجلان طلحة والزبير وأبرأ

الناس منه علي بن أبي طالب ثم تهافت الناس على علي بالبيعة تهافت الفراش حتى ضلت النعل وسقط الرداء ووطيء الشيخ. ولم يذكر عثمان ولم يذكروه ثم تهيأ للمسير فخف معه المهاجرون والانصار وكره القتال معه ثلاث نفر عبد الله بن عمر وسعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة فلم يستكره أحداً واستغنى بمن خف عمن ثقل ثم سار حتى انتهى الى جبل طيء فأتاه منهم جماعة عظيمة حتى اذا كان في بعض الطريق أتاه مسير طلحة والزبير وعائشة الى البصرة فسرح رسله الى الكوفة فأجابوا دعوته ثم قدمها فحملوا اليه الصبي ودبت اليه العجوز وخرجت اليه العروس فرحاً به وسروراً وشوقا اليه ثم سار الى البصرة فبرز اليه القوم طلحة والزبير وأصحابهما فلم يلبثوا الا يسيراً حتى صرعهم الله وأبرزهم الى مضاجعهم ثم صارت البصرة وما حولها في كفه قال وتركته وليس له همّ الا أنت والشام. فانكسر معاوية لقوله وقال والله ما أظنه الا عينا لعلي اخرجوه لا يفسد أهل الشام ثم قال معاوية وكيف لا يضيع عثمان ويقتل وقد خذله أهل ثقاته وأجمعوا عليه أما والله لئن بقينا لهم لندرسنهم درس الجمال هشيمَ اليبيس.

﴿ استعمال عليّ عبدَ الله بن عباس على البصرة ﴾ قال وذكروا ان علياً لما صار من البصرة بعد فراغه من أصحاب الجمل استعمل عليها عبد الله بن عباس وقال له : أوصيك بتقوي الله عز وجل والعدل على من ولاك الله أمره اتسع للناس بوجهك وعلمك وحكمك واياك والإحَن فانها تميت القلب والحق واعلم ان ماقربك من الله بعدك من النار وما قربك من النار بعدك من الله . اذكر الله كثيراً ولا تكن من الغافلين . فلم يلبث علي حين قدم الكوفة وأراد المسير الى الشام ان انضم اليه ابن عباس واستعمل على البصرة زياد بن أبي سفيان .

﴿ ما أشار به الاحنف بن قيس على علي ﴾ قال وذكروا ان الاحنف بن قيس قام الى علي: فقال : ياأمير المؤمنين انه ان يك بنو سعد لم ينصروك يوم الجمل فلن ينصروا عليك غيرك وقد عجبوا ممن نصرك يومئذ وعجبوا اليوم ممن خذلك لانهم شكوا في طلحة والزبير ولم يشكوا في عمر ومعاوية وان عشيرتنا بالبصرة فلو بعثنا اليهم فقدموا علينا فقاتلنا بهم العدو وانتصفنا بهم من الناس وأدركوا اليوم مافاتهم أمس . وهذا جمع قد حشره الله عليك بالتقوى لم نستكره شاخصا ولم نشخص

فيه مقيما ومن كان معك نافعك ورب مقيم خير من شاخص . وانما نشوب الرجاء بالمخافة ووالله لوددنا ان أمواتنا رجعوا الينا فاستعنا بهم على عدوّنا وليس لك الا من كان معك ولنا من قومنا عدد ولا نلقى بهم عدواً أعدى من معاوية ولا نسد بهم ثغراً أشد من الشام .

﴿ كتاب الاحنف الى قومه يدعوهم به الى نصرة علي ﴾ قال وذكروا ان عليا قال للأحنف بن قيس اكتب الى قومك قال نعم فكتب الاحنف الى بني سعد : أما بعد فانه لم يبق أحد من بنى تميم الا وقد شقوا برأى سيدهم غيركم وعصمكم الله برأيي حتى نلتم مارجوتم وأمنتم مما خفتم فاصبحتم منقطعين من أهل البلاء لاحقين بأهل العافية واني أخبركم أنا قدمنا على تميم بالكوفة فأخذوا علينا بفضلهم مرتين مسيرهم الينا مع علي وتهيؤهم للمسير الى الشام ثم انحشرنا معهم فصرنا كأنا لا نعرف الا بهم فأقبلوا الينا ولا تتكلوا علينا فان لهم أعدادنا من رؤسائهم فلا تبطأوا عنا فان من تأخير العطاء حرماناً ومن تأخير النصر خذلاناً . فحرمان العطاء القلة وخذلان النصر الابطاء . ولا تقضى الحقوق الا بالرضى وقد يرضى المضطر بدون الامل .

فلما انتهى كتاب الاحنف الى بني سعد ساروا بجماعتهم حتى نزلوا الكوفة .

﴿ كتاب أهل العراق الى مصقلة ﴾ قال وذكروا انه قام الى علي بعد انصرافه من البصرة الى الكوفة وجوه بكر ابن وائل فقالوا ياأمير المؤمنين إن نعيماً أخا مصقلة يستحي منك لما صنع مصقلة وقد أتانا اليقين انه لا يمنع مصقلة من الرجوع اليك الا الحياء ولم يبسط منذ فارقنا لسانه ولا يده فلو كتبنا اليه كتابا وبعثنا من قبلنا رسولا فانا نستحي ان يكون فارقنا مثل مصقلة من أهل العراق الى معاوية . فقال علي اكتبوا فكتبوا : أما بعد فقد علمنا انك لم تلحق بمعاوية رضى بدينه ولا رغبة في دنياه ولم يعطفك عن علي طعن فيه ولا رغبة عنه ولكن توسطت أمراً فقويت فيه الظن وأضعفت فيه الرجاء فكان أولاهما عندك أن قلت أفوز بالمال وألحق بمعاوية ولعمرنا ما استبدلت الشام بالعراق ولا السكاسك بربيعة ولا معاوية بعلي ولا أصبت دنيا تهنأ بها ولا حظاً تحسد عليه وان أقرب ماتكون مع الله أبعد ما تكون مع معاوية فارجع الى مصرك فقد اغتفر أمير المؤمنين الذنب واحتمل الثقل واعلم

ان رجعتك اليوم خير منها غداً وكانت أمس خيراً منها اليوم وان كان عليك حياء من أبي الحسن فما أنت فيه أعظم فقبح الله أمراً ليس فيه دنيا ولا آخرة. فلما انتهى كتابهم الى مصقلة وكان لرسولهم عقل ولسان فقال الرسول: يامصقلة انظر فيما خرجت منه وفيما صرت اليه وانظر من أخذت ومن تركت وانظر من جاورت ومن زايلت ثم اقضى بعقلك دون هواك. قال وان مصقلة مضى الى معاوية بالكتاب فأقرأه اياه فقال معاوية: يامصقلة انك عندي غير ظنين فاذا أتاك شيء فاستره عني فانصرف مصقلة الى منزله فدعا الرسول فقال: يا أخا بكر انما هربت بنفسي من علي ولا والله ما يطول لساني بغيبته ولا قلت فيه قط حرفاً بسوء اذهب بكتابي هذا الى قومي.

﴿جواب مصقلة الى قومه﴾ قال وذكروا ان مصقلة كتب الى قومه: اما بعد فقد جاءني كتابكم واني أخبركم انه من لم ينفعه القليل لم ينفعه الكثير وقد علمتم الأمر الذي قطعني من علي وأضافني الى معاوية وقد علمت اني لو رجعت الى عليّ واليكم لكان ذنبي مغفوراً ولكني أذنبت الى علي وصحبت معاوية فلو رجعت الى علي أحدثت عيباً وأحييت عاراً وكنت

بين لائمين أولهما خيانة وآخرهما غـدر ولـكني أقيم بالشام فان غاب معاوية فداري العراق وان غاب علي فداري أرض الروم فأما الهوى فاليكم طائر وكانت فُرقتي علياً على بعض العذر أحب اليّ من فرقتي معاوية ولا عذر لي. ثم قال للرسول يا ابن أخي استعرض الناس عن قولي في عليّ فقال قد سألت فقالوا خيراً قال فاني والله عليه حتى أموت. فرجع الرسول بالكتاب فأقرأه عليا فقال كفوا عن صاحبكم فليس براجع حتى يموت فقال حصين أما والله ما به الا الحياء.

﴿ لحوق عبد الله بن عامر بالشام ﴾ قال وذكروا ان عبد الله بن عامر لحق بالشام ولم يأت معاوية وخاف يوما كيوم الجمل فبعث اليه معاوية أن يأتيه وألح عليه فكتب ابن عامر: أما بعد فاني أخبرك اني أقحمت طلحة والزبير الى البصرة وأنا أقول اذا رأى الناس أم المؤمنين مالوا اليهـا وإن فرّ الناس لم يفر الزبير وإن غـدر الناس لم يغدر مروان فغضبت عائشة ورجع الزبير وقتل مروان طلحة وذهب مالي بما فيه والناس أشباه واليوم كامس فان أتبعتني هواي والا ارتحل عنك والسلام. فكتب معاوية اليه: أما بعد فانك قلدت أمر دينك قتلة عثمان

وأنفقت مالك لعبد الله بن الزبير وأثرت العراق على الشام فأخرجك الله من الحرب صفر اليدين ليس لك حظ الحق ولا ثار القتيل. فلما انتهى كتابه الى ابن عامر أتاه فغمس يده معه وبايعه فلاطفه معاوية وعرف له قرابته من عثمان.

﴿ ما أشار به عمار بن ياسر على علي ﴾ قال وذكروا ان عمار بن ياسر قام الى علي :فقال: يا أمير المؤمنين انما بايعناك ولا نري أحداً يقاتلك فقاتلك من بايعك وأعطاك الله فيهم ماوعد في قوله جلّ وعزّ «ومَنْ بغى عليه لَيَنْصُرَنَّه الله» وقوله «يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم» وقوله « ومن نكث فإنما يَنكث على نفسه » وقد كانت الكوفة لنا والبصرة علينا فاصبحنا على ما تحب بين ماض مأجور وراجع معذور وان بالشام الداء العضال رجلا لا يسلمها أبداً الا مقتولا أو مغلوباً فعاجله قبل أن يعاجلك وانبذ اليه قبل الحرب .

﴿ ما أشار به الاشتر على علي ﴾ قال وذكروا ان الاشتر النخعي قام الى علي فقال يا أمير المؤمنين انما لنا أن نقول قبل أن تقول فاذا عزمت فلم نقل فلو سرت بنا الى الشام بهذا الحد والجد لم يلقوك بمثله فان القلوب اليوم سليمة والابصار صحيحة فبادر

بالقلوب القسوة وبالابصار العمى .

﴿ كتاب علي الى جرير بن عبد الله ﴾ قال وذكروا ان عليا كتب الى جرير بن عبد الله (١) وكان على ثغر همذان كان استعمله عليه عثمان فكتب علي اليه مع زفر بن قيس : أما بعد فإن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وان أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من ولي . ثم اني أخبرك عنا وعمن سرنا اليهم من جمع طلحة والزبير عند نكثهما بيعتهما وما صنعا بعاملي عثمان بن حنيف : اني هبطت من المدينة بالمهاجرين والانصار حتى اذا كنت ببعض الطريق بعثت الى الكوفة الحسن ابني وعبد الله بن العباس ابن عمي وعمار بن ياسر وقيس بن سعد بن عبادة فاستنفرتهم بحق الله وحق رسوله فأجابوا وسرت بهم حتى نزلت بظهر البصرة فأعذرت في الدعاء وأقلت في العثرة وناشدتهم عقد بيعتهم

(١) هو جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك البجلي صاحب النبي عليه الصلاة والسلام وكان يقال لجرير يوسف هذه الامة لحسنه وفيه يقول الشاعر :

لولا جرير هلكت بجيلة * نعم الفتى وبئست القبيله

فأبوا الا قتالي فاستعنت الله عليهم فقتل من قتل وولوا مدبرين الى مصرهم فسألوني ما كنت دعوتهم اليه قبل اللقاء فقبلت العافية ورفعت عنهم السيف واستعملت عليهم عبد الله بن عباس وبعثت اليك زفر بن قيس فاسأله عنا وعنهم •

﴿ خطبة زفر بن قيس ﴾ قال وذكروا انه لما قدم زفر على جرير بكتاب علي وقرأه جرير قام زفر خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إن علياً كتب اليكم بكتاب لا يقول بعده الا رجيعاً من القول ان الناس بايعوا علياً بالمدينة غير محاباة ببيعتهم لعلمه بكتاب الله ويرى الحق فيه وان طلحة والزبير نقضا بيعة عليّ على غير حدث ثم لم يرضيا حتى نصبا له الحرب وألّبا عليه الناس وأخرجا أم المؤمنين عائشة من حجاب ضربه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم عليها فلقيهما فأعذر في الدعاء وخشي البغي وحمل الناس على ما يعرفون فهـذا عيان ما غاب عنكم وإن سألتم الزيادة زدناكم •

﴿ خطبة جرير بن عبد الله البجلي ﴾ قال وذكروا ان جرير بن عبد الله قام خطيباً فحمد الله فقال : أيها الناس هـذا كتاب أمـير المؤمنين علي بن أبي طالب وهو المأمون على

الدين والدنيا وكان من أمره وأمر عدوه ما قد سمعتم فالحمد لله على أقضيته وقد بايعه السابقون الأولون من المهاجرين والانصار والتابعون باحسان ولو جعل الله هذا الامر شورى بين المسلمين لكان علي أحق بها ألا وان البقاء في الجماعة والفناء في الفرقة وعليّ حاملكم على الحق ما استقمتم له فان ملتم أقام ميلكم. قال الناس سمعاً وطاعة ورضانا رضى من بعدنا.

﴿ كتاب عليّ الى الاشعث بن قيس ﴾ قال وذكروا ان عليا كتب الى الاشعث بن قيس مع زياد بن كعب والاشعث يومئذ بأذربيجان عاملا لعثمان كان استعمله عليها: أما بعد فلولا هنات كنّ فيك كنت المقدم في هذا الامر قبل الناس فلعل أمراً يحمل بعضه بعضاً ان اتقيت الله وقد كان من بيعة الناس اياي ماقد بلغك وكان طلحة والزبير أول من بايعني ثم نقضا بيعتي على غير حدث وأخرجا أم المؤمنين الى البصرة فسرت اليهما في المهاجرين والانصار فالتقينا فدعوتهما الى أن يرجعا الى ما خرجا منه فأبيا فأبلغت في الدعاء وأحسنت في البقاء وان عملك ليس لك بطعمة ولكنه أمانة في عنقك والمال مال الله وأنت من خزاني عليه حتى تسلمه اليّ ان شاء

الله وعلى أن لا أكون شر ولاتك .

﴿ خطبة زياد بن كعب ﴾ قال وذكروا ان الاشعث ابن قيس لما قرأ كتاب على قام زياد بن كعب خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس انه من لم يكفه القليل لم يكفه الكثير وان أمر عثمان لم ينفع فيه العيان ولم يشف منه الخبر غير أن من سمعه كمن عاينه وان المهاجرين والانصار بايعوا عليا راضين به وان طلحة والزبير نقضا بيعة علي على غير حدث وأخرجا أم المؤمنين على غير رضى فسار اليهم ولم ينلهم فتركهم ومافي نفسه منهم حاجة فأورثه الله الارض وجعل له عاقبة المتقين .

﴿ خطابة الاشعث بن قيس ﴾ قال فقام الاشعث بن قيس خطيباً فقال: أيها الناس ان عثمان رحمه الله ولاني أذربجان وهلك وهى في يدي وقد بايع الناس علياً وطاعتنا له لازمة وقد كان من أمره وأمر عدوه ما قد بلغكم وهو المأمون على ماغاب عنا وعنكم من ذلك .

﴿ مشورة الاشعث ثقاته في اللحوق بمعاوية الى الشام ﴾

قال وذكروا ان الاشعث رجع الى منزله فدعا أهل ثقته من أصحابه فقال لهم ان كتاب علي جاءني وقد أوحشني وهو

آخذى بمال أذربيجان وأنا لاحق بمعاوية . فقال القوم الموت خير لك من ذلك أتدع مصرك وجماعة قومك وتكون ذنباً لاهل الشام .

﴿ كتاب جرير الى الاشعث ﴾ قال وذكروا ان جريراً كتب الى الاشعث : أما بعد فانه أتتني بيعة على فقبلتها ولم أجد الى دفعها سبيلا واني نظرت فيما غاب عني من أمر عثمان فلم أجده يلزمني وقد شهده المهاجرون والانصار فكان أوثق أمرهم فيه الوقوف فاقبل بيعته فانك لا تلتفت الى خير منه . واعلم ان بيعة على خير من مصارع أهل البصرة وقد تحلب الناقة الضجور ويجلس العود على البعير الدبر فانظر لنفسك والسلام .

﴿ ارسال على جريراً الى معاوية ﴾ قال وذكروا ان جريراً لما قدم على علي قال له يا جرير انطلق الى معاوية بكتابي هذا وكن عند ظني فيك واعلم يا جرير انك ترى من حولى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والبدريين والعقبيين وإني اخترتك عليهم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : خير ذي يمن جرير . فاذهب الى معاوية بكتابي هذا ورسالتي فإن دخل فيما دخل فيه المسلمون والا

فانبذ اليه بالحرب واعلمه اني لاأرضى به أميراً ولا العامة لاترضى به والياً :فقال: جرير اني لاكره ان أمنعك معونتي، وما أطمع لك في معاوية ويصنع الله مايشاء.

﴿ كتاب علىّ الى معاوية مرة ثانية ﴾ قال وذكروا ان علياً كتب الى معاوية مع جرير: أما بعد فإن بيعتي بالمدينة لزمتك وأنت بالشام لانه بايعني الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على مابايعوا فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد وانما الشوري للمهاجرين والانصار فاذا اجتمعوا على رجل فسموه إماماً كان ذلك لله رضاً فان خرج منهم خارج ردوه الى ماخرج منه فان أبي قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وأولاه الله ماتولى وأصلاه جنهم وساءت مصيراً. وان طلحة والزبير بايعانى بالمدينة ثم نقضا بيعتهما فكان نقضهما كردتهما فجاهدتهما بعد ماأعذرت اليهما حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون فادخل فيما دخل فيه المسلمون فإنّ أحب أمورك الى العافية الا ان تتعرض للبلاء فان تتعرض للبلاء قاتلتك واستعنت بالله عليك وقد أكثرت الكلام في قتلة عثمان فادخل في الطاعة ثم حاكم القوم الىّ أحملك واياهم على

كتاب الله فأما التي تريدها فهي خدعة الصبي عن اللبن ولعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني أبرأ الناس من دم عثمان. واعلم يامعاوية انك من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة ولا تعقد معهم الامامة ولا تعرض فيهم الشوري وقد بعثت اليك والى من قبلك جرير بن عبد الله وهو من أهل الايمان والهجرة السابقة فبايع ولا قوة الا بالله.

﴿ قدوم جرير الى معاوية ﴾ قال وذكروا ان جريرا لما قدم على معاوية بكتاب علي قام جرير بالشام خطيبا فقال: أيها الناس ان أمر عثمان قد أعيا علياً ومن شهده فما ظنكم بمن غاب عنه ان الناس بايعوا علياً وان طلحة والزبير كانا ممن بايع ثم نقضا بيعته الا وان هذا الدين لا يحتمل الغبن. ألا وان هذا الدين لا يحتمل السيف وقد كانت بالبصرة ملحمة إن يشفع البلاء بمثلها فلا بقاء للناس وقد بايعت العامة علياً ولو ملكنا أمرنا لم نختر لها غيره فمن خالف هذا استعتب فادخل يامعاوية فيما دخل الناس فيه فان قلت ان عثمان ولاني ولم يعزلني فان هذا لو كان لم يقم لله دين وكان لكل امرئ ماهو فيه.

﴿ اشارة الناس على علي بالمقام بالكوفة ﴾ قال وذكروا

ان علياً استشار الناس فأشاروا عليه بالمقام بالكوفة عامة ذلك غير الاشتر النخعي وعدي بن حاتم وشُريح بن هانئ فإنهم قاموا الى علي فتكلموا بلسان واحد فقالوا ان الذين أشاروا عليك بالمقام انما خوفوك بحرب الشام وليس في حربهم شيء أخوف من الموت ونحن نريده. فقال لهم ان استعدادي لحرب الشام وجرير صارف لهم عن خير إن أرادوه ولكني قد وقت له وقتاً لا يقيم بعده الا أن يكون مخدوعاً أو عاصياً ولا أكره لكم الاعداد وابطأ جرير على علي بالشام حتى يئس منه وان جريراً لما أبطأ عليه معاوية برأيه استحثه بالبيعة فقال معاوية لجرير: ياجرير ان البيعة ليست بخلسة وانه أمر له مابعد فأبلعني ريقي .

﴿ مشورة معاوية أهل ثقته ﴾ قال وذكروا ان معاوية دعا أهل ثقته فاستشارهم فقال عتبة بن أبي سفيان استعن على هذا الامر بعمرو بن العاص فانه من قد عرفت وقد اعتزل عثمان في حياته وهو لامرك أشد اعتزالا الاّ أن ترضيه .

﴿ كتاب معاوية الى عمرو بن العاص ﴾ قال وذكروا ان معاوية كتب الى عمرو بن العاص وهو بفلسطين: أما بعد فقد كان من أمر علي وطلحة والزبير ماقد بلغك وقد سقط

علينا مروان بن الحكم في رافضة من أهل البصرة وقدم على جرير بن عبد الله في بيعة علي وقد حبست نفسي عليك فأقدم على بركة الله والسلام ·

﴿ ماسأل معاوية من علي من الإقرار بالشام ومصر ﴾

قال وذكروا ان معاوية قال لجرير اني قد رأيت رأيا قال جرير هات قال اكتب الى علي ان يجعل لي الشام ومصر فإن حضرته الوفاة لم يجعل لاحد من بعده في عنقي بيعة واسلم اليه هذا الامر واكتب اليه بالخلافة قال جرير اكتب ماشئت · وانما أراد معاوية في طلبه الشام ومصران لايكون لعلي في عنقه بيعة وان يخرج نفسه مما دخل فيه الناس فكتب الى علي يسأله ذلك فلما أتى علياً كتاب معاوية عرف انها خدعة منه ·

﴿ كتاب عليّ الى جرير بن عبد الله ﴾ قال وذكروا ان علياً كتب الى جرير : أما بعد فان معاوية انما أراد بما طلب ان لايكون لي في عنقه بيعة وأن يختار من أمره ماأحب وقد كان المغيرة بن شعبة أشار علي وأنا بالمدينة ان استعمله على الشام فأبيت ذلك عليه ولم يكن الله ليراني أن أتخذ المضلّين

عضداً فإن بايعك الرجل والا فاقبل .

﴿ استشارة عمرو بن العاص ابنيه ومواليه ﴾ قال

وذكروا انه لما انتهى الى عمرو بن العاص كتاب معاوية وهو بفلسطين استشار ابنيه عبد الله ومحمداً وقال : يابنيّ انه قد كان مني في أمر عثمان فلتات لم أستقبلها بعد وقد كان من هروبي بنفسي حين ظننت انه مقتول ماقد احتمله معاوية عني وقدقدم على معاوية جرير ببيعة علي وقد كتب اليّ معاوية بالقدوم عليه فما تريان؟ فقال عبد الله وهو الاكبر :أرى والله ان نبيّ الله قبض وهو عنك راض والخليفتان من بعده كذلك وقتل عثمان وأنت غائب عنه فأقم في منزلك فلست مجعولا خليفة ولا تريد ان تكون حاشية لمعاوية على دنيا قليلة وشيكة فتستويا فيها جميعاً. وقال محمد: أرى انك شيخ قريش وصاحب أمرها فان ينصرم هذا الامر وأنت فيه خامل يصغر أمرك [١] فالحق بجماعة أهل الشام واطلب بدم عثمان فانك به تستميل الي بني أميهّ فقال عمرو:أما أنت ياعبدالله

(١) ويروى ان محمدا قال : انت ناب من انياب العرب ولااري ان يجتمع هذا الامر وليس لك فيه صوت . فالحق الخ...

فأمرتني بما هو خير لي في ديني وأما انت يامحمد فقد أمرتني بما هو خير لي في دنياي . ثم دعا غلاماً له يقال له وردان وكان داهيا فقال له عمرو ياوردان احطط ياوردان ارحل ياوردان حطط ياوردان ارحل فقال وردان : أما انك ان شئت نبأتك بما في نفسك فقال عمرو هات ياوردان فقال اعترضت الدنيا والآخرة على قلبك فقلت مع علي الآخرة بلا دنيا ومع معاوية الدنيا بغير آخرة فأنت واقف بينهما فقال عمرو ما أخطأت بما في نفسي فما ترى ياوردان فقال أرى ان تقيم في منزلك فان ظهر أهل الدين عشت في دينهم وان ظهر أهل الدنيا لم يستغنوا عنك . فقال عمرو الآن حين شهرتني العرب بمسيري الى معاوية .

﴿ قدوم عمرو الى معاوية ﴾ قال وذكروا ان عمرو بن العاص لما قدم الى معاوية وعرف حاجته اليه باعده وكايد كل واحد منهما صاحبه فقال عمرو لمعاوية اعطني مصر فتلكأ معاوية وقال ألم تعلم ان مصر كالشام قال بلي ولكنها انما تكون لي اذا كانت لك وانما تكون لك اذا غلبت عليا على العراق وقد بعث أهلها بطاعتهم الى علي فدخل عتبة بن أبي سفيان على

معاوية فقال أما ترضى ان تشتري عمراً بمصر ان هي صفت لك، ليتك لا تغلب على الشام فلما سمع معاوية قول عتبة بعث الى عمرو فأعطاه مصر ولما كتب معاوية لعمرو بمصر كتب في أسفل الكتاب: ولا ينقض شرطٌ طاعةً وكتب عمرو: ولا تنقض طاعةٌ شرطاً وكايد كل واحد منهما صاحبه وكان مع عمرو بن العاص ابن أخ له جاءه من مصر فلما جاء عمرو بالكتاب مسروراً به عجب ابن أخيه من سروره فقال: يا عمر ألا تخبرني بأي رأي تعيش في قريش وقد أعطيت دينك غيرك أترى أهل مصر وهم قتلة عثمان يدفعونها الى معاوية وعلى حيٌّ أو تراها ان صارت الى معاوية لا يأخذك بالجدل الذي قدمه فقال عمرو يا ابن أخي انه لا امر الله دون معاوية وعلي. يا ابن أخي لو كنت مع علي وسعني بيتي ولكني مع معاوية فقال الفتى انك لم ترد معاوية ولكنك تريد دنياه ويريد دينك فبلغ معاوية قول الفتى فطلبه فهرب فلحق بعلي وحدث عليا بأمر معاوية وعمرو وما قاله فسر علي بذلك وقربه.

﴿ مشورة معاوية عمراً رضى الله عنهما ﴾ قال وذكروا ان معاوية قال لعمرو: يا أبا عبد الله طرقتني في ليلتي هذه بثلاثة

أخبار ليس فيها ايراد ولاصدر: منها ان ابن أبي حذيفة كسر سجن مصر ومنها ان قيصر زحف بجماعة الروم ليغلب على الشام ومنها ان علياً قد تهيأ للمجيء الينا فما عندك ؟ قال عمرو كل هذا عظيم أما ابنْ أبي حذيفة نخرج في أشـياعه من الناس فان تبعث اليه يقتل وان يقتل فلا يضرك وأما قيصر فاهد له من وصائف الروم ومن الذهب والفضة واطلب اليه الموادعة تجده اليها سريعاً وأما علي فوالله ان له في الحرب لحظاً ماهو لاحدمن الناس وانه لصاحب الامر . قال معاوية صدقت ولكني أقاتله على ما بأيدينا ونلزمه دم عثمان فقال عمرو: واسوأتاه ان أحق الناس أن لايذكر عثمان لاأنا ولا أنت قال معاوية ولم فقال عمرو : أما أنت نخذلتـه ومعك أهل الشام واستغاثك فابطأت عليـه وأما أنا فتركته عيانا وهربت الى فلسطين . قال معاوية دعني من هذا هلم فبايعني فقـال عمرو لاوالله لا أعطيك من ديني حتي آخذ من دنياك قال معاوية صدقت سل تعط قال عمرو مصر طعمة . فغضب مروان بن الحكم وقال ما بالي لا أشترى . فقال : معاوية اسكت يا ابن عم فانما نشـتري لك الرجال . فكتب معاوية لعمرو مصر طعمة

﴿ كتاب معاوية الى أهل مكة والمدينة وجوابهما ﴾

قال وذكروا ان معاوية قال لعمرو : اني أريد ان اكتب الى أهل مكة والمدينة كتابا أذكر فيه قتل عثمان فإما أن ندرك حاجتنا او نكفهم عن المسير . فقال له عمرو الى من تكتب قال: الى ثلاثة نفر رجل لعلي لا يريد غيره ولا يزيده كتابنا فيه الا بصيرة أو رجل يهوى عليا فلا نرده عما هو عليه أو رجل معتزل لا يريد القتال قال عمرو على ذلك قال نعم . قال اكتب فكتب الى أهل مكة والمدينة: أما بعد فإنه مهما غاب عنا فانه لم يفت علينا أن علياً قتل عثمان والدليل على ذلك ان قتلته عنده وانما نطلب بدمه حتى يدفع الينا قتلته فنقتلهم بكتاب الله تعالى فان دفعهم الينا كففنا عنه وجعلناها شورى بين المسلمين على ما جعلها عمر بن الخطاب فأما الخلافة فلسنا نطلبها فأعينونا يرحمكم الله وانهضوا من ناحيتكم ﴿ جوابهما ﴾ قال وذكروا انه لما قرأ عليهم كتابه اجتمع رأيهم على أن يسندوا أمرهم الى المسور بن مخرمة فجاوب عنهم فكتب اليه : أما بعد فانك أخطأت خطأً عظيما وأخطأت مواضع النُّصرة وتناولتها من مكان بعيد وما أنت والخلافة يامعاوية وأنت طليق وأبوك من الاحزاب .

فكف عنا فليس لك قبلنا وليّ ولا نصير

﴿ كتاب معاوية الى ابن عمر ﴾ قال وذكروا ان معاوية كتب الى ابن عمر كتابا خاصا دون كتابه الى أهل المدينة: أما بعد فانه لم يكن أحد من قريش أحبّ اليّ أن يجتمع الناس عليه منك بعد عثمان فذكرتُ خذلك اياه وطعنك على أنصاره فتغيرت لك وقد هون ذلك عليّ خلافك عليا وطعنك عليه وردني اليك بعض ما كان منك فأعنا يرحمك الله على حق هذا الخليفة المظلوم فاني لست أريد الإمارة عليك ولكني أريدها لك فان أبيت كانت شورى بين المسلمين ﴿ جوابه ﴾ فكتب اليه عبد الله ابن عمر: أما بعد فان الرأى الذي أطمعك في هذا هو الذي صيرك الى ما صيرك. تركت عليا في المهاجرين والانصار وتركت طلحة والزبير وعائشة واتبعك من اتبعك وأما قولك اني طعنت على علي فلعمري ما أنا كعلي في الاسلام والهجرة ومكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن أحدث أمراً لم يكن الينا فيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد ففزعت الى الوقوف وقلت ان كان هذا فضلا تركته وان كان ضلالة فشر

منه نجوت فأغن عني نفسك

﴿ كتاب معاوية الى سعد بن أبي وقاص ﴾ قال وذكروا ان معاوية كتب الى سعد بن أبي وقاص : أما بعد فان أحق الناس بنصرة عثمان أهل الشام والذين أثبتوا حقه واختاروه على غيره وقد نصره طلحة والزبير وهما شريكاك في الامر الشوري ونظيراك في الاسلام وخفت لذلك أم المؤمنين فلا تكرهن ماركبوا ولا تردن ماقبلوا فانما نريدها شوري بين المسلمين

﴿ جواب سعد بن أبي وقاص لمعاوية ﴾ قال وذكروا ان سعداً كتب اليه : أما بعد فان أهل الشوري ليس منهم أحق بها من صاحبه غير أن علياً كان من السابقة ولم يكن فينا مافيه فشاركنا في محاسننا ولم نشاركه في محاسنه وكان أحقنا كلنا بالخلافة ولكن مقادير الله تعالى التي صرفتها عنه حيث شاء لعلمه وقدره . وقد علمنا انه أحق بها منا ولكن لم يكن بد من الكلام في ذلك والتشاجر فدع ذا . وأما أمرك يامعاوية فانه أمر كرهنا أوله وآخره . وأما طلحة والزبير فلو لزما بيتهما لكان خيراً لهما والله تعالى يغفر لعائشة أم المؤمنين .

﴿ كتاب معاوية الي محمد بن مسلمة الانصاري ﴾ وكان فارس الانصار رضي الله عنهم وذا النجدة فيهم : أما بعد فاني لم أكتب اليك وأنا أرجو مبايعتك ولكني أذكرك النعمة التي خرجت منها انك كنت فارس الانصار وعدة المهاجرين فادعيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمراً لم تستطع فيه الامضاء (١) فهذا أعني وعن قتال أهل الصلاة فهلا نهيت أهل الصلاة عن قتل بعضهم بعضاً أو ترى ان عثمان وأهل الدار ليسوا بمسلمين وأما قولك الانصار فقد عصوا الله تعالى وخذلوا عثمان وسائلهم وسائلك الله تعالى عن الذي كان يوم القيامة.

﴿ جوابه ﴾ قال وذكروا ان محمد بن مسلمة كتب اليه: أما بعد فقد اعتزل هذا الامر من ليس في يده من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الذي في يدي وقد أخبرت بالذي هو كائن قبل أن يكون فلما كان كسرت سيفي ولزمت بيتي واتهمت الرأي على الدين اذ لم يصح لي أمر بمعروف آمر به ولا منكر أنهى عنه ولعمري يامعاوية ما طلبت الا الدنيا ولا اتبعت الا الهوى ولئن كنت نصرت

---

(١) هكذا في الاصل

عثمان ميتاً لقد خذلته حياً ونحن ومن قبلنا من المهاجرين والانصار أولي بالصواب : قال : فلما أجاب القوم معاوية بما أجابوه من الخلاف الى مادعاهم اليه قال له عمر وكيف رأيت يامعاوية رأيي ورأيك أخبرتك بالامر قبل ان يقع قال معاوية رجوتَ ماخفتُ

﴿كتاب معاوية الى علي رضي الله عنه﴾ قال وذكروا ان معاوية كتب الى علي : أما بعد فلعمري لو بايعك القوم الذين بايعوك وأنت بريءٌ من دم عثمان كنت كأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ولكنك أغريت بعثمان المهاجرين وخذّلت عنه الانصار فأطاعك الجاهل وقوى بك الضعيف وقد أبى أهل الشام الا قتالك حتى تدفع اليهم قتلة عثمان فاذا دفعتهم كانت شوري بين المسلمين وقد كان أهل الحجاز أعلا الناس [1] وفي أيديهم الحق فلما تركوه صار الحق في أيدي أهل الشام ولعمرى ماحجتك على أهل الشام كحجتك على أهل البصرة ولا حجتك عليّ كحجتك على طلحة والزبير لان أهل البصرة بايعوك ولم يبايعك أحد من أهل الشام وان طلحة والزبير

---

(١) وفي نسخة : الحكام على الناس

بايعاك ولم أبايعك وأما فضلك في الاسلام وقرابتك من النبيّ عليه السلام فلعمري ماأدفعه ولا أنكره [١]

(جواب علي الى معاوية) قالوا فكتب اليه علي: أما بعد فقد جاءني منك كتاب امرئٍ ليس له بصر يهديه ولا قائد يرشده ، دعاه الهوى فأجابه وقاده فاستقاده ، زعمت أنه انما أفسد عليك بيعتي خطيئتي في عثمان ولعمري ما كنت الا رجلا من المهاجرين أوردت كما أوردوا وأصدرت كما أصدروا وما كان الله ليجمعهم على ضلال ولا ليضربهم بالعمى وما أمرت فيلزمني خطيئة عثمان ولا قتلت فيلزمني قصاص القاتل . وأما قولك ان أهل الشام هم الحكام على الناس فهات رجلا من قريش الشام يقول في الشورى أو تحل له الخلافة فان سميت كذبك المهاجرون والانصار والا آتيتك من قريش الحجاز . وأما قولك ندفع اليك قتلة عثمان فما أنت وعثمان انما أنت رجل من بني أمية وبنو عثمان أولى بعثمان منك فان

---

(١) ويروى انه كتب اليه فى آخر الكتاب أبيات كعب بن جعيل منها:

أري الشام تكره ملك العراق * وأهل العراق لهم كارهينا

فقالوا على امام لنا * فقلنا رضينا ابن هند رضينا

وقالوا نرى ان تدينوا له * فقلنا ألا لا نرى أن ندينا

زعمت انك أقوى على ذلك فادخل في الطاعة ثم حاكم القوم الي وأما تمييزك بين الشام والبصرة وذكرك طلحة والزبير فلعمرى ماالامر الا واحد انها بيعة عامة لاينثني عنها البصير ولايُستأنف فيها الخيار وأما ولوعك في أمر عثمان فوالله ماقلت ذلك عن حق العيان ولا عن تيقن الخبر وأما فضلي في الاسلام وقرابتي من رسول الله عليه السلام وشرفي في قريش فلعمري لو استطعت دفعه لدفعته

﴿ قدوم عبيد الله بن عمر على معاوية ﴾ قال وذكروا ان عبيدالله بن عمر قدم على معاوية الشام فسر به سروراً شديداً وسرّ به أهل الشام وكان أشد قريش سروراً به عمرو بن العاص فقال معاوية لعمرو مامنع عبدالله ان يكون كعبيد الله فضحك عمرو وقال شبهت غير شبيه انما أتاك عبيدالله مخافة أن يقتله علي بقتله الهرمزان ورأى عبد الله أن لا يكون عليك ولا لك ولو كان معك لنفعك أو عليك لضرك

﴿ تعبئة معاوية أهل الشام لقتال عليّ ﴾ قال وذكروا ان معاوية بعث الى رؤساء أهل الشام فجمعهم ثم قال: أنتم أهل الفضل فليقم كل رجل منكم يتكلم فقام رجل فقال: أما

والله لو شهدنا أمر عثمان فعرفناقتلته بأعيانهم ما استغنينا عن
إخبار النـاس ولـكنا نصـدقك على ماغاب عنا وان أبغض
الناس الينا من يقاتل علي بن أبي طالب لقدمه في الاسلام
وعلمه بالحرب ثم قام حوشب فقال: والله ماايالك ننصر ولالك
نغضب ولا عنـك نحامي مانصر الا الله ولا نغضب الا
للخليفة ولا نحامى الا عن الشام فلف الخيـل بالخيل والرجال
بالرجال وقد دعونا قومنا الا مادعوتنا اليه أمس وأمرناهم بما
أمرتنا به فجعلوك بيننا وبين الله ونحن بينك وبينهم فمرنا بمـا
تحب وانهنا عما تـكره . قال فلما عزم معاوية على المسير الى
صفين عبأ أهـل الشام فجعل على مقدمته أبا الاعور السلمي
وعلى ساقته بشير بن أرطاة وعلى الخيل عبد الله بن عمر ودفع
اللواء الي عبـد الرحمن بن خالد بن الوليـد وعلى الميمنة يزيد
العبسي وعلى الميسرة عبدالله بن عمرو بن العاص ثم قال ياأهل
الشام انـكم قد سرتم لتمنعوا الشام وتأخذوا العراق ولعمري
ما للشام رجال العراق وأموالها ولا لاهل العراق بصر أهل
الشام ولابصائرهم مع ان القوم بعدهم غيرهم مثلهم وليس بعدكم
غيركم فان غلبتوهم فلم تغلبوا الا من قد أتاكم وان غلبوكم عاقبوا

من بعدكم والقوم لاقوكم ببصائر أهل الحجاز ورقة أهل اليمن وقسوة أهل مصر وكيد أهل العراق وانما يبصر غداً من أبصر اليوم فاستعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين. ثم سار معاوية في ثلاثة آلاف وثمانين ألفا حتى نزل بصفين وذلك في نصف محرم وسبق الي سهولة الارض وسعة المناخ وقرب الفرات وكتب الي علي يخبره بمسيره

﴿ تعبئة علي اهل العراق للقتال ﴾ قال وذكروا ان علياً لما بلغه تأهب معاوية: قال: ايها الناس انما بايع معاوية اهل الشام وليس له غيرهم ولي ولا نصير وانكم اهل الحجاز واهل العراق واهل اليمن واهل مصر وقد جعل القوم معاوية بينهم وبين الله وليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وقد وادع القوم الروم فإن غلبتموهم استعانوا بهم ولحقوا بأرضهم وإن غلبوكم فالغاية الموت والمفر الى الله العزيز الحكيم. وقد زعم معاوية ان اهل الشام اهل صبر ونصر ولعمري لأنتم اولى بذلك منهم لانكم المهاجرون والانصار والتابعون باحسان وانما الصبر اليوم والنصر غداً. قال فجد الناس ونشطوا وتأهبوا فسار علي بالناس من الكوفة في مائة الف وتسعين الفاً فجعل علي المقدمة

الاشتر النخعي وعلي ساقته شريح بن هانئ وعلي المهاجرين والانصار محمد بن ابي بكر وعلي اهل البصرة عبدالله بن عباس وعلي الكوفة عبد الله بن جعفر وعلي جماعة الخيل عمار بن ياسر وعلي القلب الحسن بن علي . وسار علي حتى نزل صفين وقد سبقه معاوية الي سهولة الارض وسعة المناخ وقرب الفرات

﴿ منع معاوية المآء من اصحاب علي ﴾ قال وذكروا انه لما نزل معاوية بصفين بعث ابا الاعور بمن معه ليحولو بينهم وبين الفرات وان اهل العراق لما نزلوا بعثوا غلمانهم ليستقوا لهم من الفرات فحالت خيل معاوية بينهم وبين الماء فانصرفوا فساروا الى علي فأخبروه فقال علي للأشعث اذهب الي معاوية فقل له ان الذي جئنا له غير الماء ولو سبقناك اليه لم نحل بينك وبينه فإن شئت خليت عن الماء وان شئت تناجزنا عليه وتركنا ما جئنا له . فانطلق الاشعث [1] الي معاوية فقال له انك تمنعنا الماء وايم الله لنشربنه فمرهم يكفوا عنه قبل ان نغلب عليه والله لا نموت عطشا وسيوفنا على رقابنا فقال معاوية لاصحابه ما ترون فقال رجل

(١) ويروي ان الذي ارسله علي الى معاوية هو صعصعة بن صوحان

منهم [١] نرى ان نقتلهم عطشا كما قتلوا عثمان ظلما. فقال عمرو ابن العاص : لا تظن يامعاوية ان عليا يظمأ وأعنة الخيل بيده وهو ينظر الي الفرات حتى يشرب او يموت دونه خل عن القوم يشربوا. فقال معاوية هذا والله اول الظفر لاسقاني الله من حوض الرسول ان شربوا منه حتى يغلبوني عليه. فقال عمرو وهذا اول الجور اما تعلم ان فيهم العبد والاجير والضعيف ومن لا ذنب له لقدشجعت الجبان وحملت من لا يريد قتالك على قتالك

﴿ غلبة اصحاب عليّ على الماء ﴾ قال وذكروا ان معاوية لما غلب على الماء اغتم عليّ لما فيه الناس من العطش فخرج ليلا والناس يشكون بعضهم الى بعض مخافة أن يغلب اهل الشام على الماء فقال الاشعث يا أمير المؤمنين أيمنعنا القوم الماء وانت فينا ومعنا السيوف خل عنا وعن القوم فوالله لا أرجع اليك حتى ارده او اموت دونه وامر الاشتر أن يعلو الفرات في الخيل حتى آمره بامري فقال عليّ ذلك لك فانصرف الاشعث فنادى في الناس من كان يريدالماء فميعاده الصبح فاني

(١) هو الوليد بن عقبة.

ناهض الي الماء فأجابه بشر كثير فتقدم الاشعث في الرجالة والاشتر في الخيل حتى وقفا على الفرات فلم يزل الاشعث في الرجالة يمضي حتى خالط القوم ثم حسر عن رأسه فنادي : انا الاشعث بن قيس خلوا عن الماء . فقال ابو الاعور اما والله قبل ان تأخذنا واياكم السيوف فلا . فقال الاشعث أظنها والله قد دنت منا ومنكم قال وبعث الاشعث الى الاشتر ان اقحم الخيل. فأقحمها الاشتر حتى وضع سنابكها في الفرات وحمل الاشتر في الرجالة فأخذت القوم السيوف فانكشف أبو الاعور واصحابه. وبعث الاشتر الى عليّ هلم ياامير المؤمنين قد غلب الله لك. على الماء فلما غلب اهل العراق على الماء شمت عمرو بن العاص بمعاوية وقال : يامعاوية ماظنك ان منعك عليّ الماء اليوم كما منعته امس اتراك ضاربهم كما ضربوك ؟ فقال دع ما مضى عنك فان عليا لا يستحل منك ما استحللت منه وان الذي جاء له غير الماء.

﴿ دعاء عليّ معاوية الى البراز ﴾ قال وذكروا ان الناس. مكثوا بصفين اربعين ليلة يغدون الي القتال ويروحون فاما القتال. الذي كان فيه الفناء فثلاثة ايام . فلما رأى عليّ كثرة القتال. والقتل في الناس برز يوما من الايام ومعاوية فوق التل فنادي

بأعلا صوته يا معاوية فأجابه فقال ما تشاء يا ابا الحسن قال علىّ
على م يقتتل الناس ويذهبون على ملك إن نلته كان لك دونهم
وان نلته انا كان لي دونهم ابرز الي ودع الناس فيكون الامر
لمن غلب قال عمر بن العاص : أنصفك الرجل يامعاوية فضحك
معاوية وقال طمعت فيها يا عمرو فقال عمرو : والله ما أراه يجمل
بك الا أن تبارزه فقال معاوية ما أراك الا مازحاً نلقاه بجمعنا

﴿ براز عمرو بن العاص لعلي ﴾ قال وذكروا ان عمراً
قال لمعاوية أتجبن عن علي وتتهمني في نصيحتي اليك والله
لأبارزن عليا ولو مت الف موتة في أول لقائه . فبارزه عمرو
فطعنه علي فصرعه فاتقاه بعورته فانصرف عنه علي وولي بوجهه
دونه . وكان علي رضي الله عنه لم ينظر قط الي عورة احد حياء
وتكرماً وتنزها عما لا يحل ولا يجمل بمثله كرم الله وجهه .

﴿ قطع الميرة من اهل الشام ﴾ قال وذكروا ان عليا
دعا زحر بن قيس فقال له سر في بعض هذه الخيل الي القُطقُطانة
فاقطع الميرة عن معاوية ولا تقتل الا من يحل لك قتله وضع
السيف موضعه . فبلغ ذلك معاوية فدعا الضحاك بن قيس
فامره ان يلقى زحر بن قيس فيقاتله فسار الضحاك فلقيه زحر

فهزمه وقتل من اصحابه وقطع الميرة عن اهل الشام ورجع الضحاك الي معاوية منهزماً فجمع معاوية الناس فقال: اتاني خبر من ناحية من نواحيّ امر شديد فقالوا ياامير المؤمنين لسنا في شيء مما أتاك انما علينا السمع والطاعة وبلغ عليا قول معاوية وقول اهل الشام فاراد ان يعلم ما رأي اهل العراق فجمعهم فقالوا ايها الناس انه أتاني خبر من ناحية من نواحيّ فقال ابن الكواء واصحابه ان لنا في كل امر رأي فما اتاك فأطلعنا عليه حتى نشير عليك فبكي على ثم قال: ظفر والله ابن هند باجتماع اهل الشام له واختلافكم عليّ والله ليغلبن باطله حقكم انما اتاني ان زحر ابن قيس ظفر بالضحاك وقطع الميرة واتى معاوية هزيمة صاحبه فقال ياأهل الشام انه أتاني أمر شديد فقلدوه أمرهم واختلفتم عليّ. فقام قيس بن سعد فقال أما والله لنحن كنا أولي بالتسليم من أهل الشام

﴿ قدوم أبي هريرة وأبي الدرداء على معاوية وعليّ ﴾

قال وذكروا ان أباهريرة وأبا الدرداء قدما على معاوية من حمص وهو بصفين فوعظاه وقالا له يامعاوية على م تقاتل علياً وهو أحق بهذا الامر منك في الفضل والسابقة لانه رجل

من المهاجرين الاولين السابقين باحسان وأنت طليق وأبوك من الاحزاب أما والله مانقول لك ان تكون العراق أحب الينا من الشام ولكن البقاء أحب الينا من الفناء والصلاح أحب الينا من الفساد. فقال معاوية لست أزعم اني أولى بهذا الامر من عليّ ولكني أقاتله حتى يدفع الى قتلة عثمان فقالا اذا دفعهم اليك ماذا يكون؟ قال أكون رجلا من المسلمين فأتيا علياً فان دفع اليكما قتلة عثمان جعلتها شوري فقدما على عسكر علي فأتاهما الاشتر فقال ياهذان انه لم ينزلكما الشام حبّ معاوية وقد زعمتما انه يطلب قتلة عثمان فممن أخذتما ذلك فقبلتماه أعمن قتله فصدقتموهم على الذنب كما صدقتموهم على القتل أم عن من نصره فلا شهادة لمن جرالي نفسه أم عن من اعتزل اذ علموا ذنب عثمان وقد علموا ما الحكم في قتله أو عن معاوية وقد زعم ان علياً قتله . أتقيا الله فانا شهدنا وغبتما ونحن الحكام على من غاب فانصرفا ذلك اليوم فلما أصبحا أتيا علياً فقالا له ان لك فضلا لا يدفع وقد سرت مسير فتى الى سفيه من السفهاء ومعاوية يسألك ان تدفع اليه قتلة عثمان فان فعلت ثم قاتلك كنا معك قال علي أتعرفانهم قالا نعم قال فخذاهم

فأتيا محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر والاشتر: فقالا: أنتم من قتلة عثمان وقد أمرنا بأخذ كم نخرج اليهما أكثر من عشرة آلاف رجل فقالوا نحن قتلنا عثمان فقالا نرى أمراً شديداً ألبس علينا الرجل . وان أبا هريرة وأبا الدرداء انصرفا الى منزلهما بحمص فلما قدما حمص لقيهما عبدالرحمن بن عثمان فسألهما عن مسيرهما فقصا عليه القصة فقال: العجب منكما انكما من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أما والله لئن كففتما أيديكما ما كففتما ألسنتكما أتاتيان علياً وتطلبان اليه قتلة عثمان وقد علمتما ان المهاجرين والانصار لو حرموا دم عثمان نصروه وبايعوا عليا على قتلته فهل فعلوا وأعجب من ذلك رغبتكما عن ماصنعوا وقولكما لعلى اجعلها شورى واخلعها من عنقك وانكما لتعلمان ان من رضي بعلى خير ممن كرهه وان من بايعه خير ممن لم يبايعه ثم صرتما رسولى رجل من الطلقاء لاتحل له الخلافة . ففشا قوله وقولهما فهم معاوية بقتله ثم راقب فيه عشيرته

﴿ وقوع عمرو بن العاص فى على ﴾ قال وذكروا ان رجلا من همذان يقال له برد قدم على معاوية فسمع عمراً يقع في على فقال له ياعمرو ان أشياخنا سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول : من كنت مولاه فعلي مولاه . فحقٌ ذلك أم باطل فقال عمر وحق وأنا أزيدك انه ليس أحد من صحابة رسول الله له مناقب مثل مناقب عليّ ففزع الفتى فقال عمر وانه أفسدها بأمره في عثمان فقال برد هل أمر أو قتل قال لا ولكنه آوي ومنع قال فهل بايعه الناس عليها قال نعم قال فما أخرجك من بيعته قال اتهامي اياه في عثمان قال له وأنت أيضاً قد اتهمت قال صدقت فيها خرجت الى فلسطين فرجع الفتى الى قومه فقال إنا أتينا قوما أخذنا الحجة عليهم من أفواههم . عليّ على الحق فاتّبعوه

﴿ كتاب معاوية الى ابي أيوب الانصاري ﴾ قال وذكروا ان معاوية كتب الى أبي أيوب الانصاري وكان أشد الانصار على معاوية: أما بعد فاني ناسيتك مالا تنسى الشيباء . فلما قرأ كتابه أتي به علياً فأقرأه اياه قال علي يعني بالشيباء المرأة الشمطاء لا تنسى ثكل ابنها فأنا لا أنسى قتل عثمان . فكتب اليه أبو أيوب : انه لا تنسى الشيباء ثكل ولدها وضربتها مثلا لقتل عثمان فما نحن وقتلة عثمان ان الذي تربص بعثمان وثبط أهل الشام عن نصرته لانت وان الذين قتلوه

غير الانصار والسلام

﴿ ماخاطب به النعمان بن بشير قيس بن سعد ﴾ قال وذكروا ان النعمان بن بشير الانصاري وقف بين الصفين : فقال :ياقيس بن سعد أما أنصفكم من دعاكم الى مارضي لنفسه انكم يامعشر الانصار أخطأتم فى خذل عثمان يوم الدار وقتلكم انصاره يوم الجمل وإقحامكم على أهل الشام بصفين فلو كنتم اذ خذلتم عثمان خذلتم علياً كان هذا بهذا ولكنكم خذلتم حقا ونصرتم باطلا ثم لم ترضوا ان تكونوا كالناس حتى أشعلتم الحرب ودعوتم الى البراز فقد والله وجدتم رجال الحرب من أهل الشام سراعا الى برازكم غير أنكاس عن حربكم ثم لم ينزل بعلى أمر قط الا هوّنتم عليه المصيبة ووعدتموه الظفر وقد والله أخلفتموه وهان علينا بأسكم وما كنتم لتخلوا به أنفسكم من شدتكم في الحرب وقدرتكم على عدوكم وقد أصبحتم أذلاء على أهل الشام لا يرون حربكم شيئاً وأنتم أكثر منهم عدداً ومدداً وقد والله كاثروكم بالقلة فكيف لو كانوا مثلكم في الكثرة والله لا تزالون أذلاء فى الحرب بعدها أبداً الا أن يكون معكم أهل الشام وقد

أخذت الحرب منا ومنكم ما قد رأيتم ونحن أحسن بقية وأقرب الى الظفر فاتقوا الله فى البقية . فضحك قيس وقال والله ما كنت أراك يانعمان تجترئ على هذا المقام أما المنصف المحق فلا ينصح أخاه من غش نفسه وأنت والله الغاش لنفسه المبطل فيما انتصح غيره ،أما ذكرك عثمان فان كان الانجاز يكفيك نخذه ،قتل عثمان من لست خيراً منه وخذ له من هو خير منك وأما أصحاب الجمل فقاتلناهم على النكث وأما معاوية فلو اجتمعت العرب على بيعته لقاتلتهم الانصار وأما قولك انا لسنا كالناس فنحن فى هذه الحرب كما كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نتقي السيوف بوجوهنا والرماح بنحورنا حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون. ولكن انظر يانعمان هل ترى مع معاوية الا طليقا اعرابياً أو يمانياً مستدرجا وانظر أين المهاجرون والانصار والتابعون باحسان الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه ثم انظر هل ترى مع معاوية غيرك وغير صويحبك ولستما والله بدريين ولا عقبيين ولا لكما سابقة في الاسلام ولا آية في القرآن

﴿كتاب عمرو الى ابن عباس﴾ قال وذكروا ان

معاوية قال لعمرو بن العاص ان رأس أهـل العراق مع علي عبد الله بن عباس فلو ألقيت اليه كتاباً ترقق فيه فان قال شيئاً لم يخرج منه عليّ وقد أكلتنا هـذه الحرب ولا أرانا نطيق العراق الا بهلاك الشام . فقال له عمرو ان ابن عباس لا يخدع ولو طمعت فيه طمعت في عليّ قال معاوية علي ذلك . فكتب عمرو ابن عباس : أما بعد فان الذي نحن وأنت فيه ليس أول أمر قاده البلاء وساقته العافية وانك رأس هـذا الجمع بعد علي فانظر فيما بقي بغير ما مضى فوالله ما أبقت هـذه الحرب لنا ولا لكم حياة ولا صبراً واعلم ان الشام لا تهلك الا بهلاك العراق وان العراق لا تهلك الا بهـلاك الشام فما خيرنا بعد أعدادنا منكم وما خيركم بعـد اعدادكم منا ولسنا نقول ليت الحرب عادت ولكنا نقول ليتها لم تكن وإن فينا لمن يكره البقاء كما فيكم وانما هي ثلاثة أمير مطاع أو مأمور مطيع أو مشاور مأمون . فاما العاصي السفيه فليس بأهل ان يدعي في ثقات أهل الشورى ولا خواص أهل النجوى

﴿ جواب عبدالله بن عباس الى عمرو بن العاص ﴾

قال وذكروا انه لما انتهى كتاب عمرو الى ابن عباس أتى

به الى علي فأقرأه اياه فقال علي قاتل الله ابن العاص أجبه . فكتب اليه: أما بعد فاني لا أعلم رجلا أقل حياء منك في العرب انك مال بك الهوى الى معاوية وبعته دينك بالثمن الاوكس ثم خبطت الناس في عشواء طمعاً في هذا الملك فلما ترامينا أعظمت الحرب والرماء اعظام أهل الدين وأظهرت فيها كراهية أهل الورع لا تريد بذلك الا تمهيد الحرب وكسر أهل الدين فان كنت تريد الله فدع مصر وارجع الى بيتك فان هذه حرب ليس فيها معاوية كعلي بدأها علي بالحق وانتهى فيها الى العذر وبدأها معاوية بالبغي وانتهى فيها الى السرف وليس أهل الشام فيها كأهل العراق، بايع أهل العراق عليا وهو خير منهم وبايع أهل الشام معاوية وهم خير منه ولست أنا وأنت فيها سواء أردتُ الله وأنت أردت مصر ، وقد عرفت الشيء الذي باعدك مني ولا اعرف الشيء الذي قربك من معاوية فان ترد شراً لا تفتنا به وان ترد خيراً لا تسبقنا اليه .

﴿أمر معاوية مروان بحرب الاشتر﴾ قال وذكروا ان معاوية دعا مروان بن الحكم فقال يا مروان ان الاشتر قد غمني فاخرج بهذه الخيل فقاتله بها غداً . فقال مروان ادع لها

عمراً فانه شعارك دون دِثارك .قال معاوية وأنت نفسى دون وزيري. قال مروان لو كنت كذلك ألحقتني به في العطاء وألحقته بي في الحرمان ولكنك أعطيته ما في يدك ومنيتنى ما في يدي غيرك فان غلبت طاب المقام وان غلبت خف عليك المهرب . قال معاوية يغني الله عنك قال أما اليوم فلا. فدعا معاوية عمراً فأمره بأمره فقال: أما والله لئن فعلت لقد قدمتني كافياً وأدخلتني ناصحاً وقد غمك القوم في مصر فان كان لا يرضيهم الا أخذها فخذها عليها لعنة الله أما والله يا أمير المؤمنين ان مروان يباعدك منا ويباعدنا منك ويأبى الله الا ان يقربنا اليك .

﴿ كتاب معاوية الى ابن عباس ﴾ قال وذكروا ان معاوية كتب الى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما :أما بعد فانكم معشر بني هاشم لستم الى أحد أسرع منكم بالمساءة الى انصار عثمان فان يك ذلك لسلطان بني أمية فقد ورثها عدي وتيم وقد وقع من الامر ما قد ترى وأدالت هذه الحرب بعضنا من بعض حتى استوينا فيها فما أطمعكم فينا أطمعنا فيكم وما أيأسكم منا أيأسنا منكم وقد رجونا غير الذي كان

وخشينا دون ماوقع ولستم ملاقينا اليوم بأحد من جدكم أمس وقد منعنا بما كان منا الشام وقد منعتم بما كان منكم العراق فاتقوا الله في قريش فما بقي من رجالها الا ستة: رجلان بالشام ورجلان بالعراق ورجلان بالحجاز: فأما اللذان بالحجاز فسعد وعبد الله بن عمر ، وأما اللذان بالشام فأنا وعمرو وأما اللذان بالعراق فعلي وأنت . ومن الستة رجلان ناصبان لك وآخران واقفان عليك وأنت رأس هذا الجمع اليوم وغدا ولو بايع الناس لك بعد عثمان كنا أسرع اليك منا الى علي

﴿جوابه﴾ قال وذكروا انه لما أتى كتاب معاوية الى ابن عباس ضحك ثم قال حتى متى يخطب الى معاوية عقلي وحتى متى أجمجم له عما في نفسي فكتب اليه: أما بعد فقد جاءني كتابك فأما ما ذكرت من سرعتنا بالمساءة الى انصار عثمان لسلطان بني أمية فلعمري لقد أدركت في عثمان حاجتك لقد استنصرك فلم تنصره حتى صرت الى ماصرت اليه وبيني وبينك في ذلك ابن عمك وأخو عثمان الوليد بن عقبة ، وأما قولك انه لم يبق من رجال قريش غير ستة فما أكثر رجالها واحسن بقيتها وقد قاتلك من خيارها من قاتلك ولم يخذلنا الا

من خذلك ،وأما اغراؤك ايانا بعدي وتيم فأبو بكر وعمر كانا خيراً منك ومن عثمان كما ان علياً خير منك ، وأما قولك انا لن نلقاك الا بما لقيناك به فقد بقي لك منا يوم ينسيك ماقبله وتخاف له مابعده، وأما قولك انه لو بايعني الناس استقمت فقد بايعوا علياً وهو خير مني فلم تستقم له وان الخلافة لا تصلح الا لمن كان في الشوري فما أنت والخلافة وأنت طليق الاسلام وابن رأس الاحزاب وابن أكلة الاكباد من قتلي بدر

﴿ خطبة علي كرم الله وجهه ﴾ قال وذكروا ان علياً قام خطيباً فقال :أيها الناس الا ان هذا القدر ينزل من السماء كقطر المطر على كل نفس بما كسبت من زيادة أو نقصان في أهل أو مال فمن أصابه نقصان فى أهل أو مال فلا يغش نفسه ، الا وانما المال حرث الدنيا والعمل الصالح حرث الآخرة وقد يجمعهما الله لاقوام وقد دخل في هذا العسكر طمع من معاوية فضعوا عنكم هم الدنيا بفراقها وشدة مااشتد منها برجاء مابعدها فان نازعتكم أنفسكم الى غير ذلك فردوها الى الصبر ووطنوها على العزاء فوالله اني أرجي ماأرجوه الرزق من الله من حيث لا نحتسب وقد فارقكم مصقلة بن

هبيرة فآثر الدنيا على الآخرة وفارقكم بشر بن أرطاة فأصبح ثقيل الظهر من الدماء مفتضح البطن من المال وفارقكم زيد ابن عدي بن حاتم فاصبح يسأل الرجعة . وأيم الله لودت رجال مع معاوية انهم معي فباعوا الدنيا بالآخرة ولودت رجال معي انهم مع معاوية فباعوا الآخرة بالدنيا

﴿ قدوم ابن أبي مِحْجَن على معاوية ﴾ قال وذكروا ان عبد الله بن أبي محجن الثقفي قدم على معاوية فقال يا أمير المؤمنين اني أتيتك من عند الغبي الجبان البخيل ابن أبي طالب. فقال معاوية: لله أنت أتدري ماقلت، أما قولك الغبي فوالله لو ان ألسن الناس جمعت فجعلت لساناً واحداً لكفاها لسان علي، وأما قولك انه جبان فثكلتك أمك هل رأيت أحداً قط بارزه الا قتله، وأما قولك انه بخيل فوالله لو كان له بيتان احدهما من تبر والآخر من تبن لانفد تبره قبل تبنه . فقال الثقفي فعلى م تقاتله اذاً؟ قال على دم عثمان وعلى هذا الخاتم الذي من جعله في يده جازت طينته وأطعم عياله وادخر لاهله . فضحك الثقفي ثم لحق بعلي فقال يا أمير المؤمنين هب لي يدي بجرمي لادنيا أصبت ولا آخرة . فضحك علي ثم قال : أنت منها

على رأس أمرك وانما يأخذ الله العباد بأحد الامرين

﴿ رفع أهل الشام المصاحف ﴾ قال وذكروا ان أهل العسكرين باتوا بشدة من الالم ونادى عليّ أصحابه فاصبحوا على راياتهم ومصافهم فلما رآهم معاوية وقد برزوا للقتال قال لعمرو بن العاص ياعمرو ألم تزعم انك ماوقعت في أمر قط الا وخرجت منه قال بلى قال أفلا تخرج مما ترى . قال والله لادعونهم ان شئت الى أمراً فرق به جمعهم ويزداد جمعك اليك اجتماعاً ان أعطوكه اختلفوا وان منعوكه اختلفوا . قال معاوية وما ذلك قال عمرو تأمر بالمصاحف فترفع ثم تدعوهم الى مافيها فوالله لئن قبله لتفترقن عنه جماعته ولئن رده ليكفرنه أصحابه . فدعا معاوية بالمصحف ثم دعا رجلا من أصحابه يقال له ابن هند فنشره بين الصفين ثم نادى الله الله في دمائنا ودمائكم البقية بيننا وبينكم كتاب الله . فلما سمع الناس ذلك ثاروا الى عليّ فقالوا قد أعطاك معاوية الحق ودعاك الى كتاب الله فاقبل منه . ورفع صاحب معاوية المصحف وهو يقول بيننا وبينكم هذا المصحف ثم تلى :: «ألم ترَ الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يُدعَون الى كتاب الله ليَحكم بينهم ثم يتولى فريقٌ منهم وهم معرضون» ثم نادى من

لفارس من الروم فقال الاشعث والله لا نأتي هذه أبداً ونرضى معك أو نقاتل معك وتابعه أشراف أهل اليمن وركنوا الى الصلح وكرهو القتال (١)

﴿ ماتكلم به عبدالله بن عمرو وأهل العراق ﴾ قال وذكروا ان معاوية دعا عبد الله بن عمرو بن العاص فأمره ان يكلم أهل العراق فاقبل عبد الله بن عمرو حتى اذا كان بين الصفين نادي :ياأهل العراق أنا عبد الله بن عمر وبن العاص انه قد كانت بيننا وبينكم أمور للدين والدنيا فان تك للدين فقد والله أسرفنا وأسرفتم وان تك للدنيا فقد والله أعذرنا وأعذرتم وقد دعوناكم لامر لو دعوتمونا اليه أجبناكم فان يجمعنا واياكم الرضا فذلك من الله والا فاغتنموا هذه الفرجة لعل الله ان ينعش بها الحي وينسى بها القتيل فان بقاء المقلد بعد الهالك قليل . فقال على لسعيد بن قيس أجب الرجل وقد كان عبد الله بن عمرو قاتل يوم صفين بسيفين وكان من

---

(١) ويروي أن عليا قال لهم : امضوا على حقكم وصدقكم وقتال عدوكم فان معاوية ومن معه ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن انا أعرف بهم منكم . ويحكم والله ما رفعوها الا خديعة ووهنا

حجته أن قال أمرني رسول الله ان اطيع ابي . فتقدم سعيد
ابن قيس حتى اذا كان بين الصفين نادي : يا اهل الشام انه كانت
بيننا وبينكم امور حامينا فيها على الدين والدنيا وقد دعوتمونا الى
ما قاتلنا كم عليه امس ولم يكن له ليرجع اهل العراق الى
عراقهم ولا اهل الشام الي شامهم بامر احمل منه فان يحكم
فيه بما انزل الله فالامر في ايدينا والا فنحن نحن وانتم انتم .
وان الناس ثاروا الى علي عند كلام عبد الله بن عمرو فقالوا
اجب القوم الي ما دعوك اليه فانا دعونا عثمان الي ما دعاك
القوم اليه فابى فقاتلناه . فبعث عليّ الاشعث الى اهل الرايات
يأمرهم ان ينقضوها ويرجعوا الي رحالهم حتى يبرموا رأيهم

﴿ ما خاطب به عتبة بن ابي سفيان الاشعث بن قيس ﴾

قال وذكروا ان معاوية دعا عتبة فقال له : ألن الى الاشعث
كلاما فانه ان رضي بالصلح رضيت به العامة فخرج عتبة حتى
اذا وقف بين الصفين نادي الاشعث فأتاه فقال عتبة ايها
الرجل ان معاوية لو كان لاقيا احداً غيرك وغير عليّ لقيك
انك رأس اهل العراق وسيد أهل اليمن ومن قد سلف اليه
من عثمان ما قد سلف من الصهر والعمل ولست كاصحابك

اما الاشتر فقتل عثمان ،واما عدي فخصص،واماسعيد بن قيس فقلد عليا دينه، واما شريح بن هانيءوزحر بن قيس فلايعرفان غير الهوي،وأما انت فحاميت عن اهل العراق تكرماًوحاربت اهل الشام حميةًوقد والله بلغنا منك ما اردنا وبلغت منا ما أردت وانا لا ندعوك الى مالا يكون منك من تركك علياً ولا نصرة معاوية ولكننا ندعوك الى البقية التي فيها صلاحك وصلاحنا

﴿ فتكلم الاشعث ﴾ فقال: يا عتبة اما قولك ان معاوية لا يلقى الاعلياً فلو لقيني ما زاد ولا عظم في عيني ولا صغرت عنه وإن احب أن اجمع بينه وبين عليّ لافعلنّ ،واما قولك انى رأس اهل العراق وسيد اهل اليمن فالرأس الامير والسيد المطاع وهاتان لعليّ، وأماماسلف الي من عثمان فوالله ما زادني صهره شرفا ولا عمله غني ،واما عيبك اصحابي فان هذا الامر لا يقربك مني واما محاماتي عن العراق فمن نزل بيننا حميناه واما البقية فلسنا بأحوج منها اليكم

﴿ كتاب معاوية الى علي رضي الله عنهما ﴾ قال وذكروا ان عليا أظهر انه مصبح معاوية للقتال فبلغ ذلك

معاوية ففزع اهل الشام فانكسروا لذلك فقال معاوية لعمرو اني قد رأيت رأيا أن أعيد الي عليّ كتاباً اسأله فيه الشام. فضحك عمرو ثم قال اين انت يا معاوية من جرعة عليّ. فقال معاوية ألسنا بني عبد مناف فقال بلى ولكن لهم النبوة دونكم فان شئت ان تكتب فاكتب. فكتب معاوية الى عليّ: اما بعد فاني اظنك ان لو علمت ان الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنها بعضنا على بعض وان كنا قد غلبنا على عقولنا فلنا منها ما نذم به ما مضى ونصلح ما بقي وقد كنت سألتك ان لا يلزمني لك طاعة ولا بيعة فابيت ذلك عليّ فأعطاني الله مامنعت واني أدعوك الى مادعوتك اليه أمس فانك لا ترجو من البقاء الا ماأرجو ولا تخاف من الفناء الا ما أخاف. وقد والله رقت الاجناد وذهبت الرجال ونحن بنو عبد مناف ليس لبعضنا على بعض فضل الا فضل لا يستذل به عزيز ولا يسترق به حر ﴿ جوابه ﴾ فلما انتهى كتابه الى علي دعا كاتبه عبيد الله بن رافع فقال اكتب: أما بعد فقد جاءني كتابك تذكر انك لو علمت وعلمنا ان الحرب تبلغ ما بلغت لم يجنها بعضنا على بعض وأنا واياك في غاية لم نبلغها بعد، وأما

طلبك اليّ الشام فاني لم أكن أعطيك اليوم مامنعتك أمس ، وأما استواؤنا في الخوف والرجاء فانك لست امضي على الشك مني على اليقين وليس أهل الشام بأحرص من أهل العراق على الآخرة وأما قولك انا بني عبد مناف فكذلك ولكن ليس أمية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا أبو سفيان كأبي طالب ولا المهاجر كالطليق ولا المحق كالمبطل وفي أيدينا فضل النبوة التي قتلنا بها العزيز وبعنا بها الحر والسلام . فلما أتى معاوية الكتاب أقرأه عمراً فشمت به عمرو ولم يكن أحد أشد تعظيما لعلي من عمرو بن العاص بعد يوم مبارزته فقال معاوية لعمرو قد علمت ان اعظامك لعلي لما فضحك قال عمرو لم يفتضح امرؤ بارز عليا وانما افتضح من دعاه الى البراز فلم يجبه .

﴿اختلاف أهل العراق في الموادعة﴾ قال وذكروا انه لما عظم الامر واستحر القتال قال له رأس من أهل العراق ان هذه الحرب قد اكلتنا وأذهبت الرجال والرأي الموادعة . وقال بعضهم لا بل نقاتلهم اليوم على ماقاتلناهم عليه أمس وكانت الجماعة قد رضيت الموادعة وجنحت الى الصلح والمسالمة . فقام

علي خطيباً فقال : أيها الناس انه لم أزل من أمري على ماأحب حتى قدحتكم الحرب وقد والله أخذت منكم وتركت وهي لعدوكم أنهك . وقد كنت بالامس أميراً فأصبحت اليوم مأموراً وكنت ناهياً فأصبحت اليوم منهيا فليس لي ان أحملكم على ماتكرهون

﴿ ماردّ كردوس بن هانئ على علي ﴾ قال وذكروا ان كردوس بن هانئ قام فقال :أيها الناس انه والله ماتولينا معاوية منذ تبرأنا منه ولا تبرأنا من على منذ توليناه وان قتيلنا لشهيد وان حينّا الفائز وان علياً على بينة من ربه وما أجاب القوم الا انصافاً وكل محق منصف فمن سلم له نجا ومن خالفه هوى

﴿ ماقاله سفيان بن ثور ﴾ قال وذكروا ان سفيان بن ثور قال : أيها الناس انا دعونا أهل الشام الى كتاب الله فردوه علينا فقاتلناهم وانهم دعونا الى كتاب الله فان رددناه عليهم حل لهم منا ما حل لنا منهم ولسنا نخاف ان يحيف الله علينا ورسوله وان علياً ليس بالراجع الناكص وهو اليوم على ما كان عليه أمس وقد أكلتنا هذه الحرب ولا نرى البقاء الا في الموادعة

﴿ ماقال حُريث بن جابر ﴾ ثم قام حريث بن جابر فقال: أيها

الناس ان عليا لوكان خلواً من هذا الامر لكان المرجع اليه فكيف وهو قائده وسابقه وانه والله ماقبل من القوم اليوم الا الامر الذي دعاهم اليه أمس ولو رده عليهم كنتم له أعيب ولا يلحد فى هذا الامر الا راجع على عقبيه أومستدرج مغرور وما بيننا وبين من طعن علينا الا السيف

﴿ ماقال خالد بن مَعْمَر ﴾ ثم قام خالد بن معمر فقال يا أمير المؤمنين انا والله ما أخرنا هذا المقام ان يكون أحد أولى به منا ولكن قلنا أحب الامور الينا ما كفينا مؤنته فأما اذا استغنينا فانا لانرى البقاء الا فيما دعاك القوم اليه اليوم ان رأيت ذلك وان لم تره فرأيك أفضل

﴿ ماقال الحُصين بن المنذر ﴾ ثم قام الحصين بن المنذر وكان أحدث القوم سناً فقال : أيها الناس انما بنى هذا الدين على التسليم فلا تدفعوه بالقياس ولا تهدموه بالشبهة وإنا والله لو انا لانقبل من الامور الا مانعرف لاصبح الحق في الدنيا قليلا ولو تركنا وما نهوى لاصبح الباطل في أيدينا كثيراً وان لنا راعيا قد حمدنا ورده وصدره وهو المأمون على ماقال وفعل فان قال لاقلنا لا . وان قال نعم قلنا نعم

﴿ ماقال عثمان بن حنيف ﴾ ثم قام عثمان بن حنيف وكان من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عاملا لعليّ على البصرة وكان له فضل فقال :أيها الناس اتهموا رأيكم فقد والله كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية يوم أبي جندل وانا لنريد القتال انكاراً للصلح حتى ردنا عنه رسول الله وان أهل الشام دعوا الى كتاب الله اضطراراً فأجبناهم اليه اعذاراً فلسنا والقوم سواء إنا والله ماعدلنا الحي بالحي ولا القتيل بالقتيل ولا الشامي بالعراقي ولا معاوية بعلي وانه لأمر منعه غير نافع واعطاؤه غير ضائر وقد كلت البصائر التي كنا نقاتل بها وقد حل الشك اليقين الذي كنا نؤل اليه وذهب الحياء الذي كنا نماري به فاستظلوا في هذا الفيء واسكنوا في هذه العافية فان قلتم نقاتل على ما كنا نقاتل عليه أمس هيهات هيهات ذهب والله قياس أمس وجاء غد . فاعجب عليا قوله وافتخرت به الانصار ولم يقل أحد بأحسن من مقالته

﴿ ماقال عدي بن حاتم ﴾ ثم قام عدي بن حاتم فقال: أيها الناس انه والله لو غير علي دعانا الى قتال أهل الصلاة ما أجبناه ولا وقع بأمر قط الا ومعه من الله برهان وفي يديه من الله سبب

وانه وقف عن عثمان بشبهة وقاتل أهل الجمل على النكث وأهل الشام على البغى فانظروا في أموركم وأمره فان كان له عليكم فضل فليس لكم مثله فسلموا له والا فنازعوا عليه، والله لئن كان الى العلم بالكتاب والسنة انه لاعلم الناس بهما، ولئن كان الى الاسلام انه لاخو نبيّ الله والرأس في الاسلام، ولئن كان الي الزهد والعبادة لانه أظهر الناس زهداً وأنهكهم عبادة ولئن كان الي العقول والنجائر انه لاشد الناس عقلا واكرمهم نجرة، ولئن كان الى الشرف والنجدة انه لاعظم الناس شرفا ونجدة، ولئن كان الى الرضى لقد رضي به المهاجرون والانصار في شوري عمر رضي الله عنهم وبايعوه بعد عثمان ونصروه على أصحاب الجمل وأهل الشام فما الفضل الذي قربكم الى الهدى وما النقص الذي قربه الي الضلال ؛ والله لو اجتمعتم جميعا على أمر واحد لاتاح الله له من يقاتل لامر ماض وكتاب سابق.

فاعترف أهل صفين لعدى بن حاتم بعد هذا المقام ورجع كل من تشعب على علي رضي الله عنه

﴿ ماقال عبد الله بن حجل ﴾ ثم قام عبد الله بن حجل فقال: ياأمير المؤمنين انك أمرتنا يوم الجمل بأمور مختلفة كانت

عندنا أمراً واحداً فقبلناها بالتسليم وهذه مثل تلك الامور ونحن أولئك أصحابك وقد اكثر الناس في هذه القضية وأيم الله ماالمكثر المنكر بأعلم بها من المقل المعترف وقد أخذت الحرب بأنفاسنا فلم يبق الا رجاء ضعيف فان تجب القوم الى مادعوك اليه فأنت أولنا ايمانا وآخرنا بنبيّ الله عهداً وهذه سيوفنا على أعناقنا وقلوبنا بين جوانحنا وقد أعطيناك بقيتنا وشرحت بالطاعة صدورنا ونفذت في جهاد عدوك بصيرتنا فأنت الوالي المطاع ونحن الرعية الاتباع ، أنت أعلمنا بربنا وأقربنا بنبينا وخيرنا في ديننا وأعظمنا حقا فينا ، فسدّد رأيك نتبعك واستخر الله تعالى في أمرك واعزم عليه برأيك فأنت الوالي المطاع . قال فسر علي كرم الله وجهه بقوله واثني خيراً

﴿ ثم قام صعصعة بن صوحان ﴾ فقال : ياأمير المؤمنين انا سبقنا الناس اليك يوم قدوم طلحة والزبير عليك فدعانا حكيم الى نصرة عاملك عثمان بن حنيف فأجبناه فقاتل عدوك حتى أصيب في قوم من بني عبد قيس عبدوا الله حتى كانت أكفهم مثل أكف الابل وجباههم مثل ركب المعز فأسر الحيّ وسلب القتيل فكنا أول قتيل وأسير ثم رأيت بلاءنا

بصفين وقد كلت البصائر وذهب الصبر وبقى الحق موفوراً وأنت بالغ بهذا حاجتك والامر اليك ماأراك الله فمرنا به

﴿ ماقال المنذر بن الجارود ﴾ ثم قام المنذر بن الجارود فقال: ياأمير المؤمنين اني أرى أمراً لا يدين له الشام الا بهلاك العراق ولا يدين له العراق الا بهلاك الشام ولقد كنا نرى ان مازادنا نقصهم وما نقصنا أضرهم فاذا في ذلك أمران فان رأيت غيرك فقينا والله مايفلّ به الحد ويرد به الكاب وليس لنا معك ايراد ولا صدر

﴿ ماقال الاحنف بن قيس ﴾ ثم قام الاحنف بن قيس فقال : ياأمير المؤمنين ان النـاس بين ماض وواقف وقائل وساكت وكل في موضعه لحسن وانه لو يكل الآخر عن الاول لم يقل شيئاً الا ان يقول اليوم ماقد قيل أمس ولـكنه حـق يقضي ولم نقاتل القوم لنا ولا لك انما قاتلناهم لله فان حال أمر الله دوننا ودونك فاقبله فانك أولى بالحـق واحقنا بالتوفيق ولا أرى الا القتال

﴿ ماقال ابن عمير بن عُطارد ﴾ ثم قام عمير بن عطارد فقال: ياأمير المؤمنين ان طلحة والزبير وعائشة كانوا أحب الناس

الي معاوية وكانت البصرة أقرب الينا من الشام وكان القوم الذين وثبوا عليك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً من الذين وثبوا عليك من أصحاب معاوية اليوم فو الله مامنعنا ذلك من قتل المحارب وعيب الواقف فقاتل القوم انا معك

﴿ ماقال عليّ رضي الله عنه بعده ﴾ ثم قام علي خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :أيها الناس انه قد بلغ بكم وبعدوكم ماقد رأيتم ولم يبق منهم الا آخر نفس وان الامور اذا أقبلت اعتبر آخرها بأولها وقد صبر لكم القوم على غير دين حتى بلغوا منكم مابلغوا وانا غاد عليهم بنفسي بالغداة فأحاكمهم بسيفي هذا الى الله

﴿ نداء أهل الشام واستغاثتهم علياً رضي الله عنه ﴾ قال فلما بلغ معاوية قول علي دعا عمرو بن العاص فقال له ياعمرو انما هي الليلة حتى يغدو علينا علي بنفسه فما ترى قال عمرو ان رجالك لا يقومون لرجاله ولا أنت ولا أنا لا نقوم له. أنت تقاتله علي أمر ويقاتلك على غيره وأنت تريد البقاء وعلي يريد الفناء وليس يخاف أهل الشام من علي مايخاف منك أهل العراق

وان هلكتم . ولكن ادعهم الى كتاب الله فانك تقضي منه حاجتك قبل ان ينشب مخلبه فيك . فأمر معاوية أهل الشام أن ينادوهم فنادوا في سواد الليل نداء معه صراخ واستغاثة يقولون ياأبا الحسن من لذرارينا من الروم ان قتلتنا الله الله البقيا كتاب الله بيننا وبينكم . فاصبحوا وقد رفعوا المصاحف على الرماح وقلدوها أعناق الخيل والناس على راياتهم قد أصبحوا للقتال

﴿ ما أشار به عدي بن حاتم ﴾ فقام عدي بن حاتم فقال: ياأمير المؤمنين ان أهل الباطل لاتموق لاهل الحق وقد جزع القوم حين تأهبت للقتال بنفسك وليس بعد الجزع الا ما تحب ناجز القوم . ﴿ ماقال الاشتر وأشار به ﴾ ثم قام الاشتر فقال: ياأمير المؤمنين ماأجبناك لدنيا ان معاوية لا خلف له من رجاله ولكن بحمد الله الخلف لك ولو كان له مثل رجالك لم يكن له مثل صبرك ولا نصرتك فافرج الحديد بالحديد واستعن بالله

﴿ ماقال عمرو بن الحمق ﴾ ثم قام عمرو بن الحمق فقال ياأمير المؤمنين ماأجبناك لدنيا ولا نصرناك على باطل ماأجبناك الا

لله تعالى ولا نصرناك الا للحق ولو دعانا غيرك الى مادعوتنا اليه لكثر فيه اللجاج وطالت له النجوي وقد بلغ الحق مقطعه وليس لنا معك رأى

﴿ ماقال الاشعث بن قيس ﴾ ثم قام الاشعث بن قيس فقال: ياأمير المؤمنين انا لك اليوم على ما كناعليه أمس ولست أدري كيف يكون غـداً وماالقوم الذين كلموك بأحمد لاهل العراق مـني ولا بأوثر لاهـل الشام مني فأجب القوم الى كتاب الله فانك أحق به منهم وقد أحب الله البقيا

﴿ ماقال عبد الرحمن بن حارث ﴾ ثم قام عبد الرحمن ابن حارث فقال ياأمير المؤمنين امض لامر الله ولا يستخفنك الذين لا يوقنون . أحكم بعـد حكم وأمر بعد أمر مضت دماؤنا ودماؤهم ومضي حكم الله علينا وعليهم

﴿ مارآه علي كرم الله وجهه ﴾ قال فمـال علي الي قول الاشعث بن قيس وأهل اليمن فأمر رجلا ينادي انا قد أجبنا معاوية الى مادعانا اليه ، فأرسل معاوية الى علي ان كتاب الله لا ينطق ولـكن تبعث رجلا منا ورجلا منـكم فيحكمان بما فيه . فقال علي قد قبلت ذلك

﴿ ماقال عمار بن ياسر ﴾ فلما أظهر علي انه قدقبل ذلك قام عمار بن ياسر فقال : ياأمير المؤمنين أما والله لقد أخرجها اليك معاوية بيضاء من أقرّ بها هلك ومن أنكرها هلك مالك ياأبا الحسن أشككتنا في ديننا ورددتنا علي اعقابنا بعدمائة الف قتلوا منا ومنهم أفلا كان هذا قبل السيف وقبل طلحة والزبير وعائشة وقد دعوك الي ذلك فأبيت وزعمت انك أولي بالحق وأن من خالفنا منهم ضال حلال الدم وقد حكم الله تعالى في هذا المال ماقد سمعت فان كان القوم كفاراً مشركين فليس لنا ان نرفع السيف عنهم حتى يفيؤا الي أمر الله وان كانوا أهل فتنة فليس لنا ان نرفع السيف عنهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله والله ماأسلموا ولا أدوا الجزية ولا فاؤا الي أمر الله ولا طفئت الفتنة فقال علي والله اني لهذا الامر كاره

﴿ قتل عمار بن ياسر ﴾ قال فلما رد علي على عمار انه كاره للقضية وانه ليس من رأيه نادى عمار :أيها الناس هل من رائح الي الجنة فخرج اليه خمسمائة رجل منهم أبو الهيثم وخزيمة ابن ثابت ذو الشهادتين فاستسقى عمار الماء فأتاه

غلام له بأداوة فيها لبن فلما رآه كبر وقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول« آخر زادك من الدنيا لبن »ثم قال عمار اليوم التقى الاحبة محمداً وحزبه. ثم حمل عمار وأصحابه فالتقى عليه رجلان فقتلاه واقبلا برأسه الى معاوية يتنازعان فيه كل يقول انا قتلته فقال لهما عمرو بن العاص : والله ان تتنازعان الا في النار سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم :يقول:تقتل عماراً الفئة الباغية فقال معاوية قبحك الله من شيخ فما تزال تتزلق في قولك أوَ نحن قتلناه انما قتله الذين جاؤا به ثم التفت الى أهل الشام فقال : انما نحن الفئة الباغية التي تبغى دم عثمان . فلما قتل عمار اختلط الناس حتى ترك أهل الرايات مراكزهم وأقحم أهل الشام وذلك من آخر النهار وتفرق الناس عن علي فقال عدي بن حاتم :والله ياأمير المؤمنين ماأبقت هذه الوقعة لنا ولا لهم عميداً فقاتل حتى يفتح الله تعالى لك فان فينا بقية فقال علي ياعدي قتل عمار بن ياسر ؟ قال نعم فبكى علي :وقال :رحمك الله ياعمار استوجب الحياة والرزق الكريم كم تريدون ان يعيش عمار وقد نيف على التسعين

﴿ هزيمة أهل الشام ﴾ ثم أقبل الاشتر جريحا فقال:

ياأمير المؤمنين خيل كخيل ورجال كرجال ولنا الفضل الى ساعتنا هذه فعد مكانك الذي كنت فيه فان الناس انما يطلبونك حيث تركوك . وان علياً دعا بفرسه التي كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دعا ببغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهباء ثم تعصب بعمامة رسول الله صلى الله عليه وسلم السوداء ثم نادى: من يبع نفسه اليوم يربح غداً يوم له مابعده وان عدوكم قد قدح كما قد حتم . فانتدب له مابين عشرة آلاف الى اثني عشر ألفا واضعي سيوفهم على عواتقهم وتقدموا فحمل علي والناس حملة واحدة فلم يبق لاهل الشام صف الا أهمد حتى أفضى الامر الى معاوية وعلي يضرب بسيفه ولايستقبل أحدا الاولي عنه . فدعا معاوية بفرسه لينجو عليه فلما وضع رجله في الركاب نظر الى عمرو بن العاص فقال له ياابن العاص : اليوم صبر وغدا فخر قال صدقت فترك الركوب وصبر وصبر القوم معه الى الليل فبات الناس يتحارسون وكرهوا القتال وهو اليوم الذي فيه البلاء العظيم يوم قتل عمار وكل يظن ان الدائرة عليه وأشرف الفريقان في القتل ولم يكن في الاسلام بلاء ولاقتل أعظم منه في تلك الثلاثة أيام

وان عليا نادى بالرحيل في جوف الليل فلما سمع معاوية رضي الله عنه رغاء الابل دعا عمرو بن العاص فقال ماترى هاهنا قال عمرو أظن الرجل هاربا فلما أصبحوا اذا على وأصحابه الى جانبهم قد خالطوهم فقال معاوية كلا زعمت ياعمرو انه هارب فضحك وقال من فعلاته والله فعندها أيقن معاوية بالهلكة ونادى أهل الشام كتاب الله بيننا وبينكم ويومئذ استبان ذل أهل الشام ورفعوا المصاحف ثم ارتحلوا فاعتصموا بجبل منيف وصاحوا لاترد كتاب الله ياأبا الحسن فانك أولي به منا وأحق من أخذ به

﴿ ماقال الاشعث بن قيس ﴾ قال فاقبل الاشعث بن قيس في أناس كثير من أهل اليمن فقالوا لعلى لاترد مادعاك القوم اليه قد أنصفك القوم والله لئن لم تقبل هذا منهم لاوفاء معك ولا نرمى معك بسهم ولا حجر ولا نقف معك موقفا

﴿ ماقال القرّاء ﴾ قال فلما سمع علي قول الاشعث ورأى حال الناس قبل القضية وأجاب الي الصلح وقام الى علي أناس وهم القراء منهم عبدالله بن وهب الراسبي فى أناس كثير قد اخترطوا سيوفهم ووضعوها على عواتقهم فقالوا لعلي اتق الله فانك قد

أعطيت العهد وأخذته منا لنفنين أنفسنا أو لنفنين عدونا أو يفيء الى أمر الله وانا نراك قد ركنت الى أمر فيه الفرقة والمعصية لله والذل في الدنيا فانهض بنا الي عدونا فلنحاكمه الي الله بسيوفنا حتى يحكم الله بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين لاحكومة الناس ٠ ﴿ ماقال عثمان بن حنيف ﴾ ثم قام عثمان بن حنيف فقال: أيها الناس اتهموا رأيكم فاناوالله قد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ولو رأينا قتالا قاتلنا وذلك في الصلح الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أهل مكة ٠ فامض على القضية واتهم هذا الصلح

﴿ ماقال الاشتر وقيس بن سعد ﴾ قال فانكرها الاشتر وقيس بن سعد وكانا أشد الناس على علي فيها قولا فكان الذين عملوا في الصلح الاشعث بن قيس وعدي بن حاتم وشريح بن هانئ وعمرو بن الحمق وزحر بن قيس ومن أهل الشام زيد بن أسد ومخارق بن الحارث وحمزة بن مالك فلما رأى ذلك أبو الاعور قام الى معاوية فقال ياأمير المؤمنين ان القوم لم يجيبوا الى مادعوناهم اليه حتى لم يجدوا من ذلك بداً وانهم ان ينصرفوا العام يعودوا في قابل فى سنة يبرأ الجريح وينسى القتيل

وقد أخـذت الحرب منا ومنهم غير انهم اختلفوا على علي ولم يختلف عليك أحد والخلاف أشد من القتل ناجز القوم. فقال بشر بن أرطاة والله ان الشام خير من العراق لعلى ومافي يدك لك ومافي يد علىّ لاصحابه دونه فان كنت انما سألت المدة لاعداد العدة وانتظار المدد فنعم وان كنت سألتها بعض الحرب وبقيا على أهل الشام فلا

﴿ ذكر الاتفاق على الصلح وارسال الحكمين ﴾ قال وذكروا ان معاوية قال لاصحابه حين استقامت المدة ولم يسم الحكمين : من ترون عليا يختار فاما نحن فصاحبنا عمرو بن العاص. قال عتبة بن أبي سفيان أنت أعلم بعلي منا فقال معاوية: ان لعلى خمسة رجال من ثقاته منهم عدي بن حاتم وعبد الله ابن عباس وسعد بن قيس وشريح بن هانئ والاحنف بن قيس وأنا أصفهم لك :أما بن عباس فانه لايقوي، وأما عدي ابن حاتم فيرد عمراً سائلا ويسأله مجيباً، وأماشريح بن هانئ فلا يدع لعمرو حياضا ، وأماالاحنف بن قيس فبديهته كرويته، وأما سعد بن قيس فلو كان من قريش بايعته العرب ومع هذا ان الناس قدماوا هذه الحرب ولم يرضوا الا رجلا له تقية وكل

هؤلاء لاتقية لهم ولكن انظروا أين أنتم من رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تأمنه أهل الشام وترضى به أهل العراق فقال عتبة ذلك أبو موسى الاشعري

﴿ اختلاف أهل العراق في الحكمين ﴾ قال وذكروا ان عليا لما استقام رأيه على ان يرسل عبد الله بن عباس مع عمرو ابن العاص قام اليه الاشعث بن قيس وشريح بن هانئ وعدي ابن حاتم وسعد بن قيس ومعهم أبو موسى الاشعري فقالوا ياأمير المؤمنين هذا أبو موسى الاشعري وافد اهل اليمن الى رسول الله صلي الله عليه وسلم وصاحب مغانم ابى بكر وعامل عمر بن الخطاب وقد عرضنا على القوم ابن عباس فزعموا انه قريب القرابة منك ضنين في امرك وايم الله لو لقيت به عمراً لاخذ بصره وغم صدره . ولكن الناس قدرضوا برجل يثق اهل العراق واهل الشام بتقيته . فتكلم شبيب بن ربعي فقال انا والله وان خفنا على ابي موسي من عمرو مالايخافه اهل الشام على عمرو من ابي موسي فلعل ماخفناه لايضرنا ولعل مارجوا لاينفعهم فان قلت في أبي موسي ضعف فضعفه وتقاه خير من قوة عمرو وفجوره فاغاق به البلاء وافتح به العافية ثم

تكلم ابن الكواء فقال ياأمير المؤمنين انك أجبت الله وأجبناك ولكنا نقول الله بيننا وبينك ان كنت تخشى من أبي موسى عجزاً فشرٌ من أرسلت الخائن العاجز ، ولست تحتاج من عقله الا الى حرف واحد ان لايجعل حقك لغيرك فيدرك حاجته منك . واعلم ان معاوية طليق الاسلام وان أباه رأس الاحزاب وانه ادعي الخلافة من غير مشورة فان صدقك فقد حل خلعه وان كذبك فقد حرم عليك كلامه وان ادعي ان عمر وعثمان استعملاه فقد صدق استعمله عمر وهو الوالى بمنزلة الطبيب من المريض يحميه مايشتهي ويوجره مايكره ثم استعمله عثمان وما كان من استعماله ثم لم يدع الخلافة ومهمانسيته فلا تنس ان علياً بايعه الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان وانها بيعة هذا ولم يقاتل الا عاصيا أو ناكثا . فقال : أبو موسى رحمك الله أما والله اني لواقف عند ماأرى ولرضاء الله تعالى أحب الي من رضاء الناس وما أنا وانت الا بالله تعالي

﴿ ماقال أهل الشام لاهل العراق ﴾ قال وذكروا ان أهل الشام قالوا لاهل العراق اعطونا رجالا نسميهم لكم يكونوا شهوداً على مايقوله صاحبنا وصاحبكم بيننا وبينكم

صحيفة فقال عليّ سموا من أحببتم فسموا ابن عباس والاشعث ابن قيس وزياد بن كعب وشريح بن هانىء وعدي بن حاتم وحجر بن عدي وعبد الله بن الطفيل وسفيان بن ثور وعروة ابن عامر وعبد الله بن حجر وخالد بن معمر وطلب أهل العراق من أهل الشام عتبة بن أبي سفيان وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ويزيد بن أسيد وأبا الاعور والحصين بن نمير وحمزة بن مالك وبُسْر بن أرطاة والنعمان بن بشير ومخارق بن الحارث فلما سمي أهل العراق رجال أهل الشام وسمي أهل الشام رجال أهل العراق قال معاوية أين يكونا هذين الرجلين فرضي الناس ان يكونا بدومة الجندل

﴿ ماقال الاحنف بن قيس لعلي ﴾ قال فلما لم يبق الا الكتاب قال الاحنف بن قيس لعلي ياأمير المؤمنين ان أبا موسى رجل يماني وقومه مع معاوية فابعثني معه فوالله لا يحل لك عقدة الا عقدت لك أشد منها فان قلت اني لست من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فابعث ابن عباس وابعثني معه

﴿ ماقال علي كرم الله وجهه ﴾ فقال عليّ ان الانصار والقراء أتوني بأبي موسى فقالوا ابعث هذا فقد رضيناه ولا

نريد سواه والله بالغ أمره

﴿ الاختلاف في كتاب صحيفة الصلح ﴾ قال فوضع الناس السلاح والتقوا بين العسكرين فلما جيء بالكتاب قال عليّ اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم:هذا ما تقاضى عليه عليّ ابن أبي طالب أمير المؤمنين ومعاوية بن أبي سفيان فقال معاوية على مقاتلناك اذ كنت أمير المؤمنين اكتب : عليّ بن أبي طالب . فقال الاشعث اطرح هذا الاسم فانه لايضرك فضحك عليّ ثم قال: دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية حين صدّه المشركون عن مكة فقال ياعليّ اكتب هذا ماتقاضى عليه محمد رسول الله ومشركو قريش فقال سهيل ابن عمرو لقد ظلمناك اذاً يا محمد إن قاتلناك وأنت رسول الله ولكن اكتب اسمك واسم أبيك فقال صلى الله عليه وسلم اكتب محمد بن عبد الله واني رسول الله . وكنت اذا أمرني بشيء رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرعت واذا قال مشركو قريش أبطأت به واذا كتبت شيئاً قال نبي الله امحها فتعاظمني ذلك . فدعا بمقراض فقرضته وكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تقاضى عليه عليّ بن أبي طالب ومعاوية بن

أبي سفيان فقال أبو الاعور أو معاوية وعليّ فقال الاشعث لالعمر الله ولكن نبدأ بأولهما ايمانا وهجرة وأدناهما من الغاية فقال معاوية : قدموا أو أخروا تقاضوا على ان علياً ومن معه من شيعته من أهل العراق ومعاوية ومن معه من أهل الشام انا ننزل عند حكم الله وكتابه من فاتحته الى خاتمته ما أحيي القرآن أحييناه وما أمات القرآن امتناه فلما لم يجد عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص في القرآن حكما بما يجد ان في السنة العادلة غير المفرقة وعلى عليّ ومعاوية وتبيعتهما وضع السلاح الى انقضاء هذه المدة وهي من رمضان الى رمضان وعلى ان عبد الله بن قيس وعمراً آمنان على دمائهما وأموالهما وحريمهما والامة على ذلك انصار وعليهما مثل الذي أخذا ان يقضيا بما في كتاب الله تعالى ومالم يجدا في كتاب الله قضيا بما يجدان في السنة وعليهما ان لا يؤخرا أمرهما عن هذه المدة فان أحبا ان يقولا قبل انقضائها فلهما ان يقولا عن تراض منهما على ان يرجع أهل العراق الى العراق وأهل الشام الى الشام فيكون الاجتماع الى دومة الجندل فان رضيا ان يجتمعا بغيرها فلهما ذلك ولهما ان لا يحضرهما الا من أحبا ولا

يشهدا الا من أرادا وهؤلاء النفر من أهل العراق وأهل الشام ضامنون بالوفاء الى هذه المدة فكتب أهل العراق بهذا كتابا لاهل الشام وكتب أهل الشام كتابا بهذا لاهل العراق بخط عمرو بن عبادة كاتب معاوية وشهد شهود أهل الشام على أهل العراق وشهد شهود أهل العراق على أهل الشام فلما كتب الكتابان أقبل رجل من بني يشكر على فرس له أبلق حتى وقف بين الصفين على عليّ فقال ياعلي أكفرٌ بعد اسلام ونقض بعد توكيد وردة بعد معرفة أنا من صحيفتيكما بريء وممن أقر بها بريء ثم حمل على أصحاب معاوية فطعن فيهم حتى اذا عطش أتى عسكر عليّ فاستسقى فسقي ثم حمل على عسكر علي فطعن فيهم حتى اذا عطش أتى عسكر معاوية فاستسقى فسقي

﴿ ما وصّى به شريح بن هانئ أبا موسي ﴾ قال وذكروا ان شريح بن هانيء أخذ بيد أبي موسي فقال: ياأبا موسي انك نصبت لامر لايجبر صدعه ولا تستقال فلتته ومهما تقل من شيء لك أو عليك يثبت حقه ويزيل باطله انه لابقاء لاهل العراق ان ملكها معاوية ولا بأس لاهل الشام ان ملكها على

فانظر في ذلك نظر من يعرف هذا الامر حقاً

﴿ ما وصّى به الاحنف بن قيس أبا مـوسي ﴾ قال ثم جاء الاحنف بن قيس فأخذ بيده ثم :قال:ياأبا موسي اعرف خطب هـذا المسير واعلم ان لك مابعـده وانك ان ضيعت العراق فلاعراق لك فاتق الله فانك تجمع بذلك دنيا وأخرى . اذا لقيت عمراً غداً فلا تبادره بالسلام فليس من أهله ولا تعطيه يدك فانها أمانة واياك ان تقعد على صدر الفراش فانها خدعة ولا تلقه وحدك واياك ان يكلمك في بيت فيه مخدع يخبأ لك فيه رجالا وان لم يستقم لك عمرو على الرضا بعلي فخيره ان يختار أهـل العراق رجلا من قريش أهل الشام من شاؤا فانهم ان يولوا الخيار يختاروا من يريدون فان أبي فلتختار أهل الشام من قريش أهل العراق من شاؤا فان فعلوا كان الامر بيننا

﴿ ماقال معاوية لعمرو ﴾ قال وذكروا ان معاوية قال لعمر وان أهل العراق أكرهوا علياً على أبي موسي وأناوأهل الشام راضون بك وارجو في دفع هـذه الحرب خصا لاقوة لاهـل الشام وفرقة لاهل العراق وأمداداً لاهل اليمن وقد ضم اليك رجـل طويل اللسان قصير الرأي وله على ذلك

دين وفضل فدعه يقل فاذا هو قال فاصمت واعلم ان حسن الرأي زيادة في العقل ان خوفك العراق فخوفه بالشام وان خوفك مصر فخوفه باليمن وان خوفك علياً فخوفه بمعاوية وان أتاك بالجميل فاته بالجميل قال عمرو ياأمير المؤمنين أقلل الاهتمام بما قبلي وأرج الله تعالى فيما وجهتني له انك من أمرك على مثل حد السيف لم تنل في حربك مارجوت ولم تأمن ماخفت ونحن نرجوا ان يصنع الله تعالى لك خيراً وقد ذكرت لابي موسى ديناً وان الدين منصور أرأيت ان ذكر علياً وجاءنا بالاسلام والهجرة واجتماع الناس عليه ماأقول فقال معاوية قل ماتريد وترى قال فانصرف عمرو الى منزله فقال لاصحابه هل ترون ماأراد معاوية من تصغير أبي موسى قالوا لاقال عرف انه خادعه غداً

﴿ ماقال شرحبيل لعمرو ﴾ قال واتى شرحبيل بن السمط الى عمرو فقال ياعمرو انك رجل قريش وان معاوية لم يبعثك الا لثقته بك واعلم انك لم تؤت من عجز وقد علمت ان وطأة هذا الامر لصاحبك ولك فكن عند ظننا بك

﴿ اجتماع أبي موسى وعمرو ﴾ قال وذكروا ان أبا

موسى وعمراً لما اجتمعا بدومة الجندل وحضرهما من يليهما
من العرب ليستمعوا قول الرجلين فلما التقيا استقبل عمرو أبا
موسى فاعطاه يده وضم عمرو أباموسى الي صدره فقال ياأخي
قبح الله أمراً فرق بيننا ثم أقعد أبا موسى على صدر الفراش
وأقبل عليه بوجهه والناس مجتمعون فلم يزالا حتى تفرقا ومكثا
أياما يلتقيان في أمرهما سراً وجهراً وأقبل الاشعث بن
قيس وكان من أحرص الناس على اتمام الصلح والراحة من
الحرب فقال ياهذان انا قد كرهنا هذه الحرب فلا تردواها الينا
فانها مرة الرضاع والفطام فكفاها بما شئتما

﴿ماقال سعيد بن قيس للحكمين﴾ قال فاقبل سعيد بن قيس وكان
من النصحاء لعلي كرم الله وجهه فقال: أيها الرجلان اني أراكما
قد أبطأتما بهذا الامر حتي أيس القوم منكما فان كنتما اجتمعتما
على خير فاظهراه نسمعه ونشهد عليه وان كنتما لم تجتمعا رجعنا الى
الحرب. ﴿ماقال عدي بن حاتم لعمرو﴾ قال وذكروا ان عديا
قال لعمرو أما والله ياعمرو انك لغير مأمون الغناء وانك ياأبا
موسى لغير مأمون الضعف وما ننتظر بالقول منكما الا أن
تقولا والله مالكما مع كتاب الله ايراد ولا صدر فقال أبو موسى

كفوا عنا فانا انما نقول فيما بقى ولسنا نقول فيما مضى

﴿ ماقال عمرو لابي موسى ﴾ قال وذكروا ان عمراً غدا على أبي موسى فقال يا أباموسى قدعرفت حال معاوية في قريش وشرفه في بنى عبد مناف وانه ابن هند وابن أبي سفيان فما ترى فقال أبو موسى أما معاوية فليس باشرف في قريش من علي ولو كان هذا الامر على شرف الجاهلية كان أخوال ذي أصبح ولكنني أرى وترى وباعده أبو موسى ثم غدا عليه عمرو فقال يا أبا موسى ان قال قائل ان معاوية من الطلقاء وأبوه رأس الاحزاب لم يبايعه المهاجرون والانصار فقد صدق واذا قال ان عليا آوى قتلة عثمان وقتل أنصاره يوم الجمل وبرز على أهل الشام بصفين فقد صدق وفينا وفيكم بقية وان عادت الحرب ذهب مابقى فهل لك ان تخلعهما جميعاً وتجعل الامر لعبد الله بن عمر فقد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبسط في هذه الحرب يداً ولا لسانا وقد علمت من هو مع فضله وزهده وورعه وعلمه فقال أبو موسى جزاك الله بنصيحتك خيراً وكان أبو موسى لايعدل بعبد الله بن عمر أحداً لمكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكانه من

أبيه لفضل عبدالله في نفسه وافترقا على هذا الامر واجتمع رأيهما على ذلك . ثم ان عمراً غدا على أبي موسى بالغدو جماعة الشهود فقال ياأبا موسى ناشدتك الله تعالى من أحق بهذا الامر من أوفى أو من غدر قال أبو موسى من أوفى قال عمرو يا أباموسى نشدتك الله تعالى ماتقول في عثمان قال أبو موسى قتل مظلوما قال عمرو فما الحكم فيمن قتل قال أبو موسى يقتل بكتابه الله تعالى قال فمن يقتله قال أولياء عثمان قال فان الله يقول في كتابه العزيز « ومَنْ قُتل مظلوماً فقد جعلنا لوليّه سلطاناً » قال فهل تعلم ان معاوية من أولياء عثمان قال نعم قال عمرو للقوم اشهدوا قال أبو موسي للقوم اشهدوا على ما يقول عمرو ثم قال أبو موسى لعمرو قم يا عمرو فقل وصرح بما اجتمع عليه رأيي ورأيك وما اتفقنا عليه فقال عمرو سبحان الله أقوم قبلك وقد قدمك الله قبلي في الايمان والهجرة وأنت وافد أهل اليمن الى رسول الله ووافد رسول الله اليهم وبك هداهم الله وعرفهم شرائع دينه وسنة نبيه وصاحب مغانم أبي بكر وعمر ولكن قم أنت فقل ثم أقوم فأقول فقام أبو موسى فحمد الله وأثني عليه ثم قال : أيها الناس

ان خير الناس للناس خيرهم لنفسه وانى لاأهلك ديني بصلاح غيري،ان هذه الفتنة قد أكلت العرب وانى رأيت وعمراً ان نخلع علياً ومعاوية ونجعلها لعبد الله بن عمر فانه لم يبسط في هذه الحرب يداً ولا لسانا ثم قام عمرو فقال: أيها الناس هذا أبو موسي شيخ المسلمين وحكم أهل العراق ومن لا يبيع الدين بالدنيا وقد خلع علياً وأثبت معاوية فقال أبو موسي مالك عليك لعنة الله ماأنت الا كمثل الكلب تلهث فقال عمرو لكنك مثل الحمار يحمل أسفاراً.واختلط الناس فقالوا والله لو اجتمعنا على هذا ماحولتمانا عن مانحن عليه وماصلحكما بلا زمنا وانا اليوم على ما كنا عليه أمس ولقد كنا ننظر الى هذا قبل ان يقع وما أمات قولكما حقا ولا أحيا باطلا ثم تشاتم أبوموسى وعمرو ثم انصرف عمرو الى معاوية ولحق أبو موسي بمكة وانصرف القوم الى علي فقال عدي أما والله ياأمير المؤمنين لقد قدمت القرآن وأخرت الرجال وجعلت الحكم لله فقال على أما اني قد أخبرتكم ان هذا يكون بالامس وجهدت أن تبعثوا غير أبي موسى فابيتم على ولا سبيل الى حرب القوم حتى تنقضى المدة.فصعد المنبر فحمد الله وأثني عليه ثم : قال قم

يا حسن فتكلم في أمر هذين الرجلين ابي موسى وعمرو . فقام الحسن فتكلم فقال: أيها الناس قد أكثرتم في أمر أبى موسى وعمرو وانما بعثا ليحكما بالقرآن دون الهوى فحكما بالهوى دون القرآن فمن كان هكذا لم يكن حكما ولكنه محكوم عليه وقد كان من خطأ أبي موسى أن جعلها لعبد الله بن عمر فأخطأ في ثلاث خصال خالف يعني ابا موسى أباه عمر اذ لم يرضه لها ولم يره أهلا لها وكان أبوه اعلم به من غيره ولا أدخله في الشوري الا على انه لا شيء له فيها شرطا مشروطا من عمر على أهل الشوري فهذه واحدة، وثانية لم تجمع عليه المهاجرون والانصار الذين يعقدون الامامة ويحكمون على الناس، وثالثة لم يستأمر الرجل في نفسه ولا علم ماعنده من رد أو قبول . ثم جلس ثم قال علي لعبد الله بن عباس قم فتكلم فقام عبد الله بن عباس وقال: أيها الناس ان للحق اناسا أصابوه بالتوفيق والرضا والناس بين راض به وراغب عنه وانما سار أبو موسى بهدى الى ضلال وسار عمرو بضلال الى هدى فلما التقيا رجع أبو موسي عن هداه ومضى عمرو على ضلاله فوالله لو كانا حكما عليه بالقرآن لقد حكما عليه ولئن كانا حكما بهواهما على القرآن ولئن

مسكا بما سارا به لقد سار أبو موسى وعلي امامه وسار عمرو ومعاوية امامه ثم جلس فقال عليّ لعبد الله بن جعفر قم فتكلم فقامَ . وقال : أيها الناس هذا أمر كان النظر فيه لعلي والرضا فيه الى غيره جئتم بأبي موسي فقلتم قد رضينا هذا فارض به وأيم الله ماأصلحا بما فعلا الشام ولا أفسدا العراق ولا أماتا حق علي ولا أحييا باطل معاوية ولا يذهب الحق قلة رأي ولا نفخة شيطان وانا لعلي اليوم كما كنا أمس عليه ثم جلس

﴿كتاب ابن عمر الى أبي موسي﴾ قال وذكروا انه عبد الله بن عمر لما بلغه ما كان من رأي أبي موسي كتب اليه: أما بعد ياأبا موسي فانك تقربت الي بأمر لم تعلم هواي فيه أ كنت تظن اني أبسط يداً الى أمر نهاني عنه عمر أو كنت تراني أتقدم على عليّ وهو خير مني لقد خبتُ اذاً وخسرت وما أنا من المهتدين فأغضبت بقولك وفعلك علياً ومعاوية ، ثم أعظم من ذلك خديعة عمرو اياك وأنت حامل القرآن ووافد أهل اليمن الى نبيّ الله وصاحب مقاسم أبي بكر وعمر فقدمك عمرو للقول مخادعا حتى خلعت علياً قبل ان تخلع

معاوية ولعمرى مايجوز لك على عليّ ماجاز لعمرو على معاوية ولا ماجاز لنا عليه ولا كرهنا مارضيت وأردت ان الحاكم بما حكم الله بين الناس ولم تبلغ من خطيئتك عنده ماغير أمرك في خلاف هواه. فلما أتا أبا موسى كتاب ابن عمر كتب اليه : أما بعد فاني والله ماأردت بتوليتي اياك وبيعتي لك القربة اليك ما أردت بذلك الا الله عز وجل وما تقلدي أمر هذه الامة غير مستكره فانهم كانوا على مثل حد السيف فقلت الى سنة نحيا ونمات ان يصطلحوا فهو الذي أردت والا لم يرجعوا الى أعظم مما كانوا عليه ، وأما اغضابي عليك علياً ومعاوية فقد غضبا عليك قبل ذلك، وأما خديعة عمرو اياي فوالله ماضر بخديعته علياً ولا نفع معاوية وقد كان الشرط ما اجتمعنا عليه لاما اختلفنا فيه وأما نهيي اليك فوالله لو تم الامر لا كرهت عليه

﴿كتاب معاوية الى أبي موسى﴾ قال وذكروا ان معاوية كتب الى أبي موسي بعد الحكومة وهو بمكة : أما بعد فاكره من أهل العراق ما كرهوا منك واقبل الي الشام فاني خير لك من عليّ والسلام. ﴿جوابه﴾ فكتب اليه أبو

موسي : أما بعد فانه لم يكن مني في علي الا ما كان من عمرو فيك غير اني أردت بما صنعت وجه الله وأراد عمرو بما صنع ماعندك وقد كان بيني وبينه شروط عن تراض فلما رجع عمرو رجعت وأما قولك ان الحكمين اذا حكما على أمر فليس للمحكوم عليه ان يكون بالخيار انما ذاك في الشاة والبعير، وأما في أمر هذه الامة فليست تساق الى ماتكره ولن تذهب بين عجز عاجز ولا كيد كائد ولا خديعة فاجر، وأما دعاؤك اياي الى الشام فليس لي بدل ولا ايثار عن قبر ابن ابراهيم أبي الانبياء

﴿ كتاب علي الى أبي موسى ﴾ قال وذكروا انه لما بلغ علياً كتاب أبي موسي رق له وأحب ان يضمه اليه فكتب اليه : أما بعد فانك امرؤ ضللك الهوى واستدرجك الغرور فاستقل الله يقلك عثرتك فانه من استقال الله أقاله إن الله يغفر ولا يغير وأحب عباده اليه المتقون والسلام. فلما انتهى كتاب علي الى أبي موسى هم ان يرجع ثم قال لاصحابه اني امرؤ غلب على الحياء ولا يستطيع هذا الامر رجل فيه حياء. ﴿ جوابه ﴾ فكتب أبو موسى الى علي: أما بعد فلولا اني خشيت ان

يؤل منع الجواب الى أعظم مما في نفسك لم أجبك لانه ليس عذر ينفعني ولا عذر يمنعني منك وأما التزامي مكة فاني استفسرت الى أهل الشام وانقطعت من أهل العراق وأصبت أقواماً صغّروا من ذنبي ماعظمتم وعظموا من حقي ماصغرتم فأقمت بين أظهرهم اذ لم يكن لي منكم وليّ ولا نصير

﴿ ذكر الخوارج على علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ﴾

قال وذكروا انه لما كان من الحكمين ما كان لقيت الخوارج بعضها بعضاً فاجتمعوا في منزل عبد الله بن وهب الراسبي فحمد الله واثنى عليه ثم قال: أيها الناس ماينبغى لقوم يؤمنون بالرحمن وينسبون الى حكم القرآن ان تكون هذه الدنيا آثر عندهم من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والقول بالحق وان ضر ومرّ فانه ان يضر ويمر في هذه الدنيا فان ثوابه يوم القيامة رضوان الله وخلود الجنة فاخرجوا بنا من هذه القرية الظالم أهلها الى بعض هذه المدائن منكرين لهذه البدعة المضلة والاحكام الجائرة فقال حرقوص بن زهير ان المتاع بهذه الدنيا قليل وان الفراق لها وشيك فلا تدعوكم زينتها وبهجتها الى المقام بها ولا تلوينكم عن طلب الحق

وانكار الظالم فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون
ياقوم ان الرأي ماقد رأيتم والحق ماقد ذكرتم فكلوا أمركم
رجلا منكم فانه لابد لكم من عماد وسند ومن راية تحفون
حولها وترجعون اليها ثم اجتمعوا في منزل زفر بن حصين
الطائي فقالوا ان الله أخذ عهودنا ومواثيقنا على الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر والقول بالحق والجهاد في تقويم السبيل
وقد قال عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام «ياداود إنا جعلناك
خليفةً في الارض فاحكمْ بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى
فيُضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم
عذاب شديد» وقال «ومَنْ لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم
الكافرون» فاشهدوا على أهل دعوتنا ان قد اتبعوا الهوى
ونبذوا حكم القرآن وجاروا في الحكم والعمل وان جهادهم على
المؤمنين فرض واقسم بالذي تعنو له الوجوه وتخشع دونه
الابصار لو لم يكن أحد على تغيير المنكر وقتال القاسطين
مساعداً لقاتلتهم وحدي فرداً حتى ألقى الله ربي فيرى اني قد
غيرت ارادة رضوانه بلساني ياإخواننا اضربوا جباههم ووجوههم
بالسيف حتى يطاع الرحمن عز وجل فان يطع الله كما أردتم

أثابكم ثواب المطيعين له الآمرين بأمره وان قتلتم فأي شيء
أعظم من المسير الى رضوان الله وجنته واعلموا ان هؤلاء
القوم خرجوا لاقضاء حكم الضلالة فاخرجوا بنا الى بلد نتمد
فيه الاجتماع من مكاننا هذا فانكم قد أصبحتم بنعمة ربكم
وأنتم أهل الحق بين الخلق اذ قلتم بالحق وصمدتم لقول
الصدق فاخرجوا بنا الى المدائن نسكنها فنأخذ بأبوابها ونخرج
منها سكانها ونبعث الى اخواننا من أهل البصرة فيقدمون علينا
فقال زيد بن حصين الطائي ان المدائن بها قوم يمنعونكم منها
ويمنعونها منكم ولكن اكتبوا الى اخوانكم من أهل
البصرة فاعلموهم بخروجكم وسيروا أنتم على المدائن فتنزلوا
بجسر النهروان قالوا هذا هو الرأي فاجتمعوا على ذلك
وكتبوا الى اخوانهم من أهل البصرة : أما بعد فان أهل
دعوتنا حكموا الرجال في أمر الله ورضوا بحكم القاسطين على
عباده فخالفناهم ونابذناهم نريد بذلك الوسيلة الى الله وقد قعدنا
بجسر النهروان وأحببنا اعلامكم لتأخذوا بنصيبكم من الاجر
والسلام ﴿ الجواب ﴾ فكتبوا اليهم : أما بعد فقد بلغنا
كتابكم وفهمنا ماذكرتم وقد وهبنا لكم الرأي الذي جمعكم

الله عليه من الطاعة واخلاص الحكم لله وإعمالكم أنفسكم فيما يجمع الله به كلمتكم وقد أجمعنا على المسير اليكم عاجلاً .

وكان بدء خروجهم انهم اجتمعوا في منزل حرقوص بن زُهَيْر ليلة الخميس فقالوا متى أنتم خارجون قالوا الليلة القابلة من يوم الجمعة فقال لهم حرقوص بل أقيموا ليلة الجمعة تتعبدوا لربكم وأوصوا فيها بوصاياكم ثم اخرجوا ليلة السبت مثنى ووحدانا لا يُشْعَرَ بكم

﴿ خطبة علي كرم الله وجهه ﴾ قالوا فلما خرج جميع الخوارج وتوافوا الى النَّهْرَوان قام علي بالكوفة على المنبر فحمد الله واثني عليه ثم قال : أما بعد فإن معصية العالم الناصح تورث الحسرة وتعقب الندامة وقد كنت أمرتكم في هذين الرجلين وفي هذه الحكومة بأمري فأبيتم الا ما أردتم فأحييا ما أمات القرآن وأماتا ما أحيي القرآن واتبع كل واحد منهما هواه يحكم بغير حجة ولا سنة ظاهرة واختلفا في أمرهما وحكمهما فكلاهما لم يرشد الله فبرئ الله منهما ورسوله وصالحو المؤمنين فاستعدوا للجهاد وتأهبوا للمسير ثم اصبحوا في معسكركم يوم الاثنين بالنخيلة وانما حكّمنا من حكمنا ليحكما بالكتاب فقد علمتم انهما

حكما بغير الكتاب وبغير السنة ووالله لأغزونهم ولو لم يبق أحد غيري لجاهدتهم . واعطى الناس العطاء وهمّ بالجهاد

﴿ كتاب علي كرم الله وجهه للخوارج ﴾ قالوا فأجمع رأي علي والناس على المسير الى معاوية بصفين فتجهز معاوية وخرج حتى نزل بصفين واصبح علي قد تجهز وعسكر فقيل له ياأمير المؤمنين انه قد افترقت منا فرقة فذهبت قال فكتب اليهم علي : أما بعد فان هذين الرجلين الخاطئين الحاكمين اللذين ارتضيتم حكمين قد خالفا كتاب الله واتبعا هواهما بغير هدى من الله فلم يعملا بالسنة ولم ينفذا للقرآن حكما فبرئ الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين، اذا بلغكم كتابنا هذا فاقبلوا الينا فانا سائرون الى عدونا وعدوكم ونحن على الامر الذي كنا عليه والسلام . قال فكتبوا اليه:أما بعد فانك لم تغضب لله انما غضبت لنفسك والله لايهدي كيد الخائنين. قال فلما رأى علي كتابهم أيس منهم ورأي ان يدعهم ويمضي بالناس الى معاوية وأهل الشام فيناجزهم فقام علي خطيباً فحمد الله واثني عليه ثم قال : أما بعد فإن من ترك الجهاد وداهن في أمر الله كان علي شفا هلكة الا أن يتداركه الله برحمته فاتقوا الله عباد

الله قاتلوا من حاد الله وحاول أن يطفئ نور الله، قاتلوا الخاطئين القاتلين لاولياء الله المحرفين لدين الله الذين ليسوا بقراء الكتاب ولا فقهاء في الدين ولا علماء بالتأويل ولا لهذا الامر بأهل في دين ولا سابقة في الاسلام ووالله لو ولوا عليكم لعملوا فيكم بعمل كسري وقيصر . فسيروا وتأهبوا للقتال وقد بعثت لاخوانكم من أهل البصرة ليقدموا عليكم فاذا قدموا واجتمعتم شخصنا ان شاء الله

﴿ كتاب علي الى ابن عباس ﴾ قالوا وكان علي قد كتب الى ابن عباس والى أهل البصرة: أما بعد فانا أجمعنا على المسير الى عدونا من أهل الشام فأشخص اليّ من قبلك من الناس وأقم حتى آتيك والسلام

﴿ ما قال ابن عباس الى أهل البصرة ﴾ فلما قدم كتاب عليّ على ابن عباس قرأه على الناس ثم أمرهم بالشخوص مع الاحنف بن قيس فشخص معه منهم الف وخمسمائة رجل فاستقلهم ابن عباس . فقام خطيباً فحمد الله واثني عليه ثم قال: ياأهل البصرة قد جاءني كتاب أمير المؤمنين يأمرني باشخاصكم فأمرتكم بالمسير اليه مع الاحنف بن قيس فلم

يشخص اليه منكم الا ألف وخمسمائة وأنتم في الديوان ستون ألفا سوى أبنائكم وعبدانكم ومواليكم. الا فانفروا ولا يجعل امرؤ على نفسه سبيلاً فاني موقع بكل من وجدته تخلف عن دعوته عاصياً لامامه حزناً يعقب ندما، وقد أمرت أبا الاسود بحشدكم فلا يلم امرؤ جعل السبيل على نفسه الا نفسه

﴿ما قال علي كرم الله وجهه لاهل الكوفة﴾ قال فحشد أبو الاسود الناس بالبصرة فاجتمع اليه الف وسبعمائة فاقبل هو والاحنف بن قيس حتى وافيا عليا بالنخيلة فلما رأى علي انه انما قدم عليه من أهل البصرة ثلاثة الآف ومائتا رجل جمع اليه رؤساء الناس وأمراء الاجناد ووجوه القبائل فحمد الله وأثني عليه ثم قال: ياأهل الكوفة أنتم اخواني وانصاري واعواني على الحق ومجيبي الى جهاد المحلين بكم، اضرب المدبر وارجو اتمام طاعة المقبل، وقد بعثت الى اهل البصرة فاستنفرتهم فلم يأتني منهم غير ثلاثة آلاف ومائتين فاعينوني بمناصحة سمحة خالية من الغش واني آمركم أن يكتب الىّ رئيس كل قوم منكم مافى عشيرته من المقاتلة وابنائهم الذين ادركوا القتال والعبدان والموالي وارفعوا ذلك اليّ ننظر فيه ان شاء الله . فقام سعد بن

قيس الهمذاني : فقال : يا أمـير المؤمنين سمعاً وطاعـة وود
ونصيحة أنا أول الناس وأول من أجابك بما سألت وطلبت .
ثم قام عدي بن حاتم وحجر بن عدي وأشراف القبائل فقالوا
نحن كذلك ثم كتبوا ورفعوا الى علي فكان جميع مارفعوا اليه
أربعين ألف مقاتل وسبعة عشر ألفا من الابناء وثمانية آلاف
من عبيدهم ومواليهم وكانت العرب يومئذ سبعة وخمسين الفاً
من أهل الكوفة ومن مماليكهم ومواليهم ثمانية آلاف ومن
أهل البصرة ثلاثة آلاف ومائتا رجل . فقام علي فيهم خطيباً
فقال : أما بعد فقد بلغني قولكم لو ان أمير المؤمنين سار بنا الى
هـذه الخارجة التي خرجت علينا فبدأنا بهم الا ان غير هذه
الخارجة اهمّ على أمير المومنين سيروا الى قوم يقاتلونكم كيما
يكونوا فى الارض جبارين ملوكا ويتخذهم المؤمنون أربابا
ويتخذون عباد الله خَولاً ودعوا اذكر الخوارج . قال فنادي الناس
من كل جانب سر بنا ياأمير المؤمنين حيث أحببت فنحن
حزبك وانصارك نعادى من عاداك ونشايع من أناب اليك
والى طاعتك فسر بنا الى عدوك كائناً من كان فانك ان تؤتي
من قلة ولا ضعف فان قلوب شيعتك كقلب رجل واحد في

الاجتماع على نصرتك والجد في جهاد عدوك فابشر ياأمير المؤمنين بالنصرُ واشخص الى أي الفريقين أحببت فانا شيعتك التي ترجو في طاعتك وجهاد من خالفك صالح الثواب من الله وتخاف من الله في خذلانك ، والمختلف عنك شديد الوبال

﴿ ماقال عليّ رضي الله عنـه في الخثعمي ﴾ فبايعـوه علي التسليم والرضاء وشرط عليهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل من خثعم [١] فقال له عليّ: بايع على كتاب الله وسنة نبيه قال لا ولـكن أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه وسنة أبي بكر وعمر فقال علي وما يدخل سنة أبي بكر وعمر مع كتاب الله وسنة نبيه انما كانا عاملين بالحق حيث عملا فأبي الخثعمي الا سنة أبي بكر وعمر وأبي علي ان يبايعه الا على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فقال له حيث ألح عليه تبايع قال لا الا على ماذكرت لك فقال له علي أما والله لكأني بك قد نفرت في هذه الفتنة وكأني بحوافر خيلي قد شدخت وجهك فلحق بالخوارج فقتل يوم النهروان ، قال قبيصة فرأيته يوم النهروان قتيلا قد وطأت الخيل وجهه

(١) هو ربيعة بن ابي شداد الخثعمي وكان شهد معه الجمل وصفين

وشدخت رأسه ومثلت به فذكرت قول علي وقلت لله دَرُّ أبي الحسن ماحرك شفتيه قط بشيء الا كان كذلك

﴿ اجتماع علي للذهاب الى صفين ﴾ فاجمع علي والناس على المسير الى صفين وتجهز معاوية حتى نزل صفين فلما خرج عليّ بالناس عبر الجسر ثم مضي حتى نزل دير أبي موسى على شاطئ الفرات ثم أخذ علي الانبار . وان الخارجة التي خرجت على علي بينماهم يسيرون فاذا هم برجل يسوق امرأته على حمار له فعبروا اليه الفرات فقالوا له من أنت قال أنا رجل مؤمن قالوا فماتقول في عليّ بن أبي طالب قال أقول انه أمير المؤمنين وأول المسلمين ايمانا بالله ورسوله قالوا فما اسمك قال أنا عبد الله بن خباب بن الارَت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له أفزعناك قال نعم قالوا لاروع عليك حدثنا عن أبيك بحديث سمعه من رسول الله لعل الله أن ينفعنا به قال نعم حدثني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : ستكون فتنة بعدي يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه يمسي مؤمنا ويصبح كافراً . فقالوا لهذا الحديث سألناك والله لنقتلنك قتلة ماقتلناها أحداً . فأخذوه وكتفوه ثم اقبلوا به وبامرأته

وهى حبلى متم حتى نزلوا تحت نخل فسقطت رطبة منها فأخذها بعضهم فقذفها في فيه فقال له أحدهم بغير حل أو بغير ثمن أكلتها فالقاها من فيه، ثم اخترط بعضهم سيفه فضرب به خنزيراً لاهل الذمة فقتله قال له بعض أصحابه ان هذا من الفساد في الارض فالقى الرجل صاحب الخنزير فأرضاه من خنزيره فلما رأى منهم عبد الله بن خباب ذلك قال لئن كنتم صادقين فيما أرى ماعليّ منكم بأس ووالله ماأحدثت حدثا في الاسلام واني لمؤمن وقد امنتموني وقلتم لاروع عليك . فجاؤا به وبامرأته فاضجعوه على شفير النهر على ذلك الخنزير فذبحوه فسال دمه في الماء ثم اقبلوا الى امرأته فقالت : انما أنا امرأة اما تتقون الله قال فبقروا بطنها وقتلوا ثلاثة نسوة فيهم أم سنان قد صحبت النبي عليه السلام فبلغ علياً خبرهم فبعث اليهم الحارث ابن مرة لينظر فيما بلغه من قتل عبدالله بن خباب والنسوة ويكتب اليه بالامر فلما انتهى اليهم ليسائلهم خرجوا اليه فقتلوه فقال الناس ياأمير المؤمنين تدع هؤلاء القوم وراءنا يخلفونا في عيالنا وأموالنا سر بنا اليهم فاذا فرغنا منهم نهضنا الى عدونا من أهل الشام

﴿ مسير عليّ الى الخوارج وما قال لهم ﴾ قال فسار عليّ

ومن معه حتى نزلوا المدائن ثم خرج حتى أتى النهروان فبعث اليهم :أن ادفعوا الينا قتلة اخواننا منكم نقتلهم بهم ثم انا أفارقكم وأكف عنكم حتى ألقى أهل الشام فبعثوا اليه : انا كلنا قتلناهم وكلنا مستحل لدمائكم ودمائهم ثم أتاهم عليّ فوقف عليهم فقال أيتها العصابة إني نذير لكم [1] ان تصبحوا تلعنكم الامة غدا وأنتم صرعى بأزاء هذا النهر بغير برهان ولا سنة ألم تعلموا اني نهيتكم عن الحكومة وأخبرتكم ان طلب القوم لها مكيدة وأنبأتكم ان القوم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن واني أعرف بهم منكم قد عرفتهم أطفالا وعرفتهم رجالا فهم شر رجال وشر أطفال وهم أهل المكر والغدر وانكم ان فارقتموني ورأيي جانبتم الخير والحزم فعصيتموني وأكرهتموني حتى حكمت فلما ان فعلت شرطت واستوثقت وأخذت على الحكمين ان يحييا ما أحيي القرآن وان يميتا ما أمات القرآن فاختلفا وخالفا حكم الكتاب والسنة وعملا بالهوى فنبذنا أمرهم ونحن على أمرنا الاول فما نبأكم ومن أين أتيتم . قالوا له انا

---

(١) ويروى: ايتها العصابة التي اخرجها عداوة المراء واللجاجة وصدها عن الحق الهوى وطمع بها النزق واصبحت في الخطب العظيم. اني نذير الخ .

حيث حكمنا الرجلين أخطأنا بذلك وكنا كافرين وقد تبنامن ذلك فان شهدت على نفسك بالكفر وتبت كما تبنا وأشهدنا فنحن معك ومنك والا فاعتزلنا وان أبيت فنحن منابذوك على سواء . فقال :على أبعد ايماني بالله وهجرتي وجهادي مع رسول الله ابوء واشهد على نفسي بالكفر لقد ضللت اذاً وما أنا من المهتدين ، ويحكم ثم استحللتم قتالنا والخروج من جماعتنا ان اختار الناس رجلين فقالوا لهما انظرا بالحق فيما يصلح العامة ليعزل رجل ويوضع آخر مكان آخر .أحلٌ لكم ان تضعوا سيوفكم على عواتقكم تضربون بها هامات الناس وتسفكون دماءهم ان هذا لهو الخسران المبين .قال فتنادوا الا تخاطبوهم ولا تكلموهم تهيؤا للقاء الحرب الرواح الرواح الى الجنة .

﴿ قتل الخوارج ﴾ قال فرجع عليّ فعبأ أصحابه فجعل على الميمنة حجر بن عدي وعلى الميسرة شبث بن ربعى وعلى الخيل أبا أيوب الانصارى وعلى الرجالة أبا قتادة وعلى أهل المدينة وهم ثمانمائة رجل من الصحابة قيس بن سعد بن عبادة ووقف عليّ في القلب في مضر . قال ثم رفع لهم راية أمان مع أبي أيوب الانصاري فناداهم أبو أيوب من جاء منكم الى هذه الراية فهو

آمن ومن دخل المصر فهو آمن ومن انصرف الى العراق
ومن خرج من هذه الجماعة فهو آمن فانه لاحاجة لنافي سفك
دمائكم . قال وقدم الخيل دون الرجالة وصف الناس صفين
وراء الخيل وصف الرماة صفا امام صف وقال لاصحابه كفوا
عنهم حتى يبدؤكم . قال وأقبلت الخوارج حتى اذا دنوا من
الناس نادوا لا حكم الا الله [١] ثم نادوا الرواح الرواح الى الجنة .
قال وشدوا على أصحاب على شدة رجل واحد والخيل امام
الرجال فاستقبلت الرماة وجوههم بالنبل فخمدوا . قال الشعبي
لقد رأيت الخوارج حين استقبلتهم الرماح والنبل كأنهم معز اتقت
المطر بقرونها ثم عطفت الخيل عليهم من الميمنة والميسرة ونهض
علي في القلب بالسيوف والرماح فلا والله مالبثوا فواقا حتى
صرعهم الله كأنما قيل لهم موتوا فماتوا . قال وأخذ على ما كان
في عسكرهم من كل شيء فأما السلاح والدواب فقسمه عليّ
بيننا وأما المتاع والعبيد والإماء فانه حين قدم الكوفة رده على
أهله . قال ولما أراد عليّ الانصراف من النهروان قام خطيبا

---

(١) ويروي: انه لما سمع على نداءهم لاحكم الا الله قال: كلمة عادلة
يراد بها جور . انما يقولون الا امارة ولابد من امارة برة او فاجرة

فحمد الله ثم قال: أما بعد فان الله قد أحسن بلاء كم وأعز نصركم فتوجهوا من فوركم هذا الى معاوية وأشياعه القاسطين الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ماشرَوْا به أنفسهم لو كانوا يعلمون . فقالوا ياأمير المؤمنين نفدت نبالنا وكلت أذرعنا وتقطعت سيوفنا ونصلت أسنة رماحنا فارجع بنا بأحسن عدتنا ولعل أمير المؤمنين يزيد فى عدتنا عدة فان ذلك أقوى لنا على عدونا . فأقبل علىّ بالناس حتى نزل بالنخيلة فعسكربها وأمر الناس ان يلزموا معه عسكرهم ويوطنوا أنفسهم على الجهاد وان يقلوا من زيارة ابنائهم ونسائهم حتى يسيروا الى عدوهم من اهل الشام فأقاموا معه اياما ثم رجعوا يتسللون ويدخلون الكوفة ويتلذذون بنسائهم وابنائهم ولذاتهم حتى تركوا عليا وما معه الا نفر من وجوه الناس يسير وترك العسكر خاليا

﴿ خطبة عليّ كرم الله وجهه ﴾ قال فقام علىّ على المنبر فحمد الله وأثني عليه ثم قال : ايها الناس استعدوا للمسير الى عدو في جهاده القربة الى الله ودرك الوسيلة عنده فأعدوا له مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل وتوكلوا على الله وكفى به

وكيلا ثم تركهم اياما . ودعا رؤساءهم ووجوههم فسألهم عن رأيهم وماالذي ثبطهم فمنهم المعتل ومنهم المتكره واقلهم من نشط فقال لهم علي : عباد الله مالكم اذا أمرتكم أن تنفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة بدلا ورضيتم بالذل والهوان من العز خلفا كلما ناديتكم الى الجهاد دارت أعينكم كأنكم من الموت في سكرة وكانت قلوبكم قاسية فأنتم لاتعقلون وكأن أبصاركم كمه فأنتم لاتبصرون ، لله أنتم ماأنتم الا اسود رواعة وثعالب رواغة عند الناس تكادون ولا تكيدون وتنتقص أطرافكم فلا تحاشون وأنتم في غفلة ساهون ، إن أخا الحرب اليقظان . أما بعد فان لي عليكم حقا ولكم على حقا وأما حقكم علي فالنصيحة في ذات الله وتوفير فيئكم عليكم وتعليمكم كيلا تجهلوا وتأديبكم كيما تعلموا . وأما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة والنصح لي في الاجابة حين أدعوكم والطاعة حين آمركم ، فان يرد الله بكم خيراً تنزعوا عما أكره وترجعوا الى ماأحب تنالوا بذلك ماتحبون وتدركوا ماتأملون ، أيها الناس المجتمعة أبدانهم المختلفة أهواؤهم ماعزت دعوة من دعاكم ولا استراح قلب من قاساكم

كلامكم يوهي الصم وفعلكم يطمع فيكم عدوكم اذا أمرتكم
بالمسير قلتم كيت وكيت أعاليل بأضاليل هيهات لا يدرك الحق
الا بالجد والصبر أي دار بعد داركم تمنعون، ومع أي امام
بعدي تقاتلون، المغرور والله من غررتموه ومن فاز بكم فاز
بالسهم الأخيب أصبحت لا أطمع فى نصرتكم ولا أصدق
قولكم، فرق الله بيني وبينكم واعقبني بكم من هو خير لي
وأعقبكم بعدي من هو شر لكم مني أما انكم ستلقون بعدي
ذلاً شاملا وسيفا قاتلا وأثرة يتخذها الظالمون بعدي عليكم
سنة تفرق جماعتكم وتبكي عيونكم وتدخل الفقر بيوتكم،
تمنون والله عندها ان لو رأيتموني ونصرتموني وستعرفون
ما أقول لكم عما قليل . استنفرتكم فلم تنفروا ونصحت لكم
فلم تقبلوا وأسمعتكم فلم تعوا فأنتم شهود كأغياب وصم ذوو
أسماع ، اتلو عليكم الحكمة وأعظكم بالموعظة النافعة واحثكم على
جهاد المحلين الظلمة الباغين ، فما آتى على آخر قولي حتى أراكم
متفرقين اذا تركتكم عُدتم الى مجالسكم حلقًا عزين تضربون
الامثال وتناشدون الاشعار تربت أيديكم وقد نسيتم الحرب
واستعدادها وأصبحت قلوبكم فارغة عن ذكرها وشغلتموها

بالاباطيل والاضاليل ، ويحكم اغزوا عدوكم قبل ان يغزوكم
فوالله ماغزى قوم قط في عقر دارهم الا ذلوا وأيم الله ماأظنكم
تفعلون حتى يفعل بكم وأيم الله لوددت اني قد رأيتهم فلقيت
الله على نيتي وبصيرتي فاسترحت من مقاساتكم ومداراتكم ،
ويحكم ماأنتم الا كابل جامحة ضل عنها رعاؤها فكلما ضمت
من جانب انتشرت من جانب والله لكأنى أنظر اليكم وقد
حمي الوطيس لقد انفرجتم عن علي انفراج الرأس وانفراج
المرأة عن قبلها. فقام اليه الاشعث بن قيس الكندي فقال :
ياأمير المؤمنين أفهلا فعلت كما فعل عثمان قال له علي ويلك وكما
فعل عثمان رأيتني فعلت عائذاً بالله من شر ماتقول والله ان
الذي فعل عثمان لمخزاة علي من لا دين له ولا حجة معه فكيف
وأنا على بينة من ربي والحق معي والله إن امرءاً أمكن عدوه
من نفسه فنهش عظمه وسفك دمه لعظيم عجزه وضعيف قلبه
أنت ياابن قيس فكن ذلك فأما أنا فوالله دون أعطي ذلك
ضرباً بالمشرفي يطير له فراش الرأس وتطيح منه الاكف
والمعاصم وتجد به الغلاصم ويفعل الله بعد ذلك مايشاء والله
ياأهل العراق ماأظن هؤلاء القوم من أهل الشام الا ظاهرين

عليكم، فقالوا أبعلم تقول ذلك ياأمير المؤمنين ؟ فقال : نعم والذي فلق الحبة وبرأ النسمة اني أرى أمورهم قد علت وأرى أموركم قد خبت وأراهم جادين في باطلهم وأراكم وانين في حقكم وأراهم مجتمعين وأراكم متفرقين وأراهم لصاحبهم معاوية مطيعين وأراكم لي عاصين ، أما والله لئن ظهروا عليكم بعدي لتجدنهم أرباب سوء كأنهم والله عن قريب قد شاركوكم في بلادكم وحملوا الى بلادهم منكم ، وكأني أنظر اليكم تكشون كشيش الضباب لاتأخذون لله حقاً ولا تمنعون له حرمة وكأني أنظر اليهم يقتلون صلحاءكم ويخيفون علماءكم وكأني أنظر اليكم يحرمونكم ويحجبونكم ويدنون الناس دونكم فلو قد رأيتم الحرمان ولقيتم الذل والهوان ووقع السيف ونزل الخوف لندمتم وتحسرتم على تفريطكم في جهاد عدوكم وتذكرتم ماأنتم فيه من الخفض والعافية حين لا ينفعكم التذكار . فقال الناس قد علمنا ياأمير المؤمنين ان قولك كله وجميع لفظك يكون حقاً أترى معاوية يكون علينا أميراً ؟ فقال لاتكرهون إمرة معاوية فان إمرته سلم وعافية فلو قد مات رأيتم الرؤوس تندر عن كهولها كأنها الحنظل وعداً كان

مفعولا ، فأما امرة معاوية فلست أخاف عليكم شرهامابعدها أدهي وأمر. ثم قام أبوأيوب الانصاري فقال: ان أمير المؤمنين أكرمه الله قد أسمع من كانت له اذن واعية وقلب حفيظ ان الله قد أكرمكم به كرامة ماقبلتموها حق قبولها حيث نزل بين أظهركم ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخير المسلمين وأفضلهم وسيدهم بعده يفقهكم في الدين ويدعوكم الى جهاد المحلين، فوالله لكأنكم صم لاتسمعون وقلوبكم غلف مطبوع عليها فلا تستجيبون ، عباد الله أليس انما عهدكم بالجور والعدوان أمس وقد شمل العباد وشاع في الاسلام فذو حق محروم ومشتوم عرضه ومضروب ظهره وملطوم وجهه وموطوء بطنه وملقى بالعرآء فلما جاءكم أمير المؤمنين صدع بالحق ونشر بالعدل وعمل بالكتاب فاشكروا نعمة الله عليكم ولا تتولوا مجرمين، ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لايسمعون، اشحذوا السيوف وجددوا آلة الحرب واستعدوا للجهاد فاذا دعيتم فأجيبوا واذا أمرتم فأطيعوا تكونوا بذلك من الصادقين. قال ثم قام رجال من أصحاب عليّ فقالوا: ياأمير المؤمنين أعط هؤلاء هذه الاموال وفضل هؤلاء الاشراف

من العرب وقريش على الموالي ممن يتخوف خلافه على الناس وفراقه وانما قالوا له هـذا الذي كان معاوية يصنعه بمن أتاه وانما عامـة الناس همهم الدنيا ولها يسعون وفيهـا يكدحون فاعط هـؤلاء الاشراف فاذا استقام لك ماتريد عـدت الى أحسن ما كنت عليه من القسم. فقال عليّ أتأمروني ان أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه من الاسـلام فوالله لا أفعـل ذلك مالاح في السماء نجم، والله لو كان لهم مال لسويت بينهم فكيف وانما هي أموالهم. فقال رجل ياأمير المؤمنين ان الموت نازل لابد منه فان حل فمن صاحبنا؟فقال عليّ أحدثك عن خاصة نفسي أما الحسن فصاحب خِوان وفتى من الفتيان ولو قـد التقت حلقتا البطان لم يغن عنكم في الحـرب حثالة عصفور، واما ابن أخي عبد الله بن جعفر فصاحب لهو، وأما الحسين ومحمد أبناى فانا منهم وهما مني،والله لقد أحببت ان يدال هؤلاء القوم عليكم باصلاحهم في ارضهم وفسادكم في ارضكم واداء ثهم الامانة لمعاوية وخيانتكم وبطاعتهم له ومعصيتكم لي واجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم. وايم الله لا يدعوا بعدي محرماً الا استحلوه ولا يبقى بيت وبر ولا مدر الا أدخلوه

ظلمهم حتي يقوم الباكيان منكم باك لدينه وباك لدنياه ، وحتي تكون نصرة أحدكم كنصرة العبد لسيده اذا شهد أطاعه واذا غاب سبه . فقال رجل ياأمير المؤمنين اتظن ذلك كائنا قال ما هو بالظن ولكنه باليقين .

﴿ ما كتب علي لاهل العراق ﴾ قال فقام حجر بن عدي وعمرو بن الحمق وعبد الله بن وهب الراسبي فدخلوا على علي فسألوه عن أبي بكر وعمر ما تقول فيهما وقالوا بين لنا قولك فيهما وفي عثمان قال علي كرم الله وجهه أو قد تفرغتم لهذا وهذه مصر قد افتتحت وشيعتي فيها قد قتلت اني مخرج اليكم كتاباً أنبئكم فيه ما سألتموني عنه فاقرؤه على شيعتي فاخرج اليهم كتاباً فيه: أما بعد فان الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم نذيراً للعالمين وأميناً على التنزيل وشهيداً على هذه الامة وانتم يا معشر العرب على غير دين وفي شر دار تسفكون دماءكم وتقتلون اولادكم وتقطعون ارحامكم وتأكلون أموالكم بينكم بالباطل فمنّ الله عليكم فبعث محمداً اليكم بلسانكم فكنتم أنتم المؤمنون وكان الرسول فيكم ومنكم تعرفون وجهه ونسبه فعلمكم الكتاب والحكمة والسنة والفرائض وأمركم بصلة

الرحم وحقن الدماء واصلاح ذات بينكم وأن تؤدوا الامانات الى أهلها وان توفوا بالعهد وان تعاطفوا وتبادروا وتراحموا ونهاكم عن التظالم والتحاسد والتقاذف والتباغي وعن شرب الحرام وعن بخس المكيال والميزان ، وتقدم اليكم فيما أنزل عليكم ان لاتزنوا ولا تأكلوا أموال اليتامى ظلماً فكل خير يبعدكم عن النار قد حضكم عليه وكل شر يبعدكم عن الجنة قد نهاكم عنه فلما استكمل رسول الله صلى الله عليه وسلم مدته من الدنيا توفاه الله وهو مشكور سعيه مرضى عمله مغفور له ذنبه شريف عند الله نزله ، فيالموته مصيبة خصت الاقربين وعمت المؤمنين ! فلما مضى تنازع المسلمون الامر بعده فوالله ما كان يلقى في روعي ولا يخطر على بالي ان العرب تعدل هذا الامر عني فما راعني الا إقبال الناس على أبي بكر واجفالهم عليه فأمسكت يدي ورأيت أني أحق بمقام محمد في الناس ممن تولى الامور علي . فلبثت بذلك ما شاء الله حتى رأيت راجعة من الناس رجعت عن الاسلام يدعون الى محو دين محمد وملة ابراهيم عليهما السلام فخشيت ان لم انصر الاسلام وأهله ان أرى في الاسلام ثلماً وهدما تكون المصيبة به على أعظم من قوة ولاية أمركم التى انما هي

متاع ايام قلائل ثم يزول ما كان منها كما يزول السراب ، فمشيت
عند ذلك الى أبي بكر فبايعته ونهضت معه في تلك الاحداث
حتى زهق الباطل وكانت كلمة الله هي العليا وان يرغم الكافرون .
فتولى أبو بكر رضي الله عنه تلك الامور فيسر وسدد وقارب
واقتصد فصحبته مناصحا وأطعته فيما أطاع الله فيه جاهداً فلما
احتضر بعث الى عمر فولاه فسمعنا وأطعنا وبايعنا وناصحنا فتولى
تلك الامور فكان مرضي السيرة ، ميمون النقيبة ايام حياته ، فلما
احتضر قلت في نفسي ليس يصرف هذا الامر عني فجعلها
عمر شورى وجعلني سادس ستة فما كانوا لولاية احد منهم
باكره منهم لولايتي لانهم كانوا يسمعونني وانا احاجج أبا بكر
فاقول يا معشر قريش انا أحق بهذا الامر منكم ما كان منا من
يقرأ القرآن ويعرف السنة فخشوا ان وليت عليهم ان لا يكون
لهم في هذا الامر نصيب فبايعوا اجتماع رجل واحد حتى صرفوا
الامر عني لعثمان فاخرجوني منها رجاء أن يتداولوها حين يئسوا
ان ينالوها ثم قالوا لي هلم فبايع عثمان والا جاهدناك فبايعت
مستكرها وصبرت محتسبا وقال قائلهم انك يا ابن أبي طالب
على الامر لحريص قلت لهم انتم أحرص أما انا اذ طلبت ميراث

ابن أبي وحقه وأنتم دخلتم بيني وبينه وتصرفون وجهي دونه اللهم اني استعين بك على قريش فانهم قطعوا رحمي وصغروا عظيم منزلتي وفضلي واجتمعوا على منازعتي حقاً كنت اولى به منهم ثم قالوا اصبر كمداً وعش متأسفاً فنظرت فاذا ليس معي رفاقة ولا مساعد الا أهل بيتي فضننت بهم عن الهلاك فاغضيت عيني عن القذى وتجرعت ريقي على الشجا وصبرت من كظم الغيظ على أمرّ من العلقم طعما وآلم للقلب من حر الحديد، حتي اذا نقمتم على عثمان أتيتموه فقتلتموه ثم جئتموني اتبايعوني فأبيت عليكم وابيتم عليّ فنازعتموني ونافستموني ولم امد يدي تمنعاً عنكم ثم ازدحمتم على حتي ظننت ان بعضكم قاتل بعض او انكم قاتلي وقلتم لا نجد غيرك ولا نرضي الا بك فبايعنا لا نفترق ولا نختلف فبايعتكم ودعوتم الناس الى بيعتي فمن بايع طائعاً قبلت منه ومن ابى تركته فاول من بايعني طلحة والزبير ولو أبيا ما اكرهتهما كما لم اكره غيرهما فما لبثا الا يسيراً حتي قيل لى قد خرجا متوجهين الى البصرة في جيش ما منهم رجل الا وقد اعطاني الطاعة وسمح لى بالبيعة، فقاموا على عمالى بالبصرة وخزائن بيوت اموالى وعلى أهل مصر وكلهم

في طاعتي وعلى شيعتي فشتتوا كلمتهم وافسدوا عليّ جماعتهم ثم وثبوا علي شيعتي فقتلوا طائفة منهم غدراً وطائفة صبراً وطائفة عصراً باسيافهم فضاربوهم حتي لقوا الله صابرين محتسبين فوالله لولم يصيبوا منهم الا رجلا واحدا متعمدين لقتله لحل لى بذلك قتل الجيش كله مع انهم قد قتلوا من المسلمين اكثر من العدة التى دخلوا عليهم بها فقد ادال الله منهم فبعداً للقوم الظالمين، ثم نظرت بعد ذلك في أهل الشام فاذاهم اعراب واحزاب وأهل طمع جفات طغام تجمعوا من كل أوب ممن ينبغي ان يؤدب ويولى عليه ويؤخذ على يديه ليسوا من المهاجرين والانصار ولا من التابعين باحسان فسرت اليهم ودعوتهم الى الجماعة والطاعة فابوا الا شقاقا ونفاقاً ونهضوا في وجوه المهاجرين والانصار والتابعين باحسان ينضحونهم بالنبل ويشجونهم بالرماح فهنا لك نهضت اليهم فقاتلتهم فلما عضهم السلاح ووجدوا ألم الجراح رفعوا المصاحف يدعونكم الى مافيها فنبأتكم انهم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن وانما رفعوها اليكم خديعة ومكيدة فامضوا على قتالهم، فاتهمتموني وقلتم أقبل منهم فانهم ان أجابوا الى مافي الكتاب جامعونا على مانحن عليه من الحق وان أبوا كان أعظم لحجتنا

عليهم ، فقبلت منهم وخففت عنهم وكان صلحي بينهم على رجلين حكمين يحييان ماأحيي القرآن ويميتان ماأمات القرآن فاختلف رأيهما وتفرق حكمهما ونبذا حكم القرآن وخالفا مافي الكتاب واتبعا هواهما بغير هدى من الله فجنبهما الله السداد واهوى بهما في غمرة الضلال وكانا أهل ذلك فانخذلت عنا فرقة منهم فتركناهم ماتركونا حتى اذا عاثوا في الارض مفسدين وقتلوا المؤمنين أتيناهم فقلنا لهم ادفعوا الينا قتلة اخواننا فقالوا كلنا قتلهم وكلنا استحللنا دماءهم ودماءكم وشدت علينا خيلهم ورجالهم فصرعهم الله مصارع القوم الظالمين . ثم أمرتكم ان تمضوا من فوركم الى عدوكم فانه أفزع لقلوبهم وأنهك لمكرهم واهتك لكيدهم فقلتم كلت أذرعنا وسيوفنا ونفدت نبالنا ونصلت أسنة رماحنا فأذن لنا فانرجع حتى نستعد بأحسن عدتنا واذا رجعت زدت في مقاتلتنا عدة من هلك مناومن قد فارقنا فان ذلك قوة منا على عدونا فاقبلتم حتى اذا اطللتم على الكوفة أمرتكم ان تلزموا معسكركم وتضموا قواصيكم وتتوطنوا على الجهاد ولا تكثروا زيارة اولادكم ونسائكم فان ذلك يرق قلوبكم ويلويكم وان أصحاب الحرب لايتوحدون ولا

يتوجعون ولا يسأمون من سهر لياليهم ولا من ظمأ نهارهم ولا
من خمص بطونهم حتى يدركوا بثارهم وينالوا بغيتهم ومطالبهم
فنزلت طائفة منكم معي معذرة ودخلت طائفة منكم المصر
عاصية فلا من نزل معي صبر فثبت ولا من دخل المصر عاد الي،
ولقد نظرت الى عسكري وما فيه معي منكم الا خمسون
رجلاً فلما رأيت ما أتيتم دخلت اليكم فما قدرتم ان تخرجوا معي
الى يومكم هذا ، لله أباؤكم فما تنتظرون اما ترون الى أطرافكم قد
انتقصت والى مصركم قد افتتح فما بالكم تؤفكون، الا ان القوم
قد اجتمعوا واجدوا وتناصحوا وإنكم تفرقتم واختلفتم وتغاششتم
فأنتم ان اجتمعتم تسعدون، فايقظوا رحمكم الله نائمكم وتحرزوا
لحرب عدوكم انما تقاتلون الطلقاء وأبناء الطلقاء من أسلم كرها
وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم حرباً، أعداء السنة والقرآن
وأهل الاحزاب والبدع والاحداث ومن كانت بوائقه تتقى
وكان عن الدين منحرفا وأكلة الرشا وعبيد الدنيا لقد نمي الي
ان ابن الباغية لم يبايع معاوية حتى شرط عليه ان يؤتيه أتاوة
هي أعظم مما في يديه من سلطانه، فصفرت يد هذا البائع
دينه بالدنيا وتربت يد هذا المشتري نصرة غادر فاسق بأموال

الناس وان منهم لمن شرب فيكم الخمر وجلد حدا في الاسلام، فهؤلاء قادة القوم ومن تركت ذكر مساويه منهم شر وأضر وهؤلاء الذين لو ولوا عليكم لاظهروا فيكم الغضب والفخر والتسلط بالجبروت والتطاول بالغضب والفساد في الارض ولاتبعوا الهوى وحكموا بالرشا وأنتم على مافيكم من تخاذل وتوا كل خير منهم واهدي سبيلا، فيكم الحكماء والعلماء والفقهاء وحملة القرآن والمتهجدون بالاسحار والعباد والزهاد في الدنيا وعمار المساجد وأهل تلاوة القرآن أفلا تسخطون وتنقمون ان ينازعكم الولاية عليكم سفهاؤكم والاراذل والاشرار منكم، اسمعوا قولي اذا قلت وأطيعوا أمري اذا أمرت واعرفوا نصيحتي اذا نصحت واعتقدوا حزمي اذا حزمت والتزموا عزمي اذا عزمت وانهضوا لنهوضي وقارعوا من قارعت ولئن عصيتموني لاترشدوا ولا تجتمعوا، خذوا للحرب أهبتها وأعدوا لها التهيؤ فانها قد وقدت نارها وعلا سناها وتجرد لكم فيها الظالمون كيما يطفؤا نور الله ويقهروكم، عباد الله الا انه ليس أولياء الشيطان من أهل الطمع والجفاء بأولى في الجد في غيهم وضلالهم وباطلهم من أهل النزاهة

والحق والاخبات بالجد في حقهم وطاعة ربهم ومنا صحة امامهم ، اني والله لو لقيتهم وحيداً منفرداً وهم في أهل الارض ان باليت بهم أو استوحشت منهم إني في ضلالهم الذى هم فيه ، والهدى الذي أنا عليه لعلي بصيرة ويقين وبينة من ربي واني للقاء ربي لمشتاق ولحسن ثوابه لمنتظر راج ولكن أسفاً يعتريني وجزعا يريبني من ان يلي هذه الامة سفهاؤها وفجارها فيتخذون مال الله دولا وعباد الله خولا والصالحين حربا والقاسطين حزبا ، وأيم الله لولا ذلك ما أكثرت تأليبكم وجمعكم وتحريضكم ولتركتكم فوالله اني لعلي الحق واني للشهادة لمحب انا نافر بكم ان شاء الله فانفروا خفافاً وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ان الله مع الصابرين

﴿ مقتل علىّ عليه السلام ﴾ قال المدائني حج ناس من الخوارج سنة تسع وثلاثين وقد اختلف عامل علىّ وعامل معاوية فاصطلح الناس على شيبب بن عثمان فلما انقضى الموسم أقام النفر من الخوارج مجاورين بمكة فقالوا كان هذا البيت معظما في الجاهلية جليل الشأن في الاسلام وقد أنهك هؤلاء حرمته فلو ان قوماً شروْا أنفسهم فقتلوا هذين الرجلين اللذين قد افسدا

في الارض واستحلاحرمة هذا البيت استراحت الامة واختار الناس لهم اماماً . فقال عبدالرحمن بن ملجم المرادي لعنه الله أنا اكفيكم أمر عليّ ، وقال الحجاج بن عبدالله الصريمي وهو البرك أنا أقتل معاوية فقال زاذويه مولى بني العنبر واسمه عمرو بن بكر والله ما عمرو بن العاص بدونهما فانابه . فتعاقدوا على ذلك ثم اعتمروا عمرة رجب واتفقوا على يوم واحد يكون فيه وقوع القتل منهم في عليّ ومعاوية وعمرو ثم سار كلّ منهم في طريقه فقدم ابن ملجم الكوفة وكتم أمره وتزوج امرأة يقال لها قطام بنت علقمة وكانت خارجية وكان عليّ قد قتل أخاها في حرب الخوارج وتزوجها على ان يقتل عليا (١) فاقام عندها مدة فقالت له في بعض الايام وهو مختف: لطالما أحببت المكث عند أهلك وأضربت عن الامر الذي جئت بسببه فقال ان لى وقتاً واعدت فيه أصحابي ولن اجاوزه فلما كان اليوم الذي تواعدوا فيه خرج

---

(١) يروى انه خطبها فقالت لا أتزوجك حتى تشتفي لى . فقال وما تريدين قالت ثلاثة آلاف وعبداً وقينة وقتل علي . فقال والله ما جاءبي الا قتل علي فلك ما سألت وخرج من عندها يقول :

ثلاثة آلاف وعبد وقينة * وضرب علي بالحسام المصمم

فلامهر أغلامن عليّ وان غلا * ولافتك الأدون فتك ابن ملجم

عدوّ الله فقعد لعلى حين خرج لصلاة الصبح صبيحة نهار
الجمعة ليلة عشر بقيت من رمضان سنة أربعين فلما خرج
عليّ للصلاة وثب عليه وقال الحكم لله لا لك يا عليّ وضربه
على قرنه بالسيف فقال على فزت ورب الكعبة ثم قال لا يفوتكم
الرجل فشد الناس عليه فاخذوه وكان عليّ رضي الله عنه شديد
الادمة ثقيل العينين ضخم البطن أصلع ذا عضلات في أذنيه شعر
يخرج منها وكان الى القصر أقرب. وكان ابن ملجم يعرض سيفه
فاذا اخبر أن فيه عيباً أصلحه فلما قتل عليا قال لقد أحددت سيفي
بكذا وكذا وسممته بكذا وضربت به عليا ضربة لو كانت باهل
المصر لاتت عليهم . وروى عن الحسن انه قال اتيت أبي فقال لى
أرقت الليلة ثم ملكتنى عينى فسنح لى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقلت له يا رسول الله ماذا لقيت من أمتك من الاود
واللدد [1] فقال ادع عليهم فقلت اللهم ابدلنى بهم خيراً لى منهم
وابدلهم بي شراً لهم مني وخرج الى الصلاة فاعترضه ابن ملجم ،
وأدخل ابن ملجم على عليّ بعد ضربه اياه فقال اطيبوا طعامه
وألينوا فراشه فإن أعش فانا ولي دمي إما عفوت وإما اقتصصت

---

(١) الاود العوج واللدد الخصومات

وان امت فالحقوه بي ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين [١]
قالوا وبكت أم كلثوم وقالت لابن ملجم ياعدوّ الله قتلت
أمير المؤمنين قال ما قتلت أمير المؤمنين ولكني قتلت أباك قالت
والله اني لا رجو الا يكون عليه بأس قال : ولم تبكين اذاً ؟
والله لقد أرهفت السيف ونفيت الخوف وجبت الاجل
وقطعت الامل وضربت ضربة لو كانت باهل المشرق لاتت
عليهم . ومكث علي يوم الجمعة ويوم السبت وتوفي ليلة الاحد
وغسله الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية وعبد الله بن جعفر
وكفن في ثلاثة اثواب ليس فيها قميص وصلى عليه الحسن ابنه
ودفن في قصر الإمارة بالكوفة وعمي قبره مخافة ان تنبشه
الخوارج وقيل انه نقل بعد صلح معاوية والحسن الى المدينة
واخذ ابن ملجم فقطعت يديه ورجليه واذنيه وأنفه وأتوا يقطعون
لسانه فصرخ فقيل له قد قطعت منك أعضاء ولم تنطق فلما

---

(١) ويروى انه لما دخل عليه قال أي عدوّ الله ما حملك على هذا قال شحذته
اربعين صباحاً وسألت الله ان يقتل به شر خلقه. فقال: لااراك الا مقتولا
به ولااراك الا من شر خلق الله ثم قال: النفس بالنفس ان هلكت
فاقتلوه كما قتلني ولا تمثلن بالرجل فقد سمعت رسول الله يقول: اياكم والمثلة

أتوا يقطعون لسانك صرخت قال اني أذكر الله به فلم يسهل على قطعه ثم قتلوه بعد هذه المثلة . وكانت خلافة علي أربع سنين وتسعة أشهر . وكان عمره ثلاثا وستين سنة . وأما البرك فانه انطلق ليلة ميعادهم فقعد لمعاوية فلما خرج لصلاة الصبح شد عليه سيفه فأدبر معاوية فضرب رانفة اليتة ففلقها ووقع السيف في لحم كثير وأخذ فقال لمعاوية ان لك عندي لخبراً ساراً قد قتل الليلة عليّ وحدثه الحديث وعولج معاوية فبرئ وأمر بقتل البرك وقيل ضرب البرك معاوية وهو ساجد فمذذاك جعل الحرسُ على رؤس الخلفاء واتخذ معاوية المقصورة . وأما الثالث فقصد عمرو بن العاص ليلة الميعاد فلم يخرج تلك الليلة لعلة وجدها في بطنه وصلى بالناس خارجة بن جزافة العدوي فشد عليه الخارجيّ وهو يظن انه ابن العاص فقتله وأخذ فأتى به عمرو ابن العاص فلما رآه قال ومن المقتول قالوا خارجة فقال أردت عمراً وأراد الله خارجة ثم قال لعمرو بن العاص الحديث وما كان من اتفاقه مع صاحبيه فأمر بقتله . فلما قتل عليّ تداعى أهل الشام الى بيعة معاوية وقال له عبد الرحمن بن خالد بن الوليد نحن المؤمنون وأنت أميرنا فبايعوه وهو بايليا لخمس

ليال خلون من شوال سنة أربعين ﴿ فصل ﴾ روى عن النبي عليه السلام انه قال: ياعلي : أتدري من أشقي الاولين والآخرين قال الله ورسوله اعلم قال اشقى الاولين عاقر الناقة واشقي الآخرين الذي يطعنك ياعليّ وأشار الى حيث طعن قال وخرج علي في ليلة قتل وهو يقول :

أشدد حيازيمك للموت * فان الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت * اذا حلّ بواديكا

وقال الشاعر في قتل ابن ملجم علياً :

تضمن للآثام لادَرَّدرُه * ولاقى عقابا غير ما متصرم
فلامهر أغلا من على وان غلا * ولا فتك الادون فتك ابن ملجم
ثلاثة آلاف وعبد وقينة * وضرب على بالحسام المصمم

قال هبيرة بن شريم: سمعت الحسن رضي الله عنه يخطب فذكر أباه وفضله وسابقته ثم قال والله ماترك صفراً ولا بيضاً الا سبعمائة درهم فضلت من عطائه أراد ان يشتري بها خادماً . وجاء رجل من مراد الى علي فقال له يا أمير المؤمنين احترس فان هنا قوما يريدون قتلك فقال ان لكل انسان ملكين يحفظانه فاذا جاء القدر خليانه . قيل ولما ضرب علي دعى

أولاده وقال لهم : عليكم بتقوى الله وطاعتــه وألا تأسوا على ماصرف عنكم منها وانهضوا الى عبادة ربكم وشمروا عن ساق الجد ولا تثاقلوا الى الارض وتقروا بالخسف وتبؤا بالذل اللهم اجمعنا واياهم على الهدى وزهدنا واياهم في الدنيا واجعل الآخرة خيراً لنا ولهم من الاولي والسلام

﴿ بيعة الحسن بن علي رضى الله عنه لمعاوية ﴾ قال وذكروا انه لما قتل علي بن أبي طالب ثار الناس الى الحسن ابن علي بالبيعة فلما بايعوه قال لهم تبايعون لى علي السمع والطاعة وتحاربون من حاربت وتسالمون من سالمت فلما سمعوا ذلك ارتابوا وأمسكوا ايديهم وقبض هو يده فاتوا الحسين فقالوا له ابسط يدك نبايعك علي ما بايعنا عليه اباك وعلى حرب المحلين الضالين أهل الشام فقال الحسين معاذ الله أن أبايعكم ما كان الحسن حياً قال فانصرفوا الى الحسن فلم يجدوا بداً من بيعته على ما شرط عليهم فلما تمت البيعة له وأخذ عهودهم ومواثيقهم على ذلك كاتب معاوية فاتاه فخلا به فاصطلح معه على ان لمعاوية الامامة ما كان حياً فاذا مات فالامر للحسن فلما تم صلحهما صعد الحسن الى المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال: أيها الناس ان

الله هدي أولكم باولنا وحقن دمائكم بآخرنا وكانت لي في رقابكم بيعة تحاربون من حاربت وتسالمون من سالمت وقد سالمت معاوية وبايعته فبايعوه وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين واشار الى معاوية ﴿ انكار سليمان بن صَرْد ﴾ قال وذكروا انه لما تمت البيعة لمعاوية بالعراق وانصرف راجعا الى الشام اتاه سليمان بن صرد وكان غائباً عن الكوفة وكان سيد أهل العراق ورأسهم فدخل على الحسن فقال السلام عليك يا مذل المؤمنين فقال الحسن وعليك السلام اجلس لله أبوك قال فجلس سليمان فقال: أما بعد فان تعجبنا لا ينقضي من بيعتك معاوية ومعك مائة الف مقاتل من أهل العراق وكلهم يأخذ العطاء مع مثلهم من ابنائهم ومواليهم سوي شيعتك من أهل البصرة وأهل الحجاز ثم لم تأخذ لنفسك بقية في العهد ولا حظاً من القضية فلو كنت اذ فعلت ما فعلت واعطاك ما أعطاك بينك وبينه من العهد والميثاق كنت كتبت عليك بذلك كتابا وأشهدت عليه شهوداً من أهل المشرق والمغرب ان هذا الامر لك من بعده كان الامر علينا أيسر ولكنه أعطاك هذا فرضيت به من قوله ثم قال وزعم على رؤس الناس

ما قد سمعت اني كنت شرطت لقوم شروطاً ووعدتهم عدات ومنيتهم أماني ارادة اطفاء نار الحرب ومداراة لهـذه الفتنة اذ جمع الله لنا كلمتنا وإلفتنا فان كل ما هنالك تحت قدمي هاتين والله ما أعـني بذلك الا نقض ما بينك وبينه فاعد للحرب خدعة وأذن لي أشخص الى الكوفة فاخرج عامله منها واظهر فيها خلعه وانبذ اليه على سواء ان الله لا يهدي كيد الخائنين. ثم سكت فتكلم كل من حضر مجلسه بمثل مقالته وكلهم يقول ابعث سليمان بن صرد وابعثنا معه ثم الحقنا اذا علمت انا قد أشخصنا عامله وأظهرنا خلعه فتكلم الحسن فحمد الله ثم قال: أما بعد فانكم شيعتنا وأهل مودتنا ومن نعرفه بالنصيحة والصحبة والاستقامة لنا وقد فهمت ما ذكرتم ولو كنت بالحزم في أمر الدنيا وللدنيا اعمل وانصب ما كان معاوية بأبأس مني بأساً وأشد شكيمة ولكان رأيي غير ما رأيتم ولكني اشهد الله واياكم اني لم ارد بما رأيتم الا حقن دمائكم واصلاح ذات بينكم فاتقوا الله وارضوا بقضاء الله وسلموا الامر لله والزموا بيوتكم وكفوا أيديكم حتى يستريح برأو يستراح من فاجر مع ان أبي كان يحدثني ان معاوية سيلي الامر فوالله لو سرنا اليه بالجبال

والشجر ماشككت انه سيظهر ان الله لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه، وأما قولك يامذل المؤمنين فوالله لئن تذلوا وتعافوا أحب الي من ان تعزوا وتقتلوا فان رد الله علينا حقنا في عافية قبلنا وسألنا الله العون على أمره وان صرفه عنا رضينا وسألنا الله أن يبارك في صرفه عنا فليكن كل رجل منكم حلساً من أحلاس بيته ما دام معاوية حياً فان يهلك ونحن وأنتم أحياء سألنا الله العزيمة على رشدنا والمعونة على أمرنا وان لا يكلنا الى انفسنا فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون

﴿ كراهية الحسين رضى الله عنه للبيعة ﴾ قال ثم خرج سليمان بن صرد من عنده فدخل على الحسين فعرض عليه ما عرض على الحسن واخبره بما ردّ عليه الحسن فقال الحسين ليكن كل رجل منكم حلساً من أحلاس بيته ما دام معاوية حياً فانها بيعة كنت والله لها كارها فان هلك معاوية نظرنا ونظرتم ورأينا ورأيتم . ﴿ما أشار به المغيرة بن شعبة على معاوية من البيعة ليزيد ﴾ قال وذكروا انه لما استقامت الامور لمعاوية استعمل علي الكوفة المغيرة بن شعبة ثم هم ان يعزله ويولى سعيد ابن العاص فلما بلغ ذلك المغيرة قدم الشام علي معاوية فقال

يأمير المؤمنين قد علمت مالقيت هذه الامة من الفتنة والاختلاف وفي عنقك الموت وأنا أخاف إن حدث بك حدث ان يقع الناس فى مثل ماوقعوا فيه بعد قتل عثمان فاجعل للناس بعدك علما يفزعون اليه واجعل ذلك يزيد ابنك . فدخل معاوية على امرأته فاختة بنت قرظة بن حبيب بن عبدشمس وكان ابنها منه عبد الله بن معاوية وقد كان بلغها ماقال المغيرة وما أشار به عليه من البيعة ليزيد وكان يزيد بن الكلبية ميسرورة ابنة عبد الرحمن بن بجدل الكلبي . فقالت فاختة وكانت معادية للكلبية ماأشار به عليك المغيرة أراد ان يجعل لك عدواً من نفسك يتمنى هلاكك كل يوم فشق ذلك على معاوية ثم بدا له ان يأخذ بما أشار عليه المغيرة

﴿ ماحاول معاوية في بيعة يزيد ﴾ قال فلما اجتمعت عند معاوية وفود الامصار بدمشق وفيهم الاحنف بن قيس دعا معاوية الضحاك بن قيس الفهري فقال له: اذا جلست على المنبر وفرغت من بعض موعظتي وكلامي فاستأذني للقيام فاذا أذنت لك فاحمد الله تعالى واذكر يزيد وقل فيه الذي يحق له عليك من حسن الثناء عليه ثم ادعني الى توليته من بعدي فانى قد

رأيت واجمعت على توليته فاسأل الله في ذلك وفي غيره الخيرة وحسن القضاء. ثم دعا عبد الرحمن بن عثمان الثقفي وعبد الله بن مسعدة الفزاري وثور بن معن السلمي وعبد الله بن عصام الاشعري فأمرهم ان يقوموا اذا فرغ الضحاك وان يصدقوا قوله ويدعوه الى يزيد

﴿ ماتكلم به الضحاك بن قيس ﴾ قال فلما جلس معاوية على المنبر وفرغ من بعض موعظته وهؤلاء النفر في المجلس قد قعدوا للكلام قام الضحاك بن قيس فاستأذن في الكلام فأذن له فحمد الله واثنى عليه ثم قال: اصلح الله أمير المؤمنين وأمتع به إنا قد بلونا الجماعة والالفة والاختلاف والفرقة فوجدناها الم لشعثنا وآمنة لسبلنا وحاقنة لدمائنا وعائدة علينا في عاجل مانرجوا به الجماعة من الالفة ولا خير لنا ان نترك سدى والايام عوج رواجع والله يقول كل يوم هو في شأن ولسنا ندري مايختلف به العصران، وأنت ياأمير المؤمنين ميت كما مات من كان قبلك من أنبياء الله وخلفائه نسأل الله تعالى بك المتاع وقد رأينا من دعة يزيد بن أمير المؤمنين وحسن مذهبه وقصد سيرته ويمن نقيبته مع ماقسم الله له من المحبة

في المسلمين والشبه بأمير المؤمنين في عقله وسياسته وشيمته المرضية مادعانا الى الرضا به في أمورنا والقنوع به في الولاية علينا فليوله أمير المؤمنين اكرمه الله عهده وليجعله لنا ملجأ ومفزعاً بعده نأوى اليه ان كان كون، فانه ليس أحد أحق بها منه فاعزم على ذلك عزم الله لك في رشدك ووفقك في أمورنا. ثم قام عبد الرحمن بن عثمان الثقفي فحمد الله واثنى عليه ثم قال: اصلح الله أمير المؤمنين انا قد أصبحنا في زمان مختلفة أهواؤه، قد أحد ودبت علينا سيساؤه واقطوطبت علينا ادواؤه، وأناخت علينا أنباؤه ونحن نشير عليك بالرشاد وندعوك الى السداد، وأنت ياأمير المؤمنين احسننا نظراً، واثبتنا بصراً ويزيد بن أمير المؤمنين قد عرفناسيرته وبلونا علانيته ورضينا ولايته وزادنا بذلك انبساطا وبه اغتباطا مع مامنحه الله من الشبه بأمير المؤمنين والمحبة في المسلمين فاعزم على ذلك ولا تضق به ذرعا فالله تعالى يقيم به الأود ويردع به الألد وتأمن به السبل ويجمع به الشمل ويعظم به الاجر ويحسن به الذخر ثم جلس. فقام ثور بن معن السلمي فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: اصلح الله أمير المؤمنين انا قد أصبحنا في زمان صاحبه مشاغب

وظله ذاهب مكتوب علينا فيه الشقاء والسعادة وأنت ياأمير
المؤمنين ميت نسأل الله بك المتاع ويزيد بن أمير المؤمنين
أقدمنا شرفاً وابذلنا عرفاً وقد دعانا الى الرضابه والقنوع بولايته
والحرص عليه والاختيار له ماقد عرفنا من صدق لسانه ووفائه
وحسن بلائه فاجعله لنا بعدك خلفا فانه أوسعنا كنفا وأقدمنا
سلفاً ، وهو رتق لما فتق وزمام لما شعث ونكال لمن فارق
ونافق وسلم لمن واظب وحافظ للحق أسأل الله لامير المؤمنين
أفضل البقاء والسعادة والخيرة فيما أراد والتوظن في البلاد
وصلاح أمر جميع العباد . ثم جلس فقام عبد الله بن عصام فحمد
الله واثنى عليه ثم قال: اصلح الله أمير المؤمنين وأمتع به انا قد
أصبحنا في دنيا منقضية وأهواء منجذمة، نخاف حدها وننتظر
جدها ، شديد منحدرها كثير وعرها ، شامخة مراقيها ثابتة
مراتبها ، صعبة مراكبها ، فالموت ياأمير المؤمنين وراءك
ووراء العباد لايخلد في الدنيا أحد ولا يبقي لنا أمد وأنت ياأمير
المؤمنين مسؤول عن رعيتك ومأخوذ بولايتك وأنت أنظر
للجماعة وأعلا عينا بحسن الرأي لاهل الطاعة وقد هديت ليزيد
في أكمل الامور وأفضلها رأياً وأجمعها رضا فاقطع بيزيد فالة

الكلام ونخوة المبطل وشعث المنافق وأكبت به الباذخ
المعادي فان ذلك ألمّ للشعث واسهل للوعث فاعزم على ذلك
ولا تترامى بك الظنون. ثم قام عبد الله بن مسعدة الفزاري
فحمد الله واثنى عليه ثم قال: اصلح الله أمير المؤمنين وأمتع به
ان الله قد آثرك بخلافته واختصك بكرامته وجعلك عصمة
لاوليائه وذا نكاية لاعدائه فأصبحت بأنعمه جذلا ولما حمّلك
محتملاً، يكشف الله تعالى بك العمى ويهدي بك العدى ويزيد
ابن أمير المؤمنين أحسن الناس برعيتك رأفة وأحقهم بالخلافة
بعدك قد ساس الامور وأحكمته الدهور، ليس بالصغير الفهيه
ولا بالكبير السفيه قد احتجن المكارم وارتجي لحمل العظائم
وأشد الناس في العدو نكاية وأحسنهم صنعا في الولاية وأنت
أغني بأمرك واحفظ لوصيتك واحرز لنفسك. اسأل الله
لامير المؤمنين العافية في غير جهد والنعمة في غير تغيير. قال
فقال معاوية أوَ كلكم قد أجمع على هذا رأيه فقالوا كلنا قد
أجمع رأيه على ماذكرنا قال فأين الاحنف فأجابه قال الا تتكلم
فقام الاحنف فحمد الله واثنى عليه ثم قال: اصلح الله أمير
المؤمنين ان الناس قد أمسكوا في منكر زمان قد سلف

ومعروف زمان مؤتنف ، ويزيد بن أمير المؤمنين نعم الخلف وقد حلبت الدهر أشطره ياأمير المؤمنين فاعرف من تسند اليه الامر من بعدك ثم اعص أمر من يأمرك لايغررك من يشر عليك ولا ينظر لك ، وأنت أنظر للجماعة واعلم باستقامة الطاعة مع ان أهل الحجاز وأهل العراق لا يرضون بهذا ولا يبايعون ليزيد ما كان الحسن حياً

﴿ مارد الضحاك بن قيس عليه ﴾ قال فغضب الضحاك ابن قيس فقام الثانية فحمد الله واثنى عليه ثم قال :اصلح الله أمير المؤمنين ان أهل النفاق من أهل العراق مروءتهم في أنفسهم الشقاق وألفتهم في دينهم الفراق ،يرون الحق على أهوائهم كانما ينظرون باقفائهم اختالوا جهلا وبطراً لا يرقبون من الله راقبة، ولا يخافون وبال عاقبة، اتخذوا ابليس لهم ربا واتخذهم ابليس حزبا فمن يقاربوه لايسروه ومن يفارقوه لايضروه فادفع رأيهم ياأمير المؤمنين في نحورهم وكلامهم في صدورهم ماللحسن وذوي الحسن في سلطان الله الذي استخلف به معاوية في أرضه هيهات لاتورث الخلافة عن كلالة ولا يحجب غير الذكر العصبة فوطنوا أنفسكم ياأهل العراق على المناصحة

لإمامكم وكاتب نبيكم وصهره[1] يسلم لكم العاجل وتربحوا من الآجل ثم قام الاحنف بن قيس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ياأمير المؤمنين انا قد فررنا عنك قريشا فوجدناك أكرمها زنداً وأشدها عقداً وأوفاها عهداً . وقد علمت انك لم تفتح العراق عنوة ولم تظهر عليها قعصا ولكنك أعطيت الحسن بن علي من عهود الله ماقدعلمت ليكون له الامر من بعدك فان تف فأنت أهل الوفاء وان تغدر تعلم والله ان وراء الحسن خيولا جياداً وأذرعاً شداداً وسيوفاً حدادا ، إن تدن له شبراً من غدر تجد وراءه باعا من نصر، وانك تعلم ان أهل العراق ماأحبوك منذ أبغضوك ولا أبغضوا علياً وحسنا منذ أحبوهما وما نزل عليهم في ذلك غير من السماء وان السيوف التى شهروها عليك مع علي يوم صفين لعلي عواتقهم والقلوب التي أبغضوك بها لبين جوانحهم وأيم الله ان الحسن لاحب الى أهل العراق من علي. ثم قام عبد الله بن عثمان الثقفى فحمد الله وأثني عليه ثم قال: اصلح الله أمير المؤمنين ان رأى الناس مختلف

---

(١) ويروى : ومن سبقت له الدعوة من الرسول حيث: قال اللهم علم معاوية الحساب والكتاب وقه العذاب فاكشفوا المحض من طاعتكم يسلم الخ

وكثير منهم منحرف لا يدعون أحداً الى رشاد ولا يجيبون داعياً الى سداد ، مجانبون لرأي الخلفاء مخالفون لهم في السنة والقضاء وقد وقفت ليزيد في أحسن القضية وأرضاها لحمل الرعية فاذا خار الله لك فاعزم ثم اقطع قالة الكلام فان يزيد أعظمنا حلماً وعلماً وأوسعنا كنفاً وخيرنا سلفاً، قد أحكمته التجارب، وقصدت به سبل المذاهب، فلا يصرفنك عن بيعته صارف ولا يقفن بك دونها واقف ممن هو شاسع عاص ينوص للفتنة كل مناص ، لسانه ملتوٍ وفي صدره داء دويّ ، ان قال فشر قائل وان سكت فداء غائل قد عرفت من هم أولئك وماهم عليه لك من المجانبة للتوفيق والكلف للتفريق فاجل ببيعته عنا الغمة واجمع به شمل الامة فلا تخدعنه اذا هديت له ولا تنبش عنه اذا وقفت له فان ذلك الرأي لنا ولك والحق علينا وعليك اسأل الله العون وحسن العاقبة لنا ولك بمنه . فقام معاوية فقال : أيها الناس ان لأبليس من الناس اخوانا وخلانا بهم يستعد واياهم يستعين وعلى ألسنتهم ينطق إن رجوا طمعا أو جفوا وان استغني عنهم ارجفوا ثم يلحقون الفتن بالفجور ويشققون لها حطب النفاق عيابون مرتابون ان لووا عروة أمر

حنقوا وان دعوا الى غيّ أسرفوا وليسوا أولئك بمنتهين ولا بمقلعين ولا متعظين حتى تصيبهم صواعق خزي وبيل وتحل بهم قوارع أمر جليل، تجتث أصولهم كاجتثاث أصول الفقع فأوْلى لاولئك ثم أوْلى فانا قد قدمنا وانذرْنا ان أغني التقدم شيئاً أو نفع النذر. فدعا معاوية الضحاك فولاه الكوفة وعاد عبد الرحمن فولاه الجزيرة ثم قام أبو حنيف فقال: ياأمير المؤمنين انا لانطيق السنة مضر وخطبها أنت ياأمير المؤمنين فان هلكت فيزيد بعدك فمن أبي فهذا وسل سيفه فقال معاوية أنت أخطبُ القوم وأكرمهم. ثم قام الاحنف بن قيس فقال: ياأمير المؤمنين أنت[1] أعلمنا بليله ونهاره وبسره وعلانيته فان كنت تعلم أنه خير لك فوله واستخلفه وان كنت تعلم انه شر لك فلا تزوّده الدنيا وأنت صائر الى الآخرة فانه ليس لك من الآخرة الا ما طاب واعلم انه لا حجة لك عند الله ان قدمت يزيد على الحسن والحسين وأنت تعلم من هما والى ما هما، وانما علينا أن نقول سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير

---

(١) ويروى ان معاوية قال للاحنف ما تقول يا أبا بحر فقال: نخافكم ان صدقنا ونخاف الله ان كذبنا وأنت ياأمير المؤمنين اعلمنا. الخ.

﴿ قدوم معاوية المدينة وما خاوض فيه العبادلة ﴾ قالوا فاستخار الله معاوية وأعرض عن ذكر البيعة حتى قدم المدينة سنة خمسين فتلقاه الناس فلما استقر في منزله ارسل الى عبدالله ابن عباس وعبدالله بن جعفر بن أبي طالب والي عبدالله بن عمر والى عبدالله بن الزبير وأمر حاجبه أن لا يأذن لاحد من الناس حتي يخرج هؤلاء النفر فلما جلسوا تكلم معاوية فقال: الحمدلله الذي أمرنا بحمده ووعدنا عليه ثوابه نحمده كثيراً كما أنعم علينا كثيراً وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ووسوله اما بعد: فاني قد كبر سنّي ووهن عظمي وقرب اجلي وأوشكت أن ادعى فاجيب، وقد رأيت ان استخلف عليكم بعدي يزيد ورأيته لكم رضا وأنتم عبادلة قريش وخيارها وابناء خيارها ولم يمنعني ان أحضر حسنا وحسينا الا انهما أولاد ابيهما على جسن رأيي فيهما وشديد محبتي لهما فردوا على أمير المؤمنين خيراً رحمكم الله فتكلم عبد الله بن عباس فقال :الحمد لله الذي الهمنا أن نحمده واستوجب علينا الشكر على آلائه وحسن بلائه وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله وصلى الله على محمد وآل محمد :أما بعد فانك قد

تـكلمت فانصتنا وقلت فسمعنا وان الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه اختار محمداً صلى الله عليه وسلم لرسالته واختاره لوحيه وشرفه على خلقه فأشرف الناس من تشرف به وأولاهم بالامر أخصهم به وانما على الامة التسليم لنبيها اذ اختاره الله لهافانه انما اختار محمداً بعلمه وهو العليم الخبير وأستغفر الله لي ولـكم. فقام عبد الله بن جعفر فقال: الحمد لله أهل الحمد ومنتهاه نحمده على الهامنا حمده ونرغب اليه في تأدية حقه وأشهد أن لا اله الا الله واحداً صمداً، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً وان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم: أما بعد فان هذه الخلافة ان أخذ فيها بالقرآن فأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله وان أخذ فيها بسنة رسول الله فأولوا رسول الله وان أخذ فيها بسنة الشيخين أبي بكر وعمر فأي الناس أفضل وأكمل وأحق بهـذا الامر من آل الرسول. وأيم الله لو ولوه بعد نبيهم لوضـعوا الامر موضعه لحقه وصدقه ولاطيع الرحمن وعصي الشيطان وما اختلف في الامة سيفان فاتق الله يامعاوية فانك قد صرت راعيا ونحن رعية فانظر لرعيتك فانك مسؤول عنها غداً. وأما ماذكرت من ابني عمي وتركك ان تحضرهما

فوالله ماأصبت الحق ولا يجوز لك ذلك الا بهما وانك لتعلم انهما معدن العلم والكرم فقل أودع وأستغفر الله لي ولكم. فتكلم عبد الله بن الزبير فقال: الحمد لله الذي عرفنا دينه واكرمنا برسوله أحمده على ما أبلى وأولى وأشهد أن لااله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله أما بعد فان هذه الخلافة لقريش خاصة تتناولها بمآثرها السنية ،وأفعالها المرضية مع شرف الآباء وكرم الابناء ،فاتق الله يامعاوية وانصف من نفسك فان هذا عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله وهذا عبد الله بن جعفر ذو الجناحين ابن عم رسول الله وأنا عبدالله ابن الزبير ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليّ خلف حسناً وحسيناً وأنت تعلم من هما وما هما فاتق الله يامعاوية وأنت الحاكم بيننا وبين نفسك. فتكلم عبد الله بن عمر فقال: الحمد لله الذي أكرمنا بدينه وشرفنا بنبيه صلى الله عليه وسلم أما بعد فان هذه الخلافة ليست بهِرَقْلية ولا قيصرية ولا كِسراوية يتوارثها الابناء على الآباء ولو كان كذلك كنت القائم بها بعد ابي فوالله ماأدخلني مع الستة من أصحاب الشوري الاعلى أن الخلافة ليست شرطاً مشروطا وانما هي في

قريش خاصة لمن كان لها أهلا ممن ارتضاه المسلمون لانفسهم من كان اتـقى وارضي فإن كنت تريد الفتيان من قـريش فلعمري ان يزيد من فتيانها واعلم انه لايغني عنك من الله شيئاً. فتـكلم معاوية فقال: قدقلت وقلتم وانه قد ذهبت الآباء وبقيت الابناء فابنى أحب الي من أبنائهم مع ان ابني ان قاولتموه وجد مقالا وانما كان هذا الامر لبني عبد مناف لانهم أهل رسول الله فلما مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولى الناس أبا بكر وعمر من غير معـدن الملك ولا الخلافة غير انهما سارا بسيرة جميلة ثم رجع الملك الى بني عبد مناف فلا يزال فيهم الى يوم القيامة وقد أخرجك الله ياابن الزبير وأنت ياابن عمر منها فأما ابنا عمي هذان فليسا بخارجين من الرأي ان شاء الله . ثم أمر بالرحلة واعرض عن ذكر البيعة ليزيد ولم يقطع عنهم شيئاً من صلاتهم واعطاتهم ثم انصرف راجعاً الى الشام وسكت عن البيعة فلم يعرض لها الى سنة احدى وخمسين

﴿ موت الحسن بن علي رضي الله عنهما ﴾ قال فلما كانت سنة احدى وخمسين مرض الحسن بن علي مرضه الذي مات فيه فكتب عامـل المدينة الى معاوية يخبره بشكاية الحسن

فكتب اليه معاوية :ان استطعت ان لا يمضي يوم بي يمر الا يأتيني فيه خبره فافعل فلم يزل يكتب اليه بحاله حتى توفي . فكتب اليه بذلك فلما أتاه الخبر أظهر فرحاً وسروراً حتي سجد وسجد من كان معه فبلغ ذلك عبد الله بن عباس وكان بالشام يومئذ. فدخل على معاوية فلما جلس قال معاوية: ياابن عباس هلك الحسن بن علي فقال ابن عباس نعم هلك إنا لله وانا اليه راجعون ترجيعاً مكرراً وقد بلغني الذي اظهرت من الفرح والسرور لوفاته اما والله ماسد جسده حفرتك، ولا زاد نقصان أجله في عمرك ولقدمات وهو خير منك، ولئن اصبنا به لقد أصبنا بمن كان خيراً منه جده رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجبر الله مصيبته وخلف علينا من بعده احسن الخلافة . ثم شهق ابن عباس وبكى وبكى من حضر في المجلس وبكى معاوية فما رأيت يوما اكثر باكيا من ذلك اليوم. فقال معاوية بلغني انه ترك بنين صغاراً فقال ابن عباس كلنا كان صغيراً فكبر . قال معاوية كم اتي له من العمر فقال ابن عباس امر الحسن اعظم من ان يجهل احد مولده قال فسكت معاوية يسيرا ثم قال يا ابن العباس أصبحت سيد قومك من بعده فقال ابن عباس اما ما

أبقى الله أبا عبدالله الحسين فلا . قال معاوية لله أبوك يا ابن عباس ما استنبأتك الا وجدتك معداً

﴿ بيعة معاوية ليزيد بالشام واخذه أهل المدينة ﴾ قالوا ثم لم يلبث معاوية بعد وفاة الحسن رحمه الله الا يسيرا حتى بايع ليزيد بالشام وكتب بيعته الى الآفاق وكان عامله على المدينة مروان بن الحكم فكتب اليه يذكر الذي قضى الله به على لسانه من بيعة يزيد ويأمره بجمع من قبله من قريش وغيرهم من أهل المدينة ثم ليبايعوا ليزيد

﴿ عزل مروان عن المدينة ﴾ قال فلما قرأ مروان كتاب معاوية ابى من ذلك وأبته قريش فكتب لمعاوية : ان قومك قد أبوا اجابتك الى بيعتك ابنك فأرنى رأيك . فلما بلغ معاوية كتاب مروان عرف ذلك من قبله . فكتب اليه يأمره ان يعتزل عمله ويخبره انه قد ولى المدينة سعيد بن العاص فلما بلغ مروان كتاب معاوية اقبل مغاضبا فى أهل بيته وناس كثير من قومه حتى نزل باخواله بني كنانة فشكا اليهم واخبرهم بالذي كان من رأيه فى أمر معاوية وفي عزله واستخلافه يزيد ابنه عن غير مشورة مبادرة له فقالوا: نحن نبلك في يدك وسيفك في قرابك فمن رميته بنا

أصبناه ومن ضربتـه بنا قطعناه، الرأي رأيك ونحـن طوع يمينك . ثم أقبل مروان في وفد منهم كثير ممن كان معه من قومه وأهـل بيته حتى نزل دمشق فخرج فيهم حتى اتى سدة معاوية وقـد أذن للناس . فلما نظر الحاجب الى كثرة من معه من قومه وأهل بيته منعه من الدخول فوثبوا اليه فضربوا وجهه حتى خلى عن الباب ثم دخل مروان ودخلوا معه حتى اذا كان من معاوية بحيث تناله يده قال بعد التسليم عليه بالخلافة: ان الله عظيم خطره لا يقدر قادر قدره خلق من خلقه عباداً جعلهم لدعائم دينه اوتاداً ، هم رقباؤه على البلاد وخلفاؤه على العباد اسفر بهم الظلم وألف بهم الدين وشدد بهم اليقين ، ومنح بهم الظفر ووضع بهم من استكبر ، فكان من قبلك من خلفائنا يعرفون ذلك في سالف زماننا وكنا نكون لهم على الطاعة اخوانا وعلى من خالف عنها اعوانا يشد بنا العضد ويقام منا الأوَد ونستشار في القضية ونستأمر في أمر الرعية ، وقد أصبحنا اليوم في امور مستخيرة ذات وجوه مستديرة تفتح بازمة الضلال وتجلس بأسوأ الرجال ، يوءكل جزورها وتمق احلابها فما لنا لا نستأمر في رضاعها ونحن فطامها وأولات فطامها وأيم

الله لولا عهود مؤكدة ومواثيق معقدة لاقمت أود وليها فأقم الامر يا ابن أبي سفيان واهدأ من تأميرك الصبيان واعلم ان لك في قومك نظراً وان لهم على مناوأتك وزراً ، فغضب معاوية من كلامه غضبا شديداً ثم كظم غيظه بحلمه واخذ بيد مروان ثم قال : ان الله قد جعل لكل شيء أصلا وجعل لكل خير أهلا ثم جعلك في الكرم مني محتداً والعزيز مني والداً ، اخترت من قروم قادة ثم استلت سيدسادة فانت ابن ينابيع الكرم فمرحبابك وأهلا من ابن عم ذكرتَ خلفا مفقودين شهداء صديقين كانوا كما نعيت وكنت لهم كما ذكرت وقد اصبحنا في امور مستخيرة ذات وجوه مستديرة وبك والله يا ابن العم نرجو استقامة أودها وذلولة صعوبتها وسفور ظلمتها حتى يتطأطأ جسيمها ويركب بك عظيمها فانت نظير أمير المؤمنين بعده وفي كل شدة عضده واليك بعد عهده ، فقد وليتك قومك واعظمنا في الخراج سهمك وانا مجيز وفدك ومحسن رفدك وعلي امير المؤمنين غناك والنزول عند رضاك ، فكان أول مارزق الف دينار في كل هلال وفرض له في أهل بيته مائة مائة

﴿ كراهية أهل المدينة البيعة وردهم لها ﴾ قال وذكروا

ان معاوية كتب الى سعيد بن العاص وهو على المدينة يأمره ان يدعو أهل المدينة الى البيعة ويكتب اليه بمن سارع ممن لم يسارع . فلما اتي سعيد بن العاص الكتاب دعا الناس الى البيعة ليزيد واظهر الغلظة وأخذهم بالعزم والشدة وسطا بكل من ابطأ عن ذلك فأبطأ الناس عنها الا اليسير لا سيما بني هاشم فانه لم يجبه منهم احد وكان ابن الزبير من اشد الناس انكاراً لذلك ورداً له . فكتب سعيد بن العاص الى معاوية : اما بعد فانك أمرتني ان ادعو الناس لبيعة يزيد بن أمير المؤمنين وان اكتب اليك بمن سارع ممن أبطأ واني اخبرك ان الناس عن ذلك بطأ لا سيما أهل البيت من بني هاشم فانه لم يجبني منهم احد وبلغني عنهم ما اكره ، واما الذي جاهر بعداوته وإبائه لهذا الامر فعبد الله بن الزبير ولست اقوي عليهم الا بالخيل والرجال او تقدم بنفسك فترى رأيك في ذلك والسلام . فكتب معاوية الى عبد الله بن عباس والى عبد الله بن الزبير والى عبدالله بن جعفر والى الحسين بن علي رضي الله عنهم كتبا وأمر سعيد بن العاص ان يوصلها اليهم ويبعث بجواباتها ، وكتب الى سعيد بن العاص : اما بعد فقد أتاني كتابك وفهمت ما ذكرت فيه من ابطاء الناس

عن البيعة ولا سيما بني هاشم وماذكر ابن الزبير وقد كتبت
الى رؤسائهم كتبا فسلمها اليهم وتنجز جواباتها وابعث بها الى
حتى أرى في ذلك رأيي ولتشد عزيمتك ولتصلب شكيمتك
وتحسن نيتك وعليك بالرفق واياك والخرق فان الرفق رشد
والخرق نكد. وانظر حسينا خاصة فلا يناله منك مكروه فان
له قرابة وحقا عظيما لا ينكره مسلم ولا مسلمة وهو ليث عرين
ولست آمنك ان شاورته ان لا تقوى عليه . فاما من يرد مع السباع
اذا وردت ويكنس اذا كنست فذلك عبدالله بن الزبير فاحذره
أشد الحذر ولا قوة الا بالله وأنا قادم عليك ان شاء الله والسلام .
وكتب الى ابن عباس : أما بعد فقد بلغني ابطاؤك عن البيعة
ليزيد بن أمير المؤمنين واني لو قتلتك بعثمان لكان ذلك الى
لأنك ممن ألب عليه واجلب وما معك من أمان فتطمئن به
ولا عهد فتسكن اليه فاذا أتاك كتابي هذا فاخرج الى المسجد
والعن قتلة عثمان وبايع عاملي فقد أعذر من أنذر وأنت
بنفسك ابصر والسلام . وكتب الى عبد الله بن جعفر : أما
بعد فقد عرفت أثرتي اياك على من سواك وحسن رأيي فيك
وفي أهل بيتك وقد أتاني عنك ما أكره فان بايعت تشكر

وان تأبى تجبر والسلام. وكتب الى الحسن: أما بعد فقد انتهت الي منك أمور لم أكن أظنك بها رغبة عنها وان أحق الناس بالوفاء لمن أعطى بيعته من كان مثلك في خطرك وشرفك ومنزلتك التى أنزلك الله بها فلا تنازع الى قطيعتك واتق الله ولا تردن هذه الامة في فتنة وانظر لنفسك ودينك وأمة محمد ولا يستخفنك الذين لا يوقنون. وكتب الى عبد الله بن الزبير:

رأيت كرام الناس ان كف عنهم * بحلم رأوا فضلا لمن قد تحلما
ولا سيما ان كان عفواً بقدرة * فذلك أحرى ان يجل ويعظما
ولست بذي لؤم فتعذر بالذي * أتيته من أخلاق من كان ألوما
ولكن غشاً لست تعرف غيره * وقد غش قبل اليوم ابليس آدما
فما غش الا نفسه في فعاله * فاصبح ملعوناً وقد كان مكرما
واني لاخشى أن أنالك بالذي * أردت فيجزى الله من كان أظلما

﴿ ما أجابه القوم به رضي الله عنهم ﴾ فكان أول من أجابه عبد الله بن عباس فكتب اليه: أما بعد فقد جاءني كتابك وفهمت ماذكرت وان ليس معي منك أمان وانه والله ما مثلك يطلب الامان يا معاوية وانما يطلب الامان من الله رب العالمين. وأما قولك في قتلي فوالله لو فعلت للقيت الله ومحمد صلى الله

عليه وسلم خصمك فما أخاله أفلح ولا أنجح من كان رسول الله خصمه. وأما ماذكرت من اني ممن ألب في عثمان واجلب فذلك أمر غبت عنه ولو حضرته مانسبت الي شيئاً من التأليب عليه وأيم الله ماأرى أحداً غضب لعثمان غضبي ولا أعظم أحد قتله اعظامي ولو شهدته لنصرته أو أموت دونه. ولقد قلت وتمنيت يوم قتل عثمان ليت الذي قتل عثمان لقيني فقتلني معه ولا أبقى بعده ،وأما قولك لي العن قتلة عثمان فلعثمان ولد وخاصة وقرابة هم أحق بلعنهم مني فان شاؤا ان يلعنوا فليلعنوا وان شاؤا ان يمسكوا فليمسكوا والسلام . وكتب اليه عبدالله بن جعفر :أمابعد فقدجاءني كتابك وفهمت ماذكرت فيه من أثرتك اياي على من سواي فان تفعل فبحظك أصبت وان تأبى فبنفسك قصرت وأما ماذكرت من جبرك اياي على البيعة ليزيدفلعمري لئن أجبرتني عليها لقدأجبرناك واباك على الاسلام حتى أدخلنا كما كارهين غيرطائعين والسلام. وكتب اليه عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما :

الا سمع الله الذي أنا عبدُه * فاجزي اله الناس من كان أظلما

واجري على الله العظيم بحلمه * وأسرعهم في الموبقات تقحما

أغرك ان قالوا حليم بغرة * وليس بذي حلم ولكن تحلما
ولو رمت ما إن قد زعمت وجدتني * هزبر عرين يترك القرن أكتما
واقسم لولا بيعة لك لم أكن * لانقضها لم ينج مني مسلما

وكتب اليه الحسن رضى الله عنه: أما بعد فقد جاءني كتابك تذكر فيه انه انتهت اليك عنى أمور لم تكن تظنني بها رغبة بي عنها وان الحسنات لا يهدي لها ولا يسدد اليها الا الله تعالى وأما ماذكرت انه رقي اليك عني فانما رقاه الملاقون المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الجمع وكذب الغاوون المارقون ماأردت حربا ولا خلافا واني لاخشى الله في ترك ذلك منك ومن حزبك القاسطين المحلين حزب الظالم وأعوان الشيطان الرجيم . ألست قاتل حجر وأصحابه العابدين المخبتين الذين كانوا يستفظعون البدع ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فقتلتهم ظلما وعدوانا من بعد ماأعطيتهم المواثيق الغليظة والعهود المؤكدة جراءة على الله واستخفافا بعهده أو لست بقاتل عمرو ابن الحمق الذي أخلقت وأبلت وجهه العبادة فقتلته من بعد ماأعطيته من العهود مالو فهمته العُصْم نزلت من سقف الجبال أو لست المدعي زيادا في الاسلام فزعمت انه ابن أبي سفيان

وقد قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الولد للفراش وللعاهر الحجر ثم سلطته على أهل الاسلام يقتلهم ويقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ويصلبهم على جذوع النخل سبحان الله يامعاوية لكأنك لست من هذه الامة وليسوا منك.
أو لست قاتل الحضرمي الذي كتب اليك فيه زياد انه على دين علي كرم الله وجهه ودين علي هو دين ابن عمه صلى الله عليه وسلم الذي أجلسك مجلسك الذي أنت فيه ولولا ذلك كان أفضل شرفك وشرف آبائك تجشم الرحلتين رحلة الشتاء والصيف فوضعها الله عنكم بنا منة عليكم وقلت فيما قلت لا ترد هذه الامة في فتنة واني لا أعلم لها فتنة أعظم من إمارتك عليها وقلت فيما قلت انظر لنفسك ولدينك ولامة محمد واني والله ماأعرف أفضل من جهادك فان أفعل فانه قربة الى ربي وان لم أفعله فأستغفر الله لديني واسأله التوفيق لما يحب ويرضى.
وقلت فيما قلت متى تكدني أكدك فكدني يامعاوية فيما بدالك فلعمري لقديما يكيد الصالحون واني لارجو ان لا تضر الا نفسك ولا تمحق الا عملك فكدني مابدالك واتق الله يامعاوية واعلم ان لله كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها

واعلم ان الله ليس بناس لك قتلك بالظنة وأخذك بالتهمة وإمارتك صبياً يشرب الشراب ويلعب بالكلاب ماأراك الا وقد أوبقت نفسك وأهلكت دينك وأضعت الرعية والسلام

﴿ قدوم معاوية المدينة على هؤلاء القوم وما كان بينهم من المنازعة ﴾ قال وذكروا انه لما جاوب القوم معاوية بما جاوبوه من الخلاف لامره والكراهية لبيعته ليزيد كتب الى سعيد بن العاص يأمره ان يأخذ أهل المدينة بالبيعة ليزيد أخذا بغلظة وشدة ولا يدع أحدا من المهاجرين والانصار وأبنائهم حتي يبايعوا وأمره ان لايحرك هؤلاء النفر ولا يهيجهم فلما قدم عليه كتاب معاوية أخذهم بالبيعة أعنف مايكون من الاخذ وأغلظه فلم يبايعه أحد منهم . فكتب الى معاوية انه لم يبايعنى أحد وانما الناس تبع لهؤلاء النفر فلو بايعوك بايعك الناس جميعا ولم يتخلف عنك أحد فكتب اليه معاوية يأمره ان لايحركهم الى ان يقدم فقدم معاوية المدينة حاجاً فلما ان دنى من المدينة خرج اليه الناس يتلقونه مابين راكب وماش وخرج النساء والصبيان فلقيه الناس على حال طاقتهم وما تسارعوا به في القوت والقرب فلانَ لمن كافحه

وفاوض العامـة بمحادثتـه وتألفهم جهده مقاربة ومصانعة ليستميلهم الى مادخل فيه الناس حتى قال في بعض ما يجتلبهم به :أهل المدينة ما زلت أطوى الحزن من وعثاء السفر بالحب لمطالعتكم حتي انطوي البعيد ولان الخشن وحق لجار رسول الله ان يتاق اليه . فرد عليه القوم بنفسك ودارك ومهاجرك امان لك منهم كاشفاق الحميم البر والحفي قال حتى اذا كان بالجرف لقيه الحسين بن علي وعبد الله بن عباس فقال معاوية مرحبا بابن بنت رسول الله وابن صنو أبيه ثم انحرف الى الناس فقال هذان شيخاني عبد مناف واقبل عليهما بوجهه وحديثه فرحب وقرب وجعل يواجه هذا مرة ويضاحك هذا اخرى حتي ورد المدينة فلما خالطها لقيته المشاة والنساء والصبيان يسلمون عليه ويسايرونه الى ان نزل فانصرفا عنه. فمال الحسين الى منزله ومضى عبد الله بن عباس الى المسجد فدخله وأقبل معاوية ومعه خلق كثير من أهل الشام حتي أتي عائشة أم المؤمنين فاستأذن عليها فأذنت له وحده لم يدخل عليها معه أحد وعندها مولاها ذكوان فقالت عائشة يا معاوية أكنت تأمن ان اقعد لك رجلا فاقتلك كما قتلت اخي محمد بن أبي بكر فقال معاوية

ما كنت لتفعلين ذلك قالت لم قال لاني في بيت آمن بيت رسول الله . ثم ان عائشة حمدت الله وأثنت عليه وذكرت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرت أبا بكر وعمر وحضته على الاقتداء بهما والاتباع لاثرهما ثم صمتت قال فلم يخطب معاوية وخاف ان لا يبلغ ما بلغت فارتجل الحديث ارتجالا . ثم قال أنت والله يا أم المؤمنين العالمة بالله وبرسوله دللتنا على الحق وحضضتنا على حظ أنفسنا وأنت أهل لان يطاع أمرك ويسمع قولك وان أمر يزيد قضاء من القضاء وليس للعباد الخيرة من أمرهم وقد اكد الناس بيعتهم في أعناقهم واعطوا عهودهم على ذلك ومواثيقهم افترى ان ينقضوا عهودهم ومواثيقهم فلما سمعت ذلك عائشة علمت انه سيمضي على امره فقالت : اما ماذكرت من عهود ومواثيق فاتق الله في هؤلاء الرهط ولا تعجل فيهم فلعلهم لا يصنعون الا ما احببت . ثم قام معاوية فلما قام قالت عائشة يا معاوية قتلت حجرا واصحابه العابدين المجتهدين فقال معاوية دعي هذا كيف انا في الذي بيني وبينك وفي حوائجك ؟ قالت صالح قال فدعينا واياهم حتى نلقى ربنا ثم خرج ومعه ذكوان فاتكأ على يد ذكوان وهو يمشي ويقول تالله

ان رأيت كاليوم قط خطيباً أبلغ من عائشة بعد رسول الله ثم
مضى حتى اتى منزله فارسل الى الحسين بن علي نخلا به فقال
له يا ابن أخي قد استوثق الناس لهذا الامر غير خمسة نفر من
قريش أنت تقودهم يا ابن اخي فما أربك الى الخلاف قال الحسين
ارسل اليهم فان بايعوك كنت رجلا منهم والا تكن عجلت
علي بأمر قال وتفعل قال نعم قال فأخذ عليه ان لا يخبر بحديثهما
احداً فخرج وقد أقعد له ابن الزبير رجلا بالطريق فقال يقول
لك اخوك ابن الزبير ما كان فلم يزل به حتي استخرج منه شيئاً
قال ثم ارسل معاوية بعده الى ابن الزبير فخلا به فقال له قد
استوثق الناس لهذا الامر غير خمسة نفر من قريش أنت تقودهم
يا ابن أخي فما أربك الى الخلاف قال فارسل اليهم فان بايعوك
كنت رجلا منهم والا تكن عجلت علي بامر قال وتفعل قال
نعم فأخذ عليه ان لا يخبر بحديثهما احداً قال فارسل بعده الي
ابن عمر فاتاه وخلا به فكلمه بكلام هو ألين من صاحبيه وقال
اني كرهت ان ادع أمة محمد بعدي كالضأن لا راعي لها وقد
استوثق الناس لهذا الامر غير خمسة نفر أنت تقودهم فما أربك
الى الخلاف قال ابن عمر: هل لك في امر تحقن به الدماء وتدرك به

حاجتك فقال معاوية وددت ذلك فقال ابن عمر تبرز سريرتك ثم اجيء فأبايعك على اني أدخل فيما اجتمعت عليه الامة فوالله لو ان الامة اجتمعت على عبد حبشي لدخلت فيما تدخل فيه الامة ، قال وتفعل قال نعم ثم خرج وارسل الى عبد الرحمن ابن ابي بكر فخلا به قال بأي يد أو رجل تقدم على معصيتي فقال عبد الرحمن ارجو ان يكون ذلك خيراً لي فقال معاوية والله لقد هممت ان اقتلك فقال لو فعلت لاتبعك الله في الدنيا ولادخلك في الآخرة النار ، قال ثم خرج عبد الرحمن بن أبي بكر وبقي معاوية يومه ذلك يعطي الخواص ويدني بذمة الناس فلما كان صبيحة اليوم الثاني أمر بفراش فوضع له وسويت مقاعد الخاصة حوله وتلقاءه من أهله ثم خرج وعليه حلة يمانية وعمامة دكناء وقد اسبل طرفها بين كتفيه وقد تغلف وتمطر فقعد على سريره واجلس كتابه منه بحيث يسمعون ما يأمر به وأمر حاجبه ان لا يأذن لاحد من الناس وان قرب . ثم ارسل الى الحسين بن علي وعبد الله بن عباس فسبق ابن عباس فلما دخل وسلم عليه اقعده في الفراش عن يساره فحادثه ملياً ثم قال: يا ابن عباس لقد وفر الله حظكم من مجاورة هذا القبر

الشريف ودار الرسول عليه السلام فقال ابن عباس نعم أصلح
الله أمير المؤمنين وحظنا من القناعة بالبعض والتجافي عن الكل
اوفر فجعل معاوية يحدثه ويحيد به عن طريق المجاوبة ويعدل
الى ذكر الاعمار على اختلاف الغرائز والطبائع حتى اقبل الحسين
ابن علي فلما رآه معاوية جمع له وسادة كانت على يمينه فدخل
الحسين وسلم فاشار اليه فاجلسه عن يمينه مكان الوسادة فسأله
معاوية عن حال بني اخيه الحسن واسنانهم فاخبره ثم سكت
قال ثم ابتدأ معاوية فقال: أما بعد فالحمد لله ولي النعم ومنزل النقم
واشهد ان لا اله الا الله المتعالي عما يقول الملحدون علواً كبيراً
وان محمداً عبده المختص المبعوث الى الجن والانس كافة لينذرهم
بقرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من
حكيم حميد فادى عن الله وصدع بامره وصبر عن الاذي في
جنبه حتي وضح دين الله وعز اولياءه وقمع المشركين وظهر
امر الله وهم كارهون فمضى صلوات الله عليه وقد ترك من الدنيا
ما بذل له واختار منها الترك لما سخر له زهادة واختياراً لله
وانفة واقتداراً على الصبر بغياً لما يدوم ويبقى فهذه صفة الرسول
صلى الله عليه وسلم ثم خلفه رجلان محفوظان وثالث مشكوك

وبين ذلك خوض طال ما عالجناه مشاهدة ومكافحة ومعاينة وسماعا وما أعلم منه فوق ما تعلمان وقد كان من امر يزيد ما سبقتم اليه والى تجويزه وقد علم الله ما احاول به من أمر الرعية من سد الخلل ولمّ الصدع بولاية يزيد بما ايقظ العين واحمد الفعل هذا معناي في يزيد وفيكما فضل القرابة وخطوة العلم وكمال المروءة وقد اصبت من ذلك عند يزيد على المناظرة والمقابلة ما اعياني مثله عندكما وعند غيركما مع علمه بالسنة وقراءة القرآن والحلم الذي يرجح بالصم الصلاب وقد علمتما ان الرسول المحفوظ بعصمة الرسالة قدّم على الصديق والفاروق ومن دونها من اكابر الصحابة واوائل المهاجرين يوم غزوة السلاسل من لم يقارب القوم ولم يعاندهم بريبة في قرابة موصولة ولا سنة مذكورة فقادهم الرجل بامره وجمع بهم صلاتهم وحفظ عليهم فيئهم وقال فلم يقل معه وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة فمهلا بني عبد المطلب فانا وأنتم شعبا نفع وجد وما زلت ارجو الانصاف في اجتماعكما فما يقول القائل الا بفضل قولكما فردا على ذي رحم مستعتب ما يحمد به البصيرة في عتابكما وأستغفر الله لي ولكما . قال فتيسر ابن عباس للكلام ونصب يده

للمخاطبة فاشار اليه الحسين وقال على رسلك فانا المراد ونصيبي في التهمة أوفر . فامسك ابن عباس فقام الحسين فحمد الله وصلى على الرسول ثم قال: أما بعد يا معاوية فلن يؤدي القائل وان أطنب في صفة الرسول صلى الله عليه وسلم من جميع جزءاً وقد فهمت ما لبست به الخلف بعد رسول الله من إيجاز الصفة والتنكب عن استبلاغ البيعة وهيهات هيهات يا معاوية فضح الصبح فحمة الدجى وبهرت الشمس انوار السرج ولقد فضلت حتى أفرطت واستأثرت حتى اجحفت ومنعت حتى بخلت وجرت حتى جاوزت ما بذلت لذي حق من اسم حقه مصيب حتى أخذ الشيطان حظه الأوفر ونصيبه الاكمل وفهمت ما ذكرته عن يزيد من اكتماله وسياسته لامة محمد تريد أن توهم الناس في يزيد كأنك تصف محجوبا او تنعت غائباً اوتخبر عما كان مما احتويته بعلم خاص وقد دل يزيد من نفسه على موقع رأيه فخذ ليزيد فيما اخذ به من استقرائه الكلاب المهارشة عند التحارش والحمام السبق لأترابهن والقينات ذوات المعازف وضروب الملاهي تجده ناصراً ودع عنك ما تحاول ، فما اغناك ان تلقى الله بوزر هذا الخلق باكثر مما انت لاقيه فوالله ما برحت

تقدح باطلا في جور وحنقا في ظلم حتي ملأت الاسقية وما بينك وبين الموت الا غمضة فتقدم على عمل محفوظ في يوم مشهود ولات حين مناص، ورأيتك عرضت بنا بعد هذا الامر ومنعتنا عن آبائنا تراثا ولقد لعمر الله أورثنا الرسول عليه السلام ولادة وجئت لنا بها ماحججتم به القائم عند موت الرسول فاذعن للحجة بذلك ورده الايمان الى النصف فركبتم الاعاليل وفعلتم الافاعيل وقلتم كان ويكون حتي اتاك الامر يامعاوية من طريق كان قصدها لغيرك فهناك فاعتبروا يا أولي الابصار. وذكرت قيادة الرجل القوم بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأميره له وقد كان ذلك ولعمرو بن العاص يومئذ فضيلة بصحبة الرسول وبيعته له وما صار لعمرو يومئذ حتي انف القوم إمرته وكرهوا تقديمه وعدوا عليه افعاله فقال صلى الله عليه وسلم: لا جرم معشر المهاجرين لا يعمل عليكم بعد اليوم غيري. فكيف يحتج بالمنسوخ من فعل الرسول في أوكد الاحوال واولاها بالمجتمع عليه من الصواب ام كيف صاحبت بصاحب تابعاً وحولك من لا يؤمن في صحبته ولا يعتمد في دينه وقرابته وتخطاهم الى مسرف مفتون تريد ان تلبس الناس شبهة يسعد

بها الباقي في دنياه وتشق بها في آخرتك ان هذا هو الخسران
المبين واستغفر الله لي ولكم. قال فنظر معاوية الى ابن عباس فقال
ما هذا يا ابن عباس ولما عندك ادهى وامر فقال ابن عباس لعمر
الله انها لذرية الرسول واحد اصحاب الكساء ومن البيت المطهر
فاله عما تريد فان لك في الناس مقنعا حتى يحكم الله بأمره وهو
خير الحاكمين فقال معاوية : اعود الحلم التحلم وخيره التحلم عن
الاهل انصرفا في حفظ الله ، ثم ارسل معاوية الى عبد الرحمن
ابن ابي بكر والى عبد الله بن عمر والى عبدالله بن الزبير فجلسوا
فحمد الله واثنى عليه معاوية ثم قال يا عبد الله بن عمر قد كنت
تحدثنا انك لا تحب أن تبيت ليلة وليس في عنقك بيعة جماعة
وان لك الدنيا وما فيها واني احذرك ان تشق عصا المسلمين وتسعى
في تفريق ملائهم وان تسفك دماءهم وان امر يزيد قد كان قضاء من
القضاء وليس للعباد خيرة من امرهم وقد وكد الناس بيعتهم في
اعناقهم واعطوا على ذلك عهودهم ومواثيقهم ثم سكت. فتكلم عبد
الله ابن عمر فحمد الله واثنى عليه ثم قال: أما بعد يا معاوية لقد كانت
قبلك خلفاء وكان لهم بنون ليس ابنك بخير من أبنائهم فلم يروا
في أبنائهم ما رأيت في ابنك فلم يحابوا في هذا الامر أحدا

ولـكن اختاروا لهذه الأمة حيث علموهم وان تحذرني ان
اشق عصا المسلمين وافرق ملأهم واسفك دماءهم ولم اكن
لافعل ذلك ان شاء الله ولـكن ان استقام الناس فسأدخل في
صالح ماتدخل فيه أمة محمد فقال معاوية يرحمك الله ليس عندك
خلاف ثم قال معاوية لعبد الرحمن بن أبي بكر نحو ماقاله لعبد
الله بن عمر فقال له عبدالرحمن انك والله لوددنا ان نكلك الى
الله فيما جسرت عليه من أمر يزيد والذي نفسي بيده لنجعلها
شوري اولا عيدها جذعة ،ثم قام ليخرج فتعلق معاوية بطرف
ردائه ثم قال على رسلك اللهم اكفنيه بما شئت لاتظهرن لاهل
الشام فاني اخشى عليك منهم ثم قال لابن الزبير نحـو ما قاله
لابن عمر ثم قال له انت ثعلب روّاغ كلما خرجت من جحر
انجحرت في آخـر انت ألّبت هذين الرجلين واخرجتهما
الى ما خرجا اليه فقال ابن الزبير اتريد أن تبايع ليزيد أرأيت
إن بايعناه ايكما نطيع أنطيعك ام نطيعه ان كنت مللت
الخلافة فاخرج منها وبايع ليزيد فنحن نبايعـه فكثر كلامه
وكلام ابن الزبير حتى قال له معاوية في بعض كلامه والله ما
اراك الا قاتلاً نفسك ولـكأني بك قد تخبطت في الحبالة ثم

أمرهم بالانصراف واحتجب عن الناس ثلاثة ايام لا يخرج ثم خرج فامر المنادى ان ينادي في الناس ان يجتمعوا لامر جامع فاجتمع الناس في المسجد وقعد هؤلاء حول المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم ذكر يزيد وفضله وقراءته القرآن ثم قال: يا أهل المدينة لقد هممت ببيعة يزيد وما تركت قرية ولا مدرة الا بعثت اليها في بيعته فبايع الناس جميعا وسلموا واخرت المدينة بيعته وقلت بيضته وأصله ومن لا اخافهم عليه وكان الذين ابوا البيعة منهم من كان اجدران يصله ووالله لوعلمت مكان احد هو خير للمسلمين من يزيد لبايعت له: فقام الحسين فقال: والله لقد تركت من هو خير منه أباً وأماً ونفساً فقال معاوية كأنك تريد نفسك فقال الحسين نعم أصلحك الله فقال معاوية اذاً اخبرك اما قولك خير منه اماً فلعمرى أمك خير من أمه ولو لم تكن الا أنها امرأة من قريش لكان لنساء قريش فضلهن فكيف وهي ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم فاطمة في دينها وسابقتها فأمك لعمر الله خير من أمه وأما أبوك فقد حاكم أباه الى الله فقضى لابيه على أبيك فقال الحسين حسبك جهلك أثرت العاجل على الآجل فقال معاوية وأما ما ذكرت من انك خير من يزيد نفسا فيزيد

والله خير لأمة محمد منك فقال الحسين هذا هو الإفك والزور يزيد شارب الخمر ومشتري اللهو خير مني فقال معاوية مهلا عن شتم ابن عمك فانك لو ذكرت عنده بسوء لم يشتمك ثم التفت معاوية الي الناس وقال: ايها الناس قد علمتم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض ولم يستخلف احداً فرأى المسلمون ان يستخلفوا ابا بكر وكانت بيعته بيعة هدى فعمل بكتاب الله وسنة نبيه فلما حضرته الوفاة رأي ان يستخلف عمر فعمل عمر بكتاب الله وسنة نبيه فلما حضرته الوفاة رأى ان يجعلها شورى بين ستة نفر اختارهم من المسلمين فصنع أبو بكر ما لم يصنعه رسول الله وصنع عمر ما لم يصنعه أبو بكر كل ذلك يصنعونه نظراً للمسلمين فلذلك رأيت ان أبايع ليزيد لما وقع الناس فيه من الاختلاف ونظراً لهم بعين الانصاف

﴿ ما قال عبد الله بن الزبير لمعاوية ﴾ قال وذكروا ان عبد الله بن الزبير قام الى معاوية فقال: ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض فترك الناس الى كتاب الله فرأى المسلمون ان يستخلفوا أبا بكر ثم رأى ان يستخلف عمر وهو اقصى قريش منه نسباً ورأى عمر ان يجعلها شورى بين ستة نفر اختارهم من

المسلمين وفي المسلمين ابنه عبد الله وهو خير من ابنك فان شئت ان تدع الناس على ما تركهم رسول الله فيختارون لانفسهم وان شئت ان تستخلف من قريش كما استخلف أبو بكر خير من يعلم وان شئت ان تصنع مثل ما صنع عمر تختار رهطاً من المسلمين وتزويها عن ابنك فافعل ، فنزل معاوية عن المنبر وانصرف ذاهباً الى منزله وامر من حرسه وشرطته قوما ان يحضروا هؤلاء النفر الذين ابوا البيعة وهم الحسين بن علي وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عباس وعبد الرحمن بن أبي بكر وأوصاهم معاوية فقال اني خارج العشية الى أهل الشام فاخبرهم ان هؤلاء النفر قد بايعوا وسلموا فان تكلم احد منهم بكلام يصدقني او يكذبني فيه فلا ينقضي كلامه حتى يطير رأسه فحذر القوم ذلك فلما كان العشي خرج معاوية وخرج معه هؤلاء النفر وهو يضاحكهم ويحدثهم وقد ألبسهم الحلل فألبس ابن عمر حلة حمراء والبس الحسين حلة صفراء والبس عبد الله بن عباس حلة خضراء والبس ابن الزبير حلة يمانية ، ثم خرج بينهم وأظهر لاهل الشام الرضا عنهم أي القوم وانهم بايعوا فقال يا أهل الشام ان هؤلاء النفر دعاهم أمير

المؤمنين فوجدهم واصلين مطيعين وقد بايعوا وسلموا قال ذلك والقوم سكوت لم يتكلموا شيئاً حذر القتل فوثب اناس من أهل الشام فقالوا يا أمير المؤمنين ان كان رابك منهم ريب نخل بيننا وبينهم حتى نضرب أعناقهم فقال معاوية سبحان الله ما أحل دماء قريش عندكم يا أهل الشام لا اسمع لهم ذا كراً بسوء فانهم قد بايعوا وسلموا وارتضونى فرضيت عنهم رضى الله عنهم، ثم ارتحل معاوية راجعاً الى مكة وقد أعطى الناس اعطآتهم واجزل العطاء واخرج الى كل قبيلة جوائزها واعطآتها ولم يخرج لبني هاشم جائزة ولا عطاء فخرج عبد الله بن عباس في أثره حتى لحقه بالرَّوحاء[1] فجلس ببابه فجعل معاوية يقول من بالباب فيقال عبد الله بن عباس فلم يأذن لاحد فلما استيقظ قال من بالباب فقيل عبد الله بن عباس فدعا بدابته فادخلت اليه ثم خرج راكبا فوثب اليه عبد الله بن عباس فاخذ بلجام البغلة ثم قال اين تذهب قال الى مكة قال فاين جوائزنا كما اجزت غيرنا فأومأ اليه معاوية فقال والله ما لكم عندي جائزة ولا عطاء حتى يبايع صاحبكم قال ابن عباس فقد أبى ابن الزبير

---

(١) موضع بين الحرمين على ثلاثين او اربعين ميلا من المدينة

فاخرجت جائزة بني أسد وأبي عبد الله بن عمر فاخرجت جائزة بني عدي فما انا ان ابى صاحبنا وقد أبى صاحب غيرنا فقال معاوية لستم كغيركم لا والله لا أعطيكم درهما حتى يبايع صاحبكم فقال ابن عباس اما والله لئن لم تفعل لالحقن بساحل من سواحل الشام ثم لاقولن ما تعلم والله لاتركنهم عليك خوارج فقال معاوية لا بل اعطيكم جوائزكم فبعث بها من الروحاء ومضى راجعاً الى الشام فلم يلبث الا قليلا حتى توفي عبد الرحمن بن أبي بكر في نومة نامها رحمه الله.

﴿ ما قال سعيد بن عثمان بن عفان لمعاوية ﴾ فلما قدم معاوية الشام اتاه سعيد بن عثمان بن عفان وكان شيطان قريش ولسانها قال يا أمير المؤمنين علي م تبايع ليزيد وتتركني فوالله لتعلم ان أبي خير من أبيه وأمي خير من أمه وأنا خير منه وانك انما نلت ما أنت فيه بابي فضحك معاوية وقال يا ابن اخي اما قولك ان أباك خير من أبيه فيوم من عثمان خير من معاوية واما قولك ان امك خير من أمه ففضل قرشية على كلبية فضل بيّن واما ان اكون نلت ما انا فيه بابيك فانما هو الملك يؤتيه الله من يشاء قتل أبوك رحمه الله فتواكلته بنو العاصي وقامت فيه بنو حرب فنحن أعظم بذلك منه عليك، واما ان تكون خيرا من

يزيد فوالله ما أحب ان داري مملوءة رجالا مثلك بيزيد ولكن دعني من هذا القول وسلني أعطيك، فقال سعيد بن عثمان: يا أمير المؤمنين لا يعدم يزيد مزكيا مادمت له وما كنت لارضي ببعض حقي دون بعض فاذا ابيت فاعطني مما أعطاك الله فقال معاوية لك خراسان قال سعيد وما خراسان قال انها لك طعمة وصلة رحم، فخرج راضياً وهو يقول :

ذكرت أمير المؤمنين وفضله * فقلت جزاه الله خيراً بما وصل
وقد سبقت مني اليه بوادرٌ * من القول فيه آفة العقل والزلل
فعاد أمير المؤمنين بفضله * وقد كان فيه قبل عودته ميل
وقال خراسان لك اليوم طعمة * فجوزي أمير المؤمنين بما فعل
فلو كان عثمان الغداة مكانه * لما نالني من ملكه فوق مابذل

فلما انتهى قوله الى معاوية أمر يزيد أن يزوّده وأمر اليه بخلعة وشيعه فرسخاً

﴿ قدوم أبي الطفيل على معاوية ﴾ قال وذكروا أنه لم يكن أحد أحب الى معاوية أن يلقاه من أبي الطفيل الكنانى وهو عامر بن واثلة وكان فارس أهل صفين وشاعرهم وكان من أخص الناس بعلي كرم الله وجهه فقدم أبو الطفيل الشام

يزور ابن أخ له من رجال معاوية فأخبر معاوية بقدومه فأرسل اليه فأتاه وهو شيخ كبير فلما دخل عليه قال له معاوية أنت أبو الطفيل عامر بن واثلة قال نعم قال معاوية اكنت ممن قتل عثمان أمير المؤمنين قال لا ولكن ممن شهده فلم ينصره قال ولم قال لم ينصره المهاجرون والانصار فقال معاوية: أما والله إنّ نصرته كانت عليهم وعليك حقا واجباً وفرضاً لازما فاذ ضيعتموه فقد فعل الله بكم ما أنتم أهله واصاركم الى ما رأيتم، فقال أبو الطفيل فما منعك يا أميرَ المؤمنين اذ تربصت به ريب المنون ان لا تنصره ومعك أهل الشام، قال معاوية أوترى طلبي لدمه فضحك أبو الطفيل وقال: بلي ولكني وأياك كما قال عَبيد بن الابرص:

لاعرفنّك بعد الموت تندبني * وفي حياتي ما زودتني زادي

فدخل مروان بن الحكم وسعيد بن العاص وعبدالرحمن ابن الحكم فلما جلسوا نظر اليهم معاوية ثم قال اتعرفون هذا الشيخ قالوا لا فقال معاوية: هذا خليل علي بن ابي طالب وفارس صفين وشاعر أهل العراق هذا ابو الطفيل، قال سعيد بن العاص قد عرفناه يا أمير المؤمنين فما يمنعك منه وشتمه القوم فزجرهم معاوية قال مهلا فرب يوم ارتفع عن الاسباب قد ضقتم به

ذوعا ثم قال اتعرف هؤلاء يا أبا الطفيل قال: ما انكرهم من سوء ولا أعرفهم بخير، وانشد شعراً

فإن تكن العداوة قد أكنّت * فشر عداوة المرء السباب

فقال معاوية يا أبا الطفيل ما أبقى لك الدهر من حب على قال حب ام موسى واشكو الى الله التقصير فضحك معاوية قال ولكن والله هؤلاء الذين حولك لو سئلوا عني ماقالوا هذا فقال مروان أجل والله لا نقول الباطل قال ثم جهزه معاوية والحقه بالكوفة

﴿ما حاول معاوية من تزويج يزيد﴾ قال وذكروا ان يزيد ابن معاوية سهر ليلة من الليالى وعنده وصيف لمعاوية يقال له رقيق فقال يزيد يستديم الله بقاء أمير المؤمنين وعافيته اياه وأرغب اليه في تولية أمره فقد كنت اعرف من جميل رأي أمير المؤمنين فيّ وحسن نظره في جميع الاشياء ماالثقة في ذلك والتوكل عليه منعني من البوح بما جمجت فى صدري له وتطلابه اليه فاضاع وترك من النظر في شأنى وقد كان في حلمه وعلمه ورضائه ومعرفته بما يحق لمثله النظر فيه غير غافل عنه ولا تارك له مع ما يعلم من هيبتي له وخشيتي منه فالله يجزيه عني باحسانه ويغفر له ما اجترح من عهده ونسيانه، فقال الوصيف وما ذلك جعلت فداك لاتلم على تضييعه

اياك فانك تعرف تفضيله لك وحرصه عليك وما يخامره من حبك وان ليس شيء احب اليه ولا آثر عنده منك لديه. فاذكر بلاءه واشكر حياءه فانك لا تبلغ من شكره الا بعون من الله. قال فأطرق يزيد اطراقاً عرف الوصيف منه ندامته على ما بدا منه وباح به. فلما آب من عنده توجه نحو سدة معاوية ليلا وكان غير محجوب عنه ولا محبوس دونه فعلم معاوية انه ما جاء به ليلا الا خبر أراد اعلامه به. فقال له معاوية ما وراءك وما جاء بك فقال اصلح الله أمير المؤمنين كنت عند يزيد ابنك فقال فيما استجر من الكلام كذا وكذا فوثب معاوية وقال ويحك ما اضعنا منه رحمة له وكراهية لما شجاه وخالف هواه. وكان معاوية لا يعدل بما يرضيه شيئاً فقال علي به وكان معاوية اذا أتته الامور المشكلة المعضلة بعث الى يزيد يستعين به على استيضاح شبهاتها واستسهال معضلاتها فلما جاءه الرسول قال أجب أمير المؤمنين فحسب يزيد انما دعاه الى تلك الامور التي يفزع اليه منها ويستعين برأيه عليها فاقبل حتى دخل عليه فسلم ثم جلس فقال معاوية: يا يزيد ما الذي أضعنا من امرك وتركنا من الحيطة عليك وحسن النظر لك حيث

قلت ما قلت وقد تعرف رحمتي بك ونظري في الاشياء التي تصلحك قبل ان تخطر علي وهمك فكنت أظنك على تلك النعماء شاكراً فاصبحت بها كافراً اذ فرط من قولك ما الزمتني فيه اضاعتي اياك وأوجبت علي منه التقصير ، لم يزجرك عن ذلك تخوف سخطي ولم يحجزك دون ذكره سالف نعمتي ولم يردعك عنه حق ابوتي فاي ولد اعق منك أوا كيد وقد علمت اني تخطأت الناس كلهم في تقديمك ونزلتهم لتوليتي اياك ونصبتك اماماً على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم من عرفت وحاولت منهم ماعلمت . قال فتكلم يزيد وقد خنقه من شدة الحياء الشرق واخضله من أليم الوجد العرق . قال: لا تلزمني كفر نعمتك ولا تنزل بي عقابك وقد عرفت نعمة مواصلتك ببرك وخطوتي الى كل مايسرك في سري وجهري فليسكن سخطك فان الذي أرثي له من أعباء حمله وثقله اكثر مما أرثي لنفسي من أليم ما بها وشدته وسوف أنبئك واعلمك أمري . كنت قد عرفت من أمير المؤمنين استكمل الله بقاءه نظراً في خيار الامور لي وحرصاً على سياقها الي . وأفضل ماعنيت استعده بعد اسلامي المرأة الصالحة وقد كان ما تحدث به من فضل جمال ارينب بنت اسحاق وكمال

ادبها ما قد سطع وشاع في الناس فوقع مني بموقع الهوى فيها والرغبة في نكاحها. فرجوت الا تدع حسن النظر لى في أمرها فتركت ذلك حتى استنكحها بعلها فلم يزل ما وقع في خلدي ينمو ويعظم في صدرى حتي عيل صبرى فبحت بسري فكان مما ذكرت تقصيرك في امري فالله يجزيك أفضل من سؤالى وذكرى. فقال له معاوية: مهلا يا يزيد فقال على م تأمرنى بالمهل وقد انقطع منها الامل فقال له معاوية فاين حجاك ومروءتك وتقاك فقال يزيد: قد يغلب الهوي على الصبر والحجا ولو كان أحد ينتفع فيما يبتلى به من الهوي بتقاه او يدفع ما اقصده بحجاه لكان أولى الناس بالصبر داوود عليه السلام وقد خبرك القرآن بأمره. فقال معاوية فما منعك قبل الفوت من ذكره قال ما كنت أعرفه وأثق به من جميل نظرك قال صدقت ولكن اكتم يا بني أمرك بحلمك واستعن بالله على غلبة هواك بصبرك فان البوح به غير نافعك والله بالغ أمره ولا بد مما هو كائن.

وكانت أرينب بنت اسحاق مثلا في أهل زمانها في جمالها وتمام كمالها وشرفها وكثرة مالها فتزوجها رجل من بنى عمها

يقال له عبد الله بن سلام من قريش وكان من معاوية بالمنزلة الرفيعة في الفضل. ووقع أمر يزيد من معاوية موقعا ملأه هماً وأوسعه غماً فأخذ في الحيلة والنظر أن يصل اليها وكيف يجمع بينه وبينها حتى يبلغ رضا يزيد فيها. فكتب معاوية الى عبد الله بن سلام وكان قد استعمله على العراق أن أقبل حين تنظر في كتابي هذا لامر حظك فيه كامل ولا تتأخر عنه فأعد المسير والاقبال. وكان عند معاوية بالشام أبو هريرة وأبو الدرداء صاحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدم عبد الله بن سلام الشام أمر معاوية أن ينزل منزلا قد هيئ له وأعدله فيه نزله ثم قال لابي هريرة وصاحبه: ان الله قسم بين عباده قسما ووهبهم نعماً أوجب عليهم شكرها وحتم عليهم حفظها وأمرهم برعاية حقها وسلطان طريقها بجميل النظر وحسن التفقد لمن طوقهم الله أمره كما فوضه اليهم حتى يؤدوا الى الله الحق فيهم كما أوجبه عليهم فحباني منها عز وجل بأعز الشرف وسمو السلف وأفضل الذكر وأغدق اليسر وأوسع علي في رزقه وجعلني راعي خلقه وأمينه في بلاده والحاكم في أمر عباده ليبلوني أشكر آلائه أم أكفرها فاياه اسأله اداء شكره وبلوغ ما أرجو بلوغه من

عظيم أجره وأول ما ينبغي للمرء أن يتفقده وينظر فيه فيمن استرعاه الله أمره من أهله ومن لاغنابه عنه . وقد بلغت لى ابنة أردت انكاحها والنظر في تبعل من يريد أن يباعلها لعل من يكون بعدي يهتدي منه بهدى ويتبع فيه أثري فاني قد تخوفت ان يدعو من يلي هذا الامر من بعدي زهوة السلطان وسرفه الى عَضْل [1] نسائهم والا يرون لهن فيمن ملكهن أمره كفؤاً ولا نظيراً وقد رضيت لها عبدالله بن سلام لدينه وفضله ومروءته وأدبه . فقال أبوهريرة وأبوالدرداء إن أولى الناس برعاية أنعم الله وشكرها وطلب مرضاته فيهافيما خصه به منها أنت صاحب رسول الله وكاتبه . فقال معاوية اذكرا له ذلك عني وقد كنت جعلت لها في نفسها شوري غير انى أرجو انها لا تخرج من رأيي ان شاء الله . فلما خرجا من عنده متوجهين الى منزل عبدالله بن سلام بالذي قال لهما قال ودخل معاوية الى ابنته فقال لها اذا دخل عليك أبو هريرة وأبو الدرداء فعرضا عليك أمر عبد الله بن سلام وانكاحي اياك منه ودعواك الى مباعلته وحضاك على ملاءمة رأيي والمسارعة الى هواي فقولى لهما

---

(١) عضل النساء منعهن عن التزويج ظلماً

عبد الله بن سلام كفؤ كريم وقريب حميم غير أنه تحته أرينب
بنت اسحاق وأنا خائفة أن يعرض لي من الغـيرة ما يعرض
للنساء فاتولي منه ما اسخط الله فيه فيعذبني عليه فأفارق الرجاء
واستشعر الاذي ولست بفاعلة حتي يفارقها ٠ فذكر ذلك أبو
هريرة وأبو الدرداء لعبد الله بن سلام واعلماه بالذي أمرهما
معاوية فلما أخبراه سر به وفرح وحمد الله عليه ثم قال: نستمتع
الله بأمير المؤمنين لقد والي على من نعمه وأسدي الي من
مننه فأطول ما أقوله فيه قصير وأعظم الوصف لها يسير ثم
أراد اخلاطي بنفسه والحاقي باهله اتماما لنعمته وإ كمالا لاحسانه
فالله استعين على شكره وبه أعوذ من كيده ومكره٠ ثم بعثهما
اليه خاطبين عليه فلما قدما قال لهما معاوية قد تعلمان ان رضائي به وتنخلي اياه
وحرصي عليه وقد كنت اعلمتكما بالذي جعلت لها في نفسها من
الشوري فادخلا اليها وأعرضا عليها الذي رأيت لهـا فدخلا
عليها وأعلماها بالذي أرتضاه لها أبوها لما رجا من ثواب الله عليه
فقالت لهما كالذي قال لها أبوها فاعلماه بذلك٠ فلما ظن انه لا يمنعها
منه الا أمرها فارق زوجته واشهدهما على طلاقها وبعثهما
خاطبين اليه أيضا فخطبا واعلما معاوية بالذي كان من فراق عبده

الله بن سلام امرأته طلاقا لما يرضيها وخروجا عما يشجيها فاظهر معاوية كراهية لفعله وقال: ما أستحسن له طلاق امرأته ولا احببته ولو صبر ولم يعجل لكان امره الى مصيره فان كون ما هو كائن لا بد منه ولا محيص عنه ولا خيرة فيه للعباد والاقدار غالبة وما سبق في علم الله لا بد جار فيه فانصرفا في عافية ثم تعودان الينا فيه وتأخذان ان شاء الله رضانا. ثم كتب الى يزيد ابنه يعلمه بما كان من طلاق اريب بنت اسحاق عبد الله بن سلام فلما عاد أبو هريرة وأبو الدرداء الى معاوية امرهما بالدخول عليها وسألاها عن رضاها تبريا من الامر ونظراً في القول والعذر فيقول لم يكن لي ان اكرهها وقد جعلت لها الشوري في نفسها فدخلا عليها واعلماها بالذى رضيه ان رضيت هي وبطلاق عبد الله بن سلام امرأته اريب طلاقاً لمسرتها وذكرا من فضله وكمال مروءته وكريم محتده ما القول يقصر عن ذكره. فقالت لهما: جف القلم بما هو كائن وانه في قريش لرفيع غير ان الله عز وجل يتولى تدبير الامور في خلقه وتقسيمها بين عباده حتى ينزلها منازلها فيهم ويضعها على ما سبق في اقدارها وليست تجري لأحد على ما يهوى ولو كان لبلغ منها غاية ماشاء.

وقد تعرفان ان التزويج هزله جد وجد ندم النادم عليه يدوم والعثور فيه لا يكاديقوم والأناة في الاموروأوفق لما يخاف فيها من المحذور، فان الامور اذا جاءت خلاف الهوى بعد التأني فيها كان المرء بحسن العزاء خليقاً وبالصبر عليها حقيقا ،وعلمت ان الله وليّ التدبيرفلم تلم النفس على التقصير واني بالله استعين سائلة عنه حتي اعرف دخيلة خبره ويصح لي الذي اريد علمه من امره ومستخيرة وان كنت اعلم انه لا خيرة لاحدفيما هو كائن ومعلمتكمابالذي يرينيه الله في أمره ولا قوة الا بالله. فقالا وفقك الله وخارلك ثم انصرفا عنها فلما أعلماه بقولها تمثل وقال:

فإن يك صدرهذا اليوم ولي * فان غداً للناظرين قريب

وتحدث الناس بالذي كان من طلاق عبد الله امرأته قبل ان يفرغ من طلبته وقبل ان يوجب له الذي كان من بغيته. ولم يشكوا في غدر معاوية اياه. فاستحث عبد الله بن سلام اباهريرة وابا الدرداء وسألهما الفراغ من امره فأتيا ها فقالا لها قد أتيناك لما أنت صانعة في امرك وأن تستخيري الله يخرلك فيما تختارين فانه يهدي من استهداه ويعطي من اجتداه وهو أقدرالقادرين. قالت: الحمد لله ارجو ان يكون الله قد خار لي فانه لا يكل الى

غيره من توكل عليه . وقداستبرأت امره وسألت عنه فوجدته غير ملائم ولا موافق لما اريد لنفسي مع اختلاف من استشرته فيه فمنهم الناهى عنه ومنهم الآمر به واختلافهم اول ما كرهت من الله فعلم عبد الله انه خدع فهلع ساعة واشتد عليه الهم . ثم انتبه فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال متعزياً : ليس لامر الله رادّ ولا لما لابد أن يكون منه صاد ، أمور في علم الله سبقت فجرت بها اسبابها حتى امتلأت منها اقرابها وإن امرؤاً نثال له حلمه واجتمع له عقله واستدّله رأيه ليس بدافع عن نفسه قدراً ولا كيداً ولا انحرافاً عنه ولا حيداً ولآل ماسُرّوا به واستجذلوا له لا يدوم لهم سروره ، ولا يصرف عنهم محذوره . قال وذاع امره في الناس وشاع ، ونقلوه الى الامصار وتحدثوا به في الاسمار ، وفي الليل والنهار وشاع في ذلك قولهم وعظم لمعاوية عليه لومهم وقالوا خدعه معاوية حتى طلق امرأته وانما أرادها لابنه فبئس من استرعاه الله أمر عباده ومكنه في بلاده واشركه في سلطانه يطلب أمراً بخدعة من جعل الله اليه أمره ويحيره ويصرعه جرأة على الله . فلما بلغ معاوية ذلك من قول الناس قال

لعمرى ما خدعته. قال فلما انقضت أقراؤها [1] وجه معاوية ابا الدرداء الى العراق خاطباً لها على ابنه يزيد فخرج حتى قدمها وبها يومئذ الحسين بن على وهو سيد أهل العراق فقهاً وحالاً وجودا وبذلا فقال ابو الدرداء اذ قدم العراق: ما ينبغى لذوي الحجا والمعرفة والتقي ان يبدأ به ويؤثره على مهم أمره مما يلزمه حقه ويجب عليه حفظه وهذا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد شباب أهل الجنة يوم القيامة فلست بناظر في شئ قبل الالمام به والدخول عليه والنظر الى وجهه الكريم واداء حقه والتسليم عليه ثم أستقبل بعد ان شاء الله ما جئت له وبعثت اليه فقصد حتي اتي الحسين فلما رآه الحسين قام اليه فصافحه اجلالا له ومعرفته لمكانه من رسول الله صلي الله عليه وسلم وموضعه من الاسلام. ثم قال الحسين: مرحباً بصاحب رسول الله وجليسه يا أبا الدرداء حدثت لى رؤيتك شوقاً الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوقدت مطلقات احزاني عليه فاني لم أر منذ فارقته أحداً كان له جليساً واليه حبيباً الاهملت عيناى

---

(١) الأقراء الحيض والاقراء الاطهار. يقال اقرأت المرأة فى الامرين جميعاً. وهنا يعني لما انقضت عدتها (أيام حيضها)

وأحرقت كبدي اسيًّ عليه وصبابة اليه . ففاضت عينا أبي الدرداء
لذكر رسول الله وقال: جزى الله لُبانة أقدمتنا عليك وجمعتنا
بك خيراً . فقال الحسين والله اني لذو حرص عليك ولقد كنت
بالاشتياق اليك فقال ابو الدرداء: وجهني معاوية خاطباً على ابنه
يزيد اريب بنت اسحاق فرأيت ان لا أبدأ بشيء قبل احداث
العهد بك والتسليم عليك . فشكر له الحسين ذلك واثنى عليه
وقال لقد كنت ذكرت نكاحها وأردت الارسال اليها بعد
انقضاء اقرائها فلم يمنعني من ذلك الا تخيير مثلك فقد أتى الله
بك فاخطب رحمك الله علي وعليه فلتختر من اختاره الله لها
وانها أمانة في عنقك حتى تؤديها اليها وأعطيها من المهر مثل
مابذل لها معاوية عن ابنه فقال ابو الدرداء أفعل ان شاء الله . فلما
دخل عليها قال لها: ايتها المرأة ان الله خلق الامور بقدرته وكونها بعزته
فجعل لكل أمر قدراً ولكل قدر سبباً فليس لاحد عن قدر الله
مستحاص ولا عن الخروج عن علمه مستناص ، فكان مما سبق لك
وقدر عليك الذى كان من فراق عبد الله بن سلام اياك ولعل ذلك
لا يضرك وان يجعل الله لك فيه خيراً كثيراً . وقد خطبك أمين
هذه الامة وابن الملك وولي عهده والخليفة من بعده يزيد بن

معاوية وابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن اول من آمن به من أمته وسيد شباب أهل الجنة يوم القيامة وقد بلغك سناهما وفضلهما وجئتك خاطباً عليهما فاختاري ايهما شئت . فسكتت طويلا ثم قالت يا أبا الدرداء : لو ان هذا الامر جاءني وأنت غائب عني أشخصت فيه الرسل اليك واتبعت فيه رأيك ولم اقطعه دونك على بعد مكانك ونأي دارك فأما اذ كنت المرسل فيه فقد فوضت أمري بعد الله اليك وبرئت منه اليك وجعلته في يديك فاختر لي ارضاهما لديك والله شهيد عليك واقض فيه قضاء ذي التحري المتقي ولا يصدنك عن ذلك اتباع هوى فليس أمرهما عليك خفياً وما أنت عما طوقتك عمياً . فقال أبو الدرداء : ايتها المرأة انما على اعلامك وعليك الاختيار لنفسك قالت : عفا الله عنك انما أنا بنت أخيك ومن لا غنا بها عنك فلا يمنعك رهبة أحد من قول الحق فيما طوقتك فقد وجب عليك اداء الامانة فيما حملتك والله خير من روعي وخيف انه بنا خبير لطيف . فلما لم يجد بداً من القول والاشارة عليها قال أي بنيه ابن بنت رسول الله أحب الي وأرضاهما عندي والله اعلم بخيرهما لك وقد كنت رأيت رسول الله صلى

الله عليه وسلم واضماً شفتيه على شفتي الحسين فضعي شفتك
حيث وضعها رسول الله ،قالت قد اخترته ورضيته فاستنكحها
الحسين بن علي وساق اليها مهراً عظيماً وقال الناس . وبلغ معاوية
الذي كان من فعل أبي الدرداء في ذكره حاجة احد مع حاجته
وما بعثه هو له ونكاح الحسين اياها فتعاظمه ذلك جداً ولامه
لوماً شديداً وقال: من يرسل ذا بلاهة وعماً يركب في أمره
خلاف مايهوى ورأيي كان من رأيه أسوأ ولقد كنا بالملامة منه
أولى حين بعثناه ولحاجتنا انتخلناه. وكان عبد الله بن سلام قد
استودعها قبل فراقه اياها بدرات مملوءة دُراً كان ذلك الدرّ
اعظم ماله واحبه اليه وكان معاوية قد اطرحه وقطع جميع روافده
عنه لسوء قوله فيه وتهمته اياه على الخديعة فلم يزل يجفوه ويغضبه
ويكدي به عنه ما كان يجديه حتى عيل صبره وطال أمره
وقل ما في يديه ولام نفسه على المقام لديه فخرج من عنده راجعاً
الى العراق وهو يذكر ماله اللذي كان استودعها ولا يدري
كيف يصنع فيه وأنى يصل اليه ويتوقع جحودها عليه لسوء فعله
بها وطلاقه اياها على غير شيء انكره منها ولا نقمة عليها فلما قدم
العراق لقي الحسين فسلم عليه .ثم قال قد علمت جعلت فداك

الذي كان من قضاء الله في طلاق أرينب بنت اسحاق وكنت
قبل فراقي اياها قد استودعتها مالاً عظيماً دُرًّا وكان الذي كان
ولم أقبضه ووالله ما انكرت منها في طول ما صحبتها فتيلا ولا
أظن بها الا جميلا فذا كرها أمري واحضضها على الرد على
فان الله يحسن عليك ذكرك ويجزل به أجرك . فسكت عنه
فلما انصرف الحسين الى أهله قال لها قدم عبدالله بن سلام وهو
يحسن الثناء عليك ويحمل الشر عنك في حسن صحبتك وما
أنسه قديماً من أمانتك فسرني ذلك وأعجبني ، وذكر أنه كان
استودعك مالا قبل فراقه اياك فأدى اليه أمانته وردي عليه
ماله فانه لم يقل الا صدقا ولم يطلب الا حقا . قالت صدق قد والله
استودعني مالا لا أدري ما هو وانه لمطبوع عليه بطابعه ما
أخذ منه شيئاً الى يومه هذا فأثنى عليها الحسين خيراً وقال بل
أدخله عليك حتى تبرئي اليه منه كما دفعه اليك . ثم لقي عبد الله
ابن سلام فقال له ما انكرت مالك وزعمت انه لكما دفعته اليها
بطابعك فادخل يا هذا عليها وتوف مالك منها فقال عبد الله
ابن سلام أو تأمر بدفعه الي جعلت فداك قال لا حتى تقبضه منها
كما دفعته اليها وتبرئها منه اذا أدته . فلما دخلا عليها قال لها

الحسين هذا عبد الله بن سلام قد جاء يطلب وديعته فاديها اليه كما قبضتيها منه فاخرجت البدرات فوضعتها بين يديه وقالت له هذا مالك فشكر لها واثني عليها وخرج الحسين ففض عبدالله خاتم بدرة فحثالها من ذلك الدر حثوات وقال خذي فهذا قليل مني لك واستعبرا جميعاً حتى تعالت اصواتهما بالبكاء اسفاً على ما ابتليا به فدخل الحسين عليهما وقد رق لهما للذي سمع منهما . فقال: أشهد الله أنها طالق ثلاثا اللهم انك تعلم اني لم استنكحها رغبة في مالها ولا جمالها ولكني أردت إحلالها لبعلها وثوابك على ما عالجته في أمرها فأوجب لى بذلك الاجر واجزل لى عليه الذخر انك على كل شيء قدير . ولم يأخذ مما ساق اليها في مهرها قليلاً ولا كثيراً . وقد كان عبدالله بن سلام سأل ذلك أرينب أي التعويض على الحسين فأجابته الي رد ماله عليه شكراً لما صنعه بهما فلم يقبله وقال الذى أرجو عليه من الثواب خير لى منه . فتزوجها عبد الله بن سلام وعاشا متحابين متصافيين حتى قبضهما الله وحرمها الله على يزيد . والحمدلله رب العالمين

﴿ وفاة معاوية رحمه الله ﴾ قال وذكروا ان عتبة بن مسعود قال مر بنا نعي معاوية بن أبي سفيان ونحن بالمسجد

الحرام قال فقمنا فأتينا ابن عباس فوجدناه جالساً قد وضع له
الخوان وعنده نفر فقلنا أما علمت بهذا الخبر يا ابن عباس قال
وما هو قلنا هلك معاوية فقال ارفع الخوان يا غلام وسكت
ساعة ثم: قال: جبل تزعزع ثم مال بكلكله أما والله ما كان كمن
كان قبله ولما يكن بعده مثله • اللهم أنت أوسع لمعاوية فينا
وفى بني عمنا هؤلاء لذى لب معتبر اشتجرنا بينا فقتل صاحبهم
غيرنا وقتل صاحبنا غيرهم وما اغراهم بنا الا انهم لا يجدون مثلنا
وما أغرانا بهم الا انا لا نجد مثلهم • كما قال القائل :مالك تظلمني
قال لا أجد من أظلم غيرك • ووالله ان ابنه لخير أهله أعد طعامك
يا غلام قال فما رفع الخوان حتى جاء رسول خالد بن الحكم الى
ابن عباس ان أنطلق فبايع فقال للرسول اقرئ الامير السلام
وقل له والله ما بقى في ما تخافون فاقض من أمرك ما أنت
قاض فاذا سهل الممشي وذهبت حطمة الناس جئتك ففعلت
ما أحببت • قال ثم أقبل علينا فقال: مهلا معشر قريش ان تقولوا
عند موت معاوية ذهب جد بنى معاوية وانقطع ملكهم ذهب
لعمر الله جدهم وبقى ملكهم وشرها بقيةً هي أطول مما
مضي الزموا مجالسكم وأعطوا بيعتكم قال فما برحنا حتى جاء

رسول خالد فقال يقول لك الامير لا بد لك أن تأتينا قال فان كان لا بد فلا بد مما لا بد منه . يا نوار هلمي ثيابي ثم قال وما ينفعكم إتيان رجل ان جلس لم يضركم قال فقلت له أتبايع ليزيد وهو يشرب الخمر ويلهو بالقيان ويستهتر بالفواحش قال مه فاين ما قلت لكم وكم بعده من آت ممن يشرب الخمر او هو شر من شاربها انتم الى بيعته سراع أما والله اني لأنهاكم وأنا أعلم انكم فاعلون ما أنتم فاعلون حتى يصلب مصلوب قريش بمكة يعني عبد الله بن الزبير

﴿ كتاب يزيد بالبيعة الى أهل المدينة ﴾ قال وذكروا ان نافع بن جبير قال اني بالشام يوم موت معاوية وكان يزيد غائبا واستخلف معاوية الضحاك بن قيس بعده حتى يقدم يزيد فلما مات معاوية خرج الضحاك على الناس فقال لا يحملن اليوم نعش أمير المؤمنين الا قرشي قال فحملته قريش ساعة ثم قال اهل الشام أصلح الله الامير اجعل لنا من أمير المؤمنين نصيبا في موته كما كان لنا في حياته قال فاحملوه فحملوه وازدحموا عليه حتى شقوا البرد الذى كان عليه صدعين قال فلما قدم يزيد دمشق بعد موت أبيه الى عشرة أيام كتب الى خالد بن الحكم وهو عامل المدينة: أما بعد فان معاوية بن أبي سفيان كان عبداً استخلفه

الله على العباد ومكن له في البلاد وكان من حادث قضاء الله جل ثناؤه وتقدست اسماؤه فيه ماسبق في الاولين والآخرين لم يدفع عنه ملك مقرب ولا نبيّ مرسل فعاش حميداً ومات سعيداً وقد قلدنا الله عزوجل ماكان اليه فيالها مصيبة ماأجلها ونعمة ماأعظمها نقل الخلافة وفقد الخليفة فنستوزعه الشكر ونستلهمه الحمد ونسأله الخيرة في الدارين معاً ومحمود العقبى في الآخرة والأولى انه وليّ ذلك وكل شيء بيده لاشريك له.

وان أهل المدينة قومنا ورجالنا ومن لم نزل على حسن الرأى فيهم والاستعداد بهم واتباع أثر الخليفة فيهم والاحتذاء على مثاله لديهم من الاقبال عليهم والتقبل من محسنهم والتجاوز عن مسيئهم فبايع لنا قومنا ومن قبلك من رجالنا بيعة منشرحة بها صدوركم طيبة عليها انفسكم. وليكن اول من يبايعك من قومنا وأهلنا الحسين وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن جعفر ويحلفون على ذلك بجميع الايمان اللازمة ويحلفون بصدقة اموالهم غير عشرها وجزية رقيقهم وطلاق نسائهم بالثبات على الوفاء بما يعطون من بيعتهم ولا قوة إلا بالله والسلام.

﴿ إباية القوم المتمنعين عن البيعة ﴾ قال وذكروا ان خالد

ابن الحكم لما اتاه الكتاب من يزيد قطع به فدعا مروان بن
الحكم وكان على المدينة قبله فلما دخل عليه مران وذلك في اول
الليل قال له خالد احتسب صاحبك يامروان فقال له مروان
اكتم مابلغك إنا لله وانا اليه راجعون ثم اقرأه الكتاب وقال
له ما الرأى فقال: ارسل الساعة الى هؤلاء النفر فخذ بيعتهم فانهم
ان بايعو الم يختلف علي يزيد احدمن اهل الاسلام فعجل عليهم
قبل ان يفشى الخبر فيمتنعوا فارسل الى الحسين بن علي وعبدالله
ابن الزبير وعبد الله بن عمر فلما أتاهم الرسول قال عبد الله بن
الزبير للحسين: ظن ياأبا عبد الله فيما ارسل الينا فقال الحسين لم
يرسل الينا الا للبيعة فما ترى قال آتيه فإن اراد تلك امتنعت عليه.
فدعا الحسين مواليه واهل بيته وأقعدهم على الباب وقال لهم
ان ارتفع صوتي فاقتحموا الدار عليّ والا فكانكم حتى اخرج
اليكم. ثم دخل على خالد فاقرأه الكتاب فقال الحسين رحم الله
معاوية فقالا له بايع فقال الحسين: لا خير فى بيعة سر والظاهرة
خير فاذا حضر الناس كان امراً واحداً ثم وثب اهله. فقال
مروان لخالد اشدد يدك بالرجل فلا يخرج حتي يبايعك فان
أبي فاضرب عنقه. فقال له ابن الزبير: قد علمت انا كنا ابينا البيعة،

اذ دعانا اليها معاوية وفي نفسه علينا من ذلك مالا نجهله ومتى ما نبايعك ليلا على هذه الحال نرى انك أغضبتنا على أنفسنا دعنا حتى نصبح وتدعو الناس الى البيعة فنأتيك فنبايعك بيعة سليمة صحيحة فلم يزالا به حتي خلا عنهما وخرجا . فقال مروان لخالد: تركتهما والله لا تظفر بمثلها منهما أبداً ويحك أتشير علي أن أقتل الحسين فوالله مايسرني ان لى الدنيا وما فيها وماأحسب ان قاتله يلقى الله بدمه الا خفيف الميزان يوم القيامة فقال له مروان مستهزئاً ان كنت انما تركت ذلك لذلك فقد اصبت

﴿ خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية ﴾ قال وذكروا ان يزيد بن معاوية عزل خالد بن الحكم عن المدينة وولاها عثمان ابن محمد بن أبي سفيان الثقفي وخرج الحسين بن على وعبد الله ابن الزبير الى مكة وأقبل عثمان بن محمد من الشام والياً على المدينة ومكة وعلى الموسم في رمضان فلما استوى على المنبر بمكة رعف فقال رجل مستقبله جئت والله بالدم فتلقاه رجل آخر بعمامته فقال مه والله عم الناس . ثم قام يخطب فتناول عصا لها شعبتان فقال مه شعب والله أمر الناس ثم نزل فقال الناس للحسين ياأبا عبد الله لو تقدمت فصليت بالناس فانه اليهم بذلك

اذ جاء المؤذن فأقام الصلاة فتقدم عثمان فكبر فقيل للحسين يا أبا عبد الله اذا أبيت ان تتقدم فاخرج فقال الصلاة في الجماعة أفضل قال فصلي ثم خرج فلما انصرف عثمان بن محمد من الصلاة بلغه ان الحسين خرج قال: اركبوا كل بعير بين السماء والارض فاطلبوه فطلب فلم يدرك . قال ثم قدم المدينة فاقبل ابن ميثاء بسراح له من الحرّة يريد الاموال التي كانت لمعاوية فنع منها وأزاحه اهل المدينة عنها وكانت اموالا اكتسبها معاوية ونخيلا يجد منها مائة الف وسق وستين الفاً ودخل نفر من قريش والانصار على عثمان فكلموه فيها فقالوا قد علمت ان هذه الاموال كلها لنا وان معاوية آثر علينا في عطائنا ولم يعطنا قط درهما فما فوقه حتى مضنا الزمان ونالتنا المجاعة فاشتراها منا بجزء من مائة من ثمنها فاغلظ لهم عثمان فى القول وأغلظوا له فقال لهم لاكتبن الى أمير المؤمنين بسوء رأيكم وما أنتم عليه من كمون الاضغان القديمة والاحقاد التي لم تزل في صدوركم فافترقوا على موجدة ثم اجتمع رأيهم على منع ابن ميثاء القيم عليها فكف عثمان بن محمد عنهم وكتب بامرهم الى يزيد بن معاوية قال عبد الله بن جعفر جاء كتاب عثمان بن محمد بعد هدأة من الليل وقد كنت انصرفت

من عند يزيد فلم ألبث ان جاءني رسوله فدخلت عليه والشمعة بين يديه وهو مغضب قد حسر عن ذراعيه والكتاب بين يديه فقال دونك ياأبا جعفر هذا الكتاب فاقرأه فرأيت كتابا قبيحاً فيه تعريض لاهل المدينة وتحريش ثم قال: والله لأطأنهم وطأة آتي منها على أنفسهم قال ابن جعفر فقلت له ان الله لم يزل يعرف أباك في الرفق خيراً فان رأيت ان ترفق بهم وتجاوز عنهم فعلت فانما هم أهلك وعشيرتك وانما تقتل بهم نفسك اذا قتلتهم. قال أقتل واشفي نفسي فلم أزل الح عليه فيهم وارفقه عليهم وكان لي سامعاً ومطيعاً. فقال لي: ان ابن الزبير حيث علمت من مكة وهو زعم انه قد نصب الحرب فانا ابعث اليه الجيوش وآمر صاحب أول جيش ابعثه ان يتخذ المدينة طريقاً وان لا يقاتل فان أقروا بالطاعة ونزعوا من غيهم وضلالهم فلهم على عهد الله وميثاقه ان لهم عطاءين في كل عام مالا افعله باحد من الناس طول حياتي عطاء في الشتاء وعطاء في الصيف ولهم على عهد ان اجعل الحنطة عندهم كسعر الحنطة عندنا والحنطة عندهم سبع أصع بدرهم والعطاء الذي يذكرون انه احتبس عنهم في زمان معاوية فهو على ان اخرجه لهم وافراً كاملا فان أنابوا وقبلوا ذلك

جاوزوا الى ابن الزبير وان أبوا قاتلهم ثم ان ظفر بها انهبها ثلاثا هذا عهدي الى صاحب جيشي لمكانك ولطابتك فيهم ولما زعمت انهم قومي وعشيرتي . قال عبد بن جعفر فرأيت هذا لهم فرجا فرجعت الى منزلي فكتبت اليهم من ليلتي كتابا الى أهل المدينة اعلمهم فيه قول يزيد واحضهم على الطاعة والتسليم والرضا والقبول لما بذل لهم وانهاهم ان يتعرضوا الجيوشه وقلت لرسولي اجهد السير فدخلها في عشر فوالله ما ارادوا ذلك ولا قبلوه وقالوا والله لا يدخلها عنوة ابداً ﴿ كتاب يزيد الى أهل المدينة ﴾ قال وكتب يزيد الى أهل المدينة كتابا وأمر عثمان بن محمد يقرأه عليهم فقدم الكتاب المدينة وعثمان خائف فقرأه عليهم فاذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم: أما بعد فانى قد نفستكم حتى أخلفتكم ورفعتكم حتى اخرقتكم ورفعتكم على رأسي ثم وضعتكم وايم الله لئن اشرت ان اضعكم تحت قدمي لأطأنكم وطأة أقل منها عددكم واتركنكم أحاديث تتناسخ كاحاديث عاد وثمود وأيم الله ليأتينكم مني أولى من عقوبتي فلا أفلح من ندم

﴿ ما اجمع عليه أهل المدينة ورأوه من إخراج بني أمية ﴾

قال وذكروا انه لما قرئ الكتاب تكلم عبد الله بن مطيع ورجال معه كلاما قبيحا فلما استبان لهم ان يزيد باعثا الجيوش اليهم

أجمعوا على خلافهم واختلفوا في الرئاسة ايهم يقوم بهذا الامر.
فقال قائل ابن مطيع وقال قائل ابراهيم بن نعيم ثم اجتمع رأيهم
ان يقوم بأمرهم ابن حنظلة وهرب عثمان بن محمد منهم ليلا فلحق
بالشام ثم أخذ مروان بن الحكم وكبراء بني أمية فاخرجوهم عن
المدينة فقالوا الشقة بعيدة ولا بد لنا مما يصلحنا ولنا عيال وصبية
ونحن نريد الشام قال فاستنظروا عشرة أيام فانتظروا ثم اجتمع
رأي أهل المدينة ان يحلفوا كبراء بني أمية عند منبر رسول
الله صلى الله عليه وسلم لئن لقوا جيش يزيد ليردوهم عنهم ان
استطاعوا فان لم يستطيعوا مضوا الى الشام ولم يرجعوا معهم
فحلفوا لهم على ذلك وشرطوا عليهم ان يقيموا بذي خُشُب
عشرة أيام فخرجوا من المدينة وتبعهم الصبيان وسفهاء الناس
يرمونهم بالحجارة حتى انتهوا الى ذي خشب ولم يتحرك أحد
من آل عثمان بن محمد ولم يخرج من المدينة فلما رأت بنو أمية
ماصنع بهم أهل المدينة من اخراجهم منها اجتمعوا الى مروان
فقالوا يا أبا عبد الملك ما الرأي قال من قدر منكم ان يغيب
حرمه فليفعل فانما الخوف على الحرمة فغيبوا حرمهم فأتى
مروان عبد الله بن عمر فقال يا أبا عبد الرحمن بلغني انك تريد

الخروج الى مكة وتغيب عن هذا الامر فاحب ان اوجه عيالي معك فقال ابن عمر انى لا أقدر على مصاحبة النساء قال فتجعلهم في منزلك مع حرمك قال لا آمن ان يدخل على حريمي من أجل مكانكم. فكلم مروان على بن الحسين فقال نعم فضمهم على اليه وبعث بهم مع عياله . قال ثم ارتحل القوم من ذي خشب على أقبح اخراج يكون واجتثاث منهم خوفاً ان يبدوا للقوم في حبسهم وجعل مروان يقول لابنه عبد الملك يا بني ان هؤلاء القوم لم يدروا ولم يستشيروا فقال ابنه وكيف ذلك قال اذ لم يقتلونا او يحبسونا فان بعث اليهم بعثاً كنا في أيديهم وما أخوفني ان يفطنوا لهذا الامر فيبعثوا في طلبنا فالوحا الوحا والنجا النجا

﴿ ارسال يزيد الجيوش اليهم ﴾ قال فلما اجمع رأي يزيد على ارسال الجيوش صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد يا أهل الشام فان أهل المدينة اخرجوا قومنا منها والله لئن تقع الخضراء على الغبراء أحب اليّ من ذلك . وكان معاوية قد أوصي يزيد فقال له ان رابك منهم ريب او انتقض عليك منهم أحد فعليك باعور بني مرة ﴿ مسلم بن عقبة ﴾ فدعا به فقال سر الى هذه المدينة بهذه الجيوش وان شئت اعفيتك

فاني أراك مدنفا منهوكا فقال نشدتك الله ان لا تحرمني اجراً ساقه الله الي أو تبعث غيرى فاني رأيت في النوم شجرة غرقد تصيح اغصانها يا ثارات عثمان فاقبلت اليها وجعلت الشجرة تقول الى يا مسلم بن عقبة فأتيت فاخذتها فعبرت ذلك أن أكون أنا القائم بأمر عثمان ووالله ما صنعوا الذي صنعوا الا أن الله أراد بهم الهلاك . فقال يزيد فسر على بركة الله فانت صاحبهم فخرج مسلم فعسكر وعرض الاجناد فلم يخرج معه أصغر من ابن عشرين ولا أكبر من ابن خمسين على خيل عراب وسلاح شاك واداة كاملة ووجه معه عشرة الآف بعير تحمل الزاد حتي خرج فخرج معه يزيد فودعه قال له ان حدث بك حدث فامر الجيوش الى حصين بن نمير فانهض باسم الله الى ابن الزبير واتخذ المدينة طريقاً اليه فان صدوك او قاتلوك فاقتل من ظفرت به منهم وانهبها ثلاثا . فقال مسلم بن عقبة اصلح الله الامير لست بآخذ من كل ما عهدت به الا بحرفين قال يزيد وما هما ويحك قال اقبل من المقبل الطائع واقتل المدبر العاصي فقال يزيد : حسبك ولكن البيان لا يضرك والتأكيد ينفعك فاذا قدمت المدينة فمن عاقك عن دخولها او نصب لك الحرب

فالسيف السيف اجهز على جريحهم واقبل على مدبرهم واياك ان تبقى عليهم وان لم يتعرضوا لك فامض الى ابن الزبير . فمضت الجيوش فلما نزلوا بوادي القرى لقيتهم بنو امية خارجين من المدينة فرجعوا معهم واستخبرهم مسلم بن عقبة عما خلفهم وعما لقوا وعن عددهم فقال مروان عددهم كثير أكثر مما جئت به من الجيوش ولكن عامتهم ليس لهم نيات ولا بصائر وفيهم قوم قليل لهم نية وبصيرة ولكن لا بقاء لهم مع السيف وليس لهم كراع ولا سلاح وقد خندقوا عليهم وحصنوا . قال مسلم هذه اشدها علينا ولكنا نقطع عنهم مشربهم ونردم عليهم خندقهم فقال مروان عليه رجال لا يسلمونه ولكن عندي فيه وجه سأخبرك به قال هاته فقال اطوه ودعه حتى يحضر ذلك قال فدعه اذاً . ثم قال لهم مسلم تريدون ان تسيروا الى أمير المؤمنين او تقيموا موضعكم هذا او تسيروا معنا فقال بعضهم نسير الى أمير المؤمنين ونحدث به عهداً . فقال مروان اما انا فراجع فقال بعضهم لبعض قد حلفنا لهم عند المنبر لئن استطعنا ان نرد الجيش عنهم نردهم فكيف بالرجوع اليهم فقال مروان اما انا فراجع اليهم فقال له قوم ما نري ان تفعل فانما تقتلون بهؤلاء

انفسكم والله لا أ كثرنا عليهم لمسلم جمعا ابدا فقال مروان انا
والله ماض مع مسلم الى المدينة فمدرك ثارى من عدوي وممن
اخرجني من بيتي وفرق بيني وبين أهلي وان قتلت بهم نفسي
فلم يرجع مع مسلم من بني امية غير مروان وابنه عبد الملك
وكان مجدوراً فجعله بذى خشب. فلما ايقن اهل المدينة بقدوم
الجيوش اليهم تشاوروا في الخندق وقالوا قد خندق رسول الله
صلى الله عليه وسلم فخندقوا المدينة من كل نواحيها. ثم جمع عبد
الله بن حنظلة أهل المدينة عند المنبر فقال تبايعوني على الموت
والا فلا حاجة فى بيعتكم فبايعوه على الموت ثم صعد المنبر فحمد
الله واثنى عليه ثم قال: ايها الناس انما خرجتم غضبا لدينكم فأبلوا
الى الله بلاء حسنا ليوجب لكم به الجنة ومغفرته ويحل بكم
رضوانه واستعدوا باحسن عدتكم وتأهبوا باكمل اهبتكم فقد
اخبرت ان القوم قد نزلوا بذي خشب ومعهم مروان بن الحكم
والله ان شاء مهلكه بنقضه العهد والميثاق عند منبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فتصايح الناس وجعلوا ينالون منه ويسبونه
فقال لهم ان الشتم ليس بشيء ولكن نصدقكم اللقاء والله ما
صدق قوم قط الا نصروا ثم رفع يديه الى السماء وقال اللهم

انا بك واثقون وعليك متوكلون واليك الجأنا ظهورنا ثم نزل .
وكان عبد الله بن حنظلة لا يبيت الا في المسجد الشريف وكان
لا يزيد على شربة من سويق يفطر عليها الى مثلها من الغد
﴿ قدوم الجيوش الى المدينة ﴾ قال وذكروا ان أهل
الشام لما انتهوا الى المدينة عسكروا بالجرف ومشوا رجالا من
رجالهم فأحدقوا بالمدينة من كل ناحية لا يجدون مدخلا لانهم
قد خندقوها عليهم والناس متلبسون السلاح قد قاموا على افواه
الخنادق وقد حرسوا ان لا يتكلم منهم متكلم وجعل أهل الشام
يطوفون بها والناس يرمونهم بالحجارة والنبل من فوق الاكام
والبيوت حتى خرجوا فيهم وفي خيلهم فقال مسلم لمروان اين ماقلت
لي بوادي القرى . فخرج مروان حتى جاء بني حارثة فكلم رجلا
منهم ورغبه في الضيعة وقال افتح لنا طريقاً فانا أكتب بذلك
الى أمير المؤمنين ومتضمن لك عنه شطر ما كان بذل لاهل
المدينة من العطاء وتضعيفه ففتح له طريقاً ورغب فيما بذل له وتقبل
ما تضمن له عن يزيد فاقتحمت الخيل فجاء الخبر الى عبد الله بن حنظلة
فاقبل وكان من ناحية الطورين وأقبل عبد الله بن مقطع وكان
من ناحية ذناب وأقبل ابن أبي ربيعة فاجتمعوا جميعا بمن معهم

بحيث اقتحم عليهم أهل الشام فاقتتلو حتى عاينوا الموت ثم تفرقوا

﴿ غلبة أهل الشام على أهل المدينة ﴾ قال وذكروا ان عبدالله بن أبي سفيان قال وقعت مع قوم عند مسجد بني عبد الاشهل منهم عبد الله بن زيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتل مسيلمة الكذاب ومعه عبد الله بن حنظلة ومحمد ابن سعد بن أبي وقاص وابراهيم بن فارط وابراهيم بن نعيم ابن النجارفهم يقاتلون ويقولون للناس أين الفرار والله لئن يقتل الرجل مقبلا خيرله من أن يقتل مدبراً قال فاقتتلوا ساعة والنساء والصبيان يصيحون ويبكون على قتلاهم حتى جاءهم مالا طاقة لهم به وجعل مسلم يقول من جاء برأس رجل فله كذا وكذا وجعل يغوي قوما لا دين لهم فقتلوا وظهروا على اكثر المدينة قال وكان على بشر بن حنظلة يومئذ درعان فلما هزم القوم طرحهما ثم جعل يقاتلهم وهو حاسر حتى قتلوه ضربه رجل من أهل الشام ضربة بالسيف قطع منكبه فوقع ميتاً فلما مات ابن حنظلة صار أهل المدينة كالنَّعم بلا راع شرود قتلونهم أهل الشام من كل وجه فاقبل محمد بن عمرو بن حزم الانصاري وان جراحه لتنفث دماً وهو يقاتل ويحمل على

الكرْدوس منهم فيفض جماعتهم وكان فارساً فحمل عليه أهل
الشام حملة واحدة حتي نظموه بالرماح فمال ميتاً فلما قتل انهزم
من بقي من الناس في كل وجه ودخل القوم المدينة فجالت
خيولهم فيها يقتلون وينهبون قال وخرج يومئذ عبد الله بن
زيد بن عاصم صاحب رسول الله صلي الله عليه وسلم والخيل
تسرع في كل وجه قتلا ونهبا فقيل له لو علم القوم باسمك
وصحبتك لم يهجوك فلو أعلمتهم بمكانك • فقال والله لا أقبل لهم
أماناً ولا أبرح حتى أقتل لا أفلح من ندم وكان رجلا أبيض
طويلا اصلع فاقبل عليه رجل من أهل الشام وهو يقول والله
لا أبرح حتى أضرب صامتك وهو حاسر فقال عبد الله ثمر
الك خير لي فضربه بفأس في يده فرأيت نوراً ساطعا في السماء
فسقط ميتاً وكان يومه ذلك صائما رحمه الله • قال فجعل مسلم
يطوف على فرس له ومعه مروان بن الحكم على القتلى • فمر على
عبد الله بن حنظلة وهو ماد اصبعه السبابة فقال مروان أما
والله لئن نصبتها ميتا فطالما نصبتها حيا داعيا الى الله ومر على
ابراهيم بن نعيم ويده على فرجه فقال أما والله لئن حفظته في
الممات لقد حفظته في الحياة ومر على محمد بن عمرو بن حزم

وهو على وجهه واضعا جبهته بالارض فقال اما والله لئن كنت
على وجهك في الممات لطال ما افترشته حيا ساجداً لله فقال
مسلم والله ماأرى هؤلاء الا من أهل الجنة ومر
على عبد الله بن زيد وبين عينيه أثر السجود فلما نظر اليه مروان
عرفه وكره ان يعرفه لمسلم فيحز رأسه فقال له مسلم من هذا
فقال بعض هذه الموالي وجاوزه فقال له مسلم كلا وبيت الله
لقد نكبت عنه لشيء فقال له مروان هذا صاحب رسول الله
صلى الله عليه وسلم عبد الله بن زيد فقال ذاك اخزى ناكث
بيعته حزوا رأسه . وكان قصر بني حارثة أماناً لمن أراد أهل الشام
ان يؤمنوه وكان بنو حارثة آمنين ما قتل منهم احد وكان كل
من نادى باسم الامان الى احد من قبيلة أمنوه رجلا
كان او امرأة ثم ذبوا عنه حتي يبلغوه قصر بنى حارثة فاجير
يومئذ رجال كثيرة ونساء كثيرة فلم يزالوا في قصر بني حارثة
حتى انقضت الثلاث قال واول دور انتهبت والحرب قائمة دور
بني عبد الاشهل فما تركوا في المنازل من اثاث ولا حلي ولا
فراش الا نقض صوفه حتى الحمام والدجاج كانوا يذبحونها
فدخلوا دار محمد بن مسلمة فصاح النساء فاقبل زيد بن محمد بن

ميسلمة الى الصوت فوجد عشرة ينهبون فقاتلهم ومعه رجلان
من أهله حتى قتل الشاميون جميعا وخلصوا ما أخذ منهم فالقوا
متاعهم في بئر لا مآء فيها والقى عليها التراب ثم أقبل نفر من
أهل الشام فقاتلوهم ايضا حتى قتل زيد بن محمد اربعة عشر رجلا
فضربوه بالسيف منهم اربعة في وجهه. ولزم أبو سعيد الخدرى
في بيته فدخل عليه نفر من أهل الشام فقالوا أيها الشيخ من
انت فقال أنا أبو سعيد الخدري صاحب رسول الله صلي الله
عليه وسلم فقالوا مازلنا نسمع عنك فبحظك أخذت في تركك
قتالنا وكفك عنا ولزوم بيتك ولكن أخرج الينا ماعندك قال
والله ما عندى مال فنتفوا لحيته وضربوه ضربات ثم أخذوا
كلما وجدوه في بيته حتي الصوم وحتى زوج حمام كان له. وكان
جابر بن عبد الله يومئذ قد ذهب بصره فجعل يمشى في بعض
أزقة المدينة وهو يقول تعس من أخاف الله ورسوله فقال له رجل
ومن أخاف الله ورسوله فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول : من اخاف المدينة فقد أخاف ما بين جنبي . فحمل
عليه رجل بالسيف ليقتله فترامى عليه مروان فاجازه وأمره ان
يدخله منزله ويغلق عليه بابه. وكان سعيد بن المسيب رحمه الله

لم يبرح من المسجد ولم يكن يخرج الا من الليل الى الليل وكان يسمع اذا جاء وقت الاذان أذانا يخرج من قبل القبر الشريف حتى آمن الناس فكان سعيد يقول مارأيت خيراً من الجماعة ثم أمر مسلم بالاساري فغلوا بالحديد ثم دعا الى بيعة يزيد. فكان اول من بايع مروان بن الحكم ثم اكابر بني أمية حتى أتى على آخرهم ثم دعا بني أسد وكان عليهم حنقاً فقال أتبايعون لعبد الله يزيد بن أمير المؤمنين ولمن استخلف عليكم بعده على ان أموالكم ودماءكم وأنفسكم خول له يقضي فيها ماشاء. فقال يزيد بن عبد الله بن زمعة: انما نحن نفر من المسلمين لنا مالهم وعلينا ما عليهم فقال مسلم والله لا أقبلك ولا تشرب البارد بعدها أبداً فامر به فضربت عنقه. ثم أتى بمعقل بن سنان وكان معقل حاملاً لواء قومه يوم الفتح مع رسول الله فلما دخل عليه قال له أعطشت يامعقل قال نعم أصلح الله الامير قال حوصوا له شربة من سويق اللوز الذى زودنا به أمير المؤمنين فلما شربها قال له رويت قال نعم فقال مسلم أما والله لا تبولها من مثانتك أبدا فقدم فضربت عنقه ثم قال ما كنت لادعك بعد كلام سمعته منك تطعن به على امامك وكان معقل قد طعن بعض

الطعن على يزيد قبل ذلك فيما بينه وبين مسلم على الاستراحة بذلك ثم أمر بمحمد بن أبي الجهم وجماعة من وجوه قريش والانصار وخيار الناس والصحابة والتابعين ثم أتى بعبد الله ابن الحارث مغلولا فقال مسلم أنت القائل اقتلوا سبعة عشر رجلا من بني أمية لاتروا شراً أبداً قال قد قلتها ولكن لايسمع من أسير أمرأرسل يدي وقد برئت منى الذمة انما نزلت بعهد الله وميثاقه وأيم الله لو أطاعوني ماأشرت به عليهم ماتحكمت فيهم أنت أبداً. فقال له مسلم والله لاقدمنك الي نار تلظى ثم أمر به فضربت عنقه فقال مروان قد والله سقيتني من دماء هؤلاء القوم الا ما كان من قريش فانك أثخنتها وأفنيتها فقال مسلم والله لاأعلم عند أحد غشاً لامير المؤمنين الا سألت الله ان يسقيني دمه فقال ان عند أمير المؤمنين عفواً لهم وحلما عنهم ليس عندك . وجعل مروان يعتذر الى قريش ويقول والله لقد أساءني قتل من قتل منكم فقالت له قريش أنت والله الذي قتلتنا ما عذرك الله ولا الناس لقد خرجت من عندنا وحلفت لنا عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لتردنهم عنا فان لم تستطع لتمضين ولا ترجع معهم

فرجعت ودلت علي العورة وأعنت علي الهلكة فالله لك
بالجزاء . قال فبلغ عدة قتلى الحرة يومئذ من قريش والانصار
والمهاجرين ووجوه الناس الف وسبعمائة وسائرهم من الناس
عشرة آلاف سوي النساء والصبيان . قال أبو معشر دخل
رجل من أهل الشام على امرأة نفساء من نساء الانصار
ومعها صبي لها فقال لها: هل من مال قالت لا والله ماتركوا
لي شيئاً فقال والله لتخرجن الي شيئاً أو لأقتلنك وصبيك
هذا فقالت له ويحك انه ولد ابن أبي كبشة الانصاري صاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد بايعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم معه يوم بيعة الشجرة على ان لاأزني ولا أسرق
ولا أقتل ولدي ولا آتي ببهتان افتريه فما أتيت شيئاً فاتق الله .
ثم قالت لابنها يابني والله لو كان عندي شيء لافتديتك به قال
فاخذ برجل الصبي والثدى في فمه فجذبه من حجرها فضرب
به الحائط فانتثر دماغه في الارض قال فلم يخرج من البيت
حتي اسود نصف وجهه وصار مثلا . قال أبو معشر قال لي رجل
بينا انا فى بعض أسواق الشام فاذا برجل ضخم فقال لي ممن
أنت قلت رجل من أهل المدينة قال من أهل الخبيثه قال فقلت

له سبحان الله رسول الله صلى الله عليه وسلم سماها طيبة وسميتها خبيثة قال فبكى فقلت له ما يبكيك قال العجب والله: كنت اغزو الصائفة كل عام زمن معاوية فأتيت في المنام فقيل لي انك تغزو المدينة وتقتل فيها رجلاً يقال له محمد بن عمرو بن حزم وتكون بقتله من أهل النار. قال فقلت ماهذا من شأن المدينة ولا يقع في نفس مدينة الرسول قال فقلت لعلها بعض مدائن الروم فكنت أغزو ولا أسل فيها سيفاً حتى مات معاوية وولى يزيد فضرب بعث المدينة فاصابتني القرعة قال فقلت هي هذه والله فاردته ان يأخذوا امني بديلا فابوا فقلت في نفسى أما اذا أبوا فاني لا أسل فيها سيفا. قال فحضرت الحرة فخرج أصحابي يقاتلون وجلست في فسطاطي فلما فرغوا من القتال جاءنا أصحابنا فقالوا دخلنا وفرغنا من الناس. فقال بعض أصحابي لبعض تعالوا حتى ننظر الى القتلى فتقلدت سيفي وخرجت فجعلنا ننظر الى القتلى ونقول هذا فلان وهذا فلان فاذا رجل في بعض تلك الدارات في يده سيف وقد أزبد شدقاه وحوله صرعي من أهل الشام فلما أبصرني قال يا كلب أحقن عني دمك قال فنسيت والله كل شيء فحملت عليه فقاتلته فقتلته فسطع نور بين عينيه

وسقط في يدي قلت من هذا فقيل لي هذا محمد بن عمرو بن
حزم فجعلت ادور مع أصحابي فيقولون هذا فلان وهذا فلان فمر
انسان لا يُعرَف فقال من قتل هذا ويحكم يريد محمد بن عمرو بن حزم
قتله الله والله لا يرى الجنة بعينه أبداً

﴿ عدة من قتل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم ﴾

قال وذكروا انه قتل يوم الحرة من أصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم ثمانون رجلا ولم يبق بدري بعد ذلك ومن
قريش والانصار سبعمائة ومن سائر الناس من الموالي والعرب
والتابعين عشرة آلاف وكانت الوقعة في ذي الحجة لثلاث
بقين منها سنة ثلاث وستين . قالوا وكان الناس يعجبون من ذلك
ان ابن الزبير لم يصلوا اليه الا بعد ستة أشهر ولم يكن مع ابن
الزبير الا نفر قليل وكان بالمدينة أكثر من عشرة آلاف رجل
والله ما استطاعوا ان يناهضوهم يوما الى الليل

﴿ كتاب مسلم بن عقبة الى يزيد ﴾ قال وذكروا ان مسلماً
لما فرغ من قتال أهل المدينة ونهبها كتب الى يزيد بن معاوية :
: بسم الله الرحمن الرحيم : لعبد الله يزيد بن معاوية أمير المؤمنين
من مسلم بن عقبة سلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله فاني

أحمد الله اليك الذي لااله الا هو أما بعد تولي الله حفظ أمير المؤمنين والكفاية له فانى أخبر أمير المؤمنين أبقاه الله اني خرجت من دمشق ونحن على التعبئة التى رأي أمير المؤمنين يوم فارقنا بوادي القرى فرجع معنا مروان بن الحكم وكان لنا عوناً على عدونا وانا انتهينا الى المدينة فاذا أهلها قد خندقوا عليها الخنادق وأقاموا على انقابها الرجال بالسلاح وأدخلوا ماشيتهم وما يحتاجون لحصارهم سنة فيما يقولون وانا اعذرنا اليهم وأخبرناهم بعهد أمير المؤمنين وما بذل لهم فأبوا ففرقت أصحابى على أفواه الخنادق فوليت الحُصَين بن نمير ناحية ذناب وماوالاها عليها الموالي ووجهت حبيش بن دجلة الى ناحية بني سَلِمة ووجهت عبد الله بن مسعدة الى ناحية بقيع الفرقد وكنت ومن معي من قواد أمير المؤمنين ورجاله في وجوه بني حارثة فأدخلنا الخيل عليهم حين ارتفع النهار من ناحية عبد الاشهل بطريق فتحه لنا رجل منهم بما دعاه اليه مروان بن الحكم الى صنيع أمير المؤمنين وقد تضمن له عنه من قرب المكان وجزيل العطاء وايجاب الحق وقضاء الذمام وقد بعثت به الى أمير المؤمنين وارجو من الله عز وجل ان يلهم خليفته وعبده عرفان ما

أولى من الصنع وأسدى من الفضل وكان أكرم الله أمير
المؤمنين من محمود مقام مروان بن الحكم وجميل مشهده.
وشديد بأسه وعظيم نكايته لعدو أمير المؤمنين مالا اخال ذلك.
ضائعاً عند امام المسلمين وخليفة رب العالمين ان شاء الله . وسلم
الله رجال أمير المؤمنين فلم يصب منهم أحد بمكروه ولم يقم
لهم عدوهم ساعة من ساعات نهارهم فما صليت الظهر أصلح
الله أمير المؤمنين الا في مسجدهم بعد القتل الذريع والانتهاب
العظيم وأوقعنا بهم السيوف وقتلنا من أشرف لنا منهم وأتبعنا
مدبرهم وأجهزنا على جريحهم وانتهبناها ثلاثا كما قال أمير
المؤمنين أعز الله نصره وجعلت دور بني الشهيد المظلوم عثمان
ابن عفان في حرز وأمان فالحمد لله الذي شفا صدري من قتل
أهل الخلاف القديم والنفاق العظيم فطالما عتوا وقديماً ماطغوا
وكتب الى أمير المؤمنين وأنا في منزل سعيد بن العاص مدنفا
مريضاً ماأراني الا لما بي فما كنت أبالي متى مت بعد يومي هذا
وكتب لهلال المحرم سنة ثلاث وستين . فلما جاءه الكتاب
أرسل الى عبد الله بن جعفر والى ابنه معاوية بن يزيد فاقرأهما
الكتاب فاسترجع عبد الله بن جعفر وأكثر وبكى معاوية

ابن يزيد حتي كادت نفسه ان تخرج وطال بكاؤه فقال يزيد لعبد الله بن جعفر ألم أجبك الى ما طلبت وأسعفتك فيما سألت فبذلت لهم العطاء واجزلت لهم الاحسان واعطيت العهود والمواثيق على ذلك . فقال عبد الله بن جعفر فمن هنالك استرجعت وتأسفت عليهم اذ اختاروا البلاء على العافية والفاقة على النعمة ورضوا بالحرمان دون العطاء ثم قال يزيد لابنه معاوية : فما بكاؤك انت يا بُنيَّ قال ابكي على قتل من قتل بهم وانما قتلنا بهم أنفسنا فقال يزيد هو ذاك قتلت بهم نفسي وشفيتها . قال وسأل مسلم ابن عقبة قبل ان يرتحل عن المدينة عن علي بن الحسين احاضر هو فقيل له نعم فأتاه علي بن الحسين ومعه ابناه فرحب بهما وسهل وقرب وقال ان أمير المؤمنين أوصاني بك فقال علي ابن الحسين وصل الله أمير المؤمنين واحسن جزاءه ثم انصرف عنه . ولم يكن أحد نصب للحرب من بني هاشم ولزموا بيوتهم فسلموا الا ثلاثة منهم تعرضوا للقتال فاصيبوا

﴿ موت مسلم بن عقبة ونبشه ﴾ قال وذكروا ان مسلم ابن عقبة ارتحل عن المدينة وهو يجود بنفسه يريد ابن الزبير بمكة فنزل في بعض الطريق فدعا الحصين بن نمير فقال له يا برذعة الحمار :

انه كان من عهد أمير المؤمنين ان حدث بي حدث الموت ان أعهد
اليك فاسمع فاني بك عالم لا تمكن قريشاً من أذنك اذ قدمت
مكة فانما هو الوقاف ثم الثقاف ثم الانصراف . ثم مات فدفن
في ثنية المُشَلّل [١] فلما تفرق القوم عنه أتته ام ولد ليزيد بن عبد الله
ابن زمعة وكانت من وراء العسكر تترقب موته فنبشت عنه فلما
انتهت الى لحده وجدت أسود من الاساود منطوياً في رقبته فاتحاً
فاه فتهيبته ثم لم تزل به حتى تنحى لها عنه فصلبته على المشلل . قال
الضحاك : فحدثني من رآه يُرمَى كما يرمي قبر ابي رغال [٢]

﴿ فضائل قتلى أهل الحرة رحمهم الله تعالى ﴾ قال وذكروا
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج في سفر من أسفاره فلما
مر بحرة بني زهرة وقف فاسترجع فقالوا ما هو يا رسول الله قال:
يقتل في هذه الحرة خيار أمتي بعد أصحابي . قال وذكروا
ان عبد الله بن سلام وقف بالحرة زمان معاوية بن أبي سفيان

---

(١) المشلل جبل يهبط منه الى قديد (٢) ابو رغال كنيته واسمه
يد بن مخلف من ثمود وقيل كان رجلا عشارا جائرا فقبره يرجم الى
يوم وقبره بين مكة والطائف . قال جرير :

اذا مات الفرزدق فارجموه كما ترمون قبر أبي رغال

فقال أجد في كتاب يهود الذي لم يبدل ولم يغير انه يكون ههنا مقتلة قوم يحشرون يوم القيامة واضعى سيوفهم على رقابهم حتي يأتوا الرحمن تبارك وتعالى فيقفون بين يديه فيقولون قتلنا فيك. قال وذكروا عن داود بن الحصين قال عندنا قبور قوم من قتلى الحرة فقل ما حركت الا فاح منها ريح المسك. وقال بعضهم عن عبدالله بن أبي سفيان عن أبيه قال رأيت عبدالله بن حنظلة في منامى بأحسن صورة معه لواؤه فقلت ياأبا عبد الرحمن أقتلت قال بلى فلقيت ربي فادخلني الجنة فانا أسرح في ثمارها حيث شئت قلت فاصحابك فما صنع بهم قال هم معي وحول لوائي هذا الذي ترى لم تحل عقده بعد. وقال الاعرج كان الناس لايلبسون المصبوغ من الثياب قبل الحرة فلما قتل الناس بالحرة استحبوا ان يلبسوها وقد مكث النوح في الدور على أهل الحرة سنة لا يهدؤن. وقال عبد الله بن أبي بكر كان أهل المدينة أعز الناس وأهيبهم حتي كانت الحرة فاجترأ الناس عليهم فهانوا. قال الزهري بلغ القتلى يوم الحرة من قريش والانصار ومهاجرة العرب ووجوه الناس سبعمائة وسائر الناس عشرة آلاف من اخلاط الناس والموالي والعبيد وأصيب نساء وصبيان. وكان قدوم أهل الشام المدينة لثلاث بقين

من ذي الحجة سنة ثلاث وستين فانتهبوها ثلاثا حتى رأوا هلال المحرم ثم امسكوا بعد ان لم يبقوا أحداً به رمق . وقتل بها من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثمانون رجلا ولم يبق بعد ذلك بدري . وقالوا قال عيسى بن طلحة: قلت لعبد الله بن مطيع [1] كيف نجوت يوم الحرة ؟ قال: رأيت ما رأيت من غلبة أهل الشام وصنع بني حارثة الذي صنعوا من إدخالهم علينا أهل الشام فذكرت قول الحارث ابن هشام [2] يوم بدر وعلمت ان لا يضر عدوي مشهدي ولا ينفع وليّي فتواريت ثم لحقت بابن الزبير وكنت أعجب كل العجب ان ابن الزبير لم يصلوا اليه ستة أشهر ولم يكن معه الا نفر يسير قوم من قريش من الخوارج وكان معنا يوم الحرة الفا رجل كلهم ذوو حفاظ فما استطعنا ان نحبسهم يوماً الى آخر الليل .

(تم الجزء الاول من كتاب الامامة والسياسة ويليه الجزء الثانى)

---

(١) هو الذي قتل في أيام عبدالملك وجعل يقاتل أهل الشام ويقول :

أنا الذى فررت يوم الحره والشيخ لايفر الا مره
فاليوم أجزى كرة بفره لابأس بالكرة بعد الفره

(٢) وقول الحارث من أحسن ما اعتذر به في الفرار وهو :

والله يعلم ما تركت قتالهم حتى رموا مهرى بأشقر مزبد
فصرفت عنهم والاحبة فيهم طمعا لهم بعقاب يوم مفسد



تأليف

(الامام الفقيه أبي محمد عبد الله بن مسلم)

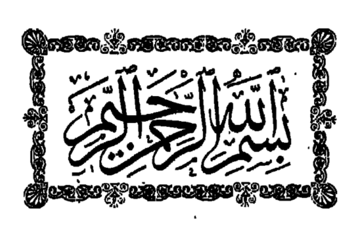
(ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٠ هـ رحمه الله)

الجزء الثاني

اعتني بطبعه وتصحيحه وشرح بعض مسائله مع كلماته اللغوية

محمد محمود الرافعي

مطبعة النيل بشارع محمد على بدرب المنجمه بمصر



الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمـد وآله وسلم تسليماً .

﴿ ذكر اختلاف الرواة في وقعة الحرة وخبر يزيد ﴾

قال وذكروا انه لما بويع يزيد بن معاوية خرج الحسين حتى قدم المدينة فأقام هو وابن الزبير . قال وقدم عمرو بن سعيد ابن العاص في رمضان أميراً على المدينة وعلى الموسم وعزل الوليد بن عقبة فلما استوى على المنبر رعف فقال اعرابي مستقبله مـه جاءنا والله بالدم فتلقاه بعمامتـه فقال مه عمّ والله الناس . ثم قام يخطب فناوله عصالها شعبتان فقال مه شعب والله الناس ثم خرج الى مكة فقدمها يوم التروية فصلى الحسين ثم خرج . فلما انصرف عمرو بلغه ان الحسين خرج فقال : اركبوا كل بعير بين السماء والارض فاطلبوه . قال فكان الناس يعجبون من قوله هذا قال فطلبوه فلم يدركوه فارسل عبـد الله بن جعفر ابنيه

عوناً ومحمداً ليردا الحسين فابى أن يرجع وخرج الحسين بابنى
عبد الله بن جعفر معه ورجع عمرو بن سعيد بن العاص الى
المدينة فارسل الى ابن الزبير فابي ان يأتيه وامتنع برجال معه
من قريش وغيرهم قال فبعث عمرو بن سعيد جيشاً من المدينة
يقاتلون ابن الزبير قال فضرب على أهل الديوان البعث الى مكة
وهم كارهون للخروج فقال لهم إما ان تأتوا ببدل واما ان تخرجوا.
قال فجاء الحارث بن مالك بن البرصاء برجل استأجره بخمسمائة
درهم الى عمرو بن سعيد فقال قد جئت برجل بدلي فقال الحارث
للرجل الذي استأجره هل لك ان أزيدك خمسمائة أخرى وتنكح
أمك فقال له أما تستحي فقال انما حرمت عليك أمك في مكان
واحد وحرمت عليك الكعبة في كذا وكذا مكان من القرآن
قال فجاء به الى عمرو بن سعيد قال قد جئتك برجل لو أمرته
ان ينكح أمه لنكحها فقال له عمرو لعنك الله من شيخ قال فبعثهم
الى مكة يقاتلون ابن الزبير فهزم عمرو ابن الزبير وبعث يزيد بن
معاوية عبد الله بن مسعدة الفزاري يخطب الناس بالمدينة فقال
في خطبته: أهل الشام جند الله الاعظم وأهل الشام خير الخلق
فقال الحارث بن مالك أتأذن لي اتكلم فقال اجلس لا أجلسك

الله قال فتشهد الحارث وقال: لعمر الله لنحن خير من أهل الشام
مانقمت من أهل المدينة الا لأنهم قتلوا أباك وهو يسرق لقاح
النبي صلى الله عليه وسلم انسيت طعنة أبي قتادة أست أبيك
بالرمح فخرج منه جعموص مثل هذا واشار الى ساعده ثم جلس .

﴿ ولاية الوليد المدينة وخروج الحسين بن علي ﴾ قال

وذكروا ان يزيد بن معاوية عزل عمرو بن سعيد وأمر الوليد
ابن عقبة وخرج الحسين بن علي الى مكة فمال الناس اليه وكثروا
عنده واختلفوا اليه وكان عبدالله بن الزبير فيمن يأتيه . قال فأتاه
كتاب أهل الكوفة فيه : بسم الله الرحمن الرحيم للحسين
ابن علي من سليمان بن صَرْد والمسيب ورفاعة بن شداد وشيعته
من المؤمنين المسلمين من أهل الكوفة أما بعد فالحمد لله
الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي اعتدى على هذه الامة
فانتزعها حقوقها واغتصبها أمورها وغلبها على فيئها وتأمر عليها
على غير رضى منها ثم قتل خيارها واستبقى شرارها فبعداً له كما
بعدت ثمود انه ليس علينا امام فاقدم علينا لعل الله ان يجمعنا
بك على الهدى فان النعمان بن بشير في قصر الإمارة ولسنا نجتمع
معه في جمعة ولا نخرج معه الى عيد ولو قد بلغنا مخرجك أخرجناه

من الكوفة وألحقناه بالشام . قال فبعث الحسين بن علي مسلم بن عقيل الى الكوفة يبايعهم له وكان على الكوفة النعمان بن بشير فقال : لابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الينا من ابن بحدل[١] قال فبلغ ذلك يزيد فاراد ان يعزله فقال لاهل الشام اشيروا علي من استعمل على الكوفة فقالوا أترضى برأي معاوية قال نعم قالوا فان الصك بامرة عبيد الله بن زياد على العراقين قد كتبه في الديوان قال فاستعمله على الكوفة فقدم الكوفة قبل ان يقدم الحسين وبايع له مسلم بن عقيل اكثر من ثلاثين الفا من أهل الكوفة فنهضوا معه يريدون عبد الله بن زياد فجعلوا كلما اشرفوا على زقاق انسل منهم ناس حتى بقي مسلم في شرذمة قليلة قال فجعل أناس يرمونه بالآجر من فوق البيوت فلما رأى ذلك دخل دار هانئ بن عروة المرادي وكان له فيهم رأي فقال له هانئ بن عروة ان لي من ابن زياد مكانا وسوف اتمارض له فاذا جاء يعودني فاضرب عنقه فقيل لابن زياد ان هانئ شاك يقيئ الدم قال وشرب المغرة فجعل يقيؤها قال فجاء ابن زياد يعوده وقال هانئ اذا قلت اسقوني

---

(١) هو يزيد وبحدل اسم جده لامه وهي ميسون ابنة بحدل أحد بني حارثة

فأخرج اليه فاضرب عنقه فابطؤا عليه فقال ويحكم اسقوني ولو كان
فيه ذهاب نفسي قال فخرج عبيد الله بن زياد ولم يصنع الآخر
شيئاً وكان من أشجع الناس ولكنه أخذته كبوة فقيل لابن زياد
والله ان في البيت رجلا متسلحاً قال فارسل ابن زياد الى هانئ فقال
اني شاك لا أستطيع النهوض فقال ائتوني به وان كان شاكيا قال
فاخرج له دابة فركب ومعه عصا وكان أعرج فجعل يسير قليلا
ويقف ويقول مالي أذهب الى ابن زياد فما زال كذلك حتى دخل
عليه فقال له عبيد الله بن زياد ياهانئ اما كانت يد زياد عندك بيضاء
قال بلى قال ويدي قال بلى فقال ياهانئ قد كانت لكم عندي
يد بيضاء وقد أمنتك على نفسك ومالك فتناول العصا التي كانت
بيد هانئ فضرب بها وجهه حتى كسرها ثم قدمه فضرب
عنقه قال وأرسل جماعة الى مسلم بن عقيل فخرج عليهم بسيفه
فما زال يقاتلهم حتى أخرج وأسر . فلما اسر بعث الرجال فقال
اسقوني ماء قال ومعه رجل من بني معيط ورجل من بني سليم
يقال له شهر بن حوشب فقال له شهر بن حوشب لا أسقيك
الا من البئر فقال المعيطي والله لانسقيه الا من الفرات قال
فامر غلاما له فأتاه بابريق من ماء وقدح قوارير ومنديل قال

فسقاه فتمضمض فخرج الدم فما زال يمسح الدم ولا يسيغ شيئاً حتى قال اخروه عني . قال فلما أصبح دعا به عبيد الله بن زياد وهو قصير فقدمه لتضرب عنقه فقال دعني حتى أوصى فنظر في وجوه الناس فقال لعمرو بن سعيد ما أرى هاهنا من قريش غيرك فادن مني حتى اكلمك فدنا منه فقال له هل لك ان تكون سيد قريش ما كانت قريش ان الحسين ومن معه وهم تسعون بين رجل وامرأة في الطريق فارددهم واكتب اليهم بما أصابني . قال فضرب عنقه والقاه فقال عمرو هو أعظم من ذلك فاي شيء هو قال اخبرني ان الحسين ومن معه قد أقبل وهم تسعون انسانا بين رجل وامرأة فقالوا أما والله اذ دللت عليه لا يقاتلهم أحد غيرك

﴿ قتال عمر وبن سعيد الحسين وقتله ﴾ قال وذكروا ان عبيد الله بن زياد بعث جيشاً عليهم عمر وبن سعيد وقد جاء الحسين الخبر فهم ان يرجع ومعه خمسة من بني عقيل فقالوا له أترجع وقد قتل أخونا وقد جاءك من الكتب ما نثق به فقال لبعض أصحابه والله مالي عن هؤلاء من صبر قال فلقيه الحسين على خيولهم بوادي السباع فلقوهم وليس معهم ماء فقالوا يا ابن

بنت رسول الله اسقنا فاخرج لكل فارس صحفة من ماء فسقاهم
بقدر مايمسك برمقهم قالوا ياابن بنت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فمازالوا يرجونه وأخذوا به على الجرف حتي نزلوا بكر بلاء
فقال الحسين أي أرض هذه قالوا كربلاء قال :هذا كرب وبلاء
قال فنزلوا وبينهم وبين الماء ربوة فاراد الحسين وأصحابه الماء فحالوا
بينهم وبينه فقال له شهر بن حوشب لاتشربوا منه حتى تشربوا
من الحميم فقال عباس بن على ياأبا عبد الله نحن على الحق فنقاتل
قال نعم فركب فرسه وحمل بعض أصحابه على الخيول ثم حمل
عليهم فكشفهم عن الماء حتى شربوا واسقوا ثم بعث عبيد الله
ابن زياد عمرو بن سعيد يقاتلهم . قال:الحسين ياعمرو اخترمني
ثلاث خصال اما ان تتركني ارجع كما جئت فان أبيت هذه
فاخرى سيرني الى الترك اقاتلهم حتى أموت او تسيرني الى
يزيد فاضع يدي فى يده فيحكم في بمايريد. فارسل الى ابن زياد
بذلك فهم ان يسيره الى يزيد فقال له شهر بن حوشب قد
امكنك الله من عدوك وتسيره الى يزيد والله لئن سار الى يزيد
لارأي مكروها وليكونن من يزيد بالمكان الذي لاتناله انت
منه ولا غيرك من أهل الارض لاتسيره ولا تبلغه ريقه حتى

ينزل على حكمك فارسل اليه لا الا ان تنزل علي حكمي فقال الحسين انزل على حكم من رأيته لا والله لا أفعل الموت دون ذلك وأحلى . قال وأبطأ عمرو بن سعيد عن قتاله فارسل عبيد الله بن زياد الى شهر بن حوشب ان تقدم عمرو يقاتل والا فاقتله وكن أنت مكانه قال وكان مع عمرو بن سعيد من قريش ثلاثون رجلا من أهل الكوفة فقالوا يعرض عليكم ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث خصال لا تقبلون واحدة منها فتحولوا مع الحسين فقاتلوا قال فرأي رجل من أهل الكوفة عبد الله بن الحسين بن علي على فرس وكان من أجمل الناس قال لأقتلن هذا الفتى فقيل له ويحك ما تصنع بقتله دعه قال فحمل عليه فضربه فقطع يده ثم ضربه ضربة أخرى فقتله ثم قتلوا جميعا فقتل يومئذ الحسين بن علي وعباس بن علي وعثمان بن علي وابو بكر بن علي وجعفر بن علي وأمهم أم البنين بنت حرام الكلابية وابراهيم بن علي وأمه أم ولد وعبدالله ابن علي وخمسة من بني عقيل وابنان لعبدالله بن جعفر عون ومحمد وثلاثة من بني هاشم ونساء من نسائهم وفيهم فاطمة بنت الحسين ابن علي وفيهم محمد بن علي وابنا جعفر ومحمد بن الحسين بن علي .

﴿ قدوم من أسر من آل علي على يزيد ﴾ قال وذكروا ان أبا معشر قال : حدثني محمد بن الحسين بن علي قال : دخلنا على يزيد ونحن اثنا عشر غلاما مغللين في الحديد وعلينا قميص. فقال يزيد أخلصتم أنفسكم بعبيد أهل العراق وما علمت بخروج ابي عبد الله حين خرج ولا بقتله حين قتل . قال فقال علي بن الحسين: ماأصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير . لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لايحب كل مختال فخور . قال فغضب يزيد وجعل يعبث بلحيته وقال: وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير . ياأهل الشام ماترون في هؤلاء . فقال رجل من أهل الشام لاتتخذن من كلب سوء جرواً . فقال النعمان بن بشير ياأمير المؤمنين اصنع بهم ما كان يصنع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رآهم بهذه الحال. فقالت فاطمة بنت الحسين يايزيد بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكى يزيد حتى كادت نفسه تفيض وبكى أهل الشام حتى علت أصواتهم ثم قال حلوا عنهم واذهبوا بهم الى الحمام واغسلوهم واضربوا عليهم القباب ففعلوا وأمال عليهم المطبخ

وكساهم وأخرج لهم الجوائز الكثيرة من الاموال والكسوة.
ثم قال لوكان بينهم وبين عاض بطن أمه نسب ما قتلهم ارجعوا
الى المدينة قال فبعث بهم.

﴿ اخراج بني أمية عن المدينة وذكر قتال أهل الحرة ﴾

قال وذكروا في قصة اخراج بني أمية عن المدينة قال بعث
عثمان بن محمد أمير المدينة الى يزيد بقميصه مشقوقا وكتب
اليه: واغوثاه ان أهل المدينة أخرجوا قومنا من المدينة قال أبو
معشر فخرج يزيد بعد العتمة ومعه شمعتان شمعة عن يمينه
وشمعة عن يساره وعليه معصفرتان وقد نقش جبهته كأنها تدهن
فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد ياأهل الشام
فانه كتب الي عثمان بن محمد ان أهل المدينة أخرجوا قومنا
من المدينة ووالله لأن تقع الخضراء على الغبراء أحب الي من
هذا الخبر. قال وكان معاوية أوصى يزيد فقال له: إن رابك من
قومك ريب او تنقص عليك منهم أحد فعليك باعور بني مرة
فاستشره يعني مسلم بن عقبة فلما كانت تلك الليلة قال يزيد أين
مسلم بن عقبة فقام فقال هاانا ذا قال عبيء ثلاثين الفا من الخيل
قال وكان معقل بن سنان الاشجعي نازلا على مسلم بن عقبة

فقال له مسلم بن عقبة ان أمير المؤمنين أمرني أن أتوجه الى المدينة في ثلاثين الفا فقال له استعفه قال لا قال: فاركب فيلا أو فيلة وتكون أبا يكسوم[1] فرض مسلم قبل خروجه من الشام فادنف فدخل عليه يزيد بن معاوية يعوده قال له: قد كنت وجهتك لهذا البعث وكان أمير المؤمنين معاوية قد أوصاني بك وأراك مدنفا ليس فيك سفر. فقال: ياأمير المؤمنين أنشدك الله ان لا تحرمني أجراً ساقه الله الي انما أنا أمرؤ وليس بي بأس قال فلم يطق من الوجع ان يركب بعيراً ولا دابة فوضع على سرير وحمله الرجال على أعناقهم حتى جاؤا مكانا يقال له البتراء فارادوا النزول به فقال لهم ماسم هذا المكان فقيل له البتراء فقال لا تنزلوا به ثم سار حتى حاجزة فنزل به فارسل الى أهل المدينة ان أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم انتم الاصل والعشيرة والاهل فاتقوا الله واسمعوا وأطيعوا فان لكم عندي في عهد الله وميثاقه عطاءين في كل سنة عطاء في الصيف

---

(١) أبو يكسوم: كنية ابرهة صاحب الفيل. قال طالب بن أبي طالب:
ألم تعلموا ما كان من حرب داحس * وجيش أبي يكسوم اذ ملؤا الشعبا
فلولا دفاع الله لا شيء غيره * لاصبحتم لا تمنعون لكم سربا

وعطاء في الشتاء ولكم عندي عهد الله وميثاقه ان أجعل سعر الحنطة عندكم كسعر الحنطة عندنا والحنطة يومئذ سبع أصع بدرهم وأما العطاء الذي ذهب به عنكم عمرو بن سعيد فعلى ان أخرجه لكم وكان عمرو بن سعيد قد أخذ أعطياتهم فاشترى بها عبيداً لنفسه فقالوا لمسلم نخلعه كما نخلع عمائمنا يعنون يزيد وكما نخلع نعالنا قال فقاتلوهم فهزم الناس أهل المدينة. قال أبو معشر حدثنا محمد بن عمرو بن حزم قال قتل بضعة وسبعون رجلا من قريش وبضعة وسبعون رجلا من الانصار وقتل من الناس نحواً من أربعة آلاف وقتل ابنان لعبد الله بن جعفر وقتل أربعة أو خمسة من ولد زيد بن ثابت لصلبه فقال مسلم بن عقبة لاهل الشام كفوا أيديكم فخرج محمد بن سعد بن أبي وقاص يريد القتال فقاتلهم فقال مسلم بن عقبة انهبها ثلاثا قال فقتل الناس وفضحت النساء ونهبت الاموال(١) فلما فرغ مسلم بن عقبة

---

(١) يروى ان مسلما لما فرغ من القتال بعث برؤوس أهل المدينة الى يزيد فلما القيت بين يديه جعل يتمثل بقول ابن الزبعرى يوم أحد :

ليت اشياخى ببدر شهدوا * جزع الخزرج من وقع الاسل

لاهلوا واستهلوا فرحاً * ولقالوا ليزيد لا فشل

من القتال انتقل من منزله ذلك الى قصر بني عامر بدومة فدعا أهل المدينة من بقي منهم للبيعة قال فجاء عمرو بن عثمان ابن عفان بيزيد بن عبدالله بن زمعة وجدته أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وكان عمرو قال لام سلمة ارسلي معي ابن بنتك فجاء به الى مسلم فلما تقدم يزيد قال له تبايع لعبد الله يزيد أمير المؤمنين على انكم خول له مما أفاء الله عليه باسياف المسلمين ان شاء وهب وان شاء أعتق وان شاء استرق قال يزيد لانا أقرب الى أمير المؤمنين منك قال والله لاتستقبلها أبدا فقال عمرو بن عثمان أنشدك الله فاني أخذته من أم سلمة بعهده وميثاقه ان اردده اليها قال فركضه برجله فرماه من فوق السرير فقتل يزيد بن عبد الله . ثم أتى محمد بن أبي جهم مغلولا فقال له مسلم أنت القائل اقتلوا سبعة عشر رجلا من بني أمية لاترواشرا أبدا . قال: قد قلتها ولكن لايسمع لقصير أمر . فارسل يدي وقد برئت مني الذمة انما نزلت بعهدالله وميثاقه قال لا والله حتى أقدمك الى النار قال فضرب عنقه وجاء معقل ابن سنان الاشجعي وكان جالساً في بيته فأتاه مائة رجل من قومه فقالوا له اذهب بنا الى الامير حتى نبايعه فقال لهم اني

قد قلت له قولا وانا أتخوف فقالوا لا والله لا يصل اليك أبدا
فلما بلغوا الباب ادخلوا معقل وحبسوا الآخرين واغلقوا
الباب فلما نظر اليه مسلم بن عقبة قال اني أرى شيخاً قد تعب
وعطش اسقوه من البلح الذي زودني به أمير المؤمنين قال
فخاضوا له بلحاً بعسل فشربه قال له أشربت قال نعم قال والله
لا تبولها من مثانتك أبداً أنت القائل اركب فيلا أو فيلة
وتكون أبا يكسوم فقال معقل أما والله لقد تخوفت ذلك
منك وانما غابتني عشيرتي قال فجعل يفري جبة كانت عليه
وقال اكره ان يلبسوها فضرب عنقه ثم سار الى مكة حتى
اذا بلغ قفا المشلل أدنف فدعا الحصين بن نمير فقال له يا ابن
بردعة الحمار والله ماخلق الله أحدا أبغض الي منك ولولا ان
أمير المؤمنين أمرني ان استخلفك مااستخلفتك أتسمع قال نعم
قال لا تكونن الا على الوقاف ثم الثقاف ثم الانصراف ولا تمكن
قريشا من اذنك . ثم مات مسلم بن عقبة فدفن بقفا المشلل وكانت
أم ولد ليزيد بن عبد الله بن زمعة على أثره فخرجت اليه فنبشته
من قبره ثم احرقت عليه النار وأخذت اكفانه فشققتها وعلقتها
بالشجرة فكل من مر عليه يرميه بالحجارة وسار الحصين حتى

جاء مكة فدعاهم الى الطاعة وعبد الله بن الزبير يومئذ بمكة فلم يجبه فقاتله فقتل يومئذ المنذر بن الزبير ورجلا من اخوته ومصعب بن عبد الرحمن والمسوز بن مخرمة

﴿ حرب ابن الزبير رضي الله عنهما ﴾ قال وذكروا ان مسلم بن عقبة لما فرغ من قتال أهل المدينة يوم الحرة مضي الى مكة المشرفة يريد ابن الزبير حتى اذا كان بقُدَيد حضرته الوفاة فدعا الحصين بن نمير فقال له: أمير المؤمنين عصاني فيك فأبي الا استخلافك بعدي فلا ترسلن بينك وبين قريش رسولا تمكنه من أذنيك انما هو الوقاف ثم الثقاف ثم الانصراف. وهلك مسلم بن عقبة فدفن بالثنية قال وسمع بهم عبد الله بن الزبير فاحكم مراصد مكة فجعل عليها المقاتلة وجاءه جند أهل المدينة وأقبل ابن نمير حتى نزل على مكة وأرسل خيلا فأخذت أسفلها ونصب عليها العرادات والمجانيق وفرض على أصحابه عشرة آلاف صخرة في كل يوم يرمونها بها فقال الناس انظروه لئلا يصيبه ما أصاب أصحاب الفيل قال عبد الله بن عمرو بن العاص وكان بمكة معتمرا قدم من الطائف لاتظن ذلك لو كان كافرا بها لعوقب دونها فأما اذا كان مؤمنا بها فسيبتلي فيها فكان

كما قال وحاصروهم لعشر ليال بقين من المحرم سنة أربع وستين فحاصروهم بقية المحرم وصفر وشهرى ربيع يغدون على القتال ويروحون حتى جاءهم موت يزيد بن معاوية فارسل الحصين بن نمير الى ابن الزبير أن ائذن لنا نطوف بالبيت وننصرف عنكم فقد مات صاحبنا فقال ابن الزبير وهل تركتم من البيت الا مدَرة وكانت المجانيق قد أصابت ناحية البيت فهدمته مع الحريق الذي أصابه فمنعهم ان يطوفوا بالبيت . فارتحل الحصين حتى اذا كان بعسفان تفرقوا وتبعهم الناس يأخذونهم حتى ان كانت الراعية في غنمها لتأتى بالرجل منهم مربوطاً فيبعث بهم الي المدينة وأصاب منهم أهل المدينة حين مروا بهم ناسا كثيرا حُبسوا بالمدينة حتى قدم مصعب بن الزبير عليهم من عند عبدالله بن الزبير فاخرجهم الى الحرة فضرب أعناقهم وكانوا أربع مائة وأكثر وانصرف ذلك الجيش الي الشام مفلولا وبايع أهل المدينة لابن الزبير بالخلافة وكان ابن عباس بمكة يومئذ فخرج الى الطائف فهلك بها سنة سبعين وهو يومئذ ابن أربع وسبعين سنة رضي الله عنه

﴿ خلافة معاوية بن يزيد ﴾ قال فلما مات يزيد بن معاوية

استخلف ابنه معاوية بن يزيد وهو يومئذ ابن ثماني عشرة سنة فلبث واليا شهرين وليالي محجوبا لا يرى ثم خرج بعد ذلك فجمع الناس فحمد الله واثنى عليه ثم قال: ايها الناس اني نظرت فيما صار الي من امركم وقلدته من ولايتكم فوجدت ذلك لا يسعني فيما بيني وبين ربي ان اتقدم على قوم وفيهم من هو خير مني واحقهم بذلك وأقوي على ما قلدته فاختاروا مني إحدى خصلتين اما ان أخرج منها واستخلف عليكم من أراه لكم رضى ومقنعا ولكم الله علي لا آلوكم نصحاً في الدين والدنيا وأما ان تختاروا لانفسكم وتخرجوني منها. قال فانف الناس لذلك من قوله وأبوا من ذلك وخافت بنو أمية ان تزول الخلافة منهم فقالوا ننظر في ذلك يا أمير المؤمنين ونستخير الله فامهلنا قال لكم ذلك وعجلوا علي قال فلم يلبثوا بعدها الا اياما حتي طعن فدخلوا عليه فقالوا اله استخلف على الناس من تراه لهم رضى فقال لهم عند الموت تريدون ذلك لا والله لا اتزودها ماسعدت بحلاوتها فكيف اشقي بمرارتها [1] ثم هلك رحمه الله ولم يستخلف أحداً فقالوا

---

(١) ويروى انه قال: والله ماذقت حلاوة خلافتكم فكيف أتقلد وزرها وتتحلون انتم حلاوتها واتعجل مرارتها. اللهم اني بريء منها متخل عنها

لعثمان بن عَنْبَسة تقدم فصل بالناس فابي وقال لا أمانا فلاحق بخالي عبد الله بن الزبير فقال له ابن زياد ان هذا ليس بزمان خالك ولا عمك فلما دفن معاوية بن يزيد وسُوى عليه وبنو أمية حول قبره قال مروان أما والله يابني أمية انه لابو ليلى [1] ثم قال:

*الملك بعد أبي ليلى لمن غلبا * ومانج امر بنى امية واختلفوا

﴿ غلبة ابن الزبير رضى الله عنهما وظهوره ﴾ قال وذكروا ان ابا معشر قال حدثنا بعض المشيخة الذين حضروا قتال ابن الزبير قال : لما نزل الحصين بمكة وغلب عليها كلها الا المسجد الحرام قال فانه لجالس مع ابن الزبير ومعه من القرشيين عبد الله بن مطيع والمختار بن أبي عبيد والمسور بن مخرمة والمنذر بن الزبير ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف في نفر من قريش قال فقال المختار بن عبيد وهبت رُوَيحة :والله اني لاجد النصر في هذه الرويحة فاحملوا عليهم قال فحملوا عليهم حتي أخرجوهم من مكة وقتل المختار رجلا وقتل ابن مطيع رجلا قال فجاءه

---

(١) وابو ليلى كنية لمعاوية بن يزيد كنى بها حين ولى الخلافة وهذه الكنية تقال للمستضعف من العرب : قال الشاعر :

انى أرى فتنة هاجت مراجلها * والملك بعد ابى ليلى لمن غلبا

رجل من أهل الشام في طرف سنان رمحه نار قال وكان بين
موت يزيد بن معاوية وبين حرق الكعبة إحدى عشرة ليلة ثم
التحمت الحرب عند باب بنى شيبة فقتل يومئذ المنذر بن الزبير
ورجلان من اخوته ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف
والمسور بن مخرمة وكان الحصين قد نصب المجانيق على جبل
أبي قبيس وعلى قعيقعان فلم يقدر أحد ان يطوف بالبيت
واسند ابن الزبير الواحاً من الساج الى البيت والقى عليها القطائف
والفرش فكان اذا وقع عليها الحجر نبا عن البيت فكانوا
يطوفون تحت تلك الالواح فاذا سمعوا صوت الحجر حين يقع
على الفرش والقطائف كبروا وكان طول الكعبة في السماء ثمانية
عشر ذراعا . وكان ابن الزبير قد ضرب فسطاطاً في ناحية من
المسجد فكلما جرح أحد من الصحابة ادخله ذلك الفسطاط

﴿ حريق الكعبة ﴾ قال فجاء رجل في طرف سنان
رمحه نار فاستعملها في الفسطاط فوقعت النار على الكعبة
فاحترق الخشب وانصدع الركن واحترقت الاستار وتساقطت
الى الارض قال ثم قاتل أهل الشام اياما بعد حريق الكعبة
واحترقت في ربيع الاول سنة اربع وستين . قال فلما احترقت

جلس أهل مكة في ناحية الحجر ومعهم ابن الزبير وأهل الشام
يرمونهم بالنبل قال فوقعت بين يديه نبلة قال : في هذه خير
فاخذوها فوجدوا بها مكتوبا :مات يزيدبن معاويةيوم الخميس
رابع عشر ليلةخلت من ربيع . فلما قرأذلك ابن الزبيرقال ياأهل
الشام يا محرقي بيت الله يا مستحلي حرم الله علىم تقاتلون
وقد مات طاغيتكم يزيد بن معاوية فاتاهالحصين بن نمير فقال له
موعدك بالبطحاء الليلة يا أبا بكر فلما كان الليل خرج ابن الزبير
باصحابه وخرج الحصين باصحابه الى البطحاء فتنحى كل واحد
منهماعن أصحابه وانفردا فقال الحصين يا أبا بكر قد علمت انى
سيد أهل الشام لا أدافع عن ذلك وان أعنة خيلهم بيدي
فاذا أهل الحجاز قد رضوا بك فابايعك الساعة على ان تهدر
كل شيء أصبناه يوم الحرة وتخرج معي الي الشام فاني لا أحب
ان يكون الملك في الحجاز . قال لا والله لاأفعل لا أومن من
أخاف الناس وأحرق بيته وانتهك حرمة الله فقال الحصين بلى
فافعل فعلي الا يختلف عليك اثنان فأبى ابن الزبيرفقال له الحصين
لعنك الله ولعن من زعم انك سيد والله لا تفلح ابداً اركبوا
يا أهل الشام فركبوا وانصرفوا . قال فحدثني من شهدانصرافهم

قال والله لقد كانت الوليدة لتخرج فتأخذ الفارس ما يمتنع . قال أبو معشر: وذلك ان المنهزم لا فؤاد له . قال فبايع أهل الشام كلهم ابن الزبير الا أهل الاردن وبايع أهل مصر ابن الزبير وغلب على أهل العراق والحجاز واليمن وغلظ أمره وعظم شأنه واستخلف ابن الزبير الضحاك بن قيس على أهل الشام

﴿ اختلاف أهل الشام على ابن الزبير ﴾ قال وذكروا ان ابن الزبير لما استخلف الضحاك على أهل الشام قام اناس من أهل الشام من رؤوس قريش بنى أمية واشرافهم وفيهم رَوْح ابن زنباع الجذامي فقال بعضهم ان الملك كان فينا أهل الشام أفينتقل ذلك الى أهل الحجاز لا نرضى بذلك هل لكم ان تأخذوا رجلا منا فينظر في هذا الامر قالوا نعم . فجاءوا الى خالد بن يزيد بن معاوية وهو غلام حدث السن فقيل له ارفع رأسك لهذا الامر فقال استخير الله وانظر فرأى القوم انه ذو ورع عن القيام في ذلك فخرجوا فأتوا عمرو بن سعيد فقالوا له ياأبا أمية ارفع رأسك لهذا الامر فجعل يسب ويقول والله لأفعلن لأفعلن فلما خرجوا من عنده قالوا هذا حديد علق فأتوا مروان بن الحكم فاذا عنده مصباح واذاهم يسمعون صوته

بالقرآن فاستأذنوا ودخلوا عليه فقالوا له ياأبا عبد الملك ارفع رأسك لهذا الامر فقال استخير الله وأسأله ان يختار لامة محمد خيرها وأعدلها ما شاء الله

﴿ بيعة أهل الشام مروان بن الحكم ﴾ قال وذكروا ان روح بن زنباع قال لمروان بن الحكم ان معي أربعمائة رجل من جذام وسآمرهم ان يبتدروا في المسجد غداً فمر ابنك عبد العزيز ان يخطب ويدعوهم اليك وأنا آمرهم ان يقولوا صدقت فيظن الناس ان أمرهم واحد قال فلما أصبح عبد العزيز خرج على الناس وهم مجتمعون فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ماأحد أولى بهذا الامر من مروان بن الحكم انه لكبير قريش وشيخها وأفرطها عقلا وكمالا وديناً وفضلا والذي نفسي بيده لقد شاب شعر ذراعيه من الكبر فقال الجذاميون صدقت فقال خالد بن يزيد: أمر قضى بليل . فبايعوا مروان بن الحكم فقال عمرو بن سعيد للضحاك بن قيس أرضيت ان تكون بريداً لابن الزبير وأنت أكبر قريش وسيدها تعال نبايعك فخرج به الى مرج راهط فلما دعاه الى البيعة اقتتلوا فقتل الضحاك بن قيس فقال عمرو بن سعيد لاهل الشام ماصارت أيديكم

الامناديل من جاءكم مسح يده بها ان مروان سيد قريش وأكبرهم
سنا فبايعوا مروان بن الحكم وقتل الضحاك بن قيس وهزم
أصحابه وكانت قيس مع الضحاك وكان اليمن مع عمرو بن
سعيد فمكث مروان ماشاء الله ان يمكث ثم قال له أصحابه
والله ماتخوف الا خالد بن يزيد بن معاوية وانك ان تزوجت
أمه كسرته وأمه ابنة أبي هاشم بن عقبة بن ربيعة فخطبها مروان
ابن الحكم فتزوجها وأقام بالشام ثم أراد ان يخرج الى مصر قال
لخالد أعرني سلاحا ان كان عندك قال فأعاره سلاحا وخرج الى
مصر فقاتل أهل مصر وسبا ناسا كثيرا فافتدوا منه ثم قدم الشام

﴿ موت مروان بن الحكم ﴾ قال وذكروا ان مروان
ابن الحكم لما قدم الشام من مصر قال له خالد بن يزيد بن
معاوية أردد الى سلاحي فأبى عليه مروان فألح عليه وكان مروان
فاحشا سبابا وقال له ياابن الرَّبوخ[1] ياأهل الشام ان أم هذا ربوخ
يا ابن الرطبة قال فجاء ابنها اليها قال هذا ماصنعت بي سبني
مروان على رؤوس أهل الشام وقال هذا ابن الربوخ . قال
وكان مروان استخلف حين خرج الى مصر ابنه عبد الملك

(١) الربوخ المرأة التي يغشى عليها عند الجماع .

وعبد العزيز انهما يكونا بعده وبايع لهما أهل الشام فلبث مروان بعد ذلك ليالي بعد ماقال لخالد بن يزيد ماقال ثم جاء الى أم خالدفرقد عندها فأمرت جواريها فطوين عليه الشواذك ثم غطته حتى قتلته ثم خرجن يصحن ويشققن جيوبهن ياأمير المؤمنين قال فقام عبد الملك فبايع لنفسه ووعدعمرو بن سعيد ان يستخلفه فبايعه وأقاموا بالشام

﴿ بيعة عبد الملك بن مروان وولايته ﴾ قال وذكروا ان عبد الملك بن مروان بايع لنفسه بالشام ووعد الناس خيراً ودعاهم الى إحياء الكتاب والسنة واقامة العدل والحق وكان معروفا بالصدق مشهوراً بالفضل والعلم لايختلف في دينه ولا ينازع في ورعه فقبلوا ذلك منه ولم يختلف عليه من قريش أحد ولا من أهل الشام فلما تمت بيعته خالفه عمرو بن سعيد الاشدق فوعده عبد الملك ان يستخلفه بعده فبايعه على ذلك وشرط عليه ان لايقطع شيئاً دونه ولا ينفذ أمرا الا بمحضره فاعطاه ذلك ثم ان عبد الملك بعث حبيش بن دجلة الي المدينة في سبعة آلاف رجل فدخل المدينة وجلس على المنبر الشريف فدعى بخبز ولحم فأكل على المنبر ثم أوتى بماء فتوضأ على المنبر

قال أبو معشر فحدثني رجل من أهل المدينة يقال له أبو سلمة
قال شهدت حبيش بن دجلة يومئذ وقد أرسل الى جابر ابن
عبد الله الانصاري فدعاه فقال تبايع لعبد الملك أمير المؤمنين
بالخلافة عليك بذلك عهد الله وميثاقه واعظم ما أخذ الله على أحد
من خلقه بالوفاء فان خالفت فأهرق الله دمك على الضلالة
فقال له جابر بن عبد الله انك أطوق على ذلك مني ولكني
أبايعك على ما بايعت عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
الحديبية على السمع والطاعة قال ثم أرسل الى عبدالله بن عمر
فقال له تبايع لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين على السمع
والطاعة فقال ابن عمر اذا اجتمع الناس عليه بايعت له ان شاء الله
ثم خرج ابن دجلة من يومه ذلك نحو الربذة وقام في اثره
رجلان أحدهما على اثر الآخر مع كل واحد منهما جيش وكل
واحد منهما يصعد المنبر ويخطب ثم خرجوا جميعاً الى الربذة وذلك
في رمضان سنة خمس وستين فاجتمعوا بها وأميرهم ابن دجلة
وكتب ابن الزبير الى عباس بن سهل الساعدي بالمدينة ان
سر الى حبيش بن دجلة وأصحابه في ناس فصار حتى لقيهم بالربذة
في شهر رمضان وبعث الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة من

البصرة معداً الى ابن الزبير حنيف بن السجف في تسمائة
رجل فساروا حتي انتهوا الي الربذة فبات أهل البصرة يقرؤن
القرآن ويصلون ليلتهم حتي أصبحوا وبات الآخرون في المعازف
والخمور فلما أصبحوا قال لهم حبيش بن دجلة اهريقوا ماءكم حتي
تشربوا من سويقكم المعتد فاهرقوا الماء وغدوا الى القتال فقتل
حبيش ومن معه من أهل الشام وتحصن من أهل الشام خمسمائة
رجل على عمود الربذة وهو الجبل الذي بها . قال وكان يوسف
أبو الحجاج مع ابن دجلة قال وأحاط بهم عباس بن سهل فقال
انزلوا على حكمي فنزلوا علي حكمه فضرب اعناقهم

﴿ غلبة ابن الزبير على العراقين وبيعتهم ﴾ قال وذكروا
ان عباس بن سهل لما فرغ من قتال أهل الشام رجع المدينة
فجدد البيعة لابن الزبير فسارعوا اليها ولم يتثبطوا وقدم أهل
البصرة على ابن الزبير بمكة فكانوا معه وكان عبد الله بن
الزبير استعمل الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة على البصرة
فلما قدمها قيل له ان الناس يقطعون الدراهم حتي يجعلونها كأنها
أصفار فقال لهم هلم بسبعة ثقالا فأتوه بسبعة ثقال فقال هذه
بعشرة فزنوا كيف شئتم . قال وأتوا بالمكيال الذي يكيلون

به فقال هذا قريب صالح ثم قيل له ان أهل البصرة لا يصلحهم الا القتل . فقال : لأن تفسد البصرة أحب الي من ان يفسد الحرث والنسل قال فبعث ابن الزبير حمزة بن عبد الله ابن الزبير الى البصرة عاملاً فاستحقره اهل البصرة فبعث مصعب ابن الزبير فقدم عليهم فقال: أهل البصرة لا يقدم عليكم أحد الا القبتموه وأنا ألقب لكم نفسي انا القصاب ثم صار الى المختار فقتله

﴿ بيعة أهل الكوفة لابن الزبير وخروج ابن زياد عنها ﴾

قال وذكروا عن بعض المشيخة من أهل العلم بذلك قالوا كان ابن زياد أول من ضُمّ اليه الكوفة والبصرة وكان أبوه زياد كذلك قبله فلم يزل عبيد الله يتبع الخوارج ويقتلهم ويأخذ على ذلك الناس بالظن ويقتلهم بالشبهة واستعمد الى عامتهم وكان بعضهم له على مايحب . قال فلما اختلف أمر الناس ومات يزيد واستمد سلطان ابن الزبير وغلظ شأنه وعظم أمره وخلع أهل البصرة طاعة بني أمية وبايعوا ابن الزبير خرج عبيد الله ابن زياد الى المسجد فقام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وقال : أيها الناس ان الذي كنا نقاتل على طاعته قد مات واختلف أمر الناس وتشتت كلمتهم وانشقت عصاهم فان أمرتموني عليكم

حببت فيكم وقاتلت عدوكم وحكمت بينكم وانصفت مظلومكم
وأخذت على يد ظالمكم حتى يجتمع الناس على خليفة . فقام
يزيد بن الحارث بن رويم اليشكري وقال الحمد لله الذي أراحنا
من بني أمية وأخرى من ابن سمية لا والله ولا كرامة فأمر
به عبيد الله فلبب ثم انطلق به الى السجن فقامت بكر بن وائل
فحالت بينه وبين ذلك ثم خرج الثانية عبيد الله بن زياد الى
المنبر فخطب الناس فحصبه الناس ورموه بالحجارة وسبوه وقام
قوم فدنوا منه فنزل فاجتمع الناس في المسجد فقال تؤمر رجلا
حتى تجتمع الناس على خليفة فاجتمع رأيهم على ان يؤمروا
عمرو بن سعد بن أبي وقاص وكان الذين قاموا بأمره هذا
الحي الذي من كندة فبينماهم على ذلك اذ أقبل النساء يبكين
وينعين الحسين وأقبلت همدان حتى ملؤا المسجد فاطافوا بالمنبر
متقلدين بالسيوف وأجمع رأي أهل البصرة والكوفة على
عامر بن مسعود بن أمية بن خلف فأمروه عليهم حتى يجتمع
الناس وكتبوا الى عبد الله بن الزبير يبايعونه بالخلافة فأقر
عبد الله بن الزبير عاملا عليهم نحواً من سنة .واستعمل العمال
في الامصار فبلغ أهل البصرة ماصنع أهل الكوفة فاجتمعوا

وأخرجوا الرايات فلم يبق أحد الاخرج وذلك لسوء آثار عبيد الله بن زياد فيهم يطلبون قتله . ثم قام ابن أبي ذؤيب فقال: ياهؤلاء من ينصر الله ينصر الكعبة من يغار على ابن سمية سارعوا أيها الناس الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض واجتنبوا هذه الدعوة وأقيموا أود هذه البيعة فانها بيعة هدي فانه من قد علمتم عبد الله بن الزبير حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته وابن اسماء بنت أبي بكر الصديق أما والله لو ان ابا بكر علم انه بقى علي الارض من هو خير منه وأولى بهذه البيعة مامد يده ولا نازعته اليها نفسه اما والله لقد علمتم ماأحد على وجه الارض خير ولا أحق بها الا هذا الشيخ عبد الله بن عمر المتبرئ من الدنيا المعتزل عن الناس الكاره لهذا الامر ثم خرجت الخوارج من سجون عبيد الله بن زياد واجتمعوا على حدة والقبائل كل قبيلة في المسجد معتزلة على حدة وعبيد الله بن زياد في القصر وقد أخذ بابوابه وقد تمنع ان يدخل القصر أحد وقد أخذت العرب بافواه السكك والدروب وكان عبيد الله أول من جفا العرب وأخذ منهم المحاربة اثنى عشر الفا ليمتزبهم فو الله ما

زادوه الا ذلا فلما رأى ذلك عبيـد الله بن زياد لم يدر كيف يصنع وخاف تميما وبكر بن وائل ان يستجير بهم ولم يأمن غدرهم فارسل الى الحارث بن قيس الجهمي من الازد فدخـل عليه الحارث قال ياحارث قد أكرمتم زياداً وحفظتم منه ما كنتم أهله وقد استجرت بكم فانشـدكم الله فيّ قال الحارث اخاف ان لا تقدر على الخروج الينا لما أرى من سوء رأى العامة فيك مع سوء آثارك في الازد قال فتهيأ عبيد الله فلبس لبس امرأة في خمرتها وعقيصتها فاردفه الحارث خلفه فخرج به على الناس فقالوا ياحارث ماهذه قال تنحوا رحمكم الله هذه امرأة من أهلي كانت زائرة لاهل ابن زياد أتيت اذهب بها فقال عبيـد الله للحارث اين نحن قال في بني سليم فقال سلمنا الله قال ثم سار قليلا ثم قال اين نحن قال في بني ناجية من الازد قال نجونا ان شاء الله قال فأتي به مسعود بن عمرو وهو يومئذ سيد الازد فقال يا أبا قيس قد جئتك بعبيد الله مستجيرا قال ولم جئتني بالعبد قال انشدتك الله فقد اختارك على غيرك فلما رآهم عبيد الله يتراضون ويتناشدون قال قد بلغني الجهد والجوع فقال مسعود يا غلام ائت البقال فأتنا من خبزه وتمره قال فجاء به الغلام فوضع قال فاكل وانما أراد ابن زياد

ان يتحرم بطعامه ثم قال أدخل فدخل ومنارات الناس يومئذ من
القصب وكان منزل مسعود يومئذ قاصية قال فكان عبيد الله
خاف فقال يا غلام اصعد الي السطح بحزمة من قصب فاشعل
اعلاه ناراً ففعل ذلك في جوف الليل فاقبلت الازد على الخيل
وعلى أرجلها حتي شحنوا السكك وملؤها فقالوا ما لسيدنا قال
شيء حدث في الدار قال فعرف عبيد الله عزته ورفعته وما
هو عليه قال هذا والله العز والشرف فاقام عنده اياما وعنده
امرأتان امرأة من الازد وامرأة من عبدقيس فكانت العبدية
تقول اخرجوا العبد وكانت الازدية تقول استجار بك على
بغضه اياك وجفوته لك وتحدث الناس انه لجأ الي مسعود ابن
عمرو فاجتمعت القبائل في المسجد والخوارج وهم في اربعة آلاف
فقال ابن مسعود ما أظنني الا خارجا الى البصرة معتذراً اليهم من
أمر عبيد الله ثم قال وكيف آمن عليه وهو في منزلي ولكني
أبلغه مأمنه ثم اعتذر اليهم قال وكان مسعود قد أجار عنده ابن
زياد أربعين ليلة . قال فاقبل مسعود يوما على برذون له وحوله
عدة من الازد عليهم السيوف وقد عصب رأسه بسير أحمر
قال الهيثم فقلت لابن عباس لم عصب رأسه بسير أحمر قال

قدسألت عن ذلك قبلك فقال شيخ من الازد كان ضخم الهامة وكانت له ضفيرتان فعصب لذلك بالسير . قال ابن عباس فذكرت ذلك لعمرو بن هرم وكان معنا بواسط فقال: حدثك من لا يعرف، هذا شيء كانت العرب تصنعه اذا أراد الرجل الاعتذار من الذنب عصب السير ليعلموا انه معتذر. قال فاقبل مسعود حتى انتهى الى باب المسجد ومعه أصحابه رجالة بين يديه وخلفه وكان كبيراً فلم يستطع النزول والقبائل في المسجد باجمعها فدخل المسجد بدابته فبصرت به الخوارج فظنوا انه عبيد الله فاقبلوا نحوه متقلدين السيوف وجال الناس جولة فضربوه باسيافهم حتى مات. قتله نفر من بني حنيفة من الخوارج وجال الناس ونهضوا من مجالسهم وبلغ ذلك الازد فاقبلوا على كل صعب وذلول وأقبل عُباد بن الحصين لينظر الي عبيد الله فاذا هو بمسعود فقال: مسعود ورب الكعبة انا لله وانا اليه راجعون ابا قيس قد وفيت ما كان أغنى أهل مصرك عما صنعت من ذلك فجعتهم بنفسك. ثم القى عليه كساءه ثم أقبلت الازد فكان بينهما وبين مضر ماوقع ذكره في غير هذا الكتاب حتى اصطلحوا وتراضوا على بيعة ابن الزبير قال الهيثم

قال ابن عباس حدثني عوكل اليشكري قال: إنا مع عبيد الله ابن زياد في ليلة مظلمة فاذا نحن بنار من بعد فقال عبيد الله ياعوكل كيف الطريق قال اجعل النار على حاجبك فقال بل على حاجبك. قال عوكل: فوالله انا النسير بالسّمارة اذ قال عبيد الله قد كرهت البعير فابغوا لى ذا حافر قال فاذا نحن باعرابي من كلب معه حمار اقمر[1] ضخم فقلت تبيعه بكم فقال باربعمائة درهم لاانقصكم درهما فاشار الينا عبيد الله ان خذوه قال فجعلنا ننقده الدراهم قال لست أدري ماهذه ولكن بيني وبينكم هذا المولي يعني عبيد الله بن زياد وكان عبيد الله أحمر أقمر شبيها بالموالي قال فأخذناه منه فقال عبيد الله ارحلوا لى عليه فرحلنا له عليه فلما قدم ليركب قال الاعرابي أنا أقسم بالله ان لكم شأنا وما أظن صاحبكم الا والي العراق فاستقفاه عبيد الله بالعصا فضربه بها فوقع ثم شدوه وثاقا قال وجعلوا يجنبون المياه. قال عوكل ثم ان عبيد الله بيناهو على راحلته اذ هجمت عينه فقلت له اراك نائما فقال ما كنت بنائم فقلت له ما أعلمني بما كنت تحدث به نفسك قال وبأي شيء كنت أحدث

---

(١) حمار اقمر اى لونه مائل الى الخضرة او ابيض فيه كدرة

به نفسي قال قلتَ : ليتني لم أبن البيضاء ولم استعمل الدهاقين وليتني لم اتخذ المحاربة . قال ماخطر لي هذا على بال اما قولك ليتني لم أبن البيضاء فما كان علي منها اثم بناها اليزيد من ماله واما استعمال الدهاقين فقد استعملهم أبي ومن كان قبله وأما المحاربة فوالله ما اتخذتهم الا وقاية لانى كنت أقتل بهم أهل المعصية فلو أمرت عشائرهم بهم لم يقتلوهم ولشق ذلك عليهم فجعلت ذلك بيني وبينهم من لا ألي بينه وبينهم ولكني كنت أحدث نفسي اني ندمت على تركي أربعة آلاف في السجن من الخوارج فوددت اني كنت أضرمت البيضاء عليهم حتى آتى على آخرهم ووددت اني جمعت آل بيتي وموالي ونابذت أهل المصر على سواء حتي يموت الاعجل وددت اني قدمت الشام ولم يبايع أهلها بعد.

﴿ قتل المختار عمرو بن سعد ﴾ قال وذكروا ان المختار ابن أبي عبيد كتب الى عبد الله بن الزبير من الكوفة وقال لرسوله :اذا جئت مكة فدفعت كتابي الى عبد الله بن الزبير فأت المهدي محمد بن علي وهو ابن الحنفيــة فأقرئ عليه منى السلام وقل له يقول لك أخوك أبواسحاق اني أحبك وأحب أهل بيتك قال فأتاه الرسول فقال له ذلك فقال كذبت وكذب

أبو اسحاق معك كيف يحبني ويحب أهل بيتي وهو يجالس
عمرو بن سعد بن أبي وقاص على وسادة وقد قتل الحسين
ابن علي أخي . قال فلما قدم عليه رسوله أخبره بما قال محمد بن
علي . فقال المختار لابن عمرة صاحب حرسه استأجر لي
نوائح يبكين الحسين على باب عمرو بن سعد بن أبي وقاص
قال ففعل فلما جئن يبكين الحسين . قال عمرو لابنه حفص يا بني قل له
ماشأن النوائح يبكين الحسين . قال فأتاه فقال له ذلك فقال
له هل لك ان تبكي عليه فقال أصلحك الله انههن عن ذلك
قال نعم . ثم دعا أبا عمرة فقال اذهب الى عمرو بن سعد فأتني
برأسه قال فأتاه فقال قم الي أبا حفص فقام اليه وهو ملتحف فجلله
بالسيف ثم جاء برأسه الى المختار وحفص جالس عنده على
الكرسي . فقال هل تعرف هذا الرأس قال نعم رحمة الله عليه
قال أتحب ان ألحقك به قال وماخير الحياة بعده . قال فضرب
رأسه فقتله قال ثم أرسل عبد الله بن الزبير يزيد بن زياد على
العراق فكان بالكوفة حتي مات يزيد وأحرقت الكعبة
ورجع الحسين هاربا الى الشام . قال ثم أرسل عبد الله بن مطيع
الى الكوفة ثم بعث المختار بن أبي عبيد على الكوفة وعزل

عبد الله بن مطيع وسيره الى المدينة وسار عبيـد الله بن زياد بعد ذلك الى المختار • وجهه عبد الملك بن مروان أميراً على العراق وندب معه جيشاً عظيما من أهل الشام فاقبل الى الكوفة يريد المختار فالتقوا بجازر فاقتتلوا فقتل المختار عبيد الله بن زياد ومن معه وكان معه الحصين بن نمير وذا الـكلاع وغلبة من كان معه ممن شهد وقعة الحرة من رؤوسهم

﴿ قتل مصعب بن الزبير المختار بن أبي عبيد الله ﴾

قال وذكروا ان أبا معشر قال لما قتل عبيد الله بن زياد ومن معه ارتضى أهل البصرة عبد الله بن الحارث بن نوفل فأمروه على أنفسهم ثم أتى عبد الله بن الزبير وام عبد الله بن الحارث هند بنت أبى سفيان وكانت أمه تنبذه وهو صغير ببّه فلقب ببه ثم بعث عبد الله بن الزبير الحارث بن عبيـد الله بن أبي ربيعة عاملا على البصرة ثم بعث حمزة بن الزبير بعده ثم بعث مصعب بن الزبير أخاه وضم اليـه العراقين جميعا الـكوفة والبصرة فلما ضم اليه الـكوفة وعزل المختار عبد الله بن الزبير بالـكوفة ودعا الى آل الرسول وأراد ان يعقد البيعة لمحمد بن الحنفية ويخلع عبد الله بن الزبير فـكتب عبـد الله الى أخيـه

مصعب ان سر الي المختار بمن معك ثم لاتبلعه ريقه ولا تمهله حتى يموت الاعجل منكما، فأتاه مصعب بمن معه فقاتله ثلاثة أيام حتى هزمه وقتله وبعث مصعب برأس المختار الى أخيه وقتل مصعب أصحاب المختار. قتل منهم ثمانية آلاف صبراً ثم قدم حاجاً في سنة احدى وسبعين فقدم عبد الله بن الزبير ومعه رؤساء أهل العراق ووجوههم وأشرافهم فقال: ياأمير المؤمنين قد جئتك برؤساء أهل العراق وأشرافهم كلٌ مطاع في قومه وهم الذين سارعوا الى بيعتك وقاموا باحياء دعوتك ونابذوا أهل معصيتك وسعوا في قطع عدوك فاعطهم من هذا المال. فقال له عبد الله بن الزبير: جئتني بعبيد أهل العراق وتأمرني ان أعطيهم مال الله لاأفعل، وأيم الله لوددت اني أصرفهم كما تصرف الدنانير بالدراهم عشرة من هؤلاء برجل من أهل الشام. قال فقال رجل منهم علقناك وعلقت أهل الشام ثم انصرفوا عنه وقد يئسوا مما عنده لا يرجون رفده، ولا يطمعون فيما عنده فاجتمعوا واجمعوا على خلعه فكتبوا الى عبد الملك بن مروان ان أقبل الينا.

﴿خلع ابن الزبير﴾ قال وذكروا ان أبا معشر قال لما أجمع القوم على خلع ابن الزبير وكتبوا الى عبد الملك بن مروان

أن سر الينا فلما أراد عبدالملك ان يسير اليهم وخرج من دمشق فاغلق عمرو بن سعيد باب دمشق فقيل لعبد الملك ما تصنع أتذهب الى أهل العراق وتدع دمشق، أهل الشام أشد عليك من أهل العراق فأقام مكانه فحاصر أهل دمشق أشهراً حتى صالح عمرو بن سعيد على انه الخليفة بعده ففتح دمشق ثم أرسل عبد الملك الى عمرو وكان بيت المال في يد عمرو أن اخرج للحرس أرزاقهم فقال عمرو ان كان لك حرس فان لنا حرسا فقال عبد الملك أخرج لحرسك أرزاقهم أيضاً

﴿ قتل عبد الملك عمرو بن سعيد ﴾ قال وذكروا ان أبا معشر قال: لما اصطلح عبد الملك وعمرو بن سعيد على انه الخليفة بعده أرسل عبد الملك الى عمرو بن سعيد نصف الليل ائتني أبا أمية قال فخرج ليأتيه فقالت له امرأته لا تذهب اليه فاني أتخوفه عليك واني لاجد ريح دم مسفوح قال فما زالت به حتى ضربها بقائم سيفه فشجها فتركته فأخرج معه أربعة آلاف رجل من أهل دولته لا يقدر على مثلهم متسلحين فأحدقوا بخضراء دمشق وفيها عبد الملك بن مروان فقالوا لعمرو واذا دخلت علي عبد الملك يا أبا أمية ورابك منه شئ فاسمعنا

صوتك فقال لهـم ان خفي عليكم صوتي ولم تسمعوه فالزوال بيني وبينـكم ميعاد . إن زالت الشمس ولم أخرج اليكم فاعلموا اني مقتول أو مغلوب فضعوا أسيافكم ورماحكم حيث شئتم ولا تغمدوا سيفا حتى تأخذوا بثاري من عدوي . قال فدخل وجعلوا يصيحون ياأبا أمية اسمعنا صوتك وكان معه غـلام اسحم شجاع فقال له اذهب الى الناس فقل لهم ليس عليه بأس ليسمع عبد الملك ان وراءه ناس فقال له عبد الملك أتمـكريا أبا أمية عند الموت خذوه فأخذوه فقيل له ان أمير المؤمنين قد أقسم ليجعلن في عنقك جامعة منه ثم نشروه الى الارض نشرة فكسـرت ثنيته قال فجعل عبـد الملك ينظر اليه فقال عمرو لا عليك يا أمير المؤمنين عظم انكسر فقال عبد الملك لاخيه عبد العزيز اقتله حتى أرجع اليك قال فلما أراد عبد العزيز أن يضرب عنقه قال له عمرو تمسك بالرحم يا عبـد العزيز انت تقتلنى من بينهم فتركه فجاء عبد الملك فرآه جالساً فقال له لم لا تقتله لعنه الله ولعن أما ولدته قال فانه قال تمسك بالرحم فتركته قال فأمر رجلا عنده يقال له ابن الزويدع فضرب عنقه ثم ادرجه فى بساط ثم أدخله تحت السرير قال فدخل عليه قبيصة بن ذؤيب

الخزاعي وكان أحد الفقهاء وكان رضيع عبد الملك بن مروان
وصاحب خاتمه ومشورته فقال له عبد الملك كيف رأيك في
عمرو بن سعيد فابصر قبيصة رجل عمرو تحت السرير فقال
اضرب عنقه يا أمير المؤمنين فقال له عبدالملك جزاك الله خيراً
فما علمتك الا ناصحا اميناً موافقاً قال له فما ترى في هؤلاء الذين
احدقوا بنا وأحاطوا بقصرنا قال قبيصة: اطرح رأسه اليهم يا
أمير المؤمنين ثم اطرح عليهم الدنانير والدراهم يتشاغلون بها
قال فأمر عبدالملك برأس عمروان تطرح اليهم من أعلي القصر
فطرحت اليهم وطرحت الدنانير ونشرت الدراهم ثم هتف عليهم
الهاتف ينادي: ان أمير المؤمنين قد قتل صاحبكم بما كان من
القضاء السابق والامر النافذ ولكم على أمير المؤمنين عهد الله
وميثاقه ان يحمل راجلكم ويكسو عاريكم ويغني فقيركم ويبلغكم
الى اكمل ما يكون من العطاء والرزق ويبلغكم الى المائتين في
الديوان فأعترضوا على ديوانكم واقبلوا أمره واسكنوا الى
عهده يسلم لكم دينكم ودنياكم. قال فصاحوا نعم نعم سمعاً
وطاعة لأمير المؤمنين . قال فلما تمت البيعة لعبد الملك بن
مروان بالشام أراد أن يخرج الى مصعب بجمل يستفز أهل

الشام فيبطؤن عليه فقال له الحجاج بن يوسف وكان يومئذ في حرس ابان بن مروان : يا أمير المؤمنين سلطني عليهم فأعطاه ذلك فقال له عبد الملك اذهب قد سلطتك عليهم قال فكان لا يمر على بيت رجل من أهل الشام تخلف الا احرق عليه بيته فلما رأى ذلك أهل الشام خرجوا قال فاصابهم من ذلك غلاء في الاسعار وشدة من الحال وصعوبة من الزمان. قال وكانوا يصنعون لعبد الملك بن مروان الارز . فسار باهل الشام الى العراق ومعه الحجاج بن يوسف

﴿ مسير عبد الملك الى العراق وقتله ﴾ قال وذكروا ان عبد الملك لما سار بأهل الشام ومعه الحجاج بن يوسف الى العراق خرج مصعب بن الزبير باهل البصرة والكوفة فالتقيا بين الشام والعراق وكان عبد الملك ومصعب قبل ذلك متصافيين وصديقين متحابين لا يعلم بين اثنين من الناس ما بينهما من الاخاء والصداقة فبعث اليه عبد الملك ان ادن مني اكلمك قال فدنى كل واحد من صاحبه وتنحى الناس عنهما فسلم عبد الملك عليه وقال له يا مصعب قد علمت ما أجرى الله بيني وبينك منذ ثلاثين سنة وما أعتقدته من إخائي وصحبتي والله أنا خير

لك من عبد الله وانفع منه لدينك ودنياك فثق بذلك مني،
وانصرف الى وجوه هؤلاء القوم وخذ لي بيعة هذين المصرين.
والامر أمرك لا تعصي ولا تخالف وان شئت اتخذتك صاحباً
لا تخفي ووزيراً لا تعصي. فقال له مصعب: أما ما ذكرت فيّ
من ثقتي بك ومودتي وإخائي فذلك كما ذكرته ولكنه بعد
قتلك عمرو بن سعيد لا يطمأن اليك وهو أقرب رحما مني اليك،
وأولى بما عندك فقتلته غدراً، ووالله لو قتلته في ضرب ومحاربة
لمسّك عاره ولما سلمت من اثمه. وأما ما ذكرت من انك خير
لي من أخي فدع عنك أبا بكر واياك وإياه لا تتعرض له واتركه
ما تركك وارج عاجل عاقبته، وارج الله في السلامة من عافيته.
فقال له عبد الملك: لا تخوفني به فوالله إني لا علم منه مثل ما
تعلم ان فيه لثلاث خصال لا يسود بها ابداً: عُجْب قد ملأه
واستغناء برأيه وبخل التزمه فلا يسود بها أبداً.

﴿ قتل مصعب بن الزبير ﴾ قال وذكروا ان عبدالملك
لما أيس من مصعب كتب الى اناس من رؤساء أهل العراق
يدعوهم الى نفسه ويجعل لهم أموالا عامة وشروطاً وعهوداً
ومواثيق وعقوداً وكتب الى ابراهيم بن الاشتر يجعل له وحده

مثل جميع ما جعل لاصحابه على ان يخلعوا عبد الله بن الزبير اذا
التقوا . فقال ابراهيم بن الاشتر لمصعب ان عبد الملك قد كتب
اليّ هذا الكتاب وكتب لاصحابي كلهم فلان وفلان بذلك
فادع بهم في هذه الساعة فاضرب اعناقهم واضرب عنقي معهم
فقال مصعب: ما كنت لافعل ذلك حتى يستبين لي ذلك من
أمرهم . قال ابراهيم فأخرى قال وما هي قال احبسهم في السجن
حتى يتبين ذلك فابي فقال له ابراهيم بن الاشتر عليك السلام
ورحمة الله وبركاته ولا تراني والله بعد في مجلسك هذا أبداً وقد
كان قال له قبل ذلك دعني أدعو أهل الكوفة بدعوة لا
يخلعونها ابداً وهي ماشرطه الله فقال له مصعب لا والله لا افعل
لا اكون قتلتهم بالامس وأستنصر بهم اليوم قال فما هو الا
ان التقوا تحولوا برؤسهم ومالوا الى عبد الملك بن مروان
قال فبقي مصعب في شرذمة قليلة قال فجاءه عبيد الله بن ظبيان
فقال اين الناس أيها الامير فقال غدركم يا أهل العراق قال فرفع
عبيد الله سيفه ليضربه فبدره مصعب بالسيف على البيضة فنشب
فيها فجعل يقلب السيف ولا ينتزع من البيضة قال فجاء غلام
لعبيد الله بن ظبيان فضرب مصعب بالسيف فقتله ثم جاء

عبيدالله برأسه الى عبد الملك يدعي انه قتله . فطرح رأسه وقال :
نطيع ملوك الارض ماقسطوا النا * وليس علينا قتلهم بمحرم
قال فوقع عبد الملك ساجداً فتحامل عبيد الله على ركابه
ليضرب عبد الملك بالسيف . فرفع عبد الملك رأسه وقال والله
يا عبيد الله لولا منتك لالحقتك سريعاً به . قال فبايعه الناس
ودخل الكوفة فبايعه أهلها

﴿ ذكر حرب ابن الزبير وقتله ﴾ قال وذكروا انه
لما تمت البيعة لعبد الملك بن مروان من أهل العراق واتاه
الحجاج بن يوسف فقال : ياأمير المؤمنين اني رأيت في المنام
كأني اسلخ عبد الله بن الزبير . فقال له عبد الملك أنت له فاخرج
اليه فخرج اليه الحجاج في الف وخمسمائة رجل من رجال أهل
الشام حتي نزل الطائف وجعل عبد الملك يرسل اليه الجيوش
رسلا حتى توافي الناس عنده قدر ما يظن انه يقدر على قتال
عبد الله بن الزبير وكان ذلك في ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين
فثار الحجاج من الطائف حتي نزل منى فحج بالناس وعبد الله
ابن الزبير محصور بمكة ثم نصب الحجاج المنجنيق على أبي قبيس
ونواحي مكة كلها فرمى أهل مكة بالحجارة . فلما كانت الليلة التي

قتل في صبيحتها جمع عبد الله بن الزبير القرشيين فقال لهم ما ترون فقال رجل منهم من بني مخزوم والله لقد قاتلنا معك حتى ما نجد مقاتلا والله لئن صبرنا معك ما تريد على ان نموت معك انما هو احدى خصلتين اما ان تأذن لنا فنأخذ الامان لانفسنا ولك واما ان تأذن لنا فنخرج فقال عبد الله قد كنت عاهدت الله ان لا يبايعني أحد فأقيله بيعته الا ابن صفوان قال ابن صفوان والله إنا لنقاتل معك وما وفيت لنا بما قلت ولكن تأخرى الحفيظة ان ادعك عند مثل هذه حتى أموت معك ، فقال رجل آخر اكتب الى عبد الملك فقال له عبد الله وكنت اكتب اليه من عبد الله أبي بكر أمير المؤمنين فوالله لا يقبل هذا مني أبداً او اكتب اليه لعبد الملك أمير المؤمنين من عبد الله بن الزبير فوالله لأن تقع الخضراء على الغبراء أحب الي من ذلك قال عروة أخوه: يا أمير المؤمنين قد جعل الله لك أسوة فقال له عبد الله من هو اسوتي قال الحسن بن علي ابن أبي طالب خلع نفسه وبايع معاوية فرفع عبد الله رجله وضرب عروة حتى ألقاه ثم قال يا عروة قلبي اذاً مثل قلبك والله لو قبلت ما تقولون ما عشت الا قليلا وقد أخذت الدنية وما

ضربة بسيف الامثل ضربة بسوط [١] لا اقبل شيئاً مما تقولون قال فلما أصبح دخل على بعض نسائه فقال اصنعي لى طعاماً فصنعت له كبداً وسناماً قال فأخذ منها لقمة فلاكها ساعة فلم يسغها فرماها وقال اسقوني لبنا فاتى بلبن فشرب ثم قال صبوا على غسلا قال فاغتسل ثم تحنط وتطيب ثم تقلد سيفه وخرج وهو يقول:

ولا ألين لغير الحق أسأله * حتى يلين لضرس الماضغ الحجر

ثم دخل على أمه اسماء بنت أبى بكر الصديق وهي عمياء من الكبر قد بلغت من السن مائة سنة فقال لها: يا أماه ما ترين قد خذلني الناس وخذلنى أهل بيتي . فقالت: يا بني لا يلعبن بك صبيان بني أمية عش كريماً ومت كريماً فخرج واسند ظهره الى الكعبة ومعه نفر يسير فجعل يقاتل بهم أهل الشام فيهزمهم وهو يقول: ويل أمه فتح [٢] لو كان له رجال . قال فجعل الحجاج يناديه قد كان

---

(١) يروي: وان ضربة بسيف في عز خير من لطمة فى ذل (٢) يروى انه دخل عليها فسلم فقالت من هذا فقال عبد الله . ثم قالت: يا بني مت كريما فقال لها ان هذا قد أمنني يعني الحجاج . قالت يا بني لا ترض الدنية فان الموت لابد منه . قال انى اخاف ان يمثل بى . قالت: ان الكبش اذا ذبح لا يوءلمه السلخ . فخرج وجعل يقاتلهم ويقول ويل أمه فتح الخ .

لك رجال ولكنك ضيعتهم قال فجاءه حجر من حجارة المنجنيق وهو يمشي فأصاب قفاه فسقط فما دري أهل الشام انه هو حتي سمعوا جارية تبكي وتقول: واأمير المؤمنين فاحتزوا رأسه فجاؤا به الى الحجاج وقتل معه عبد الله بن صفوان بن أمية وعمارة ابن عمرو بن حزم ثم بعث برؤسهم الى عبد الملك وقتل لسبع عشرة ليلة مضين من جمادى الاولى سنة ثلاث وسبعين . قال أبو معشر: ثم أقام الحجاج بالمدينة عاملا عليها وعلى مكة والطائف ثلاث سنين يسير بسيرته فيما يقولون . قال فلما مات بشر بن مروان وكان على الكوفة والبصرة كتب اليه عبد الملك ان سر علي العراقين واحتل لقتلهم فانه قد بلغني عنهم ما اكره. واستعمل عبد الملك على المدينة يحي بن حكيم بن أبي العاص.

﴿ ولاية الحجاج على العراقين ﴾ قال وذكروا ان عبد الملك لما كتب الى الحجاج يامره بالمسير الى العراقين ويحتال لقتلهم. توجه ومعه الفارجل من مقاتلة أهل الشام وحماتهم وأربعة آلاف من اخلاط الناس وتقدم بالفي رجل وتجري دخول البصرة يوم الجمعة في حين أوان الصلاة فلما دنى من البصرة أمرهم ان يتفرقوا على أبواب المسجد على كل باب مائة رجل باسيافهم

تحت ارديتهم . وعهد اليهم أن اذا سمعتم الجلبة في داخل المسجد والوقيعة فيهم فلا يخرجن خارج من باب المسجد حتى يسبقه رأسه الى الارض وكان المسجد له ثمانية عشر بابا يدخل منها اليه . فافترق القوم عن الحجاج فبدروا الي الابواب فجلسوا عندها مرتدين ينتظرون الصلاة ودخل الحجاج وبين يديه مائة رجل وخلفه مائة كل رجل منهم مرتد بردائه وسيفه قد أفضى به الي داخل ازاره . فقال لهم اني اذا دخلت فسأ كلم القوم في خطبتي وسيحصبوني فاذا رأيتموني قد وضعت عمامتي على ركبتي فضعوا أسيافكم واستعينوا بالله واصبروا ان الله مع الصابرين . فلما دخل المسجد وقد حانت الصلاة صعد المنبر فحمد الله ثم قال: ايها الناس ان أمير المؤمنين عبد الملك أمير استخلفه الله عز وجل في بلاده وارتضاه اماماً على عباده وقد ولاني مصركم وقسمة فيئكم وأمرني بانصاف مظلومكم وامضاء الحكم علي ظالمكم وصرف الثواب الى المحسن البريء، والعقاب الى العاصي المسيء، وأنا متبع فيكم أمره ومنفذ عليكم عهده، وأرجو بذلك من الله عز وجل المجازاة ومن خليفته المكافاة، وأخبركم انه قلدني بسيفين حين توليته اياي عليكم سيف رحمة وسيف

عذاب ونقمة فاما سيف الرحمة فسقط مني في الطريق وأما
سيف النقمة فهو هذا . فحصبه الناس فلما كثروا عليه خلع عمامته
فوضعها على ركبته فجعلت السيوف تبري الرقاب فلما سمع
الخارجون الكائنون على الابواب وقيعة الداخلين ورأوا تسارع
الناس الي الخروج تلقوهم بالسيوف فأردعوا الناس الى جوف
المسجد ولم يتركوا خارجا يخرج فقتل منهم بضعاً وسبعين الفا
حتي سالت الدماء الى باب المسجد والي السكك . قال ابو معشر:
لما قدم الحجاج البصرة صعد المنبر وهو معتجر بعمامته متقلد
سيفه وقوسه قال فنعس على المنبر وكان قد احيي الليل ثم تكلم
بكلام فحصبوه فرفع رأسه . ثم قال: اني ارى رؤساً قد اينعت
وحان قطافها . فهابوه وكفوا ثم كلمهم فحصبوه واكثروا فأمر بهم
جنداً من أهل الشام وكانوا قد أحاطوا به من حوله ومن
حول أبواب المسجد قال فلما فرغ منهم وأحكم شأنه فيهم بعث
عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث الى سجستان عاملا ومعه
جيش . فكتب اليه الحجاج ان يقاتل حصن كذا وكذا فكتب
الى الحجاج: اني لا أرى ذلك صوابا ان الشاهد يري ما لا يرى
الغائب . فكتب اليه الحجاج: أنا الشاهد وأنت الغائب فانظر ما

كتبت به اليك فامض له والسلام

﴿ خروج ابن الاشعث على الحجاج ﴾ قال وذكروا ان عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث لما خرج على الحجاج جمع أصحابه وفيهم عبد الرحمن بن ربيعة بن الحارث بن نوفل وبنوه عون بن عبد الله وعمرو بن موسي بن معمر بن عثمان بن عمرة وفيهم محمد بن سعد بن أبي وقاص فقال لهم ما ترون قالوا نحن معك فاخلع عدو الله وعدو رسوله فان خلعه من أفضل اعمال البر فخلعه وأظهر خلعه فلما أظهر ذلك قدم عليهم سعيد بن جبير فقالوا له انا قد حبسنا أنفسنا عليك فما الرأى قال الرأى ان تكفوا عما تريدون فان الخلع فيه الفتنة والفتنة فيها سفك الدماء واستباحة الحرم وذهاب الدين والدنيا فقالوا انه الحجاج وقد فعل ما فعل فذكروا أشياء ولم يزالوا به حتى صار معهم وهو كارهٌ . قال وانتهى الخبر الي الحجاج فقيل له ان عبد الرحمن قد خلعك ومن معه فقال ان معه سعيد بن جبير وأنا أعلم ان سعيداً لا يخرج وان أرادوا ذلك سيكفهم عنه فقيل له انه رام ذلك ثم لم يزالوا به حتي فتنوه وصار معهم . فبعث الحجاج الغضبان الشيباني ليأتيه بخبر عبد الرحمن بن الاشعث من كرمان وتقدم

اليه ان لا يكتمه من أمره شيئاً فتوجه الغضبان الى عبدالرحمن قال له عبد الرحمن ما وراءك يا غضبان قال: شر طويل تغدى الحجاج قبل ان يتعشاك . ثم انصرف من عنده فنزل رملة كرمان وهى أرض شديدة الحر فضرب بها قبة وجلس فيها فبينا هو كذلك اذ ورد اعرابي من بكر بن وائل على قعود فوقف عليه وقال : السلام عليك . فقال: له الغضبان : السلام كثير وهى كلمة مقولة، قال الاعرابي من اين اقبلت قال : من الارض الذلول قال واين تريد قال : امشي في مناكبها وآكل من رزق الله الذي أخرج لعباده منها ، قال الاعرابي فمن عرض اليوم قال الغضبان المنقول قال فمن سبق قال حزب الله الفائزون قال الاعرابي ومن حزب الله قال هم الغالبون . فعجب الاعرابي من منطقه وحضور جوابه . ثم قال أتقرض قال الغضبان انما تقرض الفأرة قال أفتنشد قال انما تنشد الضالة قال أفتسجع قال انما تسجع الحمامة قال أفتنطق قال انما ينطق كتاب الله قال افتقول قال انما يقول الامير ، قال الاعرابى تالله ما رأيت مثلك قط ، قال الغضبان بلى ولكنك نسيت ، قال الاعرابى فكيف أقول قال أخذتك الغول في العاقول وأنت قائم تبول ، قال الاعرابي

اتأذن لي ان أدخل عليك قال الغضبان وراءك أوسع لك، قال
الاعرابي قد أحرقتني الشمس قال الغضبان الآن يفيء
عليك الفيء اذا غربت قال الاعرابي ان الرمضاء قد أحرقت
قدميّ قال الغضبان بل عليها يبردان قال الاعرابي ان الوهج شديد
قال الغضبان ما لى عليه سلطان قال الاعرابي اني والله ما أريد
طعامك ولا شرابك قال الغضبان لا تعرّض بهما فوالله لا تذوقهما
قال الاعرابي وما عليك لو ذقتهما قال الغضبان نأكل ونشبع
فان فضل شيء من الاكرياء والغلمان فالكلب أحق به منك
قال الاعرابى سبحان الله قال الغضبان نعم من قبل ان يطلع
رأسك وأضراسك الى الدنيا قال الاعرابى ما عندك الا ماأرى
قال الغضبان بلى عندي هراوتان اضرب بهما رأسك حتى
تنتثر دماغك قال الاعرابي انا لله وانا اليه راجعون قال الغضبان
أظلمك أحد قال الاعرابي ما أرى ثم قال الاعرابى يا آل حارث
ابن كعب فقال الغضبان بئس الشيخ ذكرت قال الاعرابى ولم
ذلك قال الغضبان لان ابليس يسمى حارثاً قال الاعرابى انى
لأحسبك مجنوناً قال الغضبان اللهم اجعلني من خيار الجن
قال الاعرابي اني لأظنك حرورياً قال الغضبان اللهم اجعلني

ممن يتحرى الخير قال الاعرابي اني لاراك منكرا قال الغضبان
اني لمعروف فيما أوتى . فولى عنه وهو يقول : انك لبذخ احمق،
وما أنطق الله لسانك الا بما أنت لاق وعما قليل تلتف ساقك
بالساق . فلما قدم الغضبان على الحجاج قال له أنت شاعر ؟ قال
لست بشاعر ولكني خائر قال أفعراف انت قال بل وصاف
قال كيف وجدت أرض كرمان؟ قال الغضبان : أرض ماؤها
وَشَل وسهلها جبل، وثمرها دَقَل[1] واصها بطل، ان كثر الجيش بها
جاعوا وان قلّ بها ضاعوا . قال صدقت أعامت من كان الاعرابي؟
قال لا قال كان ملك خاصمك فلم تفقه عنه لبذخك اذهبوا به
الى السجن فانه صاحب المقالة: تغدي الحجاج قبل ان يتعشاك .
وأنت يا غضبان قد أنذرك خصمك على نطق لسانك فما الذي
به دهاك قال الغضبان جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين اما انها
لا تنفع من قيلت له ولا تضر من قيلت فيه فقال الحجاج: اجل
ولكن اتراك تنجومني بهذا والله لأقطعن يديك ورجليك
ولاضربن بلسانك عينيك . قال الغضبان : أصلح الله الامير قد
آذاني الحديد وأوهن ساقي القيود فما يخاف من عدلك البريء

---

(١) الدقل محركة أردأ التمر

ولا يقطـع من رجائك المسيء ، قال الحجاج انك لسمين قال الغضبان القيد والرتعة ومن يك ضيف الامير يسمن . قال إنا حاملوك على الادهم قال الغضبان مثل الامير أصلحه الله يحمل على الادهم والاشقر ،قال الحجاج: انه لحديد قال الغضبان لأن يكون حديداً خير من أن يكون بليداً قال الحجاج اذهبوا به الى السجن ، قال الغضبان: «فلا يستطيعون توصية ولا الى أهلهم يرجعون» فاستمر في السجن الى ان بني الحجاج خضراء واسط فقال لجلسائه كيف ترون هذه القبة قالوا اما رأينا مثلها قط قال الحجاج: اما ان لها عيباً فما هو ؟ قالوا ما نرى بها عيباً قال سأبعث الى من يخبرني به فبعث. فاقبل بالغضبان وهـو يرسف في قيوده فلما مثل بين يديه قال له يا غضبان كيف قبتي هذه قال أصلح الله الامير نعمت القبة حسنة مستوية قال اخبرني بعيبها قال: بنيتها في غير بلدك لا يسكنها ولدك ومع ذلك فانه لا يبقى بناؤها ولا يدوم عمرانها وما لا يبقى ولا يدوم فكأنه لم يكن . قال الحجاج صدق ردوه الى السجن فقال الغضبان أصلح الله الامـير قد اكلني الحديد وأوهن ساقي القيود وما أطيق المشي قال احملوه فلما حمل على الايدي قال : «سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا

له مقرنين»، قال انزلوه قال «رب انزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين» قال الحجاج جروه قال الغضبان وهو يجر «بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم» قال الحجاج اضربوا به الارض فقال: «منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى» فضحك الحجاج حتى استلقى على قفاه ثم قال ويحكم قد غلبني والله هذا الخبيث اطلقوه الى صفحي عنه قال الغضبان «فاصفح عنهم وقل سلام» فنجا من شره باذن الله وكانت براءته فيما انطلق على لسانه.

﴿ حرب الحجاج مع ابن الاشعث وقتله ﴾ قال وذكروا ان الحجاج لما قدم العراق أميراً زوج ابنه محمداً ميمونة بنت محمد بن الاشعث بن قيس الكندي زغبة في شرفها مع ما كانت عليه من جمالها وفضلها في جميع حالاتها وأراد من ذلك استمالة جميع أهلها وقومها الى مصافاته ليكونوا له يدا على من ناوأه. وكان لها أخ يقال له عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث الكندي له ابهة في نفسه وكان جميلا بهيا منطقيا مع ما كان له من التقدم والشرف فازدهاه ذلك وملأه كبراً ونخراً وتطاولاً فالزمه بنفسه والحقه بأفاضل أصحابه وخاصته وأهل سره وأجري عليه المطايا

الواسعة صلة لصهره وحباً لاتمام الصنيعة اليه والى جميع أهله فأقام عبد الرحمن كذلك حينا مع الحجاج لايزيده الحجاج الا اكراما ولا يظهر له الا قبولا وفي نفس الحجاج من عجبه مافيها لتشمخه زاهيا بأنفه حتى انه كان ليقول اذا رآه مقبلا: أما والله ياعبد الرحمن انك لتقبل علي بوجه فاجر وتدبر عني بقفاء غادر وأيم الله لتبتلين حقيقة أمرك على ذلك . فمكث بهذا القول منه دهراً حتى اذا عيل صبر الحجاج على مايتطلع من عبد الرحمن أراد ان يبتلي حقيقة ما يتفرس فيه من الغدر والفجور وان يبدي منه ما يكتم من غائلته فكتب اليه عهده على سجستان . فلما بلغ ذلك أهل بيت عبد الرحمن فزعوا من ذلك فزعاً شديداً فأتوا الحجاج فقالوا له اصلح الله الامير انا أعلم به منك فانك به غير عالم ولقد أدبته بكل أدب فأبي ان ينتهي عن عجبه بنفسه ونحن نخوف ان يفتق فتقا أو يحدث حدثا يصيبنا فيه منك مايسؤنا فقال الحجاج القول كما قلتم والرأي كالذي رأيتم ولقد استعملته على بصيرة فان يستقم فلنفسه نظر وان يفترج سبيله عن بصائر الحق يهدي ان شاء الله . فلما توجه عبد الرحمن الى عمله توجه وهو مصرّ خلمان طاعة الحجاج

وسار بذلك مسيره أجمع حتى نزل مدينة سجستان ثم مر على خلمانه عاما كاملا فلما أجمع عبد الرحمن على اظهار خلمان الحجاج كتب الى أيوب بن القرّية التيمي وهو مع الحجاج في عسكره خاص المنزلة منه وكان مفوّها كليما يسأله ان يصدر اليه رسالة الى الحجاج يخلع فيها طاعة الحجاج فكتب له ابن القرّية رسالة فيها : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الرحمن بن محمد ابن الاشعث الى الحجاج بن يوسف سلام على أهل طاعة الله وأوليائه الذين يحكمون بعدله، ويوفون بعهده، ويجاهدون في سبيله ويتورعون لذكره ولا يسفكون دما حراما، ولا يعطلون للرب أحكاما ولا يدرسون له اعلاما ولا يتنكبون النهج ولا يبرمون السيّ، ولا يسارعون في البغى، ولا يدللون الفجرة ولا يتراضون الجورة ، بل يتمكنون عند الاشتباه ويتراجعون عند الاساءة، أما بعد فاني أحمد الله حمداً بالغا في رضاه منتهيا الى الحق في الامور الحقيقية لله علينا. وبعد فان الله أنهضني لمصاولتك وبعثني لمناضلتك حين تحيرت أمورك وتهتكت ستورك فاصبحت عريان حيران مهينا لا توافق وفقا ولا ترافق رفقاء ولا تلازم صدقا أؤمل من الله الذى ألهمني ذلك أن يصيرك

في حبالك وان يجيء بك في القرن ويسحبك للذقن وينصف منك من لم تنصفه من نفسك ويكون هلاكك بيدي من اتهمته وعاديته . فلعمري لقد طال ماتطاولت وتمكنت وأخطيت وخلت ان لن تبور ، وأنت في فلك الملك تدور ،وأظن مصداق ماأقول ستخبره عن قريب فسر لامرك ولاق عصابة خلقك من حيالها خلفها نعالها وتدرعت حلالها تدرعها مطالها لايحذرون منك جهداً ولا يرهبون منك وعيداً يتأملون خزايتك ويتجرعون إمارتك عطاشا الى دمك يستطمعون لله لحمك وأيم الله لينافقك منهم الابطال الذين بيتهم فيما يحاولونك به على طاعة الله شروا أنفسهم تقربا الى الله فاعض عن ذلك ياابن أم الحجاج فستحمل عليك ان شاء الله ولا حول ولا قوة الا بالله والسلام على أهل طاعة الله . فلما قدم الكتاب على الحجاج خرج مواثلا قد أخذ بطرف ردائه والقى الطرف الآخر يجره من خلفه. حتي صعد المنبر ونودي الصلاة جامعة فاجتمع الناس . ثم قال:

نقاتلهم ولا نشتم عدواً * وشر عداوة المرء السباب

. امرؤ وعظ نفسه بنفسه، امرؤ تعاهد غفلة نفسه وتفقدها جهده، امرؤ وُعظ بغيره فاتعظ ، قد تبين لكم ماتأتون وما

تبغون العجب العجب وما هو أعجب من العيْر الأ بـتر انى وجهته ومن معه من المنافقين سبعمائة وزن سبعة سواءفانطلقوا في نحور العـدو ثم اقبلوا على زاياتهم لقتال أهل الاسلام من أجل عـيراً بترومن كيده ماهو اعجب العجب على حين اناقد أمنا الخوارج واطفأنا الفتن وتتابعت اليهم فـكان من شـكركم ياأهل العراق ليد الله فيكم ونعمته عليكم واحسانه اليكم جرْأتكم على الله وانتهاككم حرمته واغتراركم بنعمة الله ألم يأتـكم شبيب مهزوماً ذليلا فهلا توجهت اليه منكم خمسة وعشرون أمير جيشٍ ليس منهـم من أمير جيشٍ الا وهو في جنـده بمنزلة العروس التي يزف بها الى خـدرها فيقتل أميرهم وهم وقوف ينظرون اليه لا يرون له حرمة في صحبة ولا ذماماً في طاعة فقبحت تلك الوجوه فمـا هـذا الذي يتخوف منـكم ياأهـل العراق أما هـذا الذي يتقي والله لقد أكرمنا الله بهوانـكم وأهانكم بكرامتنا في مواطن شتى تعرفونها وتعرفون أشياء حرمكم الله اتخاذها وما الله بظلام للعبيد ، ثم خذلانكم لهذه العلوجاء[1] المقصصة انحرافاً أولهذه العلوجاء واخلاطها من أهل

---

(١) العلوجاء جمع علج وهو الرجل الشديد الغليظ .

العراق ، لقد هممت ان أترك بكل سكك منهاجيفا منتفخين شائلة أرجلهم تنهشهم الطير من كل جانب . يا أهل الشام أحدوا قلوبكم واحدوا اسيوفكم ثم قال :

قد جد أشياعكم فجدوا * والقوس فيها وتر عَرَدْ

* مثل ذراع البَكر او أشد *

هيهات ترك الخداعَ من أجري من المائة ، ومن لم يذد عن حوضه يُهدّم ، وأرى الحزام قد بلغ الطُّبيين ، والتقت حلقتا البطان[1] ،ليس سلامان كعهدان[2]،انا ابن العرفة وابن الشيخ الاغر ، كذبتم ورب الكعبة ما الرأى كما رأيتم ولا الحديث كما حدثتم فافطنوا العيوبكم وايا كم أن أكون أنا وأنتم كما قال القائل:

انك ان كلفتني ما لم أطق * ساءك ماسرّك مني من خلق

والمخبر بالعلم ليس كالراجم بالظنون ، فالتقدم قبل التندم، وأخو المرء نصيحته . ثم قال :

لذى العلم قبل اليوم ماتقرع العصا * وما علم الانسان الا ليعلما

ثم قال: أحمدوا ربكم وصلوا على نبيكم صلى الله عليه وسلم . ثم نزل وقال:

---

(١) تضرب مثلا لما جاوز الحد (٢) العهدان العهد اي ليس كما عهدت . يضرب مثلا لما تغير عما كان قبل وسلامان اسم مكان.

اكتب يا نافع وكان نافع مولاه وكاتباً يكتب بين يديه: بسم الله لرحمن الرحيم من الحجاج بن يوسف الى عبد الرحمن بن الاشعث سلام على اهل النزوع من التزيغ واسباب الرداء لا الى معادن السيّ والتقحم في الغي فاني أحمد الله الذي خلاك في حيرتك اذبهتك في السيرة، ووهلك للضرورة، حتي أقحمك أموراً أخرجك بها عن طاعته ، وجانبت ولايته ، وعسكرت بها في الكفر ، وذهلت بها عن الشكر، فلا تشكر فى السراء، ولا تصبر في الضراء، اقبلت مستنا بحريم الحَرّة وتستوقد الفتنة لتصلى بحرها وجلبت لغيرك ضرها وقلت وثاق الاحتجاج، ومبارزة الحجاج، ألا بل لامك الهبل وعزة ربك لتُسكِنّن لنحرك، ولتقلبن لظهرك، ولتتخبطن فريصتك ، ولتدحضن حجتك ، ولتذمن مقامك ، ولتشغلن سهامك، كأني بك تصير الى غير مقبول منك الا السيف هَوْجاً هوجا عند كشوف الحرب عن ساقها ومبارزة إبطالها والسلام على من أناب الى الله وسمع وأجاب. ثم قال: من ها هنا من فتية بني الاشعث بن قيس؟ قيل سعيد بن جبير قال فأتي به قال له انطلق بهذا الكتاب الى هذه الطاغية الذى قد فتن فاردعه عن قبيح مادخل فيه وعظيم ما أصر عليه من حق الله وحرمة

ما انتهك عدو الله الي ما فى ذلك من سفك الدماء واباحة الحريم وانفاق الاموال فاني لولا معرفتي بانك قد حويت علما وأصبت فقهاً أخاف أن يكون عليك لا لك لعهدت لك به عهداً تقفل به ولكن انطلق مرتك هذه قبل الكتاب اليه واحمله على البريد • فخرج سعيد به متوجها حتي انتهي اليه • فلما قرأ عبد الرحمن الكتاب تبينت رعشته جزعا منه وهيبة له وسمع بذلك من كان يبايعه وهوى كالذي هوى وضم سعيد بن جبير فلم يظهره للناس وكتم الكتاب وجعل يستخلي بابن جبير في الليل فيسمر معه ويسأله عبد الرحمن الدخول معه فيما رأى هو من خلع الحجاج فابى سعيد ذلك عليه فمكث بذلك شهراً كريتاً[1] فأسعفه سعيد بن جبير بطلبته وسارع معه في زغبته وخلعان طاعة الحجاج ثم ان عبد الرحمن تجهز من سجستان مقبلا يقود من يقوده من أهل هواه وأهل رأيه وخرج الحجاج اليه بمن معه من أجناده من أهل الشام وبمن معه يومئذ من أهل الطاعة من أهل العراق حتى لقيه بدير من اديار الاهواز يسمى بنيسابور فناصبه للقتال ستة أشهر كريتة لا له ولا عليه حتى اذا

(١) يقال شهر كريت ويوم كريت وعام كريت أى تام العدد •

كان في جوف ليلة من الليالي خلا الحجاج بعنبسة بن سعيد بن العاص ويزيد بن أبي مسلم مولاه وحاجبه على ما وراء بابه وأما يحيي فوكله بالقيام خلف ظهره اذا هو نسي أو غفل نخسه بمنخسة ثم قال اذكر الله يا حجاج فيذكر ما بدا له ان يذكر . واما زياد فكان ذا رأي ومشورة وأدب وفقه ونصيحة . وأما عنبسة فكان بعيد الهمة طويل اللسان بديه الجواب فاصل الخطاب موفق الرأي فاستشارهم لما طال به وبعبد الرحمن القتال لا يظفر واحد منهما بصاحبه ومع عبد الرحمن سعيد بن جبير والشعبي فكان هذا فقيه أهل الكوفة وهذا فقيه أهل البصرة في ان يبيته فكره ذلك مواليه وأشار عنبسة ان يبيته فقال الحجاج أصبت أصاب الله بك الخير وما الامر الا النصيحة والرأي شعوب فمخطئ منها ومنها مصيب غدا الاثنين فصوموا ونصوم واستعينوا الله بالخيرة ونبيتهم الليلة المقبلة ليلة الثلاثاء فسوف أترجل ويترجل أهل مودتي ونصيحتي من ولدي وغيرهم ففعل . وأصبح صائما وبيتهم ليلة الثلاثاء وهو يقول : اللهم ان كان الحق لهم فلا تمتنا على الضلالة وان كان الحق لنا فانصرنا عليهم . فحمل عليهم والنيران توقد فأصاب منهم وأصيب منه وانهزم ابن الاشعث

في سواد الليل وأصاب الحجاج عسكره واسر سعيد
ابن جبير وأفلت عامر بن سعيد الشعبي مع ابن الاشعث فلما
أتي الحجاج بسعيد بن جبير قال له: ويحك ياسعيد اما تستحي
مني ومدك الشيطان في طغيانك الا استحييت من المراقب لي
ولك والحافظ على وعليك فقال: اصلح الله الامير وامتع به هي
بلية وقعت وعذاب نزل والقول كما قال الامير وكما نسبه به
واضافه اليه الا اني آتيت رجلا قد ازهي واطغى ولبسته الفتنة
وركب الشيطان كتفيه ونفث في صدره واملى على لسانه نخفته
واتقيته بالذي فعلت فإن تعاقب فبذنب وان تعف فسجية منك
فقال له الحجاج فإنا قد عفونا عنك وسنردك اليه تارة اخرى .
ثم كتب كتابا ووجهه مع سعيد بن جبير الى عبدالرحمن فلما كان
سعيد ببعض الطريق خرق الكتاب وقدم على عبدالرحمن فأخبره
فنفر عبد الرحمن وخرج موائلا الى أهل البصرة وقد قدمت
عليه كتبهم يستبطؤنه ويستعجلونه حتي قدم عليهم وبلغ ذلك
الحجاج فسبقهُ الى البصرة فدخل الحجاج المسجد متنكباً
قوسا فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه وحرض الناس على قتال
ابن الاشعث وحضهم على طاعة عبد الملك وتكلم رجل من

أهـل البصرة يقال له سلمة المنقرى من بني تميم وكان رجلا منطقيا وله هوى في الخوارج وكان الحجاج به خابراً فلما رآه عرف انه يريد الكلام فقال له ادن ياسلمة فدنى فقال له قل فقال: قد رضينا بالله رباً وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماماً وبأمير المؤمنين خليفة وبالحجاج بن يوسف والياً والله لوكنا زمعاً وبنى [١] زمع مارضينا ان نكون تبعاً لهذا الحائك ءأمير المؤمنين أعزه الله وأعز أمره أقرب قرابة وأوجب حقا ونحن ألزم لطاعة الأمير أكرمه الله من ان نسارع له في معصية أو نبطىء عنه في طاعة . فأجابه الحجاج فقال: ياسلمة هذا قول حسن لاأدخله صدرى ولأردنه فى نحرك حتى نبتلي حقيقته ان شاء الله . وكان قوله هذا على المنبر وقدعسكر باجناده بالزاوية والزاوية في طرف من ناحية البصرة في طرف بني تميم . ثم انه خرج من المسجد وحشد الناس من كان في الطاعة يومئذ من أهل العراق وقد كان انهزم لابن الاشعث غير مامرة وقتل له ابن الاشعث خلقاً لاتحصى كثرة قبل هذه المرة حتى يئس من نفسه وقال

---

(١) يريد بالزمع هنا سفلة الناس واخسائهم واحدتها زمعة وهى شعرات مدلات فى مؤخر رجل الشاة والظبي وراء الظلف

أترون العجوز ابنة الرجل الصالح كذبتني يعني أسماء بنت أبي بكر الصديق لئن صدقت أسماء لاأقتل اليوم . وكان الحجاج لما فرغ من قتال عبد الله بن الزبير بعث الى أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق ان تأتيه فأبت ان تأتيه فقال والله لئن لم تأتني لابعثن اليها من يجر بقرون رأسها ويسحبها حتى تصل الي فقيل ذلك لها فقالت والله لا أسير اليه حتى يبعث الي من يجر بقرون رأسي . فأقبل الحجاج حتى وقف عليها فقال لها كيف رأيت مافعل الله تعالى بابنك عدو الله الشاق لعصا المسلمين المفني لعباده والمشتت لكلمة أمة نبيه . فقالت : رأيته اختار قتالك فاختار الله له ماعنده اذ كان اكرامه خيراً من اكرامك ولكن ياحجاج بلغني انك تنتقصني بنطاقيّ هذين أو تدري مانطاقي أما النطاق هذا فشددت به سفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غزوة بدر وأما النطاق الآخر فاوثقت به خطام بعيره فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ان لك به نطاقان في الجنة، فانتقص على بعد هذا أودع ولكن لاأخالك ياحجاج ابشر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : منافق ثقيف يملأ الله به زاوية من زوايا جهنم

يبيد الخلق ويقذف الكعبة باحجارها الا لعنة الله عليه ، فافحم
الحجاج ولم يجد جوابا قال وسار ابن الاشعث بعدما هزم الحجاج
مراراً الى الكوفة حتى نزل دير الجماجم فقتل للحجاج فيه
خلق كثير وكتب الى عبد الملك بن مروان ان أمدني بالرجال
فأمده بمحمد بن مروان فى أناس من بني أمية كثير وجعل
الحجاج أميرا عليهم فسار الحجاج الى ابن الاشعث فاقتتلوا
أياماً بدير الجماجم حتى كثر القتل في الفريقين جميعاً ثم ان ابن
الاشعث لما حشد والحجاج بالبصرة عسكر علي مسير
ثلاثة أيام من البصرة على نهر يقال له نهر ابن عمر فكتب
ابن الاشعث يسأله ان يتنحى عنهم لما كرهوا ولايته حتى
يستعمل عليهم أمير المؤمنين غيره من هو أحب اليهم منه فلما
انتهى اليه رسوله قال الحجاج ادخلوه فلما دخل سلم عليه بالامارة
قال من أنت قال رجل من خزاعة قال من أهل البصرة أنت
أم من أهل الكوفة قال لا بل من أهل سجستان قال هل
تأخذ لامير المؤمنين ديوانا قال لا قال أفمن وزراء ابن الاشعث
أنت علينا فى هذه الفتنة ياأخا خزاعة قال والله ما هويتها ولقد
جلبني اليك مُكرَهاً قال فكيف تسليمك على صاحبك اذا

انصرفت اليه قال بالامرة قال فهل ترى في ذلك انك صادق قال الله أعلم بأي الامرين هو في نفسك أعلى الصواب أم على الخطأ قال الله أعلم أى الامرين في نفسي قال أما انك يا أخا خزاعة قد رددت الامر اليه وهو تعالى اعلم انطلق الى صاحبك بكتابك كما جئت به واعلمه بالذي كان من ردنا عليك فانه جوابه عندنا ونحن مناجزوه القتال ومحاكموه الى الله من يوم الاربعاء ان شاء الله . فليعد وليستعد لذلك فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وذلك يوم الاحد . فلما انصرف رسوله اليه ناوله الكتاب فلما رآه بخاتمه (أي مثل مافعله) كف فلم يسأله امام من حضر حتى ارتفع الناس ثم دعاه فاخبره الخبر قال وما وراء ظهرك الا هذا قال له في دون ماجئتك به مايكفيك فقد رأيت أمراً صعباً ليس وراءه الا المناجزة ثم ان الحجاج هتف هتفة ان اجتمعوا للعطية ففرق العطية في ثلاث مواضع وكان قواده يومئذ ثلاثة :سفيان بن الابرد الكلبي على ميمنته وسعيد بن عمر والجرشى على القلب وعبد الرحمن بن عبد الله العكى على ميسرته فاعطى الناس على هذا وأقام في معسكره متربصاً ومنتظراً ليوم الاربعاء . فلما

رأى ابن الاشعث انه لا يتقدم لقتاله وانه متربص ليوم الاربعاء بعث رجلا من معسكره حتى دنى من معسكر الحجاج فنزل قريباً منه على مقدار حضر الفرس رجاء ان يتحرش له أحد من معسكر الحجاج فينشب القتال قبل يوم الاربعاء فراراً منه وتطيراً به فلما رأى الحجاج ذلك علم ما أراده والذي توقع فتقدم الى أمراء اجناده وقواده والى أهل عسكره عامة الا يكلم أحد منهم أحدا من عسكر ابن الاشعث ولا يعرضه نفسه وان أمكنته الفرصة منه الى يوم الاربعاء فلما كان صبيحة يوم الاربعاء وهو يوم يتطير به أهل العراق فلا يتنا كحون ولا يسافرون فيه ولا يدخلون من سفر ولا يبايعون فيه بشيء ولا بالبغل الاغر الاشقر فدعا الحجاج ببغلة شقراء محجلة فركبها خلافا لرأيهم واستشعاراً بطيرتهم وتوكلا على الله ونادى مناديه في عسكره ان انهضوا الى قتال ابن الاشعث وأمر خاصته فركبوا معه وقدم رجالته واخر خلفه مقاتلته حتى اذا كانوا من عسكر ابن الاشعث على مثال السهم وقف فصف أصحابه وعبأهم للقتال وفعل مثل ذلك ابن الاشعث وترجل الحجاج وخاصته ووضع له منبراً من حديد فجلس عليه وترامي الناس حتى اذا

كاد القتال ينشب خرج رجل من أصحاب ابن الاشعث وهو
ينادي الا مبارز فقام اليـه عنبسة بن سعيد القرشي وهو
يمشي مشية كان قد لامه الحجاج عليها وكرهها له فلما رآه الحجاج
وهو يمشي تلك المشية قال الحجاج ظلمتك ياعنبسة لو كنت
تاركها يوما من دهرك لتركتها يومك هـذا فلما دنى من
الرجل قال له عنبسة فمن أنت ياشيخي فقال رجل من بني تميم ثم
من بني دارم فحمل عليه عنبسة فبدره بالضربة فقتله ثم انصرف
الي مجلسه فجلس وقـد تبين للناس حُسْن صنْعه ثم زحف
الفريقان بعضهم الى بعض واشتد قتالهم وانتحي سفيان على
مركزه لم يَرِمْ والجرشي على مركزه لم يَرمْ وكانت ميلتهم على
الميسرة فنحوا عبدالرحمن العكي فلما رأى الحجاج قد انكسرت
ناحيته وزال عنها بعث اليه ابن عمه الحكم بن أيوب فى خيل
فقال انطلق الى عدو الله فاضرب وجهـه بالسيف حتى ترده
الي مقامه ففعل وبعث الى سفيان بن الابرد يأمره بقتال القوم
ومحاربتهم فحمل عليهم سفيان وهم مشغولون بالميسرة قد طمعوا
فيها وكان باذن الله الفتح والغلبة من ناحية سفيان وقد بعث
اليه الجرشي يستأذنه للقتال فمنعه الحجاج وقال له لا الا أن ترى

أمراً مقبلا وتمكنا من فرصة فاجتمع الامر وثاب العكى وانهزم ابن الاشعث واستحقت هزيمته فدعا الحجاج بدابته فركبها وركب من كان مرتحل معه بعد سجود ودعاء وشكر كان منه على ماصنع الله به ومن كان معه وحمدوا الله تعالى كثيرا وكبروه تكبيرا عاليا ثم انتهوا الى ربوة فأومأ اليها ثم استقبل ناحيتهم والسيوف تأخذهم وجسر بيضته عن رأسه فجعل يقرع رأسه بخيزُران في يده وهو يتمثل بهذه الابيات وهي من قول عبيد ابن الابرص أومن قول اليشكرى (١) :

كيف ترجون سقوطي بعدما * جلَّل الرأسَ بياضٌ وصلَعْ

ساء ماظنوا وقد اوريتهم * عند غايات المدى كيف اقع

رُبّ من انضجت غيظا قلبه * قد تمني لي موتا لم يُطع

ويراني كالشجَّي في حلقه * عسراً مخرجه ما ينتزع

مزْبد يهدِر مالم يرني * فاذا أسمعته صوتى انقمع

ويحييني اذا لاقيته * واذا يخلوله لحمى رتع

ورث البغضاء عن والده * حافظا منه الذى كان استمع

ولسانى صيرفيّ صارم * كذباب السيف ماس قطع

---

(١) الصحيح على مارأيناه من نقل الثقات انها لسويد بن أبي كاهل اليشكرى

قال فلما فرغ الحجاج من هذه الابيات كبر ثم حمد الله بما هو اهله للذي كان من صنعه فبيناهو كذلك اذ اتاه من يخبره أن ابن الاشعث قد انخذل من اصحابه في نفريسير متوجها الى ناحية خراسان فدعا الحجاج ابن عم له كان يعرفه بالنصيحة والهوى فقطع معه ليلا وأرسله في طلب ابن الاشعث الى مواضع شتى وعهد اليهم ان لا يدركوا أحداً الا أتوا به أو برأسه أو يموت فوقف طويلا في مكانه ذلك المرتفع ينظر الي معسكر ابن الاشعث وأصحابه ينتهبونه ثم رجع الى معسكره فنزل ودخل فسطاطه فجلس وأذن لاصحابه فدخلوا عليه فقام كل واحد منهم يهنئه بالفتح وجعل ابن جبلة يأتيه بالاسرى فكلما أوتى باسير أمر به فضربت عنقه فكان ذلك فعله يومه ذلك الى الليل فلما اصبح وتراجع اليه أكثر خيله أمر مناديه ينادى بالقفل فقفل وقفلت معه اجناده وجميع أصحابه الي مدينة واسط فكان فيها وهو الذي بناها وضرب ابن الاشعث ظهراً لبطن ليلا ونهاراً حتى لحق بخراسان ورجا في لحوقه بها النجاة من الحجاج والحذر لنفسه ولم يشعر بالخيل التي في طلبه حتى غشيته فلم تزل تطلبه من موضع الي موضع حتى استغاث بقصر

منيف فحصره ابن عم الحجاج فيه وأحاطت به الخيل من كل
جانب حتى ضيق عليه ودعا بالنار ليحرقه في القصر فلما رأى
ابن الاشعث انه لامحيص له ولا ملجأ وخاف النار فرمى بنفسه
من بعض علالى القصر وطمع ان يسلم ولا يشعر به فيدخل
في غمار الناس فيخفى أمره ويكتم خبره فسقط فانكسرت
ساقه وانخذل ظهره ووقع مغشيا عليه فشعر به أصحاب الحجاج
فأخذوه وقد أفاق بعض الافاقة ولا يقدر على النهوض فأتوا به
الى ابن عم الحجاج فلما رآه بتلك الحال ايقن انه لا يقدر على ان
يبلغ الحجاج حتى يموت فأمر به فضربت رقبته وانطلق برأسه
الى الحجاج فلما قدم عليه أحدث لله شكراً وحمداً فيما كان من
تمام الصنع وما هيأ له من التأييد والظفر وأقام كذلك لا يمر
عليه يوم الا وهو يؤتى فيه باسري فلما رأى كثرتهم ازداد حنقاً
وغيظا لمسارعتهم في اتباع ابن الاشعث ومخالفتهم عن الحجاج
فيأمر بقتلهم حردا على الخوارج ورجاء ان يستأصلهم فلا يخرج
عليه خارجى بعدها فلما رأى كثرة من يؤتى به من الاسرى
تحرى فجعل اذا أوتي بأسير يقول له: أمؤمن أنت أم كافر
ليعرف بذلك الخوارج من غيرهم فمن باء على نفسه بالكفر

والنفاق عفى عنه ومن قال أنا مؤمن ضرب عنقه . وأسر
عامر بن سعيد الشعبي فيمن أسر وكان مع ابن الاشعث في
جميع حروبه وكان خاص المنزلة منه ليس لاحد منه مثلها
للذى كان عليه من حاله الا سعيد بن جبير، وأفات سعيد ابن
جبير فلحق بمكة وأوتي بالشعبي الى الحجاج في سوْرة غضبه
وهو يقتل الاسري الاول فالاول الا من باء على نفسه
بالكفر والنفاق فلما سار عامر بن سعيد الشعبي الي الدخول
عليه لقيه رجل من صحابة الحجاج يقال له يزيد بن ابي مسلم
وكان مولاه وحاجبه فقال: يا شعبي لهفى بالعلم الذى بين دفتيك
وليس بيوم شفاعة اذا دخلت على الامير فبؤ له بالكفر والنفاق
عسى ان تنجو فلما دخل على الحجاج صادفه واضعاً رأسه لم يشعر
فلما رفع رأسه رآه قال له وأنت أيضاً ياشعبي فيمن أعان علينا
وألب قال: اصلح الله الامير اني أمرت بأشياء أقولها لك
أرضيك بها وأسخط الرب ولست أفعل ولكني أقول اصلح
الله الامير وأصدقك القول فان كان شيء يقع بين يديك فهو
في الصدق ان شاء الله : أحزن بنا المنزل واجدب الجناب
وا كتحلنا السهر واستحلسنا الخوف وضاق بنا البلد العريض

فوقعنا في حرب لم يكن فيها بررة أتقياء، ولا فجرة أقوياء. فقال له الحجاج كذلك قال نعم اصلح الله الامير وأمتع به قال فنظر الحجاج الى أهل الشام فقال صدق والله ياأهل الشام ما كانوا بررة أتقياء فيتورعوا عن قتالنا ولا فجرة أقوياء فيقووا علينا ثم قال: انطلق ياشعبي فقد عفونا عنك فأنت أحق بالعفو ممن يأتينا وقد تلطخ بالدماء ثم يقول كان وكان. قال وكان قد أحضر بالباب رجلان أحدهما من بكر بن وائل والآخر من تميم وكانا قد سمعا ما قيل للشعبي بالباب ان يقوله فلما أدخلا قال الحجاج للبكري امنافق أنت قال نعم اصلح الله الامير لكن أخو بني تميم لايبوء على نفسه بالنفاق . قال التميمي: انا على دمي أخدع أصلح الله الامير منافق مشرك. فتبسم الحجاج وأمر بتخلية سبيلهما . قال الشعبي فوالله ماأتى لذلك الامر الا نحو من شهرين حتى رفعت اليه فريضة أشكلت عليه وهي أم وجد وأخت فقال من هاهنا نسأله عنها قال فدل عليّ فارسل الي وقال ياشعبي ماعندك في هذه الفريضة أم وأخت وجد. فقلت: اصلح الله الامير قال فيها خمسة من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قال: من قال فيها ؟ قلت قال فيها علي بن

أبي طالب وأمير المؤمنين عثمان بن عفان وعبد الله بن عباس،
وعبدالله بن مسعود وزيد بن ثابت . قال : هات ما قال فيها
علي؟ فاخبرته قال فما قال فيها ابن مسعود فاخبرته قال فما قال
فيها ابن عباس فوالله لقد كان متقفا فاخبرته قال فما قال فيها أمير
المؤمنين عثمان فاخبرته قال فما قال زيد بن ثابت قلت أخذها من
تسعة أسهم فاعطى الام ثلاثة أسهم واعطى الجد أربعة أسهم،
واعطى الاخت سهمين فلما سمع ما كان من قول كل واحد
منهم وعرف رأيهم فيها قال ياغلام قل للقاضي يمضيها على ما قال
أمير المؤمنين عثمان . قال الشعبي ودخلت عليه الترك قد
شدوا اوساطهم بعمائمهم وانتزعت السيوف من اعناقهم وأخذوا
الطوامير بأيمانهم فدخل عليه رجل من قبل أمير المؤمنين عبد
الملك فقال له الحجاج كيف تركت أمير المؤمنين وأهله وولده
وحشمه فانبأه عنه وعنهم بصلاح فقال ما كان وراءك من غيث
قال نعم أصلح الله الامير أصابتني سحابة في موضع كذا فوادٍ
سائل وواد نازع ، فارض مدبرة وارض مقبلة حتي صدعت عن
الكمأة أماكنها فما أتيتك الا في مثل مجرى الضب فقال للحاجب
ائذن للناس فدخل عليه رجل أتاه من قبل نجد فقال له ما كان

وراءك من غيث فقال كثير الاعصار وأغبر البلاد وأ كل ما
اشرف من الحشيشة فاستيقنا انه عام سنة . فقال بئس المُخبِر
انت قال اخبرتك بالذى كان فقال للحاجب ائذن للناس فدخل
عليه رجل أتاه من قبل اليمامة فقال هل كان وراءك من غيث
قال نعم وسمعت الرُّواد يدعون الي ريادها وسمعت رائدا يقول
هلموا اطعمكم محلة تطفو فيها النيران وتشتكي فيها النساء وتنافس
فيها المعز فقال له ويحك انما تحدث أهل الشام فافهمهم فقال
أصلح الله الامير اما تطفو النيران فيستكثر فيها الذبد واللبن
والثمر فلا توقد ناراً واما ان يشتكى النساء فانه من جذبها على
ابريق لبنها فتظل تمخض لبنها فتبيت ولها انين من عضديها
وأماتنافس المعز فانها ترأم من نوار النبات والوان الثمر مايشبع
بطونها ولا يشبع عيونها فتبيت وقد امتلأت اكراشها من
الكِظَّة (١) شرة تنزل به الدرة . ثم قال للحاجب ائذن للناس
فدخل عليه رجل من الموالى كان اشجع الناس في زمانه يقال
له عمرو بن الصلت فقال له الحجاج هل كان وراءك من غيث
قال نعم أصلح الله الامير أصابتني سحابة بموضع كذا وكذا فلم

(١) الكظة البطنة أو شئ يعترى من امتلاء الطعام

ازل أطلب أثرها حتي دخلت على الامير فقال له الحجاج :أما والله لئن كنت في المطر أقصرهم خطبة انك بالسيف لاطولهم خطوة . ولما انهزم ابن الاشعث قام بعده عبد الرحمن بن عياش بن ربيعة فقاتل الحجاج ثلاثة أيام ثم انهزم فوقع بارض فارس ثم صار الى السند فمات هناك وتحصن ناس من أصحاب ابن الاشعث في قلعة بأرض فارس منهم عبد الرحمن بن الحارث بن نوفل والفضل بن عياش وعمرو بن موسى التميمى ومحمد بن سعد بن أبي وقاص وعبيد الله ومحمد واسحاق وعون بنو عبد الله بن الحارث في ناس من قريش ولحق سعيد بن جبير بمكة فاشعر به الحجاج فغفل عنه ولم يهيجه فبعث الحجاج يزيد بن المهلب فحاصرهم بفارس . قال أبو معشر حدثني عون قال كتب الينا يزيد بن المهلب ان اخبروني بآية بيني وبينكم حتى أخرجكم قال فكتب اليه عبد الله بن الحارث كنت يوم كذا وكذا في دارنا قال فأخرجته وبنيه فسكناه عمان واسر من بقي وأسروا اثني عشر رجلا من وجوه الناس عامتهم من قريش منهم عمرو بن موسى التميمى ومحمد بن سعد بن أبي وقاص فبعث بهم الى الحجاج

فحبسهم عنده وكتب الى عبد الملك يخبره بامرهم وجعل يذكر فى كتابه ان سعيداً قد أنكر الخروج مع هؤلاء القوم فكتب اليه عبد الملك يأمره بضرب اعناقهم ويقول في كتابه لم أبعثك مشفعاً وانما بعثتك منفذاً مناجزاً لاهل الخلاف والمعصية . فابرزهم الحجاج فقال لعمرو بن موسى ياعاتق قريش وكان شابا جميلا مالك انت وللخروج انما انت عاتق صاحب ثياب ولعب فقال عمرو ايها الرجل امض لما تريد فانما نزلت بعهد الله وميثاقه فان شئت فارسل يدى وقد برئت منى الذمة فقال له الحجاج كلا حتى اقدمك الى النار فضربت رقبته ثم جيء بمحمد بن سعد فقال له ياظل الشيطان وكان رجلا طويلا ألست بصاحب كل موطن انت صاحب الحرة وصاحب يوم الزاوية وصاحب الجماجم فقال له انما نزلت بعهد الله وميثاقه ارسل يدى وقد برئت منى الذمة قال لا حتي أقدمك الى النار ثم قال لرجل من أهل الشام اضرب لى مفرق رأسه فضرب فمال نصفه هاهنا ونصفه هاهنا ثم قتل الباقين

﴿ ذكر قتل سعيد بن جبير ﴾ قال وذكروا ان مسلمة ابن عبد الملك كان واليا على أهل مكة فبينما هو يخطب على المنبر

اذ أقبل خالد بن عبد الله القسري من الشام والياعليها فدخل المسجد فلما قضى مسلمة خطبته صعد خالد المنبر فلما ارتقى في الدرجة الثالثة تحت مسلمة اخرج طوماراً مختوما ففضه ثم قرأه على الناس فيه: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين الى أهـل مكة أما بعد فاني وليت عليكم خالد بن عبد الله القسري فاسمعوا له وأطيعوا ولا يجعلن امرؤ على نفسه سبيلا فانما هو القتل لاغير وقد برئت الذمة من رجل آوي سعيد بن جبير والسلام. ثم التفت اليهم خالد: وقال: والذي نحلف به ونحج اليه لاأجده في دار أحـد الا قتلته وهدمت داره ودار كل من جاوره واستبحت حرمته وقد أجلت لكم فيه ثلاثة أيام. ثم نزل ودعامسلمة برواحله ولحق بالشام. فأتى رجل الى خالد فقال له ان سعيد بن جبير بوادٍ من أودية مكة مختفياً بمكان كذا فارسل خالد في طلبه فأتاه الرسول فلما نظر اليه الرسول قال انما أمرت بأخذك وأتيت لأذهب بك اليه وأعوذ بالله من ذلك فالحق باي بلد شئت وانا معك قال له سعيد بن جبير: ألك هاهنا أهل وولد قال نعم قال انهم يؤخذون وينالهم من المكروه مثل الذي كان ينالنا قال الرسـول فاني

أكلهم الى الله فقال سعيد لا يكون هذا. فاتى به الى خالد فشده وثاقا وبعث به الى الحجاج فقال له رجل من أهـل الشام: ان الحجاج قد انذر به وأشعر قبلك فما عرض له فلو جعلته فيما بينك وبين الله لكان أزكى من كل عمل يتقرب به الى الله. فقال خالد وقد كان ظهره الى الكعبة قدا ستند اليها : والله لو علمت ان عبد الملك لا يرضى عني الا بنقض هذا البيت حجراً حجراً لنقضته في مرضاته . فلما قدم سعيد على الحجاج قال له ما اسمك قال سعيد قال ابن من قال ابن جبير قال بل أنت شقي ابن كسير قال سعيد أمي أعلم باسمي واسم أبي قال الحجاج شقيت وشقيت أمك قال سعيد الغيب يعلمه غيرك قال الحجاج لاردنك حياض الموت قال سعيد أصابت اذاً أمي اسمي فقال الحجاج لابدلنك بالدنيا ناراً تلظى قال سعيد ولو اني أعلم ان ذلك بيدك لاتخذتك الهاً قال الحجاج فما قولك في محمد قال سعيد : نبي الرحمة ورسول رب العالمين الى الناس كافة بالموعظة الحسنة، فقال الحجاج فما قولك في الخلفاء قال سعيد :لست عليهم بوكيل كل امرىء بما كسب رهين قال الحجاج اشتمهم أم امدحهم قال سعيد: لا أقول مالا أعلم انما استحفظت أمر نفسي . قال

الحجاج أيهم أعجب اليك قال : حالاتهم يفضل بعضهم على بعض قال الحجاج صف لي قولك في علي أفي الجنة هو ام في النار قال سعيد لو دخلت الجنة فرأيت أهلها علمت ولو رأيت من في النار علمت فما سؤالك عن غيب قد حفظ بالحجاب، قال الحجاج فاي رجل أنا يوم القيامة ؟ فقال سعيد أنا أهون على الله من ان يطلعني على الغيب ، قال الحجاج أبيت أن تصدقني قال سعيد بل لم أرد ان أكذبك فقال الحجاج فدع عنك هذا كله أخبرني مالك لم تضحك قط قال: لم أرَ شيئاً يضحكني وكيف يضحك مخلوق من طين والطين تأكله النار ومنقلبه الي الجزاء واليوم يصبح ويمسي في الابتلاء ، قال الحجاج فانا أضحك فقال سعيد كذلك خلقنا الله أطواراً قال الحجاج هل رأيت شيئاً من اللهو ؟ قال لا أعلمه . فدعا الحجاج بالعود والناي قال فلما ضرب بالعود ونفخ في الناي بكي سعيد قال الحجاج ما يبكيك قال: ياحجاج ذكرتني أمراً عظيما والله لا شبعت ولا رويت ولا اكتسيت ولا زلت حزيناً لما رأيت ، قال الحجاج وما كنت رأيت هذا اللهو فقال سعيد: بل هذا والله الخُرق أما هذه النفخة فذكرتني يوم النفخ في الصور وأما هذا المصران فمن

نفس ستحشر معك الى الحساب وأما هذا العود فنبت بحق وقطع لغير حق ، فقال الحجاج انا قاتلك قال سعيد قد فرغ من تسبب موتى قال الحجاج أنا أحب الى الله منك قال سعيد لا يقدم أحد على ربه حتى يعرف منزلته منه والله بالغيب أعلم ، قال الحجاج: كيف لا أقدم على ربي في مقامي هذا وأنا مع امام الجماعة وأنت مع امام الفرقة والفتنة قال سعيد ما أنا بخارج عن الجماعة ولا أنا براض عن الفتنة ولكن قضاء الرب نافذ لا مرد له، قال الحجاج كيف ترى ما نجمع لأمير المؤمنين قال سعيد لم أر فدعا الحجاج بالذهب والفضة والكسوة والجوهر فوضع بين يديه قال سعيد: هذا حسن ان قمت بشرطه قال الحجاج وما شرطه قال :ان تشتري له بما تجمع الأمن من الفزع الأكبر يوم القيامة والا فان كل مرضعة تذهل عما أرضعت ويضع كل ذي حمل حمله ولا ينفعه الا ما طاب منه قال الحجاج فترى جمعنا طيباً؟ قال برأيك جمعته وانت أعلم بطيبه قال الحجاج أتحب ان لك منه شيئاً قال لا أحب مالا يحب الله قال الحجاج ويلك قال سعيد الويل لمن زحزح عن الجنة فادخل النار قال الحجاج اذهبوا به فاقتلوه قال إني أشهدك ياحجاج ان لا اله

الا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله استحفظكهن يا حجاج حتى القاك . فلما ادبر ضحك قال الحجاج ما يضحكك يا سعيد قال : عجبت من جرأتك على الله وحلم الله عليك قال الحجاج انما اقتل من شق عصا الجماعة ومال الى الفرقة التي نهى الله عنها اضربوا عنقه قال سعيد حتي أصلي ركعتين فاستقبل القبلة وهو يقول: وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين ، قال الحجاج : اصرفوه عن القبلة الى قبلة النصارى الذين تفرقوا واختلفوا بغياً بينهم فانه من حزبهم ، فصرف عن القبلة فقال سعيد : فاينما تولوا فثمّ وجه الله الكافي بالسرائر ، قال الحجاج لم نوكل بالسرائر وانما وكلنا بالظواهر قال سعيد: اللهم لا تترك له ظلمي واطلبه بدمي واجعلني آخر قتيل يقتل من أمة محمد . فضربت عنقه ثم قال الحجاج هاتوا من بقي من الخوارج فقرب اليه جماعة فأمر بضرب أعناقهم وقال ما أخاف الادعاء من هو في ذمة الجماعة من المظلومين فاما امثال هؤلاء فانهم ظالمون حين خرجوا عن جمهور المسلمين وقائد سبيل المتوسمين . وقال قائل ان الحجاج لم يفرغ من قتله حتي خولط في عقله وجعل يصيح : قيودنا

قيودنا يعني القيود التي كانت في رجل سعيد بن جبير ويقال متى كان الحجاج يسأل عن القيود أو يعبأ بها وهذا يمكن القول فيه لاهل الاهواء في الفتح والاغلاق

﴿ ذكر بيعة الوليد وسليمان ابنى عبد الملك ﴾ قال وذكروا انه لما فرغ الحجاج من قتل الخوارج وتم له أمر العراق فاستقر ملك عبد الملك كتب اليه الحجاج ان يبايع للوليد ابنه ويكتب له عهده للناس فأبى ذلك عبد الملك لان أخاه عبد العزيز كان حياً وكان قد استعمله عبد الملك على مصر وكتب اليه الحجاج يوبخه ويقول له مالك انت والتكلم بهذه وكانت البيعة بالشام لهما جميعاً اذ مات مروان وكان عبد العزيز نظير عبد الملك في الحزم والرأي والعقل والذكاء وكان عبد الملك لا يفضل عبد العزيز في شيء الا باسم الخلافة حتى لربما كان عبد الملك يأمر بالشيء فيريد عبد العزيز غيره ويري خلافه فيرده الى رأيه ولا يمضيه وكان لا ينكر ذلك عبد الملك فلما كانت سنة احدى وثمانين عقد عبد الملك لموسى بن نصير على أفريقية وماحولها ووجهه الى من بها من البربر يقاتلهم وضم اليه برقة فلما قدم موسى بن نصير متوجهاً انتهى ذلك الى عبد العزيز فرده من مصر الى الشام وبعث

قرة بن حسان الثعلبي فانصرف موسى بن نصير الى الشام لعبد الملك
وذكر امتهاناً ناله من عبد العزيز وما استقبله الى كلام كثير
فقال له عبد الملك ان عبد العزيز صنو امير المؤمنين وقد أمضينا
فعله . فتوجه قرة بن حسان الى افريقية فهزم بها وقتل غالب
أصحابه فلما كانت سنة أربع وثمانين توفي عبد العزيز بن مروان
بمصر ثم ولي محمد بن مروان الى سنة ست وثمانين فلما توفي عبد
العزيز اجمع عبد الملك على بيعة الوليد ثم من بعد الوليد سليمان
فكتب الى الحجاج ببيعة الوليد وسليمان فبايع الحجاج لهما
بالعراق فلم يختلف عليه أحد وبويع لهما بالشام ومصر واليمن
وكتب عبد الملك الى هشام بن اسماعيل وهو عامله على المدينة
أن يأخذ بيعة أهل المدينة فلما أتت البيعة لهما كره ذلك سعيد
ابن المسيب وقال: لم أكن لابايع بيعتين في الاسلام بعد حديث
سمعته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال: « اذا كانتا
بيعتين في الاسلام فاقتلوا الاحدث منهما » فاتاه عبد الرحمن
ابن عبد القاري فقال اني مشير عليك بثلاث خصال اختر أيها
شئت قال وما هي قال له انك تقدم حيث يراك هشام بن اسماعيل
فلو غيرت مقامك قال ما كنت لاغير مقاما قمته منذ أربعين

سنة لهشام بن اسماعيل قال فثانية قال وما هي قال اخرج معتمرا
قال سعيد ما كنت لاجهد نفسي وانفق مالي في شيء ليس لي
فيه نيـة قال له فثالثة قال وما هى قال تبايع للوليد ثم لسليمان قال
سعيد أرأيت ان كان الله قد أعمي قلبك كما أعمى بصرك فما على
قال وكان أعمى قال فدعاه هشام بن اسماعيل الى البيعة وكان
ابن عم سـعيد بن المسيب فلما علم بذلك القرشيون أتوا هشاما
فقالوا له لاتعجل على ابن عمك حتى نكلمه ونخوفه القتل فعسى
به ان يبايع ويجيب قال فاجتمع القرشيون فارسلوا الى سـعيد
مولى له كان في الحرس فقالوا له اذهب اليه نخوفه القتل واخبره
انه مقتول فلعله يدخل فيما دخل فيه الناس فجاءه مولاه فوجده
قائماً يصلي في مسجده فبكى مولاه بكاء شديداً قال له سعيد
ما يبكيك ويحك قال ابكى مما يراد بك قال له سـعيد وما
يرادبي ويحك قال جاء كتاب من عبد الملك بن مروان الى
هشام بن اسماعيل ان لم تبايع والا قتلت فجئتك لتطهر وتلبس
ثيابا طاهرة وتفرغ من عهدك ان كنت لاتريد ان تبايع فقال
له سعيد لا أم لك قد وجدتني أصلي في مسجدى أفتراني كنت
أصلي ولست بطاهر وثيابي غـير طاهرة وأما ما ذكرت

من ان افرغ من عهدي بعـد ما حدثنى عبد الله بن عمر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه : قال : ما حق امرئ
مسلم يبيت ليلة له شيء يوصي به الا ووصيته مكتوبة . فاذا شاؤا
فليفعلوا فانى لم أكن لابايع بيعتين فى الاسلام قال
فرجع اليهم المولى فأخبرهم بما ذكر فكتب صاحب المدينة
هشام بن اسماعيل الى عبد الملك يخبره ان سعيد بن المسيّب كره
ان يبايع لهما (للوليد وسليمان) فكتب عبد الملك اليه : مالك
ولسعيد وما كان علينا منه أمر نكرهه وما كان حاجتك
ان تكشف عن سعيد وتأخذه ببيعة ما كنا نخاف من سعيد
فأما اذ قد ظهر ذلك وانتشر في أمره للناس فادعه الى
البيعة فان أبي فاجلده مائة سوط أو احلق رأسه ولحيته والبسه
ثيابا من شعر وأوقفه في السوق على الناس لكيلا يجترئ
علينا أحد غيره . قال فلما وصل الكتاب ارسل اليه هشام
فانطلق سعيد اليه فلما أتاه دعاه الى البيعة فابي ان يجيبه فالبسه
ثيابا من شعر وجرده وجلده مائة سوط وحلق رأسه ولحيته
واوقفه في السوق وقال لو اعلم انه ليس الا هذا ما نزعت
ثيابي طائعاً ولا اجبت الى ذلك قال بعض الايليين الذين كانوا

في الشرط بالمدينة: لما علمنا انه لا يلبس الثياب طائما قلنا له يا ابا محمد انه القتل فاستر بها عورتك قال فلبس فلما تبين له انا خدعناه. قال: يا معلجة أهل ايلة لولا انى ظننت انه القتل ما لبسته قال فكان هشام بن اسماعيل بعد ذلك اذا خطب الناس يوم الجمعه تحول اليه سعيد بن المسيب ان يقبل عليه بوجهه ما دام يذكر الله حتي اذا وقع في مدح عبد الملك وغيره اعرض سعيد عنه بوجهه فلما فطن هشام لذلك امر حرسيا يحصب وجه سعيد اذا تحول عنه ففعل ذلك به فقال سعيد انما هي ثلاث واشار بيده قال فما مر به الا ثلاثة أشهر حتي عزل هشام

﴿ موت عبد الملك وبيعة الوليد ﴾ قال وذكروا ان عبد الملك بن مروان لما حضرته الوفاة جمع بنيه قال لهم: اتقوا الله ربكم واصلحوا ذات بينكم وليجل صغيركم كبيركم وكبيركم صغيركم انظروا أخاكم مسلمة فاستوصوا به خيراً فانه شيخكم ومجنكم الذي به تستجنون وسيفكم الذي به تضربون، أوصيكم به خيراً وانظروا ابن عمكم عمر بن عبد العزيز فاصدروا عن رأيه ولا تخلوا عن مشورته اتخذوه صاحبا لا تجفوه وزيراً لا تعصوه، فانه ما علمتم فضله ودينه وذكاء عقله فاستعينوا به على

كل مهم وشاوروه في كل حادث . قال ثم دخـل عليه خالد
وعبد الرحمن ابنا يزيد بن معاوية بن أبي سفيان فقال لهما أتحبان
ان أسألـكما بيعة الوليد وسليمان فقالا ياأمير المؤمنين معاذ الله
من ذلك قال فأومأ بيده الى مصلى كان مضطجعاً عليه فاخرج
من تحته سيفا مصلتا فقال لهما والله لو قلتما غـير ذلك لضربت
أعناقـكما بهذا السيف ثم خرجا من عنده ودخل عليه عمر بن
عبد العزيز فقال عبد الملك : ياأبا حفص استوص خـيراً
بأخويك الوليد وسليمان ان زلا فشلهما وان مالا فأقمهما وان
غفلا فذكرهما . وان ناما فأيقظهما وقد أوصيتهما بك وعهدت
اليهما ان لا يقطعا شيئاً دونك . فقال عمر بن عبد العزيز ياأمير
المؤمنين أوصيتهما بكتاب الله فليقيماه فى عباده وبلاده وسنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فليحيياها ويحملا الناس عليها
فقال عبد الملك قد فعلت وولي فيكم الله الذي نزل الـكتاب
وهو يتولي الصالحين . ثم قال وقد علمت ياعمر مكان فاطمة مني
ومحلها من قلبي واني آثرتك بها على جميع آل مروان لفضلك
وورعك فـكن عند ظنى بك ورجائي فيك وقد علمت انك
غير مقصر ولا مضيع حقها ولـكن الله قد قضي ان الذكرى

تنفع المؤمنين قوموا عصمكم الله وكفاكم ثم خرجوا من عنده . قال ثم دعا عبد الملك بالوليد وسليمان فدخلا عليه فقال للوليد : اسمع ياوليد قد حضر الوداع ، وذهب الخداع ، وحل القضاء . قال فبكى الوليد فقال له عبد الملك لا تعصر عينيك عليّ كما تعصر الامة الوكساء ، اذا أنا مُت فاغسلني وكفني وصل عليّ واسلمني الى عمر بن عبد العزيز يدليني في حفرتى واخرج أنت الى الناس والبس لهم جلد نَمر واقعد على المنبر وادع الناس الى بيعتك فمن مال بوجهه عنك كذا فقل له بالسيف كذا [1] وتنكر للصديق والقريب واسمح للبعيد وأوصيك بالحجاج خيرا فانه هو الذي وطأ لكم المنابر وكفاكم تقحم تلك الجرائم . قال فلما توفي عبد الملك ومات من يومه ذلك خرج الوليد الى الناس وقعد على المنبر فحمد الله واثني عليه ثم قال: نعمة ما أجلها ومصيبة ما أعظمها وانا لله وانا اليه راجعون

---

(١) يروي ان الوليد جلس عند رأسه يبكي فرفع رأسه وقال : يابني أحنين الحمامة . إذا أنا مت فشمر واتزر والبس جلد النمر وضع سيفك على عاتقك فمن أبدى ذات نفسه لك فاضرب عنقه ومن سكت مات بدائه . وقوله البس جلد النمر معناه أي أظهر العداوة الشديدة . وجعل النمر مثلا لانه من اجرئ الحيوانات وأشدها احتمالا للضيم

نقل الخلافة وفقد الخليفة ثم دعا الناس الى البيعة فلم يختلف
عليه أحد ثم كان أول ماظهر من أمره وتبين من حكمه ان
أمر بهدم كل دارومنزل من دار عبد الملك الى قبره فهدمت
من ساعتها وسويت بالارض لئلا يعرج بسرير عبد الملك
يمينا وشمالا وليكون النهوض به الى حفرته تلقاءمنزله ثم كتب
ببيعته الى الآفاق والامصار والى الحجاج بالعراق فبايع له
الناس ولم يختلف عليه أحد فدخل عليه سليمان بن عبد الملك
فقال له ياأمير المؤمنين اعزل الحجاج بن يوسف عن العراقين
فان الذي أفسد الله به أكثر مما أصلح فقال لهالوليد ان
عبد الملك قد أوصاني به خيرا فقال سليمان عزل الحجاج
والانتقام منه من طاعة الله وتركه من معصية الله فقال الوليد
سنرى في هذا الامر وترون ان شاء الله. ثم كتب الحجاج الي
الوليد: أما بعد فان الله تعالى استقبلك ياأمير المؤمنين في حداثة سنك
بما لاأعلمه استقبل به خليفة قبلك من التمكين في البلاد والملك
للعباد والنصر على الاعداء فمليك بالاسلام فقوم أوده وشرائعه
وحدوده ودع عنك محبة الناس وبغضهم وسخطهم فانهم
قل مايؤتي الناس من خير وشر الا افشوه في ثلاثة أيام والسلام.

﴿تولية موسى بن نصير البصرة﴾ قال وحدثنا يزيد بن سعيد مولى مسلم ان عبـد الملك بن مروان لما أراد ان يولي أخاه بشر بن مروان على العراق كتب الى أخيه عبد العزيز بن مروان وهو بمصر وبشر معه يقود الجنود وكان يومئذ حديث السن: اني قد وليت أخاك بشر البصرة فاشخص معه موسى بن نصير وزيراً ومشيرا وقد بعثت اليك بديوان العراق فادفعه الى موسى واعلمه انه المأخوذ بكل خلل وتقصير فشخص بشر من مصر الى العراق ومعه موسى بن نصير حتى نزل البصرة فلما نزلها دفع الى موسى بن نصير خاتمه وتخلى عن جميع العمل فلبث موسى مع بشر مالبس ثم ان رجلا من أهل العراق دخل على بشر بن مروان فقال له هل لك ان أسقيك شرابا لاتشيب معه أبدا بعد ان اشترط عليك شروطا قال بشر وما هي قال: لا تغضب ولا تركب ولا تجامع امرأة فى أربعـين ليلة ولا تدخل حماما فقبل ذلك بشر وأجابه وشرب ما أسقاه واحتجب عن قريب الناس وبعيدهم وخلا مع جواريه وخدامه فـكان كذلك حتى أتته ولاية الـكوفة وقد ضمت اليه مع البصرة فأتاه من ذلك مالم يحمـل فرحـه ولا السرور به فـدعا

بركاب ليركبها فأتاه الرجل فناشده لايخرج ولا يركب وان لا يتحرك بحركة من مكانه فلم يلتفت بشر الى كلامه ولم يقبل ما أمره به فلما رأى الرجل عزمه قال له فاشهد لي على نفسك بانك قد عصيتني ففعل بشر ذلك واشهد انه قد أبرأه فركب وهو يريد الكوفة فلم يسر الا أميالا حتي وضع يده على لحيته فاذا هي في كفه قد سقطت من وجهه فلما رأى ذلك انصرف الى البصرة فلم يلبث الا قليلا حتى هلك فلما بلغ عبدالملك موته وجه الحجاج ابن يوسف واليا عليها فقال له موسى بن نصير مافاتك فلا يفوتك وكان عبدالملك قد أراده لامر عتب عليه منه. فكتب خالد ابن أبان من الشام الى موسى بن نصير: انك معزول وقد وجه اليك الحجاج بن يوسف وقد أمر فيك باغلظ أمر فالنجاة النجاة والوحا الوحا فاما ان تلحق بالفرس فتأمن وأما ان تلحق بعبد العزيز بن مروان مستجيراً به ولا تمكن ملعون ثقيف من نفسك فيحكم فيك. فلما أتاه الكتاب ركب النجائب ولحق بالشام وبها يومئذ عبد العزيز بن مروان قد وفد باموال مصر فكتب الحجاج من العراق يا أمير المؤمنين انه لا قدر لما اقتطعه موسى بن نصير من أموال العراق وليس بالعراق فابعث به اليّ.

﴿ دخول موسى بن نصير على عبد الملك بن مروان ﴾ قال وذكروا ان عبد الرحمن بن سالم حدثهم عن أبيه انه حضر يومئذ شأن موسى ودخوله على عبد الملك قال وكانت لموسى يد عظيمة عند عبد العزيز بن مروان يطول ذكرها قال سالم قال لي موسى لما قدمت الشام لقيت بها عبد العزيز وكان ذلك من صنع الله فادخلني على عبد الملك فلما رآني عبد الملك قلت موسى قال ماتزال تعرض لحيتك علينا قال قلت لم يا أمير المؤمنين قال لجرأتك علي واقتطاعك الفيء قال فقلت مافعلت يا أمير المؤمنين وما ألوتك نصحاً واجتهاداً واصلاحاً قال اقسم لتؤدين ديتك خمسين مرة قال قلت لم يا أمير المؤمنين قال فما تركني أتمها حتى قال قم لتؤدينها مائة مرة فذهبت لا تكلم فاشار على عبد العزيز ان قل نعم فقلت نعم يا أمير المؤمنين ثم خرجت فاعانني عبد العزيز بخمسين الفاً وأديت خمسين الفاً في ثلاثة أشهر نجمها علي

﴿ تولية موسى بن نصير علي أفريقية ﴾ قال وذكروا ان عبد العزيز لما رجع الى مصر سار موسى معه فكان من أشرف الناس عنده فأقام بها ما أقام حتى قدم حسان بن النعمان من

أفريقية يريد الشام الى عبد الملك وقد فتح له بها فتحاً وقتل الكاهنة فاجازه عبد الملك وزاده برقة ورده اليها (الى افريقية) والياً فاقبل حتى نزل مصر وبعث معه بعثا من هناك فاخذوا أعطياتهم منه ثم ساروا حتى نزلوا ذات الجماجم قال فبلغ ذلك عبد العزيز ان حسان بن النعمان يطلب برقة من عند عبد الملك وانه قد ولاه اياها فبعث اليه فقال له أولاك أمير المؤمنين برقة قال نعم فقال له عبد العزيز لا تعرض وكان عليها مولي لعبد العزيز فقال حسان ما أنا فاعل فغضب عبد العزيز وقال له ائت بعهدك عليها ان كنت صادقاً قال فأتى به حسان فلما أقرأه عبد العزيز وجدها فيه فالتفت الى حسان فقال ما أنت بتاركها قال والله لا أنعزل عما ولانيه أمير المؤمنين قال فاقعد في بيتك فسيولى هذا الأمر من هو خير منك وأولي به منك في تجربته ومعرفته وسياسته ويغني الله أمير المؤمنين عنك ثم أخذ عبد العزيز عهده ومزقه ودعى بموسى بن نصير فعقد له على افريقية يوم الخميس في صفر سنة تسع وسبعين فتجهز موسى بن نصير وحمل الاموال الى ذات الجماجم وبها الجيوش ينتظرون واليهم فقدم عليهم موسي بن نصير فلما صار على الجيش الاول أتى عصفور

حتى وقع على صدره فاخذه موسى فدعي بسكين فذبحه موسي ولطخ بدمه صدره من فوق الثياب ونتف ريشه وطرحه على صدره وعلى نفسه ثم قال الفتح ورب الكعبة والظفر ان شاء الله .

﴿خطبة موسي بن نصير رحمه الله﴾ قال وذكروا ان موسى لما قدم ذات الجماجم وقد توافت الجيوش بها جمع الناس فقام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ان أمير المؤمنين أصلحه الله رأي رأياً في حسان بن النعمان فولاه ثغركم ووجهه أميراً عليكم وانما الرجل في الناس بما اظهر والرأي فيما أقبل وليس فيما أدبر فلما قدم حسان بن النعمان علي عبد العزيز أكرمه الله كفر النعمة وضيع الشكر ونازع الامر أهله فغير الله مابه . وانما الأمير أصلحه الله صنو أمير المؤمنين وشريكه ومن لا يتهم في عزمه ورأيه وقد عزل حسان عنكم وولاني مكانه عليكم ولم يأل ان أجهد نفسه في الاختيار لكم وانما أنا رجل كاحدكم فمن رأي مني حسنة فليحمد الله وليحض على مثلها ومن رأي مني سيئة فلينكرها فاني أخطيء كما تخطؤن وأصيب كما تصيبون وقد أمر الامير أكرمه الله لكم بعطايا كم وتضعيفها ثلاثا فخذوها هنيئاً مريئاً ومن كانت له حاجة فليرفعها الينا وله عندنا قضاؤها علي

ماعز وهان مع المواساة ان شاء الله ولا حول ولا قوة الا بالله .

﴿دخول موسى بن نصير أفريقية﴾ قال وذكروا ان موسى لما سار متوجها الى المغرب بقية صفر ثم ربيع وربيع ودخل في جمادي الاولى يوم الاثنين لخمس خلون منه سنة تسع وسبعين فاخذ سفيان بن مالك الفهري وابا صالح فغرم كل واحد منهما عشرة آلاف دينار ووجههما الى عبد الملك في الحديد . قال وكان قدوم موسى أفريقية وما حولها مخوف بحيث لا يقدر المسلمون أن يبرزوا في العيدين لقرب العدو منهم وان عامة بيوتها الخصوص وأفضلها القباب وبناء المسجد يومئذ بالحظير غير انه قد سقف بعض الخشب وقد كان ابن النعمان بني القبلة وما يليها بالمدر بنيانا ضعيفا وكانت جبالها كلها محاربة لا ترام وعامة السهل

﴿خطبة موسى بافريقية﴾ قال وذكروا ان موسى لما قدم أفريقية ونظر الى جبالها والى ما حولها جمع الناس ثم صعد المنبر فحمد الله وأثني عليه ثم: قال: أيها الناس انما كان قبلي على أفريقية أحد رجلين مسالم يحب العافية ويرضى بالدون من العطية ويكره ان يكلم ويحب ان يسلم أو رجل ضعيف العقيدة قليل المعرفة راض بالهوينا . وليس اخو الحرب الا من اكتحل السهر

واحسن النظر وخاض الغمر وسمت به همته ولم يرض بالدون من المغنم لينجو ويسلم دون أن يكلم أو يكلم ويبلغ النفس عذرها في غير خرق يريده ولا عنف يقاسيه متوكلا في حزمه جازما في عزمه مستزيداً في علمه مستشيراً لأهل الرأي في أحكام رأيه متحنكا بتجاربه ليس بالمتجابن اقحاما ،ولا بالمتخاذل احجاما ان ظفر لم يزده الظفر الا حذراً ،وان نكب أظهر جلادة وصبراً راجياً من الله حسن العاقبة فذكر بها المؤمنين ورجاهم اياها لقول الله تعالى، ان العاقبة للمتقين أي الحذرين. وبعد فان كل من كان قبلي كان يعمد الي العدو الاقصى ويترك عدواً منه أدنى ينتهز منه الفرصة ويدل منه على العورة ويكون عوناً عليه عند النكبة وأيم الله لا أريم هذه القلاع والجبال الممتنعة حتى يضع الله أرفعها ويذل أمنعها ويفتحها على المسلمين بعضها أو جمعها أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين

﴿ فتح زغوان ﴾ قال وذكروا انه كان بزغوان قوم من البربر يقال لهم عبدوه عليهم عظيم من عظمائهم يقال له ورقطان فكانوا يغيرون على سرح المسلمين ويرصدون غرتهم والذي بين زغوان وبين القيروان يوم الي الليل فوجه اليهم موسى

خمسمائة فارس عليهم رجل من خشنين يقال له عبد الملك فقاتلهم فهزمهم الله وقتل صاحبهم ورقطان وفتحها الله على موسى فبلغ سبيهم يومئذ عشرة آلاف رأس وانه كان أول سبي دخل القيروان في ولاية موسى ثم وجه ابناً له يقال له عبد الرحمن بن موسى الى بعض نواحيها فاتاه بمائة الف رأس ثم وجه ابناً له يقال له مروان فاتاه بمثلها فكان الخمس يومئذ ستين الف رأس

﴿ قدوم كتاب الفتح على عبد العزيز بن مروان ﴾ قال وذكروا ان موسى بن نصير كتب الى عبد العزيز بن مروان بمصر يخبره بالذي فتح الله عليه وأمكن له ويعلمه ان الخمس بلغ ثلاثين الفاً وكان ذلك وهماً من الكاتب فلما قرأ عبد العزيز الكتاب دعا الكاتب قال له ويحك اقرأ هذا الكتاب فلما قرأه قال هذا وهمٌ من الكاتب فراجعه فكتب اليه عبد العزيز: انه بلغني كتابك وتذكر فيه انه قد بلغ خمس ما أفاء الله عليك ثلاثين الف رأس فاستكثرت ذلك وظننت ان ذلك وهم من الكاتب فاكتب الى بعد ذلك على حقيقة واحذر الوهم. فلما قدم الكتاب على موسى كتب اليه: بلغني ان الامير ابقاه الله يذكر انه استكثر ما جاءه من العدة التي أفاء الله على وانه ظن

ان ذلك وهم من الكاتب فقد كان ذلك وهما على ماظنه الامير والخمس أيها الامير ستون الفاحقاً ثابتاً بلاوهم . قال فلما اتى الكتاب الى عبد العزيز وقرأه ملأه سروراً

﴿ انكار عبد الملك تولية موسى بن نصير ﴾ وذكروا ان عبد العزيز لما ولي موسى وعزل حسان كما تقدم وفتح الله لموسى بلغ ذلك عبد الملك بن مروان فكره ذلك وأنكره ثم كره رد رأي عبد العزيز ثم هم بعزل موسي لسوء رأيه فيه ثم رأي أن لا يرد ماصنع عبد العزيز فكتب عبد الملك الى عبد العزيز : أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين ما كان من رأيك في عزل حسان وتوليتك موسى مكانه وعلم الامر الذي له عزلته وقد كنت انتظر منك مثلها في موسى وقد أمضى لك أمير المؤمنين من رأيك ما أمضيت وولايتك من وليت فاستوص بحسان خيراً فانه ميمون الطائر والسلام . ﴿جوابه﴾ فلما قدم الكتاب على عبد العزيز كتب الى أخيه عبد الملك : أما بعد فقد بلغني كتاب أمير المؤمنين في عزل حسان وتوليتي موسى بن نصير وقد كان لمثلها مني منتظراً في موسي ويعلمني انه قد أمضى لي من رأيي فيما أمضيت وولايتي من وليت وقد علمت ان أمير المؤمنين يتفاءل بحسان للذي

فتح الله على يديه ولم أعد مع نظرى لامير المؤمنين بان عزلت حسان ووليت موسى في يمن طائره وحسن أثره فأما قول أمير المؤمنين قد كنت أنتظرها منك في موسى فلعمري لقد كنت لها فيه مرصدا ولامير المؤمنين ان يسبق بها اليه منتظرا حتي حضر أمر جهدت فيه نفسي لامير المؤمنين ولنفسي الرأي والنصيحة والسلام

﴿كتاب عبد العزيز بالفتح الى عبد الملك﴾ وذكروا ان عبد العزيز كتب الى عبد الملك :أما بعد فاني كنت وأنت يا أمير المؤمنين في موسى وحسان كالمتراهنين ارسلا فرسيهما الى غايتهما فاتيا معا وقد مدت الغاية لاحدهما ولك عنده مزيد ان شاء الله وقد جاءني ياأمير المؤمنين كتاب من موسى وقد وجهته اليك لتقرأه وتحمد الله عليه والسلام . ﴿جوابه﴾ فكتب اليه عبد الملك : أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين كتابك وفهم المثل الذي مثلته في حسان وموسى ويقول لك عند أحدهما مزيد وكل قد عرف الله على يده خيراً ونصراً وقد أجريت وحدك وكل مجر بالخلاء مسرور والسلام . ثم وجه عبد الملك رجلا الى موسي ليقبض ذلك

منه على ماذكر موسي وعلى ما كتب به فلما قدم الرسول على
موسي دفع اليه ماذكر وزاده الفا للوفاء

﴿ فتح هوّارة . وزناتة . وكتامة ﴾ قال وذكروا ان
موسي أرسل عياش بن أخيل الى هوارة وزناتة في الف
فارس فأغار عليهم وقتلهم وسباهم فبلغ سبيهم خمسة آلاف
رأس وكان عليهم رجل منهم يقال له كامون فبعث به موسى
الى عبد العزيز في وجوه الاسري فقتله عند البركة التي عند
قرية عقبة فسميت بركة كامون فلما أوجع عياش فيهم
دعوا الى الصلح فقدم على موسي بوجوههم فصالحوهم
واخرجوهم وكانت كتامة قد قدمت على موسي فصالحته وولى
عليهم رجلا منهم وأخذ منهم رهونهم وكتب أحدهم الى
موسى انما نحن عبد انك قتل أحدنا صاحبه وأنا خير لك منه
فلم يشك موسي ان ذلك انما كان عن ممالأة من كتامة
وقد كانت رهون كتامة استأذنوا موسي قبل ذلك بيوم
ليتصيدوا فأذن لهم فلما أتاه ماأتاه تحقق ظنه فيهم وانهم انما
هربوا فوجه الخيول في طلبهم فأتي بهم فأراد صلبهم فقالوا
لاتعجل أيها الامير بقتلنا حتى يتبين أمرنا فان آباءنا وقومنا لم

يكونوا ليدخلوا في خلاف أبداً ونحن في يدك وأنت على البيان أقدر منك على استحيائنا بعد القتل فأوقرهم حديداً وأخرجهم معه الى كتامة وخرج هو بنفسه فلما بلغهم خروج موسي تلقاه وجوه كتامة معتذرين فقبل منهم وتبينت له براءتهم واستحي رهونهم. ﴿فتح صنهاجة﴾ قال وذكروا ان الجواسيس أتوا موسي فقالوا له ان صنهاجة بغرة منهم وغفلة وان أبلهم تنتج ولا يستطيعون براحا فأغار عليهم موسي بأربعة آلاف من أهل الديوان والفين من المتطوعة ومن قبائل البربر وخلف عياشا على أثقال المسلمين وعيالهم بطبية في الفى فارس وعلى مقدمة موسى عياض بن عقبة وعلى ميمنته المغيرة بن أبي بردة وعلى ميسرته زُرْعة بن أبي مدرك فسار موسى حتى غشي صنهاجة ومن كان معها من قبائل البربر وهم لا يشعرون فقتلهم قتل الفناء فبلغ سبيهم يومئذ مائة الف رأس ومن الابل والبقر والغنم والخيل والحرث والثياب مالا يحصي ثم انصرف قافلا الى القيروان وهذا كله في سنة ثمانين فلما سمعت الاجناد بما فتح الله على موسي وما أصاب معه المسلمون من الغنائم

رغبوا في الخروج الى الغرب فخرج نحو مما كان معه فالتقى المغيرة وصنهاجة فاقتتلوا قتالا شديداً ثم ان الله منحه أكتافهم وهزمهم فبلغ سبيهم ستين الف رأس ثم انصرف قافلا

﴿ فتح سجوما ﴾ قال وذكروا انه لما كان سنة ثلاث وثمانين قدم على موسي نجدة بن موسي في طالعة أهل مصر فلما قدم عليه أمر الناس بالجهاد والتأهب ثم غزا يريد سجوما وماحولها واستخلف عبد الله بن موسي على القير وان ثم خرج وهو في عشرة آلاف من المسلمين وعلى مقدمته عياض بن عقبة وعلي ميمنته زرعة بن أبي مدرك وعلى ميسرته المغيرة ابن أبي بردة القرشي وعلى ساقته نجدة بن مقسم فاعطى اللواء ابنه مروان فسار حتى اذا كان بمكان يقال له سجن الملوك خلف به الاثقال وتجرد في الخيول وخلف على الاثقال عمرو بن أوس في الف وسار بمن معه حتى انتهى الى نهر يقال له ملوية فوجده حاملا فكره طول المقام عليه خوفا من نفاد الزاد وان يبلغ العدو مخرجه ومكانه فأحدث مخاضة غير مخاضة عقبة ابن نافع وكره ان يجوز عليها فلما أجاز وانتهى اليهم وجدهم قد أنذروا به وتأهبوا وأعدوا للحرب فاقتتلوا قتالا شديداً في

جبل منيع لا يوصل اليهم الا من أبواب معلومة فاقتتلوا يوم
الخميس ويوم الجمعة ويوم السبت الي العصر نخرج اليهم رجل
من ملوكهم فوقف والناس مصطفون فنادى بالمبارزة فلم يجبه
أحد فالتفت موسى الي مروان ابنه فقال له اخرج اليه أى بني نخرج
اليه مروان ودفع اللواء الى أخيه عبد العزيز بن موسى فلما رآه
البربري ضحك ثم قال له ارجع فاني أكره ان أعدم منك أباك
وكان حديث السن قال فحمل عليه مروان فكرده حتى
الجأه الي جبله ثم انه زرق مروان بالمزراق فتلقاه مروان
بيده وأخذه ثم حمل مروان عليه وزرقه به زرقة وقعت في جنبه
ثم لحقت حتى وصلت الى جوف برذونه فمال فوقع به البرذون
ثم التقى الناس عليه فاقتتلوا قتالا شديداً أنساهم ما كان قبله ثم
ان الله هزمهم وفتح للمسلمين عليهم وقتل ملكهم كسيلة بن
لمزم وبلغ سبيهم مائتي الف رأس فيهم بنات كسيلة وبنات ملوكهم
وما لا يحصي من النساء السلسات اللاتى ليس لهن ثمن ولا قيمة
قال فلما وقفت بنات الملوك بين يدي موسي قال علي بمروان
ابنى قال فاتى به قال له أي بني اختر قال فاختار ابنة كسيلة فاستسرها
فهى أم عبد الملك بن مروان هذا . قال قاتل يومئذ زرعة بن

أبي مدرك قتالا شديداً أبلى فيه حتى اندقت ساقه قال فآلى
موسى ان لايحمل الا على رقاب الرجال حتى يدخل القيروان
وان يحمله خمسون رجلا كل يوم يتعاقبون بينهم ثم انصرف
موسي وقد دانت له البلاد كلها وجعل يكتب الى عبد العزيز
بفتح بعد فتح وملأت سباياه الاجناد وتمايل الناس اليه ورغبوا
فيما هنالك لديه فكان عبد الملك بن مروان كثيراً ما يقول اذا
جاءه فتوح موسي :لتهنئك الغلبة أبا الاصبع ثم يقول وعسي ان
تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً . قال وبعث موسي
الى عياض وعثمان والى عبيدة بن عقبة .فقال اشتفوا وضعوا
أسيافكم في قتلة قال فقتل منهم عياض ستمائة رجل صبراً من
خيارهم وكبارهم فارسل اليه موسي ان أمسك . فقال:أما والله لو
تركتني ما أمسكت عنهم ومنهم عين تطرف

﴿ قدوم الفتح على عبد الملك بن مروان ﴾ قال وذكروا
ان موسى لما قدم وجه بذلك الفتح الي عبد العزيز بن مروان
مع علي بن رياح فسار حتى قدم على عبد العزيز بمصر فاجازه
ووصله ووجهه الي عبد الملك بن مروان أخيه فلما قدم عليه
اجازه أيضاً وزاد في عطائه عشرين فلما انصرف قال له عبد

العزيز كم زادك أمير المؤمنين قال عشرين قال ولولا أ كره ان
أفعل مثل مافعل لزدتك مثلها ولكن تعد لها زيادة عشرة
وكتب عبد الملك الي موسى يعلمه ان قد فرض لجميع ولده في
مائة وبلغ به هو الي المائتين وفرض في مواليه وأهل الجزاء
والبلاء ممن معه خمسمائة رجل ثلاثين ثلاثين وكتب اليه ان
أمير المؤمنين قد أمر لك بمائة الف التي أغرمها لك فخذها من
قبلك من الاخماس قال فلما قدم على موسى كتاب عبد الملك
ابن مروان يأمره بأخذ المائة الف مما قبله قال فاني أشهدكم
انه رد على المسلمين ومعونة لهم وفي الرقاب وكان موسى
اذا أفاء الله عليه شيئاً اشترى من ظن منهم انه يقبل الاسلام
وينجب فيعرض عليه الاسلام فإن رضي قبله من بعد ان يمحص
عقله ويجرب فطنة فهمه فان وجده ماهراً أمضى عتقه وتولاه
وان لم يجد فيه مهارة رده في الخمس والسهام . قال وكتب موسى
الى عبد العزيز ببلاء زرعة بن ابى مدرك وما أوصله وانه لولا
ذلك أوفده الي أمير المؤمنين فقرض له عبد العزيز في مائة
وفرض لثلاثين رجلا من قومه وانصرف موسى قافلا وذلك
في سنة أربع وثمانين

﴿ غزوة موسى في البحر ﴾ قال وذكروا ان موسى أقام بالقير وان بعد قفله شهر رمضان وشوال فامر بدار صناعة بتونس وجري البحر اليها فعظم عليه الناس ذلك وقالوا له هذا أمر لانطيقه فقام الى موسى رجل من مسالمة البربر ممن حسن اسلامه فقال له : أيها الامير قد مر علي مائة وعشرون سنة وان ابي حدثني ان صاحب قرطاجنة لما أراد بناء قناتها أتاه الناس يعظمون عليه ذلك فقام اليه رجل فقال له أيها الملك انك ان وضعت يدك بلغت منها حاجتك فان الملوك لا يعجزها شيء لقوتها وقدرتها فضع يدك أيها الامير فان الله تعالى سيعينك على مانويت ويؤجرك فيما توليت ، فسر بذلك موسى وأعجبه قول هذا الشيخ فوضع يده فبني دار صناعة بتونس وجرى البحر اليها مسيرة اثني عشر ميلا حتى أقحمه دار الصناعة فصارت مشتا للمراكب اذا هبت الانواء والارياح ثم أمر بصناعة مائة مركب فاقام بذلك بقية سنة أربع وثمانين وقدم عطاء بن أبي نافع الهذلي في مراكب أهل مصر وكان قد بعثه عبد العزيز يريد سردانية فأرسي بسوسة فاخرج اليه موسى الاسواق وكتب اليه ان ركوب البحر قد فات في هذا الوقت وفي هذا

العام فاقم لا تغرر بنفسك فانك في تشرين الآخر فأقم بمكانك حتى يطيب ركوب البحر . قال فلم يرفع عطاء لكتاب موسى رأساً وشحن مراكبه ثم رفع فسار حتى أتى جزيرة يقال لها سلسلة وافتتحها وأصاب فيها مغانم كثيرة وأشياء عظيمة من الذهب والفضة والجواهر ثم انصرف قافلا فاصابته ريح عاصف فغرق عطاء وأصحابه وأصيب الناس ووقعوا بسواحل أفريقية فلما بلغ ذلك موسي وجه يزيد بن مسروق في خيل الى سواحل البحر يفتش على ما يلقي البحر من سفن عطاء وأصحابه فاصاب تابوتاً منحوتا قال فمنه كان أصل غناء يزيد بن مسروق . قال ولقد لقيت شيخاً متوكئاً على قصبة فذهبت لافتشه فنازعني فأخذت القصبة من يده فضربت بها عنقه فانكسرت فتناثر منها اللؤلؤ والجوهر والدنانير . ثم ان موسي أمر بتلك المراكب ومن نجا من النواتية فادخلهم دار الصناعة بتونس . ثم لما كانت سنة خمس وثمانين أمر الناس بالتأهب لركوب البحر وأعلمهم انه راكب فيه بنفسه فرغب الناس وتسارعوا ثم شحن فلم يبق شريف ممن كان معه الا وقد ركب حتى اذا ركبوا في الفلك ولم يبق أحد الا أن يرفع دعا برمح فعقده لعبد الله بن موسى

ابن نصير وولاه عليهم وامّره ثم أمره ان يرفع من ساعته وا:
أراد موسى بما أشار من مسيره أن يركب أهل الجلد والنكاي
والشرف فسميت غزوة الاشراف . ثم سار عبد الله بن موسى
في مراكبه وكانت تلك أول غزوة غزيت في بحر أفريقية قال
فاصاب في غزوته تلك صقلية فافتتح مدينة فيها فاصاب مالا
يُدري فبلغ سهم الرجل مائة دينار ذهبا وكان المسلمون ما بين
الالف الى التسعمائة ثم انصرف قافلا سالماً فاتت موسى
وفاة عبد العزيز بن مروان واستخلاف الوليد بن عبد الملك سنة
ست وثمانين فبعث اليه بالبيعة وبفتح عبد الله بن موسى وما
أفاء الله على يده ثم ان موسى بعث زُرْعه بن أبي مدرك الى قبائل
من البربر فلم يلق حربا منهم ورغبوا في الصلح فوجه رؤسهم
الى موسى فأعطاهم الامان وقبض رهونهم وعقد لعياش بن أخيل
على مراكب أهل أفريقية فشتا في البحر وأصاب مدينة يقال
لها سرقوسة ثم قفل في سنة ست وثمانين . ثم ان عبد الله بن
مرة قام بطالعة أهل مصر على موسى في سنة تسع وثمانين فعقد
له موسى على بحر أفريقية فاصاب سردانية وافتتح مدائنها فبلغ
سبيها ثلاثة آلاف رأس سوى الذهب والفضة والحرث وغيره

﴿ غزوة السوس الاقصى ﴾ قال وذكروا ان موسى وجه مروان ابنه الى السوس الاقصى وملك السوس يومئذ مزدانة الاسواري [1] فسار في خمسة آلاف من أهل الديوان . فلما اجتمعوا ورأى مروان ان الناس قد تعجلوا الى قتال العدو وان في يده اليمنى القناة وفي يده اليسرى الترس وانه ليشير بيده الى الناس ان كما انتم . فلما التقى مروان ومزدانة اقتتل الناس اذ ذاك قتالا شديداً ثم انهزم مزدانة ومنح الله مروان اكتافهم فقتلوا قتلة الفناء فكانت تلك الغزوة استئصال أهل السوس على أيدي مروان فبلغ السبي أربعين الفاً وعقد موسى على بحر افريقية حتى نزل بميورقة فافتتحها

﴿ قدوم الفتوحات على الوليد بن عبد الملك ﴾ قال وذكروا ان خادما للوليد بن عبد الملك بن مروان أخبرهم قال: اني لقريب من الوليد بن عبد الملك وبين يديه طشت من ذهب وهو يتوضأ منه اذ اتى رسول من قبل قتيبة بن مسلم من خراسان بفتح من فتوحاتها فاعلمته قال خذ الكتاب منه فاخذه فقرأه فما أتى على آخره حتي أتى رسول آخر من قبل موسى

(١) نسخة: الاوروبي

ابن نصير بفتح السوس من قبل مروان بن موسى . فاعلمته قال هاته فقرأه فحمد الله وخر ساجداً لله حامداً ثم التفت الي قال أمسك الباب لا يدخل أحد قال وكان عنده ابن له يحبو بين يديه فلما خر الوليد ساجداً شاكراً لله جاء الصبي الى الطشت فاضطرب فيه وصاح فما التفت اليه قال وصرت لا أستطيع ان أغيثه لما أمرني به من إمساك الباب وأطال السجود حتي خفي صوت الصبي ثم رفع رأسه فصاح بي فدخلت وأخذت الصبي وانه لما به روح

﴿ فتح قلعة ارساف ﴾ قال ثم ان صاحب قلعة ارساف أغار على بعض سواحل أفريقية فنال منهم وبلغ موسى خبره فخرج اليه بنفسه فلم يدركه فاشتد ذلك على موسي قال قتلني الله ان لم أقتله وأنا مقيم هنا قال فأقام موسى ماأقام ثم انه دعا رجلا من أصحابه فقال له اني موجهك في أمر وليس عليك فيه بأس ولك عندي فيه حسن الثواب خذ هذين الاذنين فسر فيهما بمن معك حتي تأتى موضع كذا وكذا في مكان كذا فانك تجد كنيسة وتجد الروم قد جعلوها لعيدهم فاذا كان الليل فادن من ساحلها ودع أحدى هذين الاذنين بما

فيها ثم انصرف الي بالاذن الاخرى وبعث معه موسي قبة من الخز والوشي ومن طرائف أرض العرب شيئاً مليحاً وكتب كتابا بالرومية جوابا لكتاب كأنه كان كتب به الى موسى يسأله الامان علي ان يدله على عورة الروم وكتاب فيه أمان من موسي مطبوع • فسار حتي انتهى الى الموضع الذي وصف له موسي فترك الاذن بما فيها وانصرف راجعا في الاذن الاخرى حتى قدم على موسي، وان الروم لما عثروا على اذن موسى استنكروها فارتفع أمرها الى بطريق تلك الناحية فأخذ ما فيها فلما رأى ما فيها من الكتب والهدية هاب ذلك فبعث بها كما هى الى الملك الاعظم • فلما أفضت اليه وقرأ الكتب تحقق ذلك عنده فبعث الى ارساف رجلا وملكه عليها وأمر ان يضرب عنق صاحبها الذي أغار على ساحل أفريقية ففعل فقتله الله بحيلة موسى

﴿ فتح الاندلس ﴾ قال وذكروا ان موسى وجه طارقا مولاه الى طنجه وما هنالك فافتتح مدائن البربر وقلاعها ثم كتب الى موسى انى قد أصبت ست سفن فكتب اليه موسى أتممها سبعاً ثم سر بها الي شاطئ البحر واستعد لشحنها واطلب قبلك رجلا يعرف شهور السريانيين فاذا كان يوم أحد

وعشرين من شهر ادار بالسرياني فاشحن على بركة الله ونصره في ذلك اليوم فان لم يكن عندك من يعرف شهور السريان فشهور العجم فانها موافقة لشهور السريان وهو شهر يقال له بالاعجمية مارس فاذا كان يوم أحد وعشرين منه فاشحن على بركة الله كما أمرتك ان شاء الله فاذا أجريت فسر حتى يلقاك جبل أحمر وتخرج منه عين شرقية الى جانبها صنم فيه تمثال ثور فاكسر ذلك التمثال وانظر في من معك الى رجل طويل أشقر بعينيه قبل وبيده شلل فاعقد له على مقدمتك ثم أقم مكانك حتى يغشاك ان شاء الله . فلما انتهى الكتاب الى طارق كتب الى موسى : اني منته الى ماأمر الامير ووصف غير اني لم أجد صفة الرجل الذي أمرتني به الا في نفسي . فسار طارق في الف رجل وسبعمائة وذلك في شهر رجب سنة ثلاث وتسعين وقد كان لوذريق ملك الاندلس قد غزا عدوا يقال له البشكنس واستخلف ملكا من ملوكهم يقال له تدمير فلما بلغ تدمير مكان طارق ومن معه من المسلمين كتب الى لوذريق: انه قد وقع بأرضنا قوم لاندري أمن السماء نزلوا أم من الارض نبعوا . فلما بلغ لوذريق ذلك أقبل راجعا الى طارق في

سبعين الف عنان ومعه العجل تحمل الاموال والزخرف وهو على سرير بين دابتين وعليه قبة مكللة باللؤلؤ والياقوت والزبرجد ومعه الحبال ولا يشك في أسرهم . فلما بلغ طارقا دنوه منهم قام في أصحابه فحمد الله ثم حض الناس على الجهاد ورغبهم في الشهادة وبسط لهم في آمالهم ثمّ قال : أيها الناس أين المفر البحر من ورائكم والعدو امامكم فليس ثمّ والله الا الصدق والصبر فانهما لا يغلبان وهما جندان منصوران ولا تضر معهما قلة، ولا تنفع مع الخور والكسل والفشل والاختلاف والعجب كثرة، أيها الناس مافعلت من شيء فافعلوا مثله ان حملت فاحملوا وان وقفت فقفوا ثم كونوا كهيئة رجل واحد في القتال الا واني عامد الى طاغيتهم بحيث لا أتهيبه حتى أخالطه واقتل دونه فان قتلت فلا تهنوا ولا تحزنوا ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وتولوا الدبر لعدوكم فتبددوا بين قتيل وأسير . واياكم اياكم ان ترضوا بالدنية ولا تعطوا بايديكم وارغبوا فيما عجل لكم من الكرامة والراحة من المهنة والذلة وما قد أجل لكم من ثواب الشهادة فانكم ان تفعلوا والله معكم ومعيذكم تبوؤن بالخسران المبين وسوء الحديث غداً بين من عرفكم من المسلمين. وها أنا ذا حامل حتى أغشاه

فاحملوا بحملتي . فحمل وحملوا فلما غشيهم اقتتلوا قتالا شديداً
ثم ان الطاغية قتل وانهزم جميع العدو فاحتز طارق رأس
لوذريق وبعث به الى موسى بن نصير وبعث به موسى مع ابنه وجهز
معه رجالا من أهل أفريقية فقدم به على الوليد بن عبد الملك ففرض
له في الشرف وأجاز كل من كان معه ورده الى أبيه موسى . وان
المسلمين قد أصابوا مما كان مع لوذريق مالا يدري ما هو ولا
ماقيمته . قال وكتب طارق الى مولاه موسى: ان الأمم قد
تداعت علينا من كل ناحية فالغوث الغوث . فلما أتاه الكتاب
نادي في الناس وعسكر وذلك في صفر سنة ثلاث وتسعين
وكان أحب الخروج اليه يوم الخميس أول النهار فاستخلف عبد
الله بن موسى على أفريقية وطنجة والسوس وكتب ساعة قدم
عليه كتاب طارق الى مروان يأمره بالمسير فسار مروان بمن
معه حتى أجاز الى طارق قبل دخول ابيه موسى وخرج موسى
ابن نصير والناس معه حتى أتى المجاز فاجاز بمن زحف معه في
جموعه وعلى مقدمته طارق مولاه فوجد الجموع قد شردت
اليه من كل مكان فسار حتى افتتح قرطبة وما يليها من حصونها
وقلاعها ومدائنها فغل الناس يومئذ غلولا لم يسمع بمثله ولم يسلم

من الغلول يومئذ الا أبو عبد الرحمن الجبلي ثم ان موسى سار لا يرفع له شيء الاهده يفتتح له المدائن يمينا وشمالا حتى انتهى الى مدينة الملوك وهي طليطلة فوجد فيها بيتاً يقال له بيت الملوك وجد فيه أربعة وعشرين تاجا تاج كل ملك ولي الاندلس كان كلما هلك ملك جعل تاجه في ذلك البيت وكتب على التاج اسم صاحبه وابن كم هو ويوم مات ويوم ولي ووجد في ذلك البيت أيضاً مائدة عليها اسم سليمان بن داود عليه السلام ومائدة من جزع فعمد موسى الى التيجان والآنية والموائد فقطع عليها الاغشية وجعل عليها الامناء ليس منها شيء يدري ما قيمته . فاما الذهب والفضة والمتاع فلم يكن يحصيه أحد

﴿ اتهام الوليد موسى بالخلع ﴾ قال وذكروا ان الوليد بن عبد الملك بن مروان لما بلغه مسير موسى بن نصير الى الاندلس ظن انه يريد ان يخلع ويقيم فيها ويمتنع بها وقيل ذلك له وأبطأت كتب موسى عليه لاشتغاله بما هنالك من العدو وتوطئة لفتح البلاد فامر الوليد القاضي أن يدعو على موسى اذا قضى صلاته . وان موسى لما دخل طليطلة بعث على بن رباح بفتحها وأوفد معه وفداً فسار حتى قدم دمشق صلاة العصر فدخل المسجد

فالفى القاضي يدعو على موسى فقال : أيها الناس الله الله في موسى والدعاء عليه والله ما نزع يداً من طاعة ولا فارق جماعة وانه لفي طاعة أمير المؤمنين والذب عن حرمات المسلمين والجهاد للمشركين واني لاحدثكم عهداً به وما قدمت الآن الا من عنده وان عندي خبره وما أفاء الله على يده لامير المؤمنين وما أيد به المسلمين ما تقر به أعينكم ويسر به خليفتكم .

﴿دخول وفد موسى على الوليد بن عبد الملك﴾ قال وذكروا ان الوليد لما بلغه خبر هذا المتكلم الوافد من عند موسى ارسل اليه فادخل عليه ثم قال له ما وراءك فقال كل ما تحب يا أمير المؤمنين تركت موسى بن نصير في الاندلس وقد أظهره الله ونصره وفتح على يديه مالم يفتح على يد أحد وقد أوفدني الى أمير المؤمنين في نفر من وجوه من معه بفتح من فتوحه فدفع اليه الكتاب من عند موسى فقرأه الوليد فلما أتى على آخره خر ساجداً فلما رفع رأسه أتاه فتح آخر فخر أيضاً ساجداً ثم رفع رأسه . فاتاه آخر بفتح آخر وخر ساجداً حتى ظننت انه لا يرفع رأسه

﴿ذكر ما وجد موسى في البيت الذي وجد فيه المائدة مع صور العرب﴾ قال وذكروا ان هرم بن عياض حدثهم

عن رجل من أهل العلم انه كان مع موسي بالاندلس حين فتح البيت الذي كانت فيه المائدة التي ذكروا انها كانت لسليمان بن داود عليه السلام فقال: كان بيتاً عليه أربعة وعشرون قفلا كان كلما تولي ملك جعل عليه قفلا اقتداء منه بفعل من كان قبله حتى اذا كانت ولاية لوذريق القرطبي الذي افتتحت الاندلس على يديه وفي ملكه قال والله لا أموت بغم هذا البيت ولأفتحنه حتى أعلم مافيه فاجتمعت اليه النصرانية والأساقفة والشمامسة وكل منهم معظم له فقالوا له ماتريد بفتح هذا البيت فقال والله لا أموت بغمه ولا علمت مافيه فقالوا أصلحك الله انه لا خير في مخالفة السلف الصالح وترك الاقتداء بالاولية فاقتد بمن كان قبلك وضع عليه قفلا كما صنع غيرك ولا يحملك الحرص على مالم يحملهم عليه فانهم أولى بالصواب منا ومنك فابى الا فتحه فقالوا له انظر ما ظننت ان فيه من المال والجواهر وماخطر على قلبك فانا ندفعه اليك ولا تحدث علينا حدثا لم يحدثه فيه من كان قبلك من ملوكنا فانهم كانوا أهل معرفة وعلم. فابى الا فتحه ففتحه فوجد فيه تصاوير العرب ووجد كتابا فيه: اذا فتح هذا البيت دخل هؤلاء الذين هيئاتهم هكذا هذه البلاد فملكوها.

فكان دخول المسلمين من العرب اليه في ذلك العام

﴿ ذكر ما أفاء الله عليهم ﴾ قال وذكروا عن الليث بن سعد ان موسي لما دخل الاندلس ضربوا الاوتاد لخيولهم في جدار كنيسة من كنائسها فتلفت الاوتاد فلم تلج فنظروا فاذا بصفائح الذهب والفضة خلف بلاط الرخام قال وذكروا ان رجلا كان مع موسي ببعض غزواته بالاندلس وانه رأي رجلين يحملان طنفسة منسوجة بالذهب والفضة والجوهر والياقوت . فلما اثقلتهما انزلاها ثم حملا عليها الفأس فقطعاها نصفين فاخذا نصفا وتركا الآخر قال فلقد رأيت الناس يمرون يميناً وشمالا ما يلتفتون اليها استغناء عنها بما هو انفس منها وأرفع قال واقبل رجل الى موسى فقال أبعث معي أدلكم على كنز . فبعث معه موسى رجالا فقال الذي دلهم انزعوا هاهنا فنزعوا فسال عليهم من الزبرجد والياقوت مالم يروا مثله قط فلما رأوه بهتوا وقالوا لا يصدقنا موسى أرسلوا اليه . فارسلوا حتى جاء ونظر قال وكانت الطنفسة قد نظمت بقضبان الذهب والفضة المسلسلة باللؤلؤ والياقوت والزبرجد قال وكان البربريان ربما وجداها فلا يستطيعان حملها حتى يأتيا بالفأس فيضربا وسطها ويأخذا

منها ما أمكنهما اشتغالا بغير ذلك مما هو انفس منه قال الليث
وبلغني ان رجلا غل في غزوة عطاء بن نافع فحمل ماغل حتى
جعله في مزفت بين كتفيه وصدره فحضره الموت فجعل يصيح
المزفت المزفت وحدثنا ابن أبي ليلي النجيبي عن حميد عن أبيه
انه قال لقد كانت الدابة تطلع في بعض غزوات موسي فينظر
في حافرها فيوجد فيه مسامير الذهب والفضة. قال وكتب
موسى حين افتتح الاندلس الى أمير المؤمنين: انها ليست كالفتوح
يا أمير المؤمنين ولكنه الحشر (وأخبرني عن عبد الحميد بن
حميد عن أبيه انه قال قدمت الاندلس امرأة عطارد فخرجت
بخمسمائة رأس فاما الذهب والفضة والآنية والجوهر فذلك
لا يحاط بعلمه) قال وحدثني ياسين بن رجاء انه قدم عليهم رجل
من أهل المدينة شيخ فجعل يحدثنا عن الأندلس وعن
دخول موسي اياها فقلنا له فكيف علمت هذا قال اني والله من
سبيه ولاخبركم بعجيب والله ما اشتراني الذي اشتراني الا بقبضة
من فلفل لمطبخ موسي بن نصير فقلنا له ما أقدمك فقال أبي
كان من وجوه الاندلس فلما سمع بموسي بن نصير عمد الى
عين ماله من الذهب والفضة والجوهر وغير ذلك فدفنه في

موضع قد عرفته فتقدمت أنا للخروج الي ذلك الموضع لاستخراجه قلنا له وكم لك منذ فارقته قال سبعون سنة قلنا له أفنسيته قال نعم فلم ندز بعدمافعل

﴿ غزوة موسى بن نصير البشكيس والافرنج ﴾ قال وذكروا ان موسى خرج من طليطلة بالجموع غازيا يفتح المدائن جميعاً حتى دانت له الاندلس وجاءه وجوه جليقية فطلبوا الصلح فصالحهم وغزا البشكيس فدخل في بلادهم حتى أتى قوما كالبهائم ثم مال الى أفرنجة حتى انتهى الى سرقسطة فافتتحها وافتتح مادونها من البلاد الى الاندلس قال فاصاب فيها مالا يدرى ماهو ثم سار حتى جاوزها بعشرين ليلة وبين سرقسطة وقرطبة شهراً أواربعين ليلة قال وذكروا ان عبد الله بن المغيرة بن أبي بردة قال كنت ممن غزا مع موسى الاندلس حتى بلغنا سرقسطة وكانت من أقصى ما بلغنا مع موسى الا يسيرا من ورائها فاتينا مدينة علي بحر ولها أربعة أبواب قال فبينما نحن محاصروها اذ أقبل عياش بن أخيل صاحب شرطة موسى قال أيها الامير انا قد فرقنا الجيش أرباعا على نواحي المدينة وقد بقي الباب الاقصي وعليه رتبة قال له موسى بن نصير دع ذلك الباب

فانا سننظر فيه قال ثم ان موسي التفت اليّ قال لى كم معك
من الزاد قلت مابقى معى غير تليس [1] قال فانت لم يبق
معك غيرَ تليس وأنت من أمراء الجيش فكيف غيرك اللهم
اخرجهم من ذلك الباب قال المغيرة فاصبحنا من تلك الليلة
وقد خرجوا من ذلك الباب فدخلها موسي منه ووجه ابنه
مروان فى طلبهم فادركهم فأسرع القتل فيهم وأصابوا مما
كان معهم ومما في المدينة شيئاً عظيما قال وذكروا ان جعفر
ابن الاشتر قال كنت فيمن غزا الاندلس مع موسي فحاصرنا
حصنا من حصونها عظيما بضعا وعشرين ليلة ثم لم نقدر عليه
فلما طال ذلك عليه نادى فينا ان أصبحوا على تعبئة وظننا انه
قد بلغه مادة من العدو وقد دنت منا وانه يريد التحول عنهم
فاصبحنا على تعبئة فقام فحمد الله ثم قال: أيها الناس اني متقدم
امام الصفوف فاذا رأيتموني قد كبرت وحملت فكبروا واحملوا
فقال الناس سبحان الله أترى فقد عقله أم عزب عنه رأيه
يأمرنا نحمل على الحجارة ومالا سبيل اليه! قال فتقدم بين يدي
الصفوف حيث يراه الناس ثم رفع يديه وأقبل على الدعاء

---

(١) التليس هنة (كيس) تسوى من الخوص لحمل المؤنة

والرغبة فأطال ونحن ركوب منتظرون تكبيره فاستمددنا ثم
ان موسي كبر وكبر الناس وحمل وحمل الناس فانهدت ناحية
الحصن التي تلينا فدخل الناس منها وما راعني الا خيل
المسلمين تمرع فيها وفتحها الله علينا فأصبنا من السبي
والجوهر مالا يحصي قال وحدثتني مولاة لعبد الله بن موسى
وكانت من أهل الصدق والصلاح ان موسى حاصر
حصنها الذي كانت من أهله وكان تلقاءه حصن آخر قالت فاقام
لنا محاصراً حينا ومعه أهله وولده وكان لا يغزو الا بهم لما
يرجو في ذلك من الثواب قالت ثم ان أهل الحصن خرجوا
الى موسى فقاتلوه قتالا شديداً ففتح الله عليه قالت فلما رأى
ذلك أهل الحصن الآخر نزلوا على حكمه ففتحهما موسى في
يوم واحد فلما كان في اليوم الثاني اتى حصنا ثالثاً فالتقى الناس
فاقتتلوا قتالا شديداً أيضاً حتي حال المسلمون حوله قال فامر
موسي بسرادقه فكشطه عن نسائه وبناته حتي برزن قال فلقد
كسرت بين يديه من اغماد السيوف مالا يحصي وحمى المسلمون
واحتدم القتال ثم ان الله فتح عليه ونصره وجعل العاقبة له
وقال عبد الرحمن بن سلام كنت فيمن غزا مع موسى في

غزواته كلها فلم ترد له رايه قط ولا هزم له جمع قط حتى مات
وقال ابن صخر لما قدم موسي الاندلس قال أسقف من أساقفتها:
انا لنجدك في كتب الحدثان عن دانيال بصفتك صياداً تصيد
بشبكتين رجل لك في البر ورجل في البحر تضرب بهماها هنا
وهاهنا فتصيد . قال فسر بذلك موسي وأعجبه وقال عبد الحميد
بن حميد عن أبيه ان موسي لما وغل وجاوز سرقسطة اشتد
ذلك على الناس وقالوا أين تذهب بنا حسبنا مافي أيدينا وكان
موسي قال حين دخل أفريقية وذكر عقبة بن نافع : لقد كان
غرر بنفسه حين وغل في بلاد العدو والعدو عن يمينه وعن
شماله وامامه وخلفه اما كان معه رجل رشيد فسمعه حبيش
الشيباني قال فلما بلغ موسي ذلك المبلغ قام حبيش فاخذ بعنانه
ثم قال: أيها الامير اني سمعتك وأنت تذكر عقبة بن نافع تقول
لقد غرر بنفسه وبمن معه أما كان معه رجل رشيد وانا رشيدك
اليوم اين تذهب تريد أن تخرج من الدنيا أو تلتمس أكثر
وأعظم مما أتاك الله عز وجل وأعرض مما فتح الله عليك ودوخ
لك اني سمعت من الناس مالم تسمع وقد ملؤا أيديهم وأحبوا
الدعة . قال فضحك موسي ثم قال أرشدك الله وكثر في المسلمين

مثلك ثم انصرف قافلا الى الاندلس فقال موسي يومئذ: أما والله لو انقادوا الي لقدتهم الى رومية ثم يفتحها الله على يدي ان شاء الله.

﴿خروج موسي بن نصير من الاندلس﴾ قال وذكروا ان عبد الرحمن بن سلام أخبرهم وكان مع موسي بن نصير بالاندلس قال أقام موسي بقية سنته تلك وأشهراً من سنة أربع وتسعين ثم خرج وافداً الى الوليد بن عبد الملك وكان ماأقام بها موسي عشرين شهراً واستخلف عبد العزيز بن موسي فجاز موسي البحر على الاندلس فغزا بالناس حتى بلغوا اربونة ومعه أبناء الملوك من الافرنج وبالتيجان والمائدة والآنية والذهب والفضة والوصفاء والوصائف ومالا يحصي من الجوهر والطرائف وخرج معه بوجوه الناس قال وذكروا عن صفة المائدة عن عبد الحميد انه قال: كانت مائدة خوان ليست لها أرجل قاعدتها منها وكانت من ذهب وفضة خليطين فهي تتلون صفرة وبياضا مطوقة بثلاثة أطواق طوق لؤلؤ وطوق ياقوت وطوق من زمرد قال قلت: فما عظمها قال: كنا بموضع والناس معسكرون اذ قلت بغل لرجل من موالي موسي يقال له صالح أبو ريشة على

رمكة [1] فكردها في العسكر فقام الناس اليه باعمدة الاخبية وجال في العسكر جولة فتطلع موسي قال ما هذا وتطلع الجواري فاذا هو بالبغل يكرد الرمكة وقد أدلي فغار موسي وقال احملوا عليه المائدة فلم يبلغ بها الا منقلة حتى تفتحت قوائمه لكثرة ثقلها على هذا البغل القوي

﴿ قدوم موسي أفريقية ﴾ قال وذكروا ان يزيد بن مسلم مولي موسي أخبرهم انه لما جاز موسي الحصن أمرهم بصناعة العجل فعملت له ثلاثون ومائة عجلة ثم حمل عليها الذهب والفضة والجوهر وأصناف الوشي الاندلسي حتى أتى أفريقية فلما قدمها بقي بها سنة أربع وتسعين ثم قفل واستخلف ابنه عبد الله على افريقية وطنجه والسوس وخرج معه ولده مروان بن موسي وعبد الاعلى بن موسي وعبد الملك بن موسي وخرج معه مائة رجل من أشراف الناس من قريش والانصار وسائر العرب ومواليها منهم عياض بن عقبه وعبد الجبار بن أبي سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف والمغيرة بن أبي بردة وزرعة ابن أبي مدرك وسليمان بن نجد ووجوه من وجوه الناس وأخرج

---

(١) الرمكة الانثي من البراذين . وكردها أى تبعها وطاردها

معه من وجوه البربر مائة رجل فيهم بنو كسيلة وبنو قصدر وبنو ملوك البربر وملك السوس مزدانة ملك قلعة ارساف وملك ميورقة وخرج بعشرين ملكا من ملوك جزائر الروم وخرج معه مائة من ملوك الاندلس ومن الافرنجيين ومن القرطبيين وغيرهم وخرج معه أيضاً باصناف ما في كل بلد من بزها ودوابها ورقيقها وطرائفها ومالا يحصي فاقبل يجر الدنيا وراءه جراً لم يسمع بمثله ولا بمثل ماقدم به

﴿ قدوم موسي الى مصر ﴾ قال وذكروا أن يزيد بن سعيد ابن مسلم أخبرهم قال لما اتي موسي مصر وانتهى ذلك الى الوليد بن عبد الملك كتب الى قرة بن شريك ان أدفع الى موسي من بيت مال مصر ما أراد فأقبل موسي حتي اذا كان في بعض الطريق لقيه خبر موت قرة بن شريك ثم قدم مصر سنة خمس وتسعين فدخل المسجد فصلي عند باب الصوال وكان قرة قد استخلف بن زفاعة على الجند حتي توفى فلما سمع بموسي خرج مبادراً حتى لحقه حين استوي على دابته فلقيه فسلم عليه فقال له موسي من أنت ياابن أخي فانتسب له فقال مرحبا وأهلا فسار معه حتي نزل منية عمرو بن مروان فعسكر بها

موسى فكلمه حينئذ رفاعة في المال الذي كان استخرجه من سفيان بن مالك الفهري وذلك بعد مهلك سفيان فقال هو لك قال فامر بدفع عشرة آلاف دينار الى ولد سفيان بن مالك قال فأقام موسى ثلاثة أيام تأتيه أهل مصر في كل يوم فلم يبق شريف الا وقد أوصل اليه موسى صلة ومعروفا كثيراً واهدى لولد عبد العزيز بن مروان فأكثر لهم وجاءهم بنفسه فسلم عليهم ثم سار متوجها حتى أتى فلسطين فتلقاه آل روح ابن زنباع فنزل بهم فبلغني انهم نحروا له خمسين جزوراً وأقام عندهم يومين وخلف بعض أهله وصغار ولده عندهم وأجاز آل مروان وآل روح بن زنباع بجوائز من الوصائف وغير ذلك من الطرف

﴿ قدوم موسى على الوليد رحمهما الله تعالى ﴾ قال وذكروا ان محمد بن سليمان وغيره من مشائخ أهل مصر أخبروهم ان موسى لما قدم على الوليد وكان قدومه عليه وهو في آخر شكايته التى توفي منها وقد كان سليمان بن عبد الملك بعث الى موسى من لقيه في الطريق قبل قدومه على الوليد يأمره بالتثبط في مسيره وان لا يعجل فان الوليد بآخر رمقه . فلما أتى موسى بالكتاب من سليمان وقرأه قال: حييت والله ماغدرت

وما وفيت والله لا تربصت ولا تأخرت ولا تعجلت ولكني أسير بسيري فان أوافيه حياً لم أتخلف عنه وان عجلت منيته فأمره الى الله . فرجع الرسول الي سليمان فاعلمه فقال لئن ظفر بموسي ليصلبنه أو ليأتين على نفسه فلما قدم موسي على الوليد وكان الوليد لما بلغه قدوم موسي واقترابه منه وجه اليه كتابا يأمره اليه بالعجلة في مسيره خوفا ان تعجل به منيته قبل قدوم موسي عليه وانه أراد ان يراه وان يحرم سليمان ماجاء به فلم يكن لموسي شيء يثبطه حين أتاه كتاب الوليد فاقبل حتي دخل عليه وقدم تلك الطرائف من الدر والياقوت والزبرجد والوصفاء والوصائف والوشي ومائدة سليمان بن داود عليه السلام ومائدة ثانية من جزع ملون والتيجان قال فقبض الوليد الجميع وأمر بالمائدة فكسرت وعمد الى أفخر مافيها والتيجان والجزع فجعله في بيت الله الحرام وفرق غير ذلك ولم يلبث الوليد ان مات رحمه الله .

﴿خلافة سليمان بن عبد الملك وماصنع بموسي بن نصير﴾

قال وذكروا ان عبد الرحمن بن سلام أخبرهم ان سليمان بن عبد الملك لما أفضت الخلافة اليه بعث الى موسي

فأوتي به فعنفه بلسانه وكان فيما قال له يومئذ : أعلى اجترأت وأمري خالفت والله لاقلنّ عددك ولا فرقنّ جمعك ولا بددن مالك ولاضعن منك ما كان يرفعه غيري ممن كنت تمنيه أماني الغرور وتخدعه من آل أبي سفيان وآل مروان. فقال له موسي: والله ياأمير المؤمنين ماتعتل عليّ بذنب سوى انني وفيت للخلفاء قبلك وحافظت على ولي النعمة عنده فيه فأما ماذكر أمير المؤمنين من انه يقل عددي ويفرق جمعي ويبدد مالي ويخفض حالي فذلك بيد الله والى الله وهو الذي يتولي النعمة علي الاحسان الي وبه أستعين ويعيذ الله عز وجل أمير المؤمنين ويعصمه ان يجرى على يديه شيئاً من المكروه لم استحقه ولم يبلغه ذنب اجترمته .فأمر به سليمان فوقف في يوم صائف شديد الحر على طريقة قال وكانت بموسي نسمة فلما أصابه حر الشمس وأتعبه الوقوف هاجت عليه قال وجعلت قرب العرق تعتوره فما زال كذلك حتى سقط وعمر ابن عبد العزيز حاضر الى ان نظر سليمان الى موسى وقد وقع مغشياً عليه قال عمر بن عبد العزيز : مامر بي يوم كان أعظم عندي ولا كنت فيه أكرب من ذلك اليوم لما رأيت من

الشيخ موسى وما كان عليه من بعد أثره في سبيل الله وما فتح الله على يديه . قال فالتفت الىّ سليمان فقال يا أبا حفص ما أظن الا قد خرجت من يميني قال عمر : فاغتنمت ذلك منه فقلت يا أمير المؤمنين شيخ كبير بادِنٌ وبه نسمة قد أهلكته وقد أتت على مافيه من السلامة لك من يمينك وهو موسى البعيد الاثر في سبيل الله العظيم الغناء عن المسلمين قال عمر والذي منعني من الكلام فيه ما كنت أعلم من يمينه وحقده عليه فخشيت ان ابتدأته ان يلح عليه وهو لحوح قال فلما قال لي ماقال حمدت الله على ذلك وعلمت ان الله قد أحسن اليه وان سليمان قد ندم فيه فقال سليمان من يضمه فقال يزيد بن المهلب أنا أضمه يا أمير المؤمنين قال وكانت الحال بين يزيد وموسى لطيفة خاصة قال سليمان فضمه اليك يا يزيد ولا تضيق عليه قال فانصرف به يزيد وقد قدم اليه دابة ابنه مخلد فركبها موسى فاقام اياما قال ثم انه تقارب ما بين موسى وسليمان في الصلح حتى افتدى منه موسى بثلاثة آلاف الف دينار

﴿ عدد موالي موسى بن نصير ﴾ قال وذكروا عن بعض البصريين ان رجلا منهم أخبرهم أن يزيد قال لموسى ذات ليلة وقد سهر

سهراً طويلا ياأبا عبدالرحمن كم تعد مواليك وأهل بيتك فقال
كثيراً قال يكونون الفاقال له موسى نعم والفا والفاحتى ينقطع
النفس لقد خلفت من الموالى ماأظن ان أحداً خلف مثلهم قال
له يزيد انك لعلى مثل ماوصفت وتعطى يدك ألا أقمت بدار عزك
وموضع سلطانك وبعثت بما قدقدمت به فان أعطيت الرضا
أعطيت الطاعة والا كنت على التخيير من أمرك فقال موسى والله
لوأردت ذلك ماتنا ولوا طرفا من أطرافي الى ان تقوم الساعة
ولكن آثرت حق الله ولم أر الخروج من الطاعة والجماعة ثم
خرج يزيد من عنده فنظر اليه موسى قال لمن عنده والله ان
في رأس أبي خالد لنفرة وليأتين عليها .

﴿ ذكر ما رآه موسى بالمغرب من العجائب ﴾ قال
وذكروا عن محمد بن سليمان عن مشائخ أهل مصر قال لما
بعث موسى رحمه الله بالخمس الذي أفاء الله عليه وكان مائة الف
رأس فنزلوا بالاسكندرية ونزل بعضهم كنيسة فيها فسميت
كنيسة الرقيق الى اليوم ونزلوا موضعا بالفسطاط فتسوقوا
فيه فسمي سوق البربر الى اليوم قال محمد بن سليمان ومحمد بن
عبد الملك ان موسى اتخذ لنفسه داراً وسكنا حتى كان من أمر

سليمان ماقد ذكر وهو الذي اخرجه وأهله من
المغرب قال وحدثنا بعض أهل افريقية ان موسى ركب يوما
حتى خرج من القير وان فوقف قريبا من افريقية على رأس
اميال فأخذبيده ترابا فشمه ثم أمر بحفربئر وابتني داراً واتخذ
فيهاخيلا فسميت بئر منية الخيل فليس يعلم بالمغرب بئر اعذب
منها . وحدثنا الكريرأبو بكر عبد الوهاب بن عبدالغفارشيخ
من مشائخ تونس قال ان موسى انتهي الى صنم يشير باصبعه
خلفه ثم تقدم الى صنم امام الصنم الاول فاذا هو يشير باصبعه
الى السماء ثم تقدم فاذا بصنم على نهر ماء جار يشيرباصبعه تحت
قدميه فلما انتهى موسى الى الصنم الثالث قال موسى احفروا فاذا
بحدث مختوم الراس قدأخرج فأمر به موسى فكسر فخرجت
ريح شديدة فقال موسى للجيش اتدرون ما هذا قالوا لا والله
ايها الامير ماندرى قال ذلك شيطان من الشياطين التي سجنها
نبي الله سليمان بن داودقال وحدثنا بعض مشائخ أهل المغرب
ان موسى ارسل ناسا في مراكب فامرهم ان يسيروا حتى ينتهوا
الى صنم يشير باصبعه امامه في جزيرة في البحرثم يسيروا حتى
يأتوا صنما آخر في جزيرة يشير باصبعه امامه ثم يسيروا الليالي

والايام ويجدوا في السير حتى يأتوا صنماً آخر في جزيرة في البحر
فيها أناس لا يعرف كلامهم قال فاذا بلغتم ذلك فارجعوا وذلك
في أقصى المغرب ليس وراه أحد من الناس الا البحر المحيط
وهو أقصى المغرب في البر والبحر • قال وحدثنا بعض المشائخ
من أهل المغرب ان موسى بلغ نهراً من أقصى المغرب فاذا
عليه في الشق الايمن أصنام ذكور وفي الايسر أصنام أناث
وان موسى لما انتهى الى ذلك الموضع خاف الناس فلما رأى
ذلك منهم رجع بالناس ثم مضى في وجهه ذلك حتى انتهى الى
أرض تميد باهلها ففزع الناس وخافوا فرجع بهم قالوا وحدثنا
عبد الله بن قيس قال بلغني ان موسى لما جاوز الاندلس أتى
موضعاً فاذا فيه قباب من نحاس فامر بقبة منها فكسرت فخرج
منها شيطان نفخ ومضى فعرف موسى انه شيطان من الشياطين
التي سجنها سليمان بن داود فامر موسى بالقباب فتركت على
حالها وسار بالناس قال وحدثنا عمارة بن راشد قال بلغنا ان
موسى كان يسير في بعض غزواته وهو باقصى المغرب اذ
غشي الناس ظلمة شديدة فعجب الناس منها وخافوا وسار بهم
موسى في ذلك اذ هجم على مدينة عليها حصن من نحاس فلما

أتاها أقام عليها وطاف بها فلم يقدر على دخولها فامر بنبل ورماح
وندب الناس بجعل يقول من يصعد هذه وله خمسمائة دينار
فصعد رجل فلما استوى على سورها تردى فيها ثم ندب الناس
موسى ثانية وقال من يصعد وله الف دينار فصعد آخر ففعل به
مثل ذلك ثم ندب الناس ثالثة قال من يصعد وله الف وخمسمائة
دينار فصعد رجل ثالث فاصابه ما أصاب صاحبيه فكلم الناس
موسى فقالوا هذا أمر عظيم أصيب اخواننا وغررت بهم حتى
هلكوا فقال لهم علي رسلكم يأتيكم الامر على ما تحبون ان شاء
الله ثم أمر موسى بالمنجنيق فوضعت على حصن المدينة ثم أمر
ان يرمى الحصن فلما علم من في الحصن ما عمل موسى ضجوا
وصاحوا وقالوا يا أيها الملك لسنا بغيتك ولا نحن ممن تريد نحن
قوم من الجن فانصرف عنا فقال لهم موسى اين أصحابي وما
فعلوا قالوا هم عندنا على حالهم فقال أخرجوهم الينا قالوا نعم فاخرج
الثلاثة نفر فسألهم موسى عن أمرهم وما صنع بهم فقالوا ما درينا
ما كنا فيه وما أصابتنا شوكة حتى أخرجنا اليك فقال موسى
الحمد لله كثيراً ثم تقدم بالناس سائراً يفتح كل ما مر به . ثم نرجع
الى حديث سليمان بن عبد الملك

﴿ تولية سليمان بن عبد الملك أخاه مسلمة وما أشار به موسى عليه ﴾ قال وذكروا ان سعيد بن عبد الله أخبرهم قال ان سليمان بن عبد الملك بعث مسلمة الى أرض الروم ووجه معه خمسمائة وثلاثين الف رجل وخمسمائة رجل ممن قد ضمه الديوان واكتتب في العطاء وتقلب في الارزاق ثم دعا سليمان بموسى بعد ان رضي عنه على يد عمر بن عبد العزيز فقال سليمان له أشر عليّ ياموسى فلم تزل مبارك الغزوة في سبيل الله بعيد الاثر طويل الجهاد فقال له موسى: أرى يا أمير المؤمنين أن توجهه بمن معه فلا يمر بحصن الاصير عليه عشرة آلاف رجل حتى يفرق نصف جيشه ثم يمضي بالباقي من جيشه حتى يأتي القسطنطينية فانه يظفر بما يريد يا أمير المؤمنين . قال فدعا سليمان مسلمة فامره بذلك من مشورة موسى وأوعز اليه فلما علم مسلمة بالمشورة فكأنه كره ذلك وكان في مسلمة بعض الاباية ثم رجع الى قول موسى فيما صنع بارض الروم حين ظفر ببطريق ليس فوقه الا ملك الروم فقال البطريق لمسلمة آمني على نفسي وأهلي ومالي وولدي وأنا آتيك بالملك فامنه ومضى البطريق الى الملك الاعظم فاعلمه بما فعل مسلمة وما ظفر به

منه ومن حصون الروم فلما رأي ذلك ملك الروم أعظم ذلك
وسقط في يديه فقال البطريق له عند ذلك مالي عليك ان صرفت
مسلمة عنك وجميع من معه فقال الملك اجعل تاجي على رأسك
وأقعدك مكاني فقال البطريق أنا أكفيك ذلك فرجع البطريق
الى مسلمة فقال أخرني ثلاثا حتى آتيك بالملك فبعث البطريق
الى جميع الحصون فامرهم بالتقلع الى الجبال وحمل ما قدروا عليه
من الطعام وأمر باحراق الزرع وغير ذلك مما يؤكل وينتفع به
مما كان خلفه مسلمة وجنده وما بين المسلمين وملك الروم فلما
فعلوا ما أمروا به وعلم انه أحكم أمره بعث الي مسلمة فقال له:
لو كنت امرأة لفعلت بك كما يفعل الرجل بامرأته . قال فتغيظ
مسلمة وآلى الا يبرح حتى يظفر بملك الروم

﴿ سؤال سليمان موسى عن المغرب ﴾ قال وذكروا ان محمد
ابن سليمان أخبرهم ان سليمان بن عبد الملك قال لموسى من خلفت
على الاندلس قال له عبد العزيز بن موسى قال ومن خلفت على
أفريقية وطنجه والسوس قال عبد الله ابنى فقال له سليمان لقد
أنجبت ياموسى فقال موسى ومن أنجب مني يا أمير المؤمنين
ان ابنى مروان أتي بملك الاندلس وابني عبد الله أتى بملك

ميورقة وصقلية وسردانية وان ابني مروان أتى بملك السوس الاقصى فهم متفرقون في الامصار وغيرهم يغيرون فيأتون من السبي بمالا يحصى فمن أنجب مني ياأمير المؤمنين قال فغضب سليمان فقال ولا أمير المؤمنين ليس بأنجب منك . فقال موسى شأن أمير المؤمنين شأن ليس فوقه شأن وكل شأن وإن عظم دونه لانه به ومنه وعلى يديه وأمره . قالوا وحدثنا عبد الله ابن شريح قال بلغني ان موسى لما نزل الحيرة عند قدومه من المغرب أتاه رجل من بني أمية فقال له ياموسى انت ملك المغرب وأعلم الناس تخرج الى الوليد وتعلم من سليمان فقال له موسى : يا ابن أخي حسبك من قريش ثم من بني أمية ما تعلم الا ترى يا ابن أخي ان الصبي يأخذ العظم فيحقفه بحبل ثم ينصبه ويهيء ويضع فيه حبة برٍّ أو ذرة فينصب للهدهد العالم بما تحت الارض ثم تدفعه المقادير الى الوقوع فيه فاحذر يا ابن أخي ان تراك الشام أو تراها . فخرج موسى الى الوليد بدمشق فمات الوليد واستخلف سليمان أخاه فلقي منه موسى ما ذكرنا وأخرج القرشي الى الشام فضربت عنقه .

﴿ ذكر قدوم موسى على الوليد ﴾ قال وذكروا ان موسى

لماقدم على الوليد وذلك يوم الجمعة في حين جلوس الوليد بن عبد الملك
على المنبر وكان موسي قال لبعض من وفد معه بان يلبس كل
رجل من الاسري تاجا وثياب ملك ذلك التاج ثم يدخلوا امامه
المسجد قال فالبس ثلاثين رجلا ثلاثين تاجا وهيأهم هيئة الملوك
وأمر بابناء ملوك البربر فهيئوا وأمر بابناء ملوك الجزائر والروم
فهيئوا كذلك ولبسوا التيجان وأمر بابناء ملوك الاشبان فهيئوا
بمثل ذلك وأمر بالاموال والجوهر واللؤلؤ والياقوت والزبرجد
والجزع والوطاء والكساء المنسوج بالذهب والفضة المحرش
باللؤلؤ والياقوت والزبرجد فوقف الجميع بباب الوليد وابناء
ملوك افرنجة واقبل موسى بالذين البسهم التيجان حتى دخل
مسجد دمشق والوليد على المنبر يحمد الله وهو موهون قد
أثرت فيه العلة وانهكه المرض وانما كان متحملا لاجل قدوم
موسي ومن معه فلما رآهم بهت اليهم وقال الناس موسى موسى
ثم أقبل حتى سلم على الوليد ووقف الثلاثون بالتيجان عن يمين
المنبر وشماله ثم ان الوليد أخذ في حمد الله تعالي والثناء عليه
الشكر لما ايده الله ونصره فتكلم بكلام لم يسمع منه وأطال
حتي فات وقت الجمعة ثم صلى بالناس فلما فرغ جلس ثم دعا

بموسى فصب عليه الوليد الخلع ثلاث مرات وأجازه بخمسين الف دينار وفرض لولده جميعاً في الشرف وفرض لخمسمائة من مواليه ثم ادخل عليه موسى ملوك البربر وملوك الروم وملوك الاشبان وملوك افرنجة ثم ادخل عليه رؤس أهل البلاد ممن كان معه من قريش والعرب فاحسن جوائزهم وفرض لهم في الشرف ثم اقام موسي عند الوليد اربعين يوما ثم ان الوليد هلك.

﴿ ذكر اختلاف الناقلين في صنع سليمان بموسى ﴾ قالوا لما استخلف سليمان بعد أخيه الوليد فكان احنق الناس على الحجاج وموسى بن نصير وكان يحلف لئن ظفر بهما ليصلبنهما وكان حنقه عليهما لامر يطول ذكره. قال فارسل سليمان الى عمر بن عبد العزيز فاتاه فقال اني صالب غداً موسى بن نصير فبعث عمر الي موسى فأتاه فقال له: يا ابن نصير اني أحبك لاربع الواحدة بُعْدُ أثرك في سبيل الله وجهادك لعدو الله والثانية حبك لآل محمد صلى الله عليه وسلم والثالثة حبك عياض بن عقبة لما تعلم من حسن رأيي فيه وكان عياض من عباد الله الصالحين والرابعة ان لابي عندك يداً وصنيعة وأنا أحب ان تتم يده وصنيعته حيث كانت وقد سمعت أمير المؤمنين يذكر انه صالبك

غـداً فاحدث عهدك وانظر فيما أنت فيه ناظر من أمرك
فقال له موسي قد فعلت وأسندت ذلك اليك فقال له عمر لو
قبلت ذلك من أحد قبلت منك ولكن أسند الى من أحببت
فانصرف فلما أصبح اغتسل وتحنط وراح ولم يشك في الصلب
فلما انتصف النهار واشتد الحر وذلك في حمارة الصيف دعا
سليمان موسي فادخل عليه متعبا وكان بادناً جسيما به نسمة
لاتزال تعرض له فلما وقف بين يديه شتمه وخوفه وتواعده
فقال له موسي: أما والله يا أمير المؤمنين ما هذا بلائي ولا قدر
جزائي اني البعيد الاثر في سبيل الله العظيم الغناء عن المسلمين
مع قدمة آبائي مع آبائك ونصيحتي لهم. قال فيقول له سليمان
كذبت قتلني الله ان لم اقتلك فلما أكثر على موسي
قال له أما والله لمن في بطن الارض أحب الي ممن
على ظهرها فقال سليمان ومن أولئك واستطير فقال له موسي
مروان وعبد الملك والوليد أخوك وعبد العزيز عمك قال
فكاد سليمان ينكسر ثم يقول قتلني الله ان لم أقتلك فيقول له
موسى ما انت بفاعل يا أمير المؤمنين فيقول ولم لا أم لك فيقول
له موسي اني لارجو الا يكرم موسي بهوان أمير المؤمنين

وموسي حينئذ قائم في الشمس قد ارتفع نفسه وعظم بهره
ثم التفت سليمان الى عمر بن عبد العزيز فقال ما أرى يميني الا قد
برئت يا عمر قال عمر فاغتنمتها منه ولم أبال ان يحنث باحياء رجل
من المسلمين فقلت أجل يا أمير المؤمنين امرؤ كبرت سنه
وكثر لحمه وبه نسمة وبهر وسقم فما أراه الا ميتا قال ثم التفت
سليمان الى جلسائه فقال من يأخذ هذا الشيخ فيستخرج منه
هـذه الاموال فقال يزيد بن المهلب انا ياامير المؤمنين قال
فخذه ولا تمسه وضع العذاب على ابنيه مروان وعبد الاعلى
فخرج به يزيد فحمله على دابة ابنه ثم انصرف به الى مـنزله
فاكرمه وبره وقال له :أطع أمري وأجب أمير المؤمنين الى
مقاضاته عن نفسك وعن ابنيك وحملني كلما قاضيته عليه . فقال
له موسى أما اذ كنت انت صاحب هذا الشأن فانا غير مخبرك
فيما ضمنت لامير المؤمنين وأيم الله لو أمر سواك بي وأمره
بالبسط عليّ لكان أحب اليّ ان اتقي الله عز وجل وأقرب اليّ من
أن يأخذ مني ديناراً واحداً ولـكن أديا يابني عن أنفسكما وعن
أبيكما فقالا نعم فغدا يزيد بن المهلب الى سليمان فاعلمه بذلك
وبرضا موسى بمقاضاته فادخله سليمان عليه فقال موسى أرأيت

لو لم أقاضك ما كنت فاعلا فقال سليمان أضع العذاب عليك وعلى ابنيك حتى أبلغ ما أريد أوآتي على أنفسكم فقال موسى الآن طابت نفسك يا أمير المؤمنين فاعطني أربع خصال ولك مادعوتني اليه من هذا المال فقال وما هن قال لا تعزل عبد الله بن موسى عن أفريقية وجميع عمله سنتين وان كل ماجباه عبد الله بافريقية وعبد العزيز بالاندلس فهولي فيما قاضيت عليه أمير المؤمنين وان تدفع الي طارقاً مولاي وأكون أعلا به عيناً وبماله فقال له سليمان أما ماسألت من اقرار عبد العزيز وعبد الله على مكانهما فذلك لك وأما ما سألت من دفع طارق اليك فتكون أعلا عينا به وبماله فليس هذا جزاء أهل النصيحة لامير المؤمنين فلست بفاعل ولا مخل بينك وبين عقوبته ولا آخذ ماله فقاضاه موسى على مال فاجله في ذلك وخلي سبيله

﴿ نسخة القضية ﴾ هذا ما قاضي عليه عبد الله سليمان أمير المؤمنين موسي بن نصير قاضاه على أربعة آلاف الف دينار وثلاثين الف دينار وخمسين ديناراً ذهباً طيبة يؤديها الى أمير المؤمنين وقد قبض منها أمير المؤمنين مائة الف وبقى على موسي سائر ذلك أجله أمير المؤمنين

الى سير رسول أمير المؤمنين الى ابن موسى الذي بالاندلس يمكث شهراً بالاندلس وليس له أن يمكث وراء ذلك يوما• واحداً حتى يقبل راجعاً بالمال الا ما كان من أفريقية ومادونها وليس لموسى أن يتكثر بشيء مما كان عليه من العمل منذ استخلف الله أمير المؤمنين من ذمة أو فيء أو أمانة فهو لامير المؤمنين يأخذه ويقتضيه ولا يحسبه موسى من غرامته فان أدي موسى الذي سمى أمير المؤمنين في كتابه هذا من المال الى ما قد سمى أمير المؤمنين من الأجل فقد برئ موسى وبنوه وأهله ومواليه وليست عليهم تبعة ولا طلبة في المال ولا في العمل يقرون حيث شاؤا وما كان قبض موسى أو بنوه من عمال موسي الى قدوم رسول أمير المؤمنين أفريقية فهو من الذي علي موسي من المال يحسب له من الذي عليه مالم يقبض قبل وصول رسول أمير المؤمنين فليس منه في شيء وقد خلى أمير المؤمنين بين موسي وبين أهله ومواليه ليس له ظلم أحد منهم غير ان أمير المؤمنين لا يدفع اليه طارقا مولاه ولا شيئاً من الذي قد أباه عليه أول يوم شهد أيوب بن أمير المؤمنين وداود ابن أمير المؤمنين وعمر بن عبد العزيز وعبد العزيز بن الوليد

وسعيد بن خالد ويعيش بن سلامة وخالد بن الريان وعمر بن عبد الله ويحي بن سعيد وعبد الله بن سعيد وكتبه جعفر بن عثمان في جمادي سنة تسع وتسعين . فلما تقاضيا أمر سليمان يزيد ابن المهلب بتخلية موسي وابنيه والكف عنه فاعانه يزيد بن المهلب بمائة الف دينار فاهدي اليه موسي حقاً فيه ثلاث خرزات فبعث بهن الي ابن المهلب فقومهن فقوبلن بثلاثمائة الف دينار فقال ابن المهلب لموسي أتدري لم قلت لامير المؤمنين أنا أضمه قال لا قال خفت أن يجيبه قبلي من لا يرى فيك ما أنا عليه لك وكانت لك يدٌ عند المهلب رحمه الله فأحببت أن أجزيك بها عنه وبالله لو لم تفعل وأبيت عن المقاضاة ما شاكتك عندي شوكة حتى لا يبقى لآل المهلب مال ولا ثوب . قال فجزاه موسى خيراً

﴿ ذكر يد موسي الي المهلب ﴾ قال وذكروا ان مخبراً أخبرهم من شيوخ الشام ممن أدرك القوم وصحبتهم قال كانت اليد التي اسداها موسي الي المهلب ان عبد الملك بن مروان لما ولي العراق بشراً أخاه جعل معه موسى بن نصير وزيراً ومديراً لامره وقد كانت الازارقة أفسدت ماهنا لك فامر عبد الملك بشر بن مروان أن يولي المهلب قتالهم وكان بشر للمهلب مسيئاً

فلما قدم بشر العراق وعلم المهلب برأيه اعتزل بشراً فلم يأته فولي بشر بن مروان قتال الازارقة الوليد بن خالد فانهزم وافتضح ثم ولي بشر رجلا آخر فلم يصنع شيئاً فكتب عبد الملك الى بشر أخيه يفنيد رأيه فيما صنع ويوبخه لما خالف أمره فصمم بشر على رأيه فلما استغلظ أمر الازارقة استشار بشر ابن مروان أسماء بن خارجة وعكرمة بن ربعي وموسى بن نصير في أمر المهلب فاما عكرمة وأسماء فوافقا هواه فيه وأما موسي فقال له ان أمير المؤمنين لا يحتملك على المعصية وليس مثل المهلب في فضله وشرفه وقدره في قومه ومعرفته أقصيت أو جفوت فان كان ما بلغك أمر يقال انه أتاه فاكشفه عنه حتى تعلم عذره فيه أو ذنبه فلم يزل موسي يردد أمر المهلب على بشر ويعطفه عليه بعد ان كان هم بقتله إن ظفر به حتي أرسل اليه بشر فجاءه المهلب فتنصل اليه المهلب فقبل منه بشر وولاه ما كان يلي فبعث اليه موسي بخمسين فرساً وبمائة بعير وقال له استعن بها على حربك ثم لم يزل موسي قائماً بامره عند بشر حتي هلك بشر . قالوا وأخبرنا محمد بن عبد الملك ان المهلب في الايام التي كان يخاف فيها بشر بن مروان على نفسه خرج الى مال له

فكان فيه وحده فاتى رجل الى بشر وعنده موسي فقال له ان كان لك أيها الامير بالمهلب حاجة فابعث خيلا الى موضع كذا وكذا فانه فيه في غار وحده وليس معه فيه رجل من قومه ٠٠ فبعث بشر خيلا قال فنهض من مجلسه موسي فوجه اليه غلاماً له ثم قال له أنت حرٌ لوجه الله ان أنت سبقت هذه الخيل حتى تنتهي الى موضع كذا وكذا فتأتي المهلب فتقول له ان موسى يقول لك النجاة بنفسك فخرج غلام موسي حتى انتهى الى المهلب فاعلمه فاستوى على فرسه فذهب وأتت الخيل فلم تجد احداً هنالك فانصرفوا راجعين الى بشر فاعلموه بذلك

﴿ ذكر قتل عبد العزيز بن موسي بالاندلس ﴾

وذكروا ان محمد بن عبد الملك أخبرهم قال أقام موسي بن نصير مع سليمان بن عبد الملك يطلب رضاه حتى رضي عنه وابنه عبد الله بن موسى على أفريقية وطنجة والسوس وابنه عبد العزيز على الاندلس كما هو فلما بلغ عبد العزيز الذى فعل سليمان بابيه موسي تكلم بكلام خفيف حملته عليه حمية لما صنع بابيه على حسن بلائه فنميت الى سليمان فخاف سليمان ان يخلع فكتب الى حبيب بن عبيد وابن وعلة التميمي وسعد بن عثمان بن ياسر

وعمرو بن زياد اليحصبي وعمر بن كثير وعمرو بن شرحبيل
كتب الى كل رجل منهم كتابا يعلمه بالذي بلغه عن عبد العزيز
ابن موسى وما هم به من الخلع وانه قد كتب الى عبد الله بن
موسى يأمره باشخاصهم الي عبد العزيز وأعلمه انما دعاه الي
ذلك الذي أحب من مكانفتكم لانه بازاء العدو وأعطاهم العهود
ان من قتله منهم فهو أمير مكانه . وكتب الي عبد الله بن موسى
اني نظرت فاذا عبد العزيز بازاء عدو يحتاج فيه الي الغناء والبلاء
فسأل أمير المؤمنين فاخبر ان معك رجالا منهم فلان وفلان
فاشخصهم الى عبد العزيز بن موسى . وكتب سليمان الى عبد
العزيز أما بعد فان أمير المؤمنين علم ما أنت بسبيله من العدو
وحاجتك الى الرجال أهل النكاية والغناء فذكر له ان بافريقية
رجالا منهم فكتب أمير المؤمنين الى عبد الله بن موسى يأمره
باشخاصهم اليك فولهم أطرافك وثغورك واجعلهم أهل خاصتك
وكتب اليهم سليمان اني قد بعثت لكم بكتاب الى أهل الاندلس
بالسمع والطاعة لكم والغدر في قتله فاذا ولاكم أطرافه فاقرؤا
عهدي على من قبلكم من المسلمين ثم ارجعوا اليه حتى تقتلوه .
فلما قدم الكتاب على عبد الله بن موسى بافريقية أشخص

القوم فخرجوا حتى قدموا على عبد العزيز بالاندلس بكتاب سليمان في الطافهم واكرامهم فقربهم عبد العزيز واكرمهم وحياهم وقال لهم اختاروا أي نواحيّ وثغوري شئتم فضربوا الرأي فقالوا انكم ان فعلتم ما أنتم فاعلون ثم رجعتم اليه من أطرافه لم نأمن أن يميل معه عظيم الناس فان في يديه الاموال والقوة من مواليه وغيرهم ولكن اعملوا رأيكم في الفتك به قالوا فإن هاهنا رجلا ان دخل معنا استقام لنا الامر ووصلنا الى ما أردنا وهو أيوب بن حبيب بن أخت موسى قال فلقوه ودعوه الى انه ان قتله فهو مكانه فقبل وبايعوه على ذلك ثم انهم أتوا عبد الله ابن عبد الرحمن الغافقي وكان سيد أهل الاندلس صلاحا وفضلا فاعلموه ثم اقرأوه كتاب سليمان . فقال لهم: قد علمتم يد موسى عند جميعكم صغيركم وكبيركم وانما بلغ أمير المؤمنين أمر كذب عليه فيه والرجل لم ينزع يداً من الطاعة ولم يخالف فيستوجب القتل وانتم ترون وأمير المؤمنين لا يرى فأطيعوني ودعوا هذا الامر فأبوا ومضوا على رأيهم فاجمعوا على قتله فوقفوا له فلما خرج لصلاة الصبح ودخل القبلة وأحرم وقرأ بام القرآن الكريم واستفتح (اذا وقعت الواقعة) ضربه حبيب بن أبي عبيدة ضربة

فدهش ولم يصنع شيئاً فقطع عبد العزيز الصلاة وخرج وتبعوه فقتله ابن وعلة التميمي وأصبح الناس فأعظموا ذلك فاخرجوا كتاب سليمان بذلك فلم يقبله أهل الاندلس وولوا عليهم عبد الله بن عبد الرحمن الغافقي ووفد حبيب بن أبي عبيدة برأس عبد العزيز بن موسى رحمهما الله

﴿ قدوم رأس عبد العزيز بن موسى على سليمان ﴾

وذكروا ان سليمان لما ظن ان القوم قد دخلوا الاندلس وفعلوا ما كتب به اليهم عزل عبدالله بن موسي عن أفريقية وطنجه والسوس في آخر سنة ثمان وتسعين في ذي الحجة وأقبل هؤلاء حتى قدموا على سليمان وموسى بن نصير لا يشعر بقتل عبد العزيز ابنه فلما دخلوا على سليمان ووضع الرأس بين يديه بعث الى موسى فاتاه فلما جلس وراء القوم قال له سليمان اتعرف هذا الرأس ياموسى فقال نعم هذا رأس عبد العزيز بن موسى فقام الوفد فتكلموا انما تكلموا به . ثم ان موسى قام فحمد الله ثم قال : وهذا رأس عبد العزيز بين يديك يا أمير المؤمنين فرحمة الله تعالى عليه فلعمر الله ماعلمته نهاره الاصواما وليله الا قواماً شديد الحب لله ولرسوله بعيد الأثر في سبيله حسن الطاعة

لأمير المؤمنين شديد الرأفة بمن وليه من المسلمين فان يك عبد العزيز قضى نحبه فغفر الله له ذنبه فوالله ما كان بالحياة شحيحاً ولا من الموت هائباً وليعز على عبدالملك وعبدالعزيز والوليد أن يصرعوه هذا المصرع ويفعلوا به ما أراك تفعل ولهو كان أعظم رغبة فيه وأعلم بنصيحة أبيه ان يسمعوا فيه كاذبات الاقاويل ويفعلوا به هذه الافاعيل . فرد سليمان عليه قال بل أبيك المارق من الدين والشاق عصا المسلمين المنابذ لامير المؤمنين فهلا أيها الشيخ الخرِف . فقال موسى : والله ما بي من خرف ولا أنا عن الحق بذي جنف ولن ترد محاورةُ الكلام مواضعَ الحدام وانا أقول كما قال العبد الصالح «فصبرٌ جميل والله المستعان على ما تصفون» فتأذن في رأسه يا أمير المؤمنين واغرورقتا عيناه . فقال له سليمان نعم فخذه فقام موسي فاخذه وجعله في طرف قميصه الذي كان عليه ثم أدبر في السماطين فوقع الطرف الآخر عن منكبيه وهو يجر لا يحفل به ولا يرفعه فقال له خالد بن الريان ارفع ثوبك يا ابن نصير فالتفت موسى وقال ما أنت وذاك ياخالد قال سليمان دعه حسبه ما فعلنا به فلما توارى موسى قال سليمان ان في الشيخ لبقية بعد . ثم ان

موسى التفت الى حبيب بن أبي عبيدة فكلمه بكلام غليظ حتى ذكر أمراً خفياً من نسبه فالجمه ثم ان سليمان كشف عن أمر عبد العزيز فالفى ذلك باطلا وان عبد العزيز لم يزل صحيح الطاعة مستقيم الطريقة فلما تحقق عند سليمان باطل مارفع اليه عن عبد العزيز ندم وأمر بالوفد فاخرجوا ولم ينظر في شيء من حوائجهم وأهدر عن موسى بقية القضية التي كان سليمان قاضاه عليها وكان سليمان قد آلي قبل خلافته لئن ظفر بالحجاج ابن يوسف وموسى بن نصير ليعزلنهما ثم لا يليان معه من أمور الناس شيئاً فلما رضي عن موسى جعل يقول ماندمت على شيء ندامتي ان لا كنت خلواً من اليمين على موسى في ان لا أوليه شيئاً مامثل موسى استغنى عنه . قال وان موسى دخل على سليمان في آخر يوم من شعبان عند المغرب وهو مستشرف على سطح وعنده الناس فلما رآه سليمان قال عندكم والله من ان سألتموه عن الهلال ليخبرنكم انه قد رآه وقد غمي يومئذ عن سليمان والناس فلما دنى موسى وسلم قال له سليمان أرأيت الهلال بعد ياموسى قال نعم يا أمير المؤمنين هاهو ذاك وأشار باصبعه الى ناحية وهو مقبل على سليمان بوجهه فرمي الناس بابصارهم حيث أشار

موسى فابصروا الهلال فلما جلس موسى قال اني والله لست باحدّكم بصراً ولكني أعلمكم بمطالعه ومناسقه قال فخرج فلقيه يزيد بن المهلب فقال له : يا أبا عبد الرحمن بينا أنت أدهى الناس وأعلمهم أقبلت تسوق نفسك حتي تضعها في يد سليمان فقال له موسي أما علمت يا أبا خالد ان الهدهد يهندس الماء ويعرفه من الارض الفضاء ومن الحزونة والسهل ويبصر القريب منه والبعيد ثم ينصب له الصبي الفخ بالدوذة وما أشبهها فلا يبصر ذلك حتى يقع فيه فيؤخذ وذلك انه لا حذر ينجي من قدر ولا رأى ولا بصر وكذلك كنت وسليمان بن عبد الملك.

قال وذكروا ان سليمان خرج يوما الي بعض أمواله متنزها فخرج معه موسى بن نصير فعرضت عليهم غنم حلب نحو من ألف رأس فأعجب سليمان مارأي منها والتفت الى موسى قال له هل رأيت مثلها قط قال نعم فرددها سليمان كالمغضب عليه قال موسى نعم يا أمير المؤمنين وما هذا فيما أفاء الله عز وجل على يدى لقد كانت الالف تباع بعشرة دراهم أو دونها ولقد كانت في بعض المواطن وما لها قيمة ولا يلتفت اليها أحد يا أمير المؤمنين ولغير ذلك مما أفاء الله عليهم

ولقد رأيت العلج العتل والوصيف الفاره والجارية الحسناء وان أكثر ماتبلغ خمسين درهما لكثرة ذلك من صنوفه كلها ولقد رأيت الذود من الابل لاتبلغ قيمته عشرين درهما أكثيريا أمير المؤمنين ما أعلمتك فيما تسمع قال سليمان لا وحمد الله . وذكروا ان موسى دخل على سليمان يوما وعنده الناس فلما رآه سليمان قال ذهب سلطان الشيخ وأبصره موسى حين تكلم فلم يفهم ما قال فلما سلم قال يا أمير المؤمنين رأيتك لما نظرتني داخلا تكلمت بكلام ظننتك عنيتني به قال نعم قلت ذهب سلطان الشيخ قال له موسى: أما والله لئن ذهب سلطان الشيخ لقد أثر الله في دينه أثراً حسناً ولقد كنت طويل الجهاد في الله حريصاً في اظهار دين الله حتى أظهره الله وكنت ممن تم الله به موعده لنبيه ، ولئن أدبر معك لقد كان مع آبائك ناضر الغصن ميمون الطائر . فقال سليمان هو ذاك فقال موسى وهو ذاك فلم يزل يرددها سليمان ويرددها موسى حتى سكت سليمان

﴿ سؤال سليمان بن عبد الملك موسى عن اخباره وأفعاله ﴾

وذكروا ان سليمان قال لموسى : ما الذي كنت تفزع اليه في مكان حربك من أمور عدوك ؟ قال التوكل والدعاء الى الله يا أمير

المؤمنين . قال له سليمان هل كنت تمتنع في الحصون والخنادق
أو كنت تخندق حولك قال كل هذا لم أفعله قال فما كنت تفعل
قال كنت أنزل السهل واستشعر الخوف والصبر واتحصن
بالسيف والمغفر وأستعين بالله وأرغب اليه في النصر قال له
سليمان فمن كان من العرب فُرسانك قال حمير قال فاي الخيل
رأيت في تلك البلاد اصبر قال شقرها قال فاي الامم كانوا
أشد قتالا قال انهم يا أمير المؤمنين أكثر مما أصفهم قال له
اخبرني عن الروم قال : أسود في حصونهم عقبان على خيولهم
نساء في مواكبهم ان رأوا فرصة افترصوها وان خافوا غلبة
فأوعال ترقل في اجبال لا يرون عاراً في هزيمة تكون لهم
منجاة . قال فاخبرني عن البربر قال هم يا أمير المؤمنين أشبه العجم
بالعرب لقاء ونجدة وصبراً وفروسية وسماحة وبادية غير انهم
يا أمير المؤمنين غدر . قال فاخبرني عن الاشبان قال : ملوك
مترفون وفرسان لا يجبنون قال فاخبرني عن الافرنج قال: هناك
يا أمير المؤمنين العدد والعُدّة والجلد والشدة وبين ذلك أمم
كثير ومنهم العزيز ومنهم الذليل وكل قد لقيت بشكله فمنهم
المصالح ومنهم المحارب المقهور والعزيز البذوخ . قال: فاخبرني

كيف كانت الحرب بينك وبينهم أ كانت عقباً قال لا يا أمير المؤمنين ماهزمت لي راية قط ولا فض لي جمع ولا نكب المسلمون معي نكبة مذ اقتحمت الاربعين الى ان شارفت الثمانين قال فضحك سليمان وقال فاين الراية التي حملتها يوم مرج راهط مع الضحاك قال تلك يا أمير المؤمنين زبيرية وانما عنيت المروانية فقال صدقت وأعجبه قوله. وذكروا ان محمد بن عبد الملك حدثهم عن ريان بن عبد العزيز بن مروان قال انا الجلوس عند سليمان وهو على سطح فسيح والناس يدخلون حتى دخل موسى من الباب فتحرك بنا سقف السطح من شدة وطئه فسلم ثم جلس فذكر سليمان بيت الذهب الذي فتحه قتيبة ابن مسلم فجعل يردد فيه فقال له موسى وما هذا يا أمير المؤمنين بيت لا يكون فيه عشرة آلاف دينار والله لقد بعثت الى أخيك الوليد بتور من زمرد اخضر يصب فيه اللبن فيخضر وانه لمن أدنى ما بعثت به اليه. ولقد أصبت كذا وكذا وأصاب المسلمون كذا وكذا وجعل يحدث سليمان بالعجائب قال ريان حتى والله أبهته فلم يزل موسى بباب سليمان عظيم المنزلة عنده فلما كانت سنة ثمان وتسعين تجهز سليمان للحج وأمر موسى بالشخوص

والحج معه فذكر له انه ضعيف فأمر له سليمان بثلاثين نجيبا
موقورة جهازاً وبحجرة من حجره وجائزة فخج سليمان وحج
معه موسي فبينما هو يسير يوما اذ دعا بموسي فناداه خالد بن
الريان وكان موسي يساير رجلا فلم يلتفت موسي الى ندائه ثم
دعا به فناداه خالد أيضاً فلم يلتفت اليه فقال له الرجل غفر الله
لك ألم تسمع دعاء أمير المؤمنين انى أخافه وأخاف أن يغضب
فقال موسى ذاك لو كان عبد الملك أو الوليد فاما هـذا فانه
يرضيه مايرضى الصبي ويسخطه مايسخطه وستري ذلك ثم تقدم
موسى حتى لحق ولصق بسليمان فقال له أين كنت يا ابن نصير
فقال له يا أمير المؤمنين أين دوابنا من دوابك اني لمنذ دعاني
أمير المؤمنين لفى كدّ حتى لحقت أمير المؤمنين فضحك سليمان
وأمر له بدواب من مراكبه فسايره وحادثه ثم انصرف عنه
فلحق الرجل اليه فقال له موسى كيف رأيت قال انت كنت
أعلم به فسار سليمان حتى نزل المدينة في دار يزيد بن رومان
قال فحدثني بعض أهل المدينة ان موسى قال يوما لبعض من
يثق به : ليموتن الى يومين رجل قد بلغ ذكره المشرق والمغرب
نلم نظن الا انه يعني الخليفة فلما كان اليوم الثاني لم أشعر وأنا

في مسجد الرسول حتي سمعت الناس يقولون مات موسى بن
نصير فاذا هو وصلى سليمان عليه ودفن رحمه الله • وذكروا ان
عبد الله بن صخر اخبرهم قال بينما موسى يسير يوما على دابة له
وكان طويلا جسيماً فمر به رجلان من قريش وقد تدلت رجلاه
وانحنتا وهما لا يعرفانه فقالا أدبر والله الشيخ فسمعهما موسى
فقال لهما من أنتما فانتسبا له فقال أما والله ان أميكما لمما أفاء الله
على يدي هذا الشيخ فاهداها الى أبويكما فقالا له ومن أنت
يرحمك الله قال موسى بن نصير فقالا فمرحبا وأهلا صدقت
وبررت والله ماعرفناك فقال لا عليكما قد والله أدبر عني وبقى
مني •وذكروا ان ابراهيم بن سليمان أخبرهم عن من حدثه
عن موسى ان الناس قحطوا بافريقية عاما فخرج موسي بالناس
فاستسقى فامر رجلا فقص على الناس ورفقهم فجعل يذكر ثم
انه انتحي في الدعاء للوليد بن عبد الملك فاكثر فارسل اليه موسي:
انا لم نأت هاهنا للدعاء للوليد فأقبل على ماله جئنا فعدنا • فلم
يلتفت ورجا أن يبلغ الوليد فامر به فسحب حتى خرج من
الناس ثم قام موسي ودعا بالناس فما برحنا حتى أنصبت السماء
بمثل القرب فأوتى موسى بدابة من دوابه فقال والله لا ركبت

ولكن أخوض الطين وانصرف ماشياً ومشى الناس فسمعته
يومئذ يردد في دعائه : اللهم الشهادة في سبيلك أو موتا في مدينة
رسولك . قال فذكروا ان عرفة بن عكرمة حدثهم عن مشائخ
من مراد عن رجل منهم كان مع موسي بالاندلس قال : كنت
أبصر من مجاري الشمس والقمر شيئاً فوقع فيّ عند موسى
وقيل له عنده علم فوالله ماشعرت حتى أتيت فأخذت فادخلت
عليه فاذا بين يديه عصفور مذبوح مشقوق البطن قال لى
ادخل يدك فانظر قلت اصلح الله الامير طلقت امرأتي البتة
ان كان يعلم قليلا أو كثيراً الا ما يعلم الناس من مجاري الشمس
والقمر قال فأمر بي فنحيت ثم دعا برجل من الاعاجم قال ادخل
يدك فانظر ماذا ترى وكان من الاساري فادخل يده في جوف
العصفور فحركه طويلا ثم قلبه ثم قال للترجمان بلسانه انه ليس
يموت هاهنا ولكنه يموت بالمشرق في بلاد العرب فنظر اليه
موسي ثم قال له قاتلك الله ما أعلمك . قال ثم أمر به فقتل ثم
دعاني فاخذ على الايمان ان لا أتكلم به ما بقي ففعلت وكان
دخول موسي المغرب سنة تسع وسبعين في جمادي الاولى
وكان يومئذ ابن ستين سنة فاقام بافريقية ست عشرة سنة وقفل

منها سنة خمس وتسعين ومات سنة ثمان وتسعين وولى عبد الله ابن موسى بافريقية وطنجه والسوس بعد موسى أبيه سنتين وكان عزله عنها في ذي الحجة سنة سبع وتسعين وقيل سنة تسع وتسعين ٠

﴿ ذكر ولاة الاندلس بعد موسى بن نصير ﴾ وذكروا ان عبد العزيز بن موسى ولي الاندلس بعد أبيه سنة ثم قتل وولي بعده أيوب بن حبيب ستة أشهر ثم الحارث بن عبد الرحمن ثلاث سنين ونصف ثم عنبسة سنتين وتسعة أشهر ثم يحيى بن سلمة سنة وثلاثة أشهر ثم الهيثم بن عبيد سنة وشهرين ثم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي أربع سنين ثم عبد الملك بن قطن القرشي أيضاً سنة ثم ابن بشر القسري ستة أشهر ثم ثعلبة بن سلام العاملي خمسة أشهر ثم أبو الخطار بن ضرار الكلبي ثلاث سنين ثم ثوابة بن مسلمة سنة وشهراً فلما وهن سلطان بني أمية بالمشرق ولوا على أنفسهم يوسف بن عبد الرحمن القرشي الفهري من غير عهد من الخليفة فملك الاندلس عشر سنين الى ان دخل عليه عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ٠ وذكروا انه لما حج سليمان بن عبد الملك ومعه عمر بن عبد العزيز وذلك في سنة ثمان وتسعين فلما

انتهى الى عقبة عسفان نظر سليمان الى السرادقات قد ضربت
له مابين أحمر وأخضر وأصفر وكان يوسف بن عمر قد عمل
له باليمن ثلاث سرادقات فكان الذي يلي منها للناس من خز
أخضر والذي يليه من خز أصفر ثم الذي يكون هو فيه من
وشي أحمر محبر من حبرات اليمن مزرر بالذهب والفضة وفي
داخله فسطاط فيه أربعة أفرشة من خز أحمر مرافقها من وشي
أصفر وضربت حجب نسائه من وراء فسطاطه وحجر بنيه
وكتابه وحشمه قرب ذلك فلما أستوى سليمان في قبة العقبة
ونظر الى مانصب له قال ياعمر كيف ترى ها هنا ؟ قال : أرى
دنيا عريضة يأكل بعضها بعضاً أنت المسؤل عنها والمأخوذ
بها فبينما هما كذلك اذ طار غراب من سرادق سليمان في
منقاره كسرة فصاح الغراب فقال سليمان مايقول هذا الغراب
ياعمر قال عمر ما أدري ولكن ان شئت أخبرتك بعلم قال سليمان
اخبرني فقال عمر : هذا غراب طار من سرادقك بكسرة هو
يأكلها وانت المأخوذ بها والمسئول عنها من أين دخلت وأين
أخرجت قال سليمان انك لتجيء بالعجائب يا أبا حفص فقال
عمر أفلا أخبرك باعجب من هذا يا أمير المؤمنين قال اخبرني

قال : من عرف الله تعالى كيف يعصاه ومن عرف الشيطان كيف يطيعه ومن أيقن بالموت كيف يهنيه العيش ويسوغ له الطعام ومن أيقن بالنار كيف يضحك . فقال سليمان نغصت علينا ما نحن فيه يا أبا حفص ومن يطق ما تطيق انت ياعمر أنت والله الموفق المطيع

﴿ ما قال طاووس اليماني لسليمان بمكة ﴾ قالوا ان ابراهيم ابن مسلم أخبرهم عن رجاء بن حيوة انه نظر الى طاووس اليمانى يصلي في المسجد الحرام فانصرف رجاء الى سليمان بن عبد الملك وهو يومئذ بمكة قد حج ذلك العام فقال اني رأيت طاووس في المسجد فهل لك أن ترسل اليه قال فارسل اليه سليمان فلما أتاه قال رجاء لسليمان يا أمير المؤمنين لا تسأله عن شيء حتى يكون هو الذي يتكلم فلما قعد طاووس سكت طويلا ثم قال : ما أول شيء خلق فقلنا لا ندري فقال أول شيء خلق القلم ثم قال أتدرون أول شيء كتب قلنا لا قال فان أول ما كتب : بسم الله الرحمن الرحيم ثم كتب القدر خيره وشره الى يوم القيامة ثم قال أتعلمون من أبغض الخلق الى الله قلنا لا فقال ان أبغض الخلق الى الله تعالى عبد أشركه الله في سلطانه فعمل فيه بمعاصيه

ثم نهض . قال رجاء فاظلم على البيت فما زلت خائفا عليه حتى
توارى فرأيت سليمان يحك رأسه بيده حتى خشيت ان
تخرج اظفاره لحم رأسه

﴿ ما قال أبو حازم لسليمان ﴾ قالوا وان يحيى بن المغيرة
اخبرهم عن عبد الجبار بن عبد العزيز بن ابي حازم قال لما حج
سليمان ودخل المدينة زائراً لقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومعه ابن شهاب الزهرى ورجاء بن حيوة فاقام بها ثلاثة ايام
فقال اما ههنا رجل ممن ادرك اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقيل له بلى ههنا رجل يقال له أبو حازم فبعث اليه فجاءه
وهو أقور اعرج فدخل عليه فوقف منتظراً للاذن فلما طال
عليه الاذن وضع عصيته ثم جلس . فلما نظر اليه سليمان ازدرته
عينه فقال له يا أبا حازم ما هذا الجفاء الذي ظهر منك وانت
توصف برؤية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع فضل
ودين تذكر به فقال ابو حازم وأي جفاء رأيت مني يا أمير
المؤمنين فقال سليمان انه أتاني وجوه أهل المدينة وعلماؤها
وخيارها وانت معدود فيهم ولم تأتني فقال أبو حازم : اعيذك
بالله ان تقول مالم يكن ما جرى بيني وبينك معرفة آتيك عليها

قال سليمان صدق الشيخ فقال يا ابا حازم مالنا نكره الموت فقال أبو حازم لانكم اخربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فانتم تكرهون النقلة من العمران الى الخراب . قال سليمان صدقت يا ابا حازم فكيف القدوم على الآخرة قال نعم: اما المحسن فانه يقدم على الآخرة كالغائب يقدم على أهله من سفر بعيد وأما قدوم المسيء فكالعبد الآبق يؤخذ فيشد كتافه فيؤتى به الى سيد فظ غليظ فان شاء عفى وان شاء عذب . فبكى سليمان بكاء شديداً وبكى من حوله ثم قال ليت شعري مالنا عند الله ياأبا حازم فقال اعرض نفسك على كتاب الله فانك تعلم مالك عند الله قال سليمان يا أبا حازم واين اصيب تلك المعرفة في كتاب الله قال عند قوله تعالي « إن الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم » قال سليمان يا أبا حازم فاين رحمة الله قال رحمة الله قريب من المحسنين قال سليمان يا أبا حازم من أعقل الناس قال أبو حازم أعقل الناس من تعلم العلم والحكمة وعلمها الناس قال سليمان فمن أحمق الناس فقال من حط في هوى رجل وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره قال سليمان فما أسمع الدعاء قال أبو حازم دعاء المخبتين الخائفين فقال سليمان فما أزكى

الصدقة عند الله قال جهد المُقلّ قال فما تقول فيما ابتلينا به قال اعفنا عن هذا وعن الكلام فيه أصلحك الله قال سليمان نصيحة تلقيها فقال: ماأقول في سلطان استولى عنوة بلا مشورة من المؤمنين ولا اجتماع من المسلمين فسفكت فيه الدماء الحرام وقطعت به الارحام وعطلت به الحدود ونكثت به العهود وكل ذلك على تنفيذ الطينة والجمع لمتاع الدنيا المشينة ثم لم يلبثوا ان ارتحلوا عنها فياليت شعري ماتقولون وماذا يقال لكم. فقال بعض جلسائه بئس ما قلت يا أقور أمير المؤمنين يستقبل بهذا فقال أبو حازم اسكت يا كاذب فانما أهلك فرعون هامان وهامان فرعون ان الله قد أخذ على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه أي لا ينبذونه وراء ظهورهم قال سليمان يا أبا حازم كيف لنا أن نصلح مافسد منا فقال المأخذ في ذلك قريب يسير يا أمير المؤمنين فاستوى سليمان جالساً من اتكائه فقال كيف ذلك فقال : تأخذ المال من حله وتضعه في أهله وتكف الا كف عمانهيت وتمضيها فيما أمرت به قال سليمان ومن يطيق ذلك فقال أبو حازم من هرب من النار الى الجنة ونبذ سوء العادة الى خير العبادة . فقال سليمان أصحبنا يا أبا حازم وتوجه معنا

تصب منا ونصب منك قال أبو حازم أعوذ بالله من ذلك قال سليمان ولم يا أبا حازم قال أخاف ان أركن الى الذين ظلموا فيذيقني الله ضعف الحياة وضعف الممات فقال سليمان فتزورنا قال أبو حازم : انا عهدنا الملوك يأتون الى العلماء ولم يكن العلماء يأتون الملوك فصار في ذلك صلاح الفريقين ثم صرنا الآن في زمان صار العلماء يأتون الملوك والملوك تقعد عن العلماء فصار في ذلك فساد الفريقين جميعاً قال سليمان فاوصنا يا أبا حازم وأوجز: قال اتق الله أن لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك من حيث أمرك قال سليمان أدع لنا بخير فقال أبو حازم :اللهم ان كان سليمان وليك فبشره بخير الدنيا والآخرة وان كان عدوك فخذ الى الخير بناصيته قال سليمان زدني قال قد أوجزت فان كنت وليه فاغتبط وان كنت عدوه فاتعظ فان رحمته في الدنيا مباحة ولا يكتبها في الآخرة الا لمن اتقى في الدنيا فلا نفع في قوس يرمى بلا وتر فقال سليمان هات ياغلام الف دينار فاتاه بها فقال خذها يا أبا حازم فقال لا حاجة لي بها لاني وغيري في هذا المال سواء فان سويت بيننا وعدلت أخذت والا فلا لاني أخاف أن يكون ثمنا لما سمعت من كلامي وان موسى بن

عمر ان عليه السلام لما هرب من فرعون ورد ماء مَدْيَن وجد عليه الجاريتين تذودان فقال مالكما معين قالتا لا فسقى لهما ثم تولي الى الظل فقال : « رب اني لما أنزلت اليّ من خير فقير » ولم يسأل الله اجراً فلما أعجل بالجاريتين الانصراف انكر ذلك أبوهما فقال لهما ما أعجلكما اليوم قالتا وجدنا رجلا صالحاً قوياً سقى لنا قال ماسمعتماه يقول قالتا تولي الى الظل وهو يقول « رب اني لما أنزلت اليّ من خير فقير » فقال ينبغي لهذا أن يكون جائعاً تنطلق إحدا كما له فتقول له : ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ماسقيت لنا فاتته احداهما تمشي على استحياء (أي على اجلال له) قالت ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ماسقيت لنا فجزع موسى من ذلك وكان طريدا في الفيافي والصحاري فقال: لها قولي لابيك ان الذي سقى يقول لا أقبل أجراً على معروف اصطنعته فانصرفت الى أبيها فاخبرته فقال اذهبي فقولي له أنت بالخيار من قبول ما يعرض عليك أبي وبين تركه فا قبل فانه يحب أن يراك ويسمع منك فاقبل والجارية بين يديه فهبت الريح فوصفتها له وكانت ذات خلق كامل فقال لها كوني ورائي واريني سَمْت الطريق فلما بلغ الباب قال استأذني لنا فدخلت

على أبيها فقالت انه مع قوته لامين فقال شعيب وبم علمت
ذلك فاخبرته ما كان من قوله عند هبوب الريح عليها فقال
أدخليه فدخل فاذا شعيب قد وضع الطعام فلما سلم رحب به
وقال أصب من طعامنا يافتى فقال موسى أعوذ بالله قال شعيب
لم قال لاني من بيت قوم لانبيع ديننا بملء الارض ذهبا قال
شعيب لا والله ماطعامي لما تظن ولكنه عادتي وعادة آبائي
نقري الضيف ونطعم الطعام فجلس موسى فأكل . وهذه الدنانير
ياأمير المؤمنين ان كانت ثمنا لما سمعت من كلامي فان أكل
الميتة والدم في حال الضرورة أحب الى من ان آخذها فاعجب
سليمان بامره عجباً شديداً فقال بعض جلسائه يا أمير المؤمنين
ان الناس كلهم مثله قال لا قال الزهري انه لجاري منذ ثلاثين
سنة ما كلمته قط فقال أبو حازم صدقت لانك نسيت الله ونسيتني
ولو ذكرت الله لذكرتني قال الزهري أتشتمني قال له سليمان
بل أنت شتمت نفسك أو ماعلمت ان للجار على الجار حقاً .
قال أبو حازم ان بني اسرائيل لما كانوا على الصواب كانت الامراء
تحتاج الى العلماء وكانت العلماء تفر بدينها من الامراء فلما
رؤى قوم من أراذل الناس تعلموا العلم وأتوا به الامراء استغنت

الامراء عن العلماء واجتمع القوم على المعصية فسقطوا وهلكوا ولو كان علماؤنا هؤلاء يصونون علمهم لكانت الامراء تهابهم وتعظمهم فقال الزهري كأنك اياي تريد وبي تعرض قال هو ما تسمع . قال سليمان يا أبا حازم: عظني وأوجز قال حلال الدنيا حساب وحرامها عذاب والى الله المآب فاتق عذابك أودع . قال لقد أوجزت فاخبرني ما مالك قال الثقة بعدله والتوكل على كرمه وحسن الظن به والصبر الى أجله واليأس مما في أيدي الناس قال يا أبا حازم ارفع الينا حوائجك قال رفعتها الى من لا تخذل دونه فما أعطاني منها قبلت وما أمسك عني رضيت مع اني قد نظرت فوجدت أمر الدنيا يؤول الى شيئين أحدهما لي والآخر لغيري فاما ما كان لي فلو احتلت عليه بكل حيلة ماوصلت اليه قبل أوانه وحينه الذي قد قدر لي وأما الذى لغيري فذلك لا أطمع فيه فكما منعني رزق غيري كذلك منع غيري رزقي فعلى م اقتل نفسي في الاقبال والادبار قال سليمان لابد أن ترفع الينا حاجة نامر بقضائها قال فتقضيها قال نعم قال فلا تعطني شيئاً حتى اسألكه ولا ترسل الى حتى آتيك وان مرضت فلا تعدني وان مت فلا تشهدني . قال سليمان أبيت

يا أبا حازم أبيت قال أتأذن لي أصلحك الله في القيام فاني شيخ
قد زمنت قال سليمان يا أبا حازم مسئلة ما تقول فيها قال ان
كان عندي علم أخبرتك به والا فهذا الذي عن يسارك يزعم
انه ليس شيء يسأل عنه الا وعنده علم يريد الزهري فقال له
الزهري عائذاً بالله من شرّك أيها المرء قال أما من شري فقد
عفيت وأما من لساني فلا قال سليمان :ماتقول في سلام الأئمة
من صلاتهم أواحدة أم اثنتان فان العلماء لدينا قد اختلفوا علينا
في ذلك أشد الاختلاف قال علي الخبير سقطت أرميك في
هذا بخبر شاف : حدثني عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه
سعد انه شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلم في الصلاة
عن يمينه حتى يرى بياض خده الايمن ثم يسلم عن يساره حتى
يري بياض خده الايسر سلاما يجهر به قال عامر وكان أبي
يفعل ذلك . وأخبرني سهل بن سعد الساعدي انه رأي عمر
ابن الخطاب وابن عمر يسلمان من الصلاة كذلك فقال الزهري
اعلم ماتحدث به أيها الرجل فان الحديث عن رسول الله صعب
شديد الا بالتثبت واليقين قال أبو حازم قد علمته ورويته قبل
أن تطلع اضراسك في رأسك فالتفت الزهري الى سليمان قال

أصلحك الله ان هذا الحديث ماسمعت به من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قط فضحك أبو حازم ثم قال يازهري أحطت بحديث رسول الله كله قال لا قال فثلاثة أرباعه قال لا قال فثلثه فقال أراني ذلك قد رويت وبلغني فقال أبو حازم فهذا من الثلث الذي لم يبلغك وبقي عليك اسماعه فقال سليمان ماظلمك من حاجك ثم قام مأذونا له فأتبعه سليمان بصره ينظر اليه ويعجب به ثم التفت الى جلسائه فقال ما كنت أظنه بقي في الدنيا مثل هذا . قال ثم انصرف سليمان من الحج قافلا الي الشام . وذكروا ان غلمانا لسليمان نازعوا غلمانا لعمر بن عبد العزيز فتعدى غلمان عمر على غلمان سليمان فرفع ذلك الى سليمان وأغرى بعمر فقال له سليمان الا تنصف غلماني وهو كالمغضب مما فعل بهم فقال عمر ماعلمت هذا قبل هذا الوقت وماسمعت هذا الا في مقامي هذا فقال سليمان كذبت لقد علمته فقال عمر: كذبت والله ما كذبت ولا تعمدت كذبا منذ شددت مئزري على نفسي وان في الارض عن مجلسك لسعة . ثم خرج عمر فتجهز وهو يريد مصر ليسكنها فبلغ ذلك سليمان فندم على ما كان من قوله وأرسل اليه أن لا يبرح وأمر رجلا يقول له

لا تغتب أمير المؤمنين على قوله ولا تذكر هـذا فترك عمر الخروج وجلس وأقل الاختلاف الى سليمان

﴿ ذكر وفاة سليمان واستخلافه عمر بن عبد العزيز ﴾

قال وذكروا ان خالد بن أبي عمر ان أخبرهم وكان قد أدرك القوم قال مرض سليمان مرضه الذي مات فيه وذلك في شهر صفر سنة تسع وتسعين فدخل عليه عمر بن عبد العزيز عائداً فدعا سليمان بنين له صغاراً فقلدهم السيوف فوقعوا في الارض فقال سليمان قد أفلح من كان له بنون كبار فقال عمر ليس هكذا قال الله فقال سليمان وكيف قال الله فقال عمر قال الله تعالى « قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى » فقال سليمان أني أريد أن أعهد اليك وأوليك أمور الناس بعدي فقال عمر لا حاجة لي بذلك فقال سليمان ولم ذلك فقال لاني لا أريد أخذ أموالهم فاذا لم أرد أخذ أموالهم فما الذي يدعوني الى ضرب ظهورهم فقال سليمان لابد من هذا فقال عمر ولم ذلك ولك في ولد عبد الملك سعة فاعفني من هـذا يعف الله عنك فقال له سليمان والله لا أوليها غيرك بعدي فقال عمر وما الذي يدعوك الى هذا فقال سليمان اني رأيت في منامي قائلا لي يقول : ان

عمر بن عبد العزيز لك جُنَّة ووقاية وجسر تخطاه فاولت ذلك
ان شاء الله ان أوليك الامر من بعدي لتكون توليتي لك
جنةً من النار وجسراً أركبه لانجو عليه من عذاب يوم القيامة
ثم ليزيد بعدك فانه أرشد ولد عبد الملك فقال عمر ان هـذا
الامر لا يسعني بيني وبين الله عز وجل ان أتقدم على أمة
محمد وفيهم خير مني فقال سليمان أما في آل أمية وعبد شمس
فلا أعلم خيراً منك فقال عمر ان لم يكن في آل أمية وعبد
شمس خير مني بقولك ففي آل عبد مناف وآل هاشم من
هو خير مني فقال سليمان لا فقال عمر ففي آل تيم وعدي
خير مني وملؤا الارض مثلي فقال سليمان انما تريد القاسم وسالما
قال نعم اياهما أردت فقال سليمان رجلان صالحان ذكرت
ولكنهما ليسا للملك ولا الملك لهما ولا من ممدن الملك هما مع
انه ليس بزمان خلافة ولا أيام يملك فيها مثل القاسم وسالم انما
هو زمان ملك وسيف وانما هي ذئاب تعدو ليست على غنم تؤمن
فقال عمر الله المعين المصلح لمن أراده . فسكت سليمان وظن
ان عمر رضي بما قال له . ثم دعا سليمان بصحيفة ثم كتب ويده
ترعش من شدة العلة لا يعلم أحد بما يخط فكتب عهد عمر ثم من

بعد عمر ليزيد ثم ختم عليه بيده متحاملا لذلك وعمر لا يشك ان الامر فيه قد صار لغيره ثم دعا سليمان برجاء بن حيوة فقال له خذ هذا الكتاب فانه عهدي فاجمع اليك قريشاً وأمراء الاجناد واعلمهم انه عهدي وان من كان اسمه في كتابي هذا فهو الخليفة بعدي فمن نزع عن ذلك وأباه فالسيف السيف والقتل القتل . ثم رفع سليمان يديه الى السماء فقال : اللهم ان ذنوبي قد عظمت وجلت وهى صغيرة يسيرة في جنب عفوك فاعف عني يامن لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة اعف عني ما بيني وبينك من الذنوب واحمل عني ما بيني وبين خلقك وارضهم بما شئت يا أرحم الراحمين اللهم ان كنت تعلم مني وتطلع من ضميري اني انما أردت بعهدي هـذا وتوليتي من وليت فيه وجهك ورضاك فاغفرلي وارحمني . ثم تخلخل لسانه فلم يقو على الكلام من ثقل العلة ثم سكت وأغمى عليه . قال رجاء فخرجت وعمر معي فقلت له ما أراك الا صاحب الامر فقال عمر ما أحسب ذلك فقلت ومن عسى أن يكون في آل مروان من يريد سليمان توليته غيرك فقال عمر ما أراه عهد الا لاحد الرجلين إما القاسم أو سالم قال رجاء فقلت له أسمعت ذلك منه فقال عمر ماسمعته ولكنه دار بيني

وبينه كلام آنفا قبل دخلتك لا اشك انه أراد أحدهما قال رجاء فقلت والله هذا الاختلاف في أمة محمد والفتن الظاهرة القاصمة للظهور الفانية للانفس فقال عمر ولم ذلك فقال رجاء لان قريشا ونحوها لا ترضى بهذا ولا تصير اليه ولا آل امية وعبد شمس حيث كانت من الارض فقال عمر ان الامر لله من قبل ومن بعد يؤتي الملك من يشاء فقال رجاء فخرجت الى الناس وأعلمتهم بعهد أمير المؤمنين فقالوا سمعاً وطاعة ثم أعلمتهم بابتهاله ورغبته الى الله وما قال فلم يشك الناس ان عمر ابن عبدالعزيز صاحبهم فارادوا أن يسلموا عليه بالخلافة وذلك لما ايقنوا بهلاك سليمان فقلت لهم لا تعجلوا فان عمر قال لي أرى سليمان ما أراد الا القاسم أو سالماً وهذا أفطن مني بهذا الامر لانه كان حاضراً وسليمان يكتب العهد بيده فضج الناس من ذلك واختلفوا . فقالت فرقة سمعنا وأطعنا لمن استخلف علينا كان من كان وقالت فرقة لا والله لا نقر بهذا ولا نطيعه ولا يستخلف علينا الا مرواني ولا تبقى منا عين تطرف في الدنيا . فقال رجاء لعمر كيف ترى قولي والله لئن كان هذا انه لهو البلاء المبين وانها الفتنة قد فتح بابها فقال عمر ارجو

الله أن يغلقه ان شاء الله قال رجاء فقلت لعمر ما نحن صانعون
ان كان هذا فقال عمر لا أدري ما أقول في موقفي هـذا قال
رجاء ولم فقال عمر: لاني والله ماوقفت موقفا قط لا رأي لي
فيه ولا بصيرة الا موقفي هذا فاني قد أجدني قد ذهب روعي
وفقدت رأيي ولا أدري ما استقبل من أمري ولا ما استدبر
ولو استطعت الفرار لفررت من موضعي هذا حيث لا أدرك
ولا أرى . قال رجاء فلما قاولني بهذا علمت انه الذي أريد من
فقده لرأيه وبصيرته قال رجاء فقلت له يا أبا حفص فاين نحن
من المفزع الى الله والرغبة في الصلاح علينا وعلى المسلمين ويعزم
لنا على ما فيه الخير والخيرة فقال عمر بلى والله هذا الملجأ وهذا
الحصن الحصين والمعقل الشديد قال رجاء فبتنا ليلتنا لا نألو
على أنفسنا في الدعاء والاستخارة لله فلما أصبحنا قلت لعمر ما
ترى يا أبا حفص فقال أرى ان أسمع وأطيع لمن في هذا الكتاب
فان كان أحد الرجلين سمعت له وأطعت ورددت من أدبر
عنه بمن أقبل عليه حتى أموت . فبينما هما كذلك اذ أقبل وصيف
يسعى اليهما يقول قد قضى أمير المؤمنين نحبه نخرجا فاذا
بالعويل والنوح فرجعا الى المسجد ترعد فرائصهما والناس

يسلمون على عمر بالخلافة وهو يقول لست به حتى دخل المسجد وقد اجتمع الناس وهم مستعدون للفتنة والقتال ان خالف العهد مايريدون . فقام رجاء الى جانب المنبر فحمد الله وحض الناس على الطاعة ولزوم الجماعة وأعلمهم بما في الفرقة والاختلاف من ذهاب الدين والدنيا ثم أخرج العهد ففضه بمحضر منهم ثم قرأه عليهم فاذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ماعهد به عبد الله سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين وخليفة المسلمين عهد انه يشهد لله بالربوبية والوحدانية وان محمداً عبده ورسوله بعثه الى محسني عباده بشيراً والى مذنبيهم نذيراً وان الجنة والنار مخلوقتان حق، خلق الجنة رحمة لمن أطاعه والنار عذابا لمن عصاه وأوجب العفو لمن عفى عنه وان سليمان مقر على نفسه بما يعلم الله من ذنوبه موجباً على نفسه استحقاق ماخلق من النقمة واجبا لنفسه ماخلق من الرحمة ووعد من المغفرة راج لما وعد من الرحمة وان المقادير كلها خيرها وشرها من الله وانه هو الهادي لم يستطع أحد لمن خلق الله لرحمته غواية ولا لمن خلق لعذابه هداية ، وان الفتنة فى القبور بالسؤال عن دينه ونبيه الذي أرسل الى أمته لا منجي لمن خرج من الدنيا الي الآخرة من

هذه المسألة . وسليمان يسأل الله بواسع فضله وعظيم منّه الثبات على الحق عند تلك المسألة والنجاة من هول تلك الفتنة وان الميزان حق يقين يضع الموازين القسط ليوم القيامة فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك هم الخاسرون . وان حوض محمد صلى الله عليه وسلم يوم الحشر والموقف حق عدد آنيته كنجوم السماء من شرب منه لم يظمأ أبداً وسليمان يسأل الله برحمته أن لا يرده عنه عطشان . وان أبا بكر وعمر خير هذه الامة بعد نبينا صلى الله عليه وسلم والله يعلم بعدهما حيث الخير وفيمن الخير من هذه الامة . وان هذه الشهادة المذكورة في عهده هذا يعلمها من سره واعلانه وعقد ضميره وان بها عبد ربه في سالف أيامه وماضي عمره وعليها أتاه يقين ربه وتوفاه أجله وعليها يبعث بعد الموت ان شاء الله وان سليمان كانت له بين هذه الشهادة بلايا وسيئات لم يكن له عنها محيص ولا دونها مقصر بالقدر السابق والعلم النافذ في محكم الوحي فان يعف ويصفح فذلك ما عرف منه قديما ونسب اليه حديثاً وذلك الصفة التي وصف بها نفسه في كتابه الصادق وكلامه الناطق وان يعاقب وينتقم فبما قدمت يداه وما الله بظلام للعبيد . واني

أخرج على من قرأ عهدي وسمع ما فيه من حكمه أن ينتهي اليه في أمره ونهيه بالله العظيم وبمحمد صلى الله عليه وسلم وان يدع الإحن ويأخذ بالمكارم ويرفع يديه الى السماء بالابتهال الصحيح والدعاء الصريح يسأله العفو عني والمغفرة لي والنجاة من فزعي والمسألة في قبري لعل الودود أن يجعل منكم مجاب الدعوة بما عليّ من صفحه يعود ان شاء الله . وان ولى عهدي فيكم وصاحب أمري بعد موتي في كل من استخلفني الله عليه الرجل الصالح عمر بن عبد العزيز بن عمي لما بلوت من باطن أمره وظاهره ورجوت الله بذلك وأردت رضاه ورحمته ان شاء الله ثم ليزيد بن عبد الملك من بعده فاني ما رأيت منه الا خيراً ولا اطلعت له على مكروه، وصغار ولدي وكبارهم الى عمر اذ رجوت الا يألوهم رشداً وصلاحاً والله خليفتي عليهم وهو أرحم الراحمين واقرأ عليكم السلام ورحمة الله ،ومن أبي عهدي هذا وخالف أمري فالسيف،ورجوت ان لا يخالفه أحد ومن خالفه فهو ضال مضل يستعتب فان أعتب والا فالسيف والله المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله القديم الاحسان .

﴿أيام عمر بن عبد العزيز﴾ وذكروا عن خالد بن أبي

عمران انه قال : إني لحاضر يوم قرىء عهد سليمان في المسجد بدمشق على الناس فما رأيت يوماً أكثر باكياً ولا داعياً له بالرحمة من ذلك اليوم فلم يبق محب ولا مبغض ولا خارجي ولا حَرُوريّ الا أخذ الله له بقلوبهم وابتهلوا بالدعاء وأخلصوا له بالسؤال بالعفو من الله ورضى الناس أجمعون فعله. قال خالد ثم بايع الناس لعمر في المسجد بيعة تامة جامعة طيبة بها النفوس لا يشوبها غش ولا يخالطها دنس. قال خالد وسمعت رجاء يقول لما تمت البيعة اني مهما شككت في شيء فانى لم أشك يوم البيعة لعمر بالنجاة والرحمة لسليمان ان شاء الله واستفتح عمر ولايته ببيع أموال سليمان ورباعه وكسوته وجميع ما كان يملكه فبلغ ذلك أربعة وعشرين الف دينار فجمع ذلك كله وجعله في بيت المال ثم دخل على زوجه فاطمة ابنة عبد الملك فقال لها يا فاطمة فقالت لبيك يا أمير المؤمنين فجعل يبكي وكان لها محباً وبها كلفاً ثم استفاق من بكائه فقال لها اختاريني أو اختارى الثوب الذي عمل لك أبوك وكان قد عمل لها أبوها عبد الملك ثوباً منسوجاً بالذهب منظوماً بالدر والياقوت أنفق عليه مائة الف دينار فقال لها ان اخترتيني فاني آخذ الثوب

فاجعله في بيت المال وان اخترت الثوب فلست لك بصاحب فقالت أعوذ بالله يا أمير المؤمنين من فراقك لا حاجة لي بالثوب فقال عمر وأنا أفعل بك خصلة أجعل الثوب في آخر بيت المال وأنفق ما دونه فان وصلت اليه أنفقته في مصالح المسلمين وانما هو من أموال المسلمين أنفقت فيه وان بقي الثوب ولم أحتج اليه فلعل أن يأتي بعدي من يرده اليك قالت افعل يا أمير المؤمنين ما بدا لك ثم دخل عليه ابن له وعليه قميص قد تذعذع فقال له عمر رقّع قميصك يا بنيّ فوالله ما كنت قط بأحوج اليه منك اليوم

﴿ذكر قدوم جرير بن الخطفى على عمر بن عبد العزيز﴾

قال وذكروا عن عبد الأعلى بن أبي المشاور أنه أخبرهم قال قدم جرير شاعر أهل العراق وأهل الحجاز على عمر أول ما استخلف فأطال المقام ببابه لا يصل اليه حتى قدم عليه عون ابن عبد الله الهُذَلي وكان من عبّاد الناس وخيارهم وعليه جبة صوف وعمامة صوف قد أسداها خلفه فجعل يتخطى رقاب الناس من قريش بني أمية وغيرهم لا يمنع ولا يحجب ومثله من أكابر الناس وخيارهم وفضلاء العباد وقريش لا يصلون ولا يدخلون.

فلما خرج عون بن عبد الله تبعه جرير بن الخطفى . وهو يقول :

يا أيها الرجـل المرخي عمامتـه   هذا زمانك إني قد مضى زمني
أبلغ خليفتنا إن كنت لاقيه   اني لدى الباب كالمصفود في قَرَن
فاحال صفادي فقد طال المقام به   وشطّت الدار عن أهلي وعن وطني

قال فضمن له عون بن عبد الأعلى أن يدخله عليه فلما دخل على عمر قال يا أمير المؤمنين هـذا جرير الخطفى بالباب يريد الاذن فقال عمر ما كنت أرى أحداً يحجب عني قال انه يريد اذناً خاصاً . قال له عمر اله عن ذكره ثم حـدثه طويلا ثم قال يا أمير المؤمنـين ان جريراً بالباب فقال الهُ عن ذكره قال اذاً لا أسلم من لسانه فقال عمر اما اذ قد بلغ منك خوف لسانه ما أرى فأذن له . فدخل جرير فلما كان قيد رمح أو رمحين وعمر منكس رأسه قال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله ثم قال: ان الخلفاء كانت تتعاهدني فيما مضى بجوائز وصلات وقد أصبحت الى ذلك منك محتاجا . ثم أنشأ يقول:

قد طال قولي اذا ماقمت مبتهلا   يارب اصلح قوام الدين والبشر
إنا لنرجو اذا ما الغيث أخلفنا   من الخليفة مانرجو من المطر
أأذكر الجهد والبلوى التي نزلت   أم قد كفاني ما بلغت من خبر

مازلت بعــدك في همّ يؤرقني

قدطال في الحيّ اصعادي ومنحدري

لا ينفع الحاضر المجهود بادية ولا يعود لنا باد على حضر

كم باليمامة من شعثاء أرملة ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر

يدعوك دعوة ملهوف كأن به خبلا من الجن أو مسّاً من البشر

فان تدعهم فمن يرجون بعدكم أو تنج منها فقد أنجيت من ضرر

هذي الارامل قد قضّيت حاجتها

فمن لحاجــة هــذا الارمل الذكر

خليفــة الله ماذا تأمرنّ بنا لسـنا اليكم ولا في دار منتظر

أنت المبارك والمهدي سيرته تعصي الهوى وتقوم الليل بالسوَر

قال فبكي عمر وهملت عينـاه وقال ارفع حاجتك الينـا يا جرير قال جرير ماعودتني الخلفـاء قبلك قال وما ذلك قال أربعة آلاف دينار وتوابعها من الحملان والكسوة . قال عمر أمن أبناء المهاجرين أنت قال لا قال أفمن أبناء الانصار أنت قال لا قال أفقير أنت من فقراء المسلمين قال نعم قال فاكتب لك الى عامل بلدك أن يجري عليك مايجري على فقير من فقرائهم . قال جرير أنا أرفع من هذه الطبقة يا أمير المؤمنين

قال فانصرف جرير فقال عمر ردوه عليّ فلما رجع قال له عمر قد بقيت خصلة أخرى عنـدي نفقة وكسوة أعطيك بعضها ثم وصله بأربعة دنانير فقال وأين تقع مني هذه يا أمير المؤمنين فقال عمر انها والله لمن خالص مالي ولقـد أجهدت لك نفسي فقال جرير والله يا أمير المؤمنين انها لأحب مال كسبته . ثم خرج فلقيه الناس فقالوا له ما وراءك قال : جئتكم من عند خليفة يعطي الفقراء ويمنع الشعراء واني عنه لراض

﴿ دخول الخوارج على عمر بن عبد العزيز ﴾ وذكروا ان ابن حنظلة أخبرهم قال بعثني وعون بن عبد الله عمر بن عبد العزيز الى خوارج خرجت عليه بالحيرة رأسهم رجل من بني شيبان يقال له شوذب وكتب معنا كتابا اليهم فقدمنا عليهم فبعثوا معنا اليه رجلين أحدهما من العرب فاتينا بهما عمر فدخلنا عليه وتركناهما بالباب فقلنا له: انا قد بلغنا عنك وقد بعثوا معنا رجلين هما بالباب قال فتشوهما الا يكون معهما حديد أو شيء ففعلنا ثم انا أدخلناهما عليه. فلما دخلا قالا السلام عليكم قال وعليكم السلام أجلسا فلما جلسا قال لهما عمر : ما الذي أخرجكم علينا فقال العربي وكان اشدهما كلاما وأتمهما عقلا: اما إنا لم ننكر

عليك عدلك ولا سيرتك ولكن بيننا وبينك أمر هو الذي يجمع ويفرق بيننا فان أعطيتناه فنحن منك وانت منا وان لم تعطناه فلسنا منك ولست منا . فقال عمر فما هو ؟ فقال: خالفت أهل بيتك وسميتهم الظلمة وسميت أعمالهم المظالم فان زعمت انك على الحق وانهم على الباطل فالعنهم وتبرأ منهم فقال عمر : انكم لم تتركوا الاهل والعشائر وتعرضتم للقتال الا وانتم في أنفسكم مصيبون ولكنكم اخطأتم وضللتم وتركتم الحق أخبراني عن الدين أواحد أو اثنان قالا بل واحد قال افيسعكم في دينكم شيء يعجز عني قالا لا قال فاخبراني عن أبي بكر وعمر ما حالهما عندكم قالا أفضل الناس أبو بكر وعمر قال : ألستما تعلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما توفى ارتدت العرب فقاتلهم أبو بكر فقتل الرجال وسبي النساء والذرية قالا بلى قال عمر فلما توفى أبو بكر وقام عمر ورد تلك النساء والذراري الى عشائرها فهل تبرأ عمر من أبي بكر ولعنه بخلافه اياه قالا لا قال فتتولونهما على خلاف سيرتهما قالا نعم قال عمر فما تقولان في بلال بن مرادس قالا من خير اسلافنا قال افليس قد علمتم انه لم يزل كافا عن الدماء والاموال وقد لطخ أصحابه ايديهم فيها فهل

تبرأت منه احدى الطائفتين من الاخرى أو لعنت احداهما الاخري قالا بلى قال فتتولونهما جميعاً على خلاف سيرتهما قال نعم قال عمر فاخبراني عن عبدالله بن وهب حين خرج باصحابه من البصرة يريدون اصحابهم فمروا بعبد الله بن خباب فقتلوه وبقروا بطن جاريته ثم عدوا على قوم من بني قطيعة فقتلوا الرجال وأخذوا الاموال وغلوا الاطفال في المراجل ثم قدموا على أصحابهم من الكوفة وهم كافون عن الدماء والفروج والاموال هل تبرأت احدي الطائفتين من الاخري أولعنت احداهما الاخري قالا لا قال فتتولونهما على خلاف سيرتهما قالا نعم.
فقال عمر فهؤلاء الذين اختلفوا بينهم فى السيرة والاحكام لم لم يتبرأ بعضهم من بعض ولا لعن بعضهم بعضا وأنتم تتولونهم على خلاف سيرتهم فهل وسعكم فى دينكم ذلك ولا يسعني حين خالفت أهل بيتي في الاحكام والسيرة حتي العنهم واتبرأ منهم.
اخبراني عن اللعن فرض على العباد قالا نعم فقال عمر متي عهدك بلعن فرعون قال مالى بهمن عهدمنذ زمان قال عمر هذا رأس من رؤس الكفار ليس لك عهد بلعنه منذزمان وأنا لا يسعني أن ألعن من خالفهم من أهل بيتي الستم انتم الذين تؤمنون من

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيفه وتخيفون من كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يؤمنه فقالا نبرأ الى الله تعالى من هذه الصفة . فقال بلى فسأخبركما عن ذلك ألستما تعلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج والناس أهل كفر فدعاهم ان يقروا بالله ورسوله فمن أبى قاتله وخوفه ومن اقربهما امنه وكف عنه ؟ وانتم اليوم من مر بكم مقربهما قتلتموه ومن لم يقربهما امنتموه وخليتم سبيله فقال العربى: تالله مارأيت حجيجاً أقرب مأخذاً ولا أوضح منهاجا منك أشهد انك على الحق وأنا على الباطل وقال الآخر : لقد قلت قولا حسناً وما كنت لافتات على أصحابى حتي القاهم فلحق باصحابه وأقام الآخر عند عمر فاجري عليه العطاء والرزق حتي مات عنده

﴿ وفاة عمر بن عبد العزيز ﴾ وذكروا ان عبدالرحمن ابن يزيد اخبرهم قال كتب عمر بن عبدالعزيز الى ابن أبي زكريا: أما بعد فاذا نظرت في كتابي فاقدم فقدم عليه فقال مرحباً بابن أبي زكريا قال وبك يا أمير المؤمنين قال حاجة لى قبلك قال بين الانف والعين حاجتك يا أمير المؤمنين ان قدرت عليها قال لست أكلفك الا ماتقدر عليه قال نعم قال أحب أن تثني

على الله بمبلغ علمك حتى اذا فرغت سألت الله أن يقبض عمر فقال: انا لله وأنا اليه راجعون بئس وافدامة محمد انا هذا لا يحل لى قال فاني اعزم عليك بحق الله وبحق رسوله وبحقي ان كان لي عليك حق الا ما فعلته فبكي ثم استرجع ثم أقبل يثني على الله وانه ليبكي حتى اذا فرغ قال: اللهم ان عمر سألني بحقك وبحق رسولك وبحقه على ان أدعو في قبضه اليك فاقبض عمر اليك كما سأل ولا تبقني بعده وجاء حينئذ بنيّ لعمر فسقط في حجره فقال وهذا أي ربي معنا فاني أحبه. قال فما كانوا الا كخرزات في خيط فانقطع الخيط فاتبع بعضها بالسقوط بعضاً

﴿ ذكر رؤيا عمر بن عبد العزيز ﴾ وذكروا عن مزاحم مولى عمر قال أخبرتني فاطمة ابنة عبد الملك امرأة عمر قالت كان لعمر بن العزيز مكان يخلو فيه فأبطأ علي ذات ليلة فقلت لآتينه فوجدته نائما فهبته أن أيقظه فما لبث الا قليلا حتى رفع رأسه فقال من هذا فقلت أنا فاطمة فقال يا فاطمة لقد رأيت رؤيا ما رأيت أحسن منها فقلت حدثني بها يا أمير المؤمنين قال : رأيت كأني في أرض خضراء لم أر أحسن منها ورأيت في تلك الارض قصراً من زبرجد ورأيت جميع الخلائق

حول ذلك القصر فما لبثت الا قليلا حتى خرج المنادي فقال
أين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقام النبي عليه السلام
فدخل القصر فقلت سبحان الله أنا في جمع فيهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولم أسلم عليه فما لبثت الا قليلا حتى خرج
المنادي فنادى أين أبو بكر بن أبي قحافة فقام أبو بكر فدخل
فما لبثت الا قليلا حتى خرج المنادى فنادى أين عمر بن الخطاب
أين الفاروق فقام عمر فدخل فقلت سبحان الله أنا في ملأ
فيهم جدي لم أسلم عليه فما لبثت الا يسيراً حتى خرج المنادي
فقال أين عثمان بن عفان فقام عثمان فدخل فما لبثت الا قليلا
حتى خرج المنادي فنادي أين علي بن أبي طالب فقام فدخل
فما لبثت الا قليلا حتى خرج المنادي فنادى أين عمر بن
عبد العزيز قال فقمت فدخلت فلما صرت في القصر رأيت
النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر عن يمينه وعمر عن شماله
وعثمان وعلياً أمامه فقلت أين أقعد لا أقعد الا الى جنب
عمر قال فرأيت فيما بين النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر
شاباً حسن الوجه حسن الهيئة فقلت لعمر من هذا
قال هذا عيسى بن مريم عليه السلام فما لبثت الا قليلا حتى

خرج عثمان بن عفان وهو يقول الحمد لله الذي نصرني ربي ثم خرج علي وهو يقول الحمد لله الذي غفر لى ربى ثم نودي لي أين عمر بن عبد العزيز فقمت فصرت بين يدى ربى فحاسبني فلقد سألني عن النقير والفتيل والقطمير حتي خفت ان لا أنجو ثم قمت فخرجت فقيل لي اثبت وتمسك على ما أنت عليه فبينما أنا سائر فاذا بجيفة قد علا نتنها الخلائق فضربتها برجلي وقلت لمن معى لمن هذه الجيفة فقيل لى هذا الحجاج ابن يوسف فضربته برجلى فقلت له مافعل الله بك ياحجاج قال ياأمير المؤمنين والله لقد قتلت بكل قتيل قتلته قتلة بسيف من نار ولقد قتلت بسعيد بن جبير اثنين وسبعين قتلة . فقلت فآخر أمرك ما هو قال انا هاهنا انتظر ما ينتظر من وحد الله وآمن برسوله . قالت فاطمة فلم يبق عمر بعد هذه الرؤيا الا يسيراً حتى مرض مرضه الذي مات فيه فدخل عليه مسلمة بن عبد الملك فقال له يا أمير المؤمنين انك لتترك ولدك عالة على الناس فاوص بهم الىّ أكفك أمرهم فانك لم تموّلهم شيئاً ولم تعطهم فقال عمر : يا أبا سعيد ان ولدي لهم الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ثم دعاهم عمر وهم أربعة عشر غلاما فنظر

اليهم عمر وقد لبسوا الخشن من قباطي مصر فاغرورقت عيناه بالدموع . قال لهم: أوصيكم بتقوى الله العظيم وليجلّ صغيركم كبيركم وليرحم كبيركم صغيركم . ثم قال لمسلمة يا أبا سعيد انما ولدي على أحد أمرين إما عامل بطاعة الله فلن يضيعه الله وإما عامل بمعصيته فلا أحب أن يعينه بالمال قوموا عصمكم الله ووفقكم . ثم دعا رجاء بن حيوة فخلا به فقال يارجاء ان الموت قد نزل وأنا أعهد اليك عهداً لا أعهده الى غيرك : اذا أنامت فكن ممن يقبرني فاذا سويت عليّ اللبن فارفع لبنة ثم اكشف عن وجهي وانظر اليه فاني قبرت ثلاثة رجال بيدي وكشفت عن وجوههم فنظرت وجوههم قد اسودت وعيونهم قد برزت من وجوههم فاكشف عن وجهي يارجاء وانظر اليه فان رأيت شيئاً من هذا فاستر عليّ ولا تعلم به أحداً وان رأيت غير ذلك فاحمد الله عليه قال رجاء ففعلت ذلك فلما سوينا عليه اللبن رفعت لبنة وكشفت وجهه فاذا وجهه مثل القمر ليلة البدر واذا على صدره صك فيه خط ليس من كتابة الآدميين : بسم الله الرحمن الرحيم كتاب بالقلم الجليل من الله العزيز العليم براءة لعمر بن عبد العزيز من العذاب الاليم .

﴿ ما علم به موت عمر رحمه الله في الامصار ﴾ وذكروا ان رجلا من أهل المدينة قال وفد قوم من أهل المدينة الى الشام فنزلوا برجل في أوائل الشام موسماً عليه تروح عليه ابل كثيرة وأبقار وأغنام فنظروا الى شيء لا يعلمونه غير ما يعرفون من غضارة العيش اذ أقبل بعض رعاته فقال ان السبع عدا اليوم على غنمي فذهب منها بشاة فقال الرجل انا لله وانا اليه راجعون ثم جعل يأسف أسفاً شديداً . فقلنا بعضنا لبعض ماعند هذا خير يتأسف ويتوجع من شاة اكلها السبع فكلمه بعض القوم قال له : ان الله تعالى قد وسع عليك فما هذا التوجع والتأسف قال انه ليس مما ترون ولكني أخشى أن يكون عمر ابن عبد العزيز قد توفي الليلة والله ما تعدي السبع على الشاة الا لموته فأثبتوا ذلك اليوم فاذا عمر قد توفى في ذلك اليوم . وذكروا انهم سمعوا رجلا يحدث ويقول بينا رجل باليمن نائم على سطح له ذات ليلة اذ تسوّر عليه كلب فسمعه وهو يقول لهرة له : أي جنة هل من شيء أصيبه فاني والله أكال فقالت له الهرة مائم شيء لقد غطوا الاناء وأكفؤا الصحفة فقال لها هل تدنيني من يد صبي أو قدر لم تغسل أشمها لترتد لي روحي

قالت الهرة ما كنت لاخونهم أمانتي فمن أين أقبلت تشكو الكلال والجوع قال من الشام شهدت وفاة عمر بن عبد العزيز وحضرت جنازته قالت انا لله وانا اليه راجعون نور كان في الدنيا فطمس ثم زالت عنه وتنحت وفرت منه وهابته خوفاً من ان يعدو عليها ثم انسل الكلب ذاهباً فلما أصبح الرجل جعل يقول للهرة أي جنة جزاك الله عنا خيراً قال فاستوبرت الهرة وذهبت فلم تر بعد فكتب ذلك اليوم فجاءهم موت عمر في ذلك اليوم . وذكروا ان زياد بن عبد الله أخبرهم قال كان رجل في بعض كور الشام يعالج اندراً له مع زوجته وكان قد استشهد ابن لهما منذ زمان طويل فنظر الرجل الى فارس مقبل نحوهما فقال الرجل لزوجته يافلانة هذا والله ابني وابنك مقبل فنظرت المرأة فقالت : أخدعك الشيطان انك مفتون بابنك وابنك تشبه به الناس كلهم كيف يكون ابنك وابنك استشهد منذ حين فاستعاذ الرجل بالله من الشيطان الرجيم ثم أقبل على أندره يعالجه ودنا منهما الفارس ثم نظر ثانية قال يافلانة ابني والله وابنك فنظرت ودنى منهما الفارس فلما وقف عليهما فاذا هو ابنهما قال فسلم عليهما وسلما عليه فقالا له يابني

أما كنت استشهدت منذ حين قال نعم الا ان عمر بن عبد العزيز توفي الليلة فاستأذن الشهداء ربهم عز وجل في شهود جنازته فاذن لهم وكنت فيهم فاستأذنت ربي في زيارتكما والنظر فاذن لي ثم ودعاه وسلما عليه ودعا لهم ثم ذهب٠

﴿ ولاية يزيد بن عبد الملك بن مروان ﴾ وذكروا ان الامر صار بعد عمر بن عبد العزيز الى يزيد بن عبد الملك بعهد سليمان أخيه اليه بذلك والى عمر وكان يزيد قبل ولايته محبوبا في قريش بجميل مأخذه في نفسه وهديه وتواضعه وقصده وكان الناس لايشكّون اذا صار اليه الامر أن يسير بسيرة عمر لما ظهر منه ٠ فلما صارت اليه الخلافة حال عما كان يظن به وسار بسيرة الوليد أخيه واحتذي على مثاله وأخذ مأخذه حتى كأن الوليد لم يمت فعظم ذلك على الناس وصاروا من ذلك الى أحوال يطول ذكرها حتى هموا بخلعه وجاءهم بذلك قوم من أشراف قريش وخيار بني أمية وكانت قلوبهم قد سكنت الى هدى عمر واطمأنت الى عدله بعد النفار والانكار لسيرته وعاد ذلك من قلوبهم الى الرضا بامره والقنوع بقصده عليهم وتقصيره في ادراك المطامع والعطايا عليهم واتّهم منهم نفر بالخلع والخروج

فأخذهم عمه محمد بن مروان بن الحكم فاسكنهم السجن عشرين شهراً ثم دس لهم السم فماتوا جميعاً وأقصى من سائر قريش ثلاثين رجلا بعد ان أغرمهم مائة الف الف رباع عقر أموالهم ورباعهم وحمل العذاب عليهم والنكال حتى أصارهم عالة يتكففون الناس متفرقين في كور الشام وآفاق البلاد وصلب من الناس جملة ممن الف هؤلاء القوم واتهم بعصانتهم ومصحابتهم وكانت ولايته في ربيع الاول سنة احدى ومائة ومات سنة ست ومائة

﴿ ولاية هشام بن عبد الملك ﴾ وذكروا ان عبد الملك ابن مروان بينماهو يوما في بعض بوادي الشام يتطوف اذ نظر الى ساع يسعى اليه فوقف منتظراً له فلما قاربه قال له ماوراءك فقال ولدت المخزومية [1] غلاما قال فما سمته قال هشاماً قال هشم الله رأسها فقال له قبيصة بن ذؤيب ولم يا أمير المؤمنين قال اخبرني أبي مروان انه سمع بشرة بنت صفوان تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : راحة أصحابي معاوية ولا راحة لهم بعد معاوية وراحة العرب هشام ولا راحة لهم بعد هشام . وذكروا ان هشاما صارت اليه الخلافة في سنة ست

(١) هي عائشة أم هشام ابنة اسماعيل بن هشام المخزومي

ومائة فكان محمود السيرة ميمون النقيبة وكان الناس معه في دعة وسكون وراحة لم يخرج عليه خارج ولم يقم عليه قائم الا ما كان من قيام زيد بن علي بن الحسين في بعض نواحي الكوفة فبعث اليه ابن هبيرة وكان عامل الكوفة فأخذ زيد فأتى به ابن هبيرة فأمر بقتله دون رأي هشام فلما بلغ ذلك هشاماً عظم عليه قتله وأعظم فعل ابن هبيرة واجتراءه على قتل قرشي دون مشورة حتى جعل يقول: مثل زيد بن علي في شرفه وفضله يقتله ابن هبيرة وما كان عليه من قيامه ان هذا لهو البلاء المبين ما يزال ابن هبيرة مبغضا لاهل هذا البيت من آل هاشم وآل عبد المطلب ووالله لا زلت لهم محبا حتى أموت ثم عزل ابن هبيرة عن الكوفة وأغرمه الف الف ولم يل له شيئاً حتى مات وكانت أيام هشام عشرين سنة ولي سنة ست ومائة وتوفي سنة ست وعشرين ومائة بعد ان حج احدى عشرة حجة وهو خليفة

﴿ قدوم خالد بن صفوان بن الاهتم على هشام ﴾ وذكروا ان شبيب بن شيبة أخبرهم عن خالد بن صفوان بن الاهتم قال أوفدني يوسف بن عمر الى هشام في وفد العراق فقدمت

عليه وقد خرج منتدبا في قرابته وأهله وحشمه وحاشيته من أهله الى بعض بوادي الرصافة فنزل في أرض قاع صحصح أفيح في عام قد بكر وَسْمِيّه وقد البست الارض أنواع زهرتها وأخرجت الوان زينتها، من نَوْر ربيعها فهى في أحسن منظر وأجمل مخبر، بصعيد كأن ترابه قطع الكافور فلو ان قطعة دينار القيت فيه لم تترب، وقد ضرب له سرادقات من حبرات اليمن مزرورة بالفضة والذهب وضرب له فسطاطه في وسطه فيه أربعة أفرشة من خز أحمر مثلها مرافقها وعليه دراعة خز أحمر وعمامة مثلها وضربت حجر نسائه من وراء سرادقه وعنده أشراف قريش وقد ضربت حجر بنيه وكتابه وحشمه بقرب فسطاطه ثم أمر الربيع حاجبه فاذن للناس أذنا عاما فدخلوا عليه وأخذ الناس مجالسهم قال خالد فادخلت رأسي من ناحية السماط فاطرق ثم رفع رأسه ونظر الى شبه المستنكر وكنت قد حليت عنده ببلاغة وفهم وحكمة فقلت أقرّ الله نعمته عليك يا أمير المؤمنين وكرامته وسوّغك شكره يا أمير المؤمنين ومدّلك في المزيد فيها بفضله ثم وصلها بعد بطول العمر وتتابع الكرامة الباقية التي لا انقطاع لها ولا نفاد لشيء منها حتى

يكون آجل ذلك خيراً من عاجله وآخره أفضل من أوله وعاقبته خيراً من ابتدائه وجعل ماقلدك من هذا الامر رشداً وعاقبته تؤول الى أحمد ودرك الرضا وأخلص لك ذلك بالتقوي وكثره لك بالنماء ولا كدر عليك منك ماصفا ولا خالط سروره اذى . فقد أصبحت للمسلمين ثقة وستراً يفزعون اليك في أمورهم ويقصدونك في حوائجهم وما أجد يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك شيئاً أبلغ في حقك وتوفير مجلسك اذ من الله عليّ بمجالستك والنظر الى وجهك مني وما أجد فيما أظهر ذلك الا في مذاكرتك نعم الله التى أنعم بها عليك وأحسن فيها اليك ونبهك الى شكرها . ثم اني لا أجد شيئاً هو أبلغ في ذلك ولا أجمع من ذكر حديث لملك خلا من الملوك كان في سالف الامم فان أذن أمير المؤمنين أكرمه الله حدثته قال وكان هشام متكئاً فاستوى جالساً وقال هات يا ابن الاهتم . قال : قلت يا أمير المؤمنين إن ملكاً كان فيما خلا مجتمعاً له فيها فتاء السن واعتدال الطبائع وتمام الجمال وكثرة المال وتمكين الملك، وكان له ذلك الى البطر والمرح داعياً ، وعلى الغفلة والذهول معينا فخرج متنزها الى بعض منازله فصعد جوسقا له فاشرف على

أرض قد أخضلها ربيع عامه كان شبيها بماءلك هـذا يا أمير المؤمنين في خصبه وعشبه وكثرة زهره وحسن منظره، فنظر فرجع اليه بصره كليلا عن بلوغ أقصى أمواله من الضياع والابل والخيل والنعم فقال لنفر من ناديه لمن هذا قيل له لك فأعجبته نفسه وما بسط له من ذلك حتى أظهر فرحه وزهوه ثم قال لجلسائه هل رأيتم مثل ما أنا فيه أم هل أوتي أحد مثل ما أوتيت. وكان عنده رجل من بقايا حملة الحجة والعلم والمضي على أدب الحق ومنهاج الصدق في الضمير والمقالة. وقد قيل ان الله الجليل لم يخل الارض منذ أهبط آدم من قائم يقوم بحجة الله فيها وكان ذلك الرجل ممن يسامره قال: أيها الملك قد سألت عن أمر أفتأذن لي بالجواب فيه قال نعم قال: أرأيتك هذا الذي أعجبك مما عليه أطلع نظرك واستطال ملكك وسلطانك أشيء لم يزل لك ولم يزل عنك أم شيء كان لغيرك فزال عنه اليك ثم هو صائر الى غيرك كما صار اليك؟ قال: الملك بل كما ظننت ومثلت قال: فاني أراك أعجبت بما يفني وزهدت فيما يبقى وسررت بقليل وحسابه غداً طويل قال ويحك فكيف المطلب وأين المهرب وما الحيلة في المخرج قال احدى خصلتين إما ان تقيم

في ملكك فتعمل فيه بطاعة ربك على ماسرك وساءك وأمضك
وإما ان تضع تاجك ونجادك وتذكر ذنوبك وتلحق في الخلاء
بمن يغفر لك فتعبد فيه ربك حتى يوافيك أجلك وتنقضي مدتك
وأنت عامل لربك فيما يعطيك قال فاذا فعلت ذلك فمالي فقال
ملك خالد لا يفني ونعيم لا ينقضي ومزيد وكرامة وصحة لا تسقم
أبداً وسرور لا ينصرم وشباب لا يشوبه هرم، وقرار لا يخالطه
هم . قال الملك سأنظر الى نفسي في الاختيار لها مما ذكرت لي
فاذا كان وقت السحر فاقرع علي بابي لتعرف رأيي فاني مختار
احدى المنزلتين فان أقمت في ملكي واخترت ما أنا فيه كنت
وزيراً لا تعصى وان خلوت كنت رفيقاً لا تجفى فلما كان السحر
قرع عليه بابه فاذا هو قد وضع تاجه ولبس إطماره فلحقا بالجبل
فلم يزالا يعبدان الله فيه حتى بلغ أجلهما وانقضى عمرها . فبكى
هشام حتى بل لحيته ثم نكس رأسه طويلا ثم أمر بنزع ابنيته
وانتقاله وأقبلت العامة من الموالي على ابن الاهتم فقالوا له
ما أردت لامير المؤمنين أفسدت عليه لذته ونغصت عليه شهوته
وقد حرمتنا ما أملنا فيه . قال اليكم عني فاني عاهدت الله ربي
اني لا أخلو بملك الا ذكرته الله ونبهته ورشدته . ثم رجع خالد

الى فسطاطه كئيباً حزيناً متخوفاً يظن ان قد هلك وكان
للربيع صديقاً فبينما هو كذلك اذ أتاه رسول الربيع فقال يا صفوان
يقول لك أخوك الربيع : من كان في حاجة الله كان الله في
حاجته . انك لما وليت من عند أمير المؤمنين جعل يقول لله در
ابن الاهتم أي رجل دنيا وآخرى مره يا ربيع فليرفع حوائجه
وليغد الينا بها نقضها له فقال الربيع فاغد علينا بحوائجك رحمك
الله واحمده على ماصنع واذهب من مخافتك . فغدا عليه بحوائجه
فقضيت . وذكروا انه لم يكن في بني أمية ملك أعظم من هشام
ولا أعظم قدراً ولا أعلا صوتاً منه دانت له البلاد وملك جميع
العباد وأديت اليه الجزية من جميع الجهات من الروم والفرس
والترك والافرنج والزنج والسند والهند وكان قريباً من الضعفاء
مهتما باصلاح الادواء لم يجترئ أحد معه على ظلامة ولم يسلك
أحد معه الا سبيل الاستقامة وكان له موضع بالرصافة أفيح
من الارض يبرز فيه فتضرب له به السرادقات فيكون فيه ستين
ليلة بارزا للناس مباحا للخلق لا يفني أيامــه تلك الا برد المظالم
والاخذ على يد الظالم من جميع الناس وأطراف البلاد ويصل
الى مخاطبته بذلك الموضع داعي السوام والامــة السوداء فمن

دونهما . قدوكل رجالا أدباء عقلاء بادناء الضعفاء والنساء واليتامى
منه وأمرهم باقضاء أهل القوة والكفاية عنه حتى يأتي على آخر
مايكون من أمره فيما يرفع اليه لا ينضم اليه رجل يريد الوصول
اليه فينظروا أوضع منه الا أدنوا الا وضع وأبعدوا الا رفع حتى
ينظر فى شأنه ويعرف أمره وينفذ فيه ما أمر ولا يرفع اليه
ضعيف ولا امرأة أمراً وظلامة على غطريف من الناس مرتفع
القدر ولا مستخدم به الا أمر باقتضاء يمينه واغداه بطلبه
لا يقبل لهم حجة ولا يسمع لهم من بينة حتى لربما تمر به المرأة
والرجل أو عابر سبيل لا حاجة له فيما مر به فيقال له ماحاجتك
وما قصتك وما ظلامتك فيقول انما سلكت أريد موضع
كذا أروم بلد كذا فيقول له لعلك ظلمك أحد من آل الخليفة
تهاب أمره وتتوقع سطوته فذلك الذي منعك عن رفع ظلامتك
الى أمير المؤمنين فيقول لا والله لا أبغي الا ما قلت فيقال له
اذهب بسلام . حتى لربما أتت عليه تارات من الليل وساعات
من النهار لا ينظر في شيء ولا يأتيه أحد في خصومة لاستغناء
الناس عن المطالب وتعففا من المظالم ووقاية من سطواته وتخوفاً
من عقوبته وقد وسع العباد أمنه وأشعرهم عدله وصارت البلاد

المتنائية الشاسعة كدار واحدة ترجع الى حا كم قاضي يرقبه الناس
في المواضع النائية عنه كما يرقبه من معه وقد وضع العيون
الجواسيس من خيار الناس وفضلاء العباد في سائر الامصار
البلدان يحصون أقوال الولاة والعمال ويحفظون أعمال الاخيار
الاشرار قد صار هؤلاء اعقابا يتعاقبون ينهض قوم باخبار
بلوا في المصر الذي كانوا فيه ويقبل آخرون يدخلون مسترقين
يخرجون متفرقين لا يعلم منهم واحد ولا يرى لهم عابر فلا
يكون ولا قصة تحدث من مشرق الارض ولا مغربها
وهو يحدث به في الشام وينظر فيه هشام، وقد أقصر نفسه
هذه الحال وحببت اليه هذه الافعال، فكانت أيامه عند
أحمد أيام مرت بهم وأعفاها وأرجاها قد لبس جلباب
على أهل العتود والكنود وارتدى برداء التواضع الى
الخشوع والسكون . وكان قد حبب اليه التكاثر من الدنيا
تمتاع بالكساء لم يلبس ثوبا قط يوما فعاد اليه حتى لقد
كساء ظهره وثياب مهنته لا يستقل بها ولا يحملها الا
بعير من أجلد ما يكون من الابل وأعظم ما يحمل عليه
ال وكان مع ذلك يتقلها وطالت أيامه واستبطأ صاحب

العهد بموته فناوأه وعاداه وانتقل عن الموضع الذي كان به هو
والوليد بن يزيد بن عبد الملك فمات هشام والوليد غائب فاتاه موته
فأمر بقفل الخزائن فلم يجدوا لهشام ما يكفنونه به واستؤذن الوليد
في اقباله فلم يدفن هشام حتى قدم الوليد وذلك في ثلاثة أيام

﴿ بدء الفتن والدولة العباسية ﴾ وذكروا ان الهيثم بن
عدي أخبرهم قال اختلفت روايات القوم الذين عنهم حملنا وروينا
ذكر الدولة فحملنا عنهم ما اختلفوا فيه وألفناه . فكان أول ما
اختلفت فيه الرواية ولم تلائمه الحكاية أشياء سنذكرها في
موضعها من هذا الكتاب ان شاء الله واقتصرنا على معانيها
وقيدنا بعض الفاظها لطول أخبارها واجتنبنا الجزل السمين
من اللفظ ورددنا هزيله لنزر فائدته وقلة عائدته وقد اختصرنا
واشبعنا اذلم نترك من المعاني المتقدمة شيئاً والله الموفق للصواب .
فكان مما الفنا بدءاً من ذكر الدولة ما اخبرنا عن الهيثم بن عدي
عن الرجال الذين حدثوه قالوا : لما سلم الحسن بن علي الامر الى
معاوية بن أبي سفيان قامت الشيعة من أهل المدينة وأهل مكة
وأهل الكوفة واليمن وأهل البصرة وأرض خراسان في ستر
وكتمان فاجتمعوا الى محمد بن علي وهو محمد بن الحنفية فبايعوه

على طلب الخلافة ان أمكنه ذلك وعرضوا عليه قبض زكاتهم لينفقوها يوم الوثوب على فرصته فيما يحتاج من النفقة على مجاهدته فقبلها وولي على شيعة كل بلد رجلا منهم وأمره باستدعاء من قبله منهم في سرّ وتوصية اليهم ألا يبوحوا بمكتومهم الا لمن يوثق به حتي يرى للقيام موضعاً. فأقام محمد ابن الحنفية إمام الشيعة قابضاً لزكاتهم حتى مات . فلما حضرته الوفاة ولي عبد الله ابنه من بعده وأمره بطلب الخلافة ان وجد الى ذلك سبيلا وأعلم الشيعة بتوليته اياه فأقام عبد الله ابن محمد بن علي وهوأميرالشيعة فبلغ ذلك سليمان بن عبدالملك في أول خلافته ان الشيعة قد بايعت عبد الله بن محمد بن علي بعد أبيه فبعث اليه وقد أعد له في أفواه الطرق رجالا معهم أشربة مسمومة وأمرهم اذا خرج من عنده أن يعرضوا عليه الشراب. فلما دخل على سليمان أجلسه الى جانبه ثم قال له بلغني أن الشيعة بايعتك على هذا الامر فجحده عبدالله وقال: بلغك الباطل وما زال لنا أعداء يبلغون الائمة قبلك عنا مثل ما بلغك ليغروهم بنا فيدفع الله عنا كيد من ناوأنا وأنا بما يلزمني من مؤنتي أشغل مني بطلب هذا الامر ثم خرج من عنده في

وقت شديد الحر . فكان لا يمر بموضع الا قام اليه الرجل بعد الرجل يقول له هل لك في شربة سويق اللوز وسويق كذا وكذا يا ابن بنت رسول الله ونفسه موجسة منهم فيقول بارك الله لكم حتى اذا خرج الى آخر الطريق خرج اليه رجل من خبائه وبيده عسّ فقال له هل لك في شربة من لبن يا ابن بنت رسول الله فوقع في نفسه أن اللبن مما لا يسم فشرب منه ثم مضى فلم ينشب ان وجد للسم حساً فاستدل على الطريق الى الحميمة وبها جماعة آل عباس وقال لمن معه ان مت ففي أهلى ثم توجه فنزل على محمد بن علي بن عبد الله بن عباس فأخبره الخبر وقال له اليك الامر والطالب للخلافة بعدي فولاه وأشهد له من الشيعة رجالا ثم مات . فأقام محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ودعوة الشيعة له حتى مات فلما حضرته الوفاة ولي محمد بن ابراهيم الامر فأقام وهو أمير الشيعة وصاحب الدعوة بعد أبيه .

﴿ دخول محمد بن عليّ على هشام ﴾ وذكروا أن محمد ابن علي بن عبد الله بن عباس دخل وهو شيخ كبير قد غشي بصره على هشام بن عبد الملك متوكئاً على ولديه أبي العباس

وأبي جعفر فسلم ثم قال له هشام ما حاجتك ولم يأذن له في الجلوس فذكر قرابته وحاجة به ثم استجداه . فقال له هشام ما هذا الذي بلغني عنكم يا بني العباس ثم يأتي أحدكم وهو يرى أنه أحق بما في أيدينا منا والله لا أعطيتك شيئاً . فخرج محمد بن علي فقال هشام كالمستهزئ : ان هذا الشيخ ليري أن هذا الامر سيكون لولديه هذين أو لاحدهما فرجع محمد نحوه فقال : أما والله اني أرى ذلك على رغم من رغم . فضحك هشام وقال أغضبنا الشيخ ثم مضى محمد بن علي (١)

﴿ ولاية الوليد بن يزيد وفتن الدولة ﴾ وذكروا أن الوليد بن يزيد لما تولى الامر بعد هشام أساء السيرة وانتحي على أهله وجماعة قريش وأحدث الاحداث العظيمة وسفك الدماء وأباح الحريم وكانت ولايته في سنة ست وعشرين ومائة فلما استولى علي الامر بعث الى أشراف الاجناد فقدموا عليه

---

(١) ويروى : ان عليا أبو محمد ولد في الليلة التي قتل فيها علي بن أبي طالب فسماه أبوه عليا وقال سميته باسم أحب الناس الي وكناه أبا الحسن . فلما قدم على عبد الملك أكرمه وأجلسه على سريره معه فسأله عن كنيته فأخبره فقال لا يجتمع في عسكري هذا الاسم والكنية

وقدم خالد فيمن قدم فلم يأذن لواحد منهم وكان مشتغلا بلهوه ولعبه ومرض خالد فاستؤذن له في الانصراف فأذن له فانصرف الى دمشق فأقام بها شهراً . ثم كتب اليه الوليد ان أمير المؤمنين قد علم الخمسين الف الف التي تعلم فأقدم بها على أمير المؤمنين مع رسوله فقد أمره ان لا يعجلك عن جهازك فبعث خالد الي عدة من ثقاته فيهم عمارة بن أبي كلثوم فاقرأهم كتاب الوليد وقال أشيروا عليّ برأيكم. فقالوا ان الوليد ليس بمأمون فالرأي ان تدخل مدينة دمشق فتأخذ بيوت الاموال وتدعو الي من أحببت والناس قومك ولن يختلف منا عليك اثنان فقال لهم وماذا قالوا اتأخذ بيوت الاموال وتجمع اليك قومك حتى تتوثق لنفسك قال وماذا قالوا نتوارى. فقال اما قولكم ان ادعو الى من أحببت فاني أكره ان تكون الفرقة على يدي وأما قولكم ان آخذ بيوت الاموال حتى أتوثق لنفسي فأنتم لا تأمنونني عليها ولا ذنب لي فكيف لي ترجون وفاة بما يعطيني وقد فعلت مافعلت وأما قولكم في التواري فوالله ماقنعت رأسي خوفا من أحد قط فالآن وقد بلغت من السن مابلغت ولكني امضي واستمين بالله تعالى.

﴿قتل خالد بن عبد الله القسري﴾ وذكروا ان خالد بن عبد الله القسري شخص الى الوليد بن يزيد حتى قدم على معسكره فلم يدع به الوليد ولم يكلمه وهو يختلف اليه غدوة وعشية حتى قدم برأس يحي بن زيد بن على بن الحسين من خراسان فجمع الناس الاذن فحضر الاشراف وجاس الوليد وجاء خالد الى الحاجب فقال ان حالي كما ترى لا أقدر على المشي وانما احمل في الكرسي قال الحاجب مايدخل أحد على أمير المؤمنين على هذه الحال ثم أذن له فحمل على كرسيه ثم دخل علي الوليد وهو جالس في سريره والمائدة موضوعة فلما دخل عليه قال له الوليد اين ولدك يزيد بن خالد فقال قد أصابه من هشام ظفر فخلى سبيله ثم طلب فهرب فكنا نراه عند أمير المؤمنين حتي استخلفه الله فقال له الوليد لكنك خلفته طالبا للفتنة فقال خالد قد علم أمير المؤمنين انا أهل بيت طاعة انا وأبى وجدي فقال له الوليد لتأتيني بابنك أولا زهقن نفسك فقال له خالد : هـذا الذي تدور عليه وهو الذي تريد والله لو كان ابنى تحت قدمى مارفعتهما لك فاصنع مابدالك . فأمر الوليد غيلان صاحب حرسه بالبسط عليه والاخذ له وقال له

اسمعنى صوته فذهب به غيلان الى رحله فعذبه بالسلاسل والحديد فلم يتكلم بكلمة فرجع غيلان الى الوليد فقال له والله لا أعذب انسانا لا يتكلم فقال له كف عنه واحبسه ففعل فقام يوسف بن عمر فقال أنا أشتريه بخمسين الف الف فارسل الوليد الى خالد ان يوسف بن عمر قد سأل ان يشتريك بخمسين الف الف فان ضمنتها لامير المؤمنين والا دفعتك اليه . قال خالد ماعهدنا العرب تباع فدفعه الى يوسف بن عمر فنزع ثيابه وألبسه عباءة وألحفه أخرى وحمله على محمل ليس تحته وطاء فبسط عليه وعذبه وخالد لا يكلمه بكلمة ثم ارتحل حتى اذا كان ببعض الطريق عذبه يوما ثم وضع المضرسة على صدره فقتله في الليل فدفن في الحيرة وذلك في المحرم سنة سبع وعشرين ومائة.

﴿ وثوب أهل دمشق على الوليد بن يزيد وقتله ﴾

وذكروا ان يزيد بن خالد دب في أهله وتحمل في عشائره فاجتمع أمرهم على الوليد بن يزيد فبينماهم يديرون أمرهم اذ انطلق ساع الى الوليد قال له أدلك على يزيد بن خالد قال نعم فبعث الوليد مولي له وأمره ان يكمن النهار ويسير الليل حتى أتي دمشق ليلا ويزيد مختف بدمشق في منزل رجل عنده

باب السوق فاقتحم عليه المنزل فأخذه وشخص به من ساعته حتى
قدم على الوليد فأمر بالبعث به الى يوسف بن عمر بالعراق
قال له يزيد يا أمير المؤمنين أنا أدفع لك الخمسين الف الف التي
طابت من خالد في ثلاث سنين على أن تكتب الى الآفاق بامان
من كانت لي عنده وديعة وأمان فيها ذمتي وموالي فقبل منه
الوليد ذلك فأمر بالكتب الى العراق والحجاز وكور الشام في
ذلك واحتبس يزيد عنده وجعل عليه القيود والحرس ثم ارتحل
الوليد ومعه خدمته وشرطته وتواعد أهل اليمن أن يثوروا
اذا صلوا العتمة في المسجد وكانت العلامة بينهم ان يلتمس أحدهم
صاحبه . فلما تفرق أهل المسجد خرجوا فاستخرجوا يزيد بن الوليد
من منزله ثم أتوا به القصر وعلى دمشق يومئذ رجل من بني
الحجاج وكان قد خرج من الطاعون واستخلف رجلا من
قيس فدخلوا عليه فأوثقوه كتافاً وأوثقوا كل من خافوا خلافه
فتسلل رجل حتى أتى الوليد بن يزيد فأخبره الخبر فلما أصبحوا
غدوا الى الوليد فبعث الوليد في طلب يزيد بن خالد وهو عنده
في الحديد فقال له ان قومك قد خرجوا بين يدي الوليد فارددهم
عن أمير المؤمنين ولك الله ان أوليك العراق وأدفع اليك

يوسف فتقاته بابيك فقال له يزيد بن خالد وتوثقني يا أمير
المؤمنين قال نعم فتوثق له وحلف قال فارسلني اليهم حتى أردهم
عنك فقال له الوليد بل ا كتب اليهم قال ان كتابي لا يغني
شيئاً وقد علموا اني في يديك واني سأكتب بما تريد فأمر
باطلاقه من الحديد ورده الى حبسه وأمر الحرس يتحفظون
به ثم ارتحل الوليد بيزيد بن خالد معه فلما كان الفجر صبحته
أوائل الخيل خيل أهل اليمن فأرسل الوليد الى يزيد بن خالد
فقال له يزيد خل عني حتى أردهم عنك فبينما هم على ذلك اذ
التقى القوم فشدت الميمنة وقد طلعت الشمس واختلط الناس
وكثر القتل وتخلص يزيد بن خالد من الحرس فهرب فاتوه
ببرذون من براذين الوليد وأتى بسيف فتقلده ثم نادى مناديه
من جاء برأس الوليد فله مائة ألف دينار ونودى فى العسكر
من دخل رحله فهو آمن . فنادى الوليد يا أهل الشام ألم أحسن
اليكم ألم أفعل كذا فعدد احسانه . فقال عبد السلام بلى قد
فعلت ولكنك عمدت الى شيخنا وسيدنا خالد بن عبد الله قد
عزله الخليفة قبلك وأخذ أمواله ثم خلى عنه فدفعته الى يوسف
ابن عمر بالبيع فادرعه ثم حمله على محمل بلا وطاء ثم انطلق به

فعذبه حتى قتل شر قتل يكون فقال لهم الوليد فأخلعوني فى
قيصى هذا وولوا من شئتم فانصرفوا الى قومهم فأعلموهم بما
رضى من الخلع فقالوا لا الا رأسه فتدلى القوم الى القصر
وانتهى يزيد بن خالد الى الباب وعليه سلسلة فأمر بها فكسرت
وكسر الباب وخرج الوليد يسعى حتى دخل بيتاً من بيوت
القصر ودخل عليه نحو من ثلاثين رجلا وهو قائم بيده
السيف منكسا رأسه لاينظر اليهم وهو يذب عن نفسه فضربه
رجل ضربة ثم صرعه ثم اكب عليه فاحتز رأسه فخرج به
وانصرف الناس الى دمشق • فبايع الناس ليزيد بن الوليد بن
عبد الملك وذلك في ذى الحجة من سبع وعشرين ومائة فكان
خليفة ستة أشهر ثم مات في جمادي الاولى ثم ولى ابراهيم بن الوليد
فبويع له في جمادى الأولى فمكث ثلاثة أشهر ثم خلع وهرب

﴿ ولاية مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ﴾ وذكروا
انه لما خلع ابراهيم بن الوليد خرج مروان بن محمد في صفر
سنة سبع وعشرين ومائة ومعه أهل الجزيرة وأهل حمص
فدعا الي نفسه بالبيعة ووعد الناس خيراً فرضي به أكثر الناس
لشجاعة كانت فيه وسخاء يوصف به فملك الشام واستقل له

الامر وغلظ شأنه واستعلى سلطانه وبايع له أهل العراق والحجاز وهابه الناس وخافوه واستعمل العمال فى الآفاق والامصار وكانت الشيعة تتكاتب على الكتمان لذلك وتتلاقى على السر قال فلما كانت سنة ثمان اجتمعت الشيعة

﴿ خروج أبي مسلم الخراساني ﴾ وذكروا ان الشيعة لما اجتمعت وغلظ أمرهم بخراسان قدم منهم . سليمان بن كثير وقحطبة بن شبيب فلقوا ابراهيم بمكة فقالوا قد قدمنا بمال قال وكم هو قالوا عشرين ألف دينار ومائتي ألف درهم وبمسك ومتاع قال ادفعوه الى عروة مولى محمد بن على ففعلوا فكان يحيي بن محمد يتبعهم ويسألهم فيقول ماقصتكم وفى أي شئ جئتم فلا يخبروه فذكروا ذلك لابراهيم فقال احذروه فانه قليل العقل ضعيف الرأي . فجاء الى ابراهيم فقال له ان على دينا وبالله لئن لم تعطني قضاء ديني لارفعن أمرك الى عبد العزيز بن عمر وهم يومئذ على الموسم فاعطاه خمسة آلاف درهم وقدموا بأبي مسلم معهم وقد خرج أصحابه من السجن فاعلموا ابراهيم انه مولاه فقال لسليمان قد ربى أمركم فأنت على الناس فاخرج الي خراسان وقد كان أبو مسلم قدم على ابراهيم قبل ان ينصرف أصحابه فرأي عقله

وظرفه . فكتب الى أصحابه اني قد أمرته على خراسان وماغلب
عليها فأتاهم فلم يقبلوا قوله وخرجوا من قابل فالتقوا بمكة فاعلمهم
أبو مسلم انهم لم ينفذوا كتابه قال ابراهيم انه قد أجمع رأيه
على هذا فاسمعوا له وأطيعوا ثم قال لابي مسلم ياأبا عبدالرحمن
انك رجل منا أهل البيت فاحفظ وصيتى : انظر هذا الحيّ
من اليمن فاكرمهم فان الله لا يتم هذا الامر الا بهم وانظر
هذا الحي من ربيعة فانهم معهم وانظر هذا الحي من مضر
فانهم العدو القريب الدار فاقتل من شككت في أمره ومن
وقع في نفسك منه تهمة . فقال أيها الامام فان وقع في أنفسنا
من رجل هو على غير ذلك أحبسه حتى تستبينه قال لا السيف
السيف لا تتق العدو بطرف . ثم قال للشيعة من أطاعني فليطع
هذا يعني أبا مسلم ومن عصاه فقد عصاني ثم قال له : ان
استطعت ان لا تدع بخراسان أرضا فيها عربي فافعل وايما
غلام بلغ خمسة أشبار فاتهمته فاقتله ولا تخالف هذا الشيخ يعني
سليمان بن كثير ولا تعصه فشخصوا الى خراسان ووقعت
العصبية بخراسان بين نصر بن سيار كان عامل مروان عليها
بين الكرماني . فدخل على نصر بن سيار رجل فقال له

ان مروان بن محمد قد خالف ماظن به الناس وقد كان رجي وأمل وما أري أمره الا وقد انتقض واجترأت عليه الخوارج وانتقضت عليه البلاد وخرج عليه ثابت بن نعيم ورأي الاشغال بلذاته أهم عليه فلو اجتمعت كلمتك مع الكرماني فاني خائف ان يوقعك هذا الخلاف فيما نكره وأنت شيخ العرب وسيدها وأري والله في هذه الكور شيئاً واسمع أموراً أخاف أن تذهب أو تذهل منها العقول فقال نصر بن سيار والله ما أتهم عقلك ولا نصيحتك ولكن اكنف عن هذا القول فلا يسمعن منك فالتحم ما بين الرجلين وهاجت الحرب وتقاتلوا وجعلت رجال الشيعة تجتمع في الكور الالف والالفان فيجتمعون في المساجد ويتعلمون أي يتعارفون بينهم فبلغ ذلك نصر واغتم لذلك وخاف إن وجه اليهم من يقاتلهم ان يتجاوزوا الى الكرماني فلما استفحل أمر القوم وقام بامرهم أبو مسلم الخراساني ثم اجتمعوا وأظهروا أمرهم . فكتب نصر بن سيار الي مروان بن محمد:

أري خلل الرّماد وميض نار * ويوشك أن يكون لها ضرام
فان النار بالعودين تذكى * وان الحرب أولها الكلام
أقول من التعجب ليت شعري * أأيقاظ امية أم نيام

فان كانوا لحينهم نياماً * فقل قوموا فقد حان القيام
ففري عن رحالك ثم قولي * على الاسلام والعرب السلام

فكتب اليه مروان : ان الشاهد يري مالا يرى الغائب فقال نصر لما قرأ الكتاب : أما صاحبكم فقد أعلمكم ان لا نصر عنده وجعل أبو مسلم يكتب الكتب ثم يقول للرسل مروا بها على اليمانية فانهم يتعرضون لكم ويأخذون كتبكم فاذا رأوا فيها اني رأيت المضرية لا وفاء لهم ولا خير فيهم فلا تثق بهم ولا تطمئن اليهم فاني أرجو أن يريك الله في اليمانية ما تحب ويرسل رسولا آخر بمثل ذلك على اليمانية فيقول مر على المضرية فكان الفريقان جميعاً معه . وجعل يكتب الى نصر بن سيار والي الكرماني : ان الامام قد أوصاني بكم ولست أعدو رأيه فيكم فجعل نصر يقول : ياعباد الله هذه والله الذلة رجل بين أظهرنا يكتب الينا بمثل هذا لا نقدر له على ضُرّ ولا نفع فلما تبين القوم ان لا نصير لهم كتب أبو مسلم الى أصحابه في الكور أن أظهروا أمركم فكان أول الناس من سود أسيد بن عبد الله فنادي يا محمد يامنصور فسود معه العكي ومقاتل بن حكم وعمر بن غزوان وأقبل أبو مسلم حتى نزل الخندقين فهابه الفريقان جميعاً فقال

لست أعرض لواحد منكم انما ندعوا الي آل محمد فمن تبعنا فهو منا ومن عصانا فالله حسيبه . فلما جعل أصحابه يكثرون عنده وهو يطمع الفريقين جميعاً في نفسه كتب نصر بن سيار الي مروان بن محمد يذكر استعلاء أمر أبي مسلم ويعلمه بحاله وخروجه وكثرة شيعته وانه قد خاف أن يستولى على خراسان وانه يدعو الى ابراهيم بن محمد فاتى مروان الكتاب وقد أتاه رسول أبي مسلم بجواب ابراهيم فأخذ جواب ابراهيم وفيه لعن ابراهيم لابي مسلم حين ظفر بالرجلين الا يدع بخراسان عربياً الا قتله فانطلق الرسول بالكتاب الى مروان فوضعه في يده . فكتب مروان الى الوليد بن معاوية وهو على دمشق : ان اكتب الى عاملك بالبلقاء فليأخذ ابراهيم بن محمد فليشده وثاقا ثم يبعث به اليك ثم وجه به الىّ فأتي اليه وهو جالس في مسجد القرية فأخذ الى دمشق ودخل على مروان فأنبه وشتمه فاشتد لسان ابراهيم عليه ثم قال ياأمير المؤمنين ماأظن مايروي الناس عنك الا حقا في بعض بني هاشم فقال : ادركك الله بأعمالك اذهب به فان الله لاياخذ عبداً عند أول ذنب اذهب به الي السجن . فقال أبو عبيدة فكنت آتيه في السجن ومعه

عبد الله بن عمــر بن عبد العزيز فوالله اني ذات ليلة في سقيفة السجن بين النائم واليقظان اذا مولي لمروان قـد استفتح ومعه عشرون رجـلا من موالي مروان من الاعاجم ومعه صاحب السجن ففتح لهم فدخلوا واصبحنا فاذا عبد الله بن عمر وابراهيم بن محمد ميتان فانـكسر لذلك أبو مسلم بخراسان اذ بلغه مـوت ابراهيم وانـكسرت الشيعة واسـتعلى أمر الـكرماني فلما رأى أبو مسلم ذلك قال له انا معك ثم دارت الاحوال بين نصر والـكرماني حتى غـدر نصر بالـكرماني فقتله وصلبه فخاف نصر على نفسه من أبي مسلم

﴿ ذكر ما أمال أصحاب الـكرماني الى أبي مسلم ﴾

وذكروا ان أبا مسـلم كتب الي نصر: انه قد جاءنا من الامام كتاب فهلم بعرضه عليك فان فيه بعض ماتحب فدخل عليه رجل فقال : ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين . فقال نصر أدخل فالبس ثيابي فدخل بستانا له وقـد تقدم الى صاحب دوابه فأتاه بدواب فركب وهرب معه داوذ ابن أبي داود وهرب معه بنوه وتفـرق أصحابه وجاء القوم الى أبي مسـلم فاعلموه انه قـد خرج ولا يدرون أين توجه

فاستولى أبو مسلم على خراسان فاستعمل عليها عماله ثم وجه أبا
عون في ثلاثين الفا الى مروان فلما بلغ مروان الخبر خرج حتى
أتى حرّان فتحمل بعياله وبناته وأهله وقد كان يتعصب قبل
لخفا أهل اليمن وأهل الشام وغيرهم وقتل ثابت بن نعيم والسمط
ابن ثابت وهدم مدائن الشام وتحول الى الجزيرة . قال اسماعيل
ابن عبد الله القسري : دعاني مروان فقال يا أبا هاشم وما كان
يكنيني قبلها قد ترى ما حل من الامر وأنت الموثوق به ولا مخبأ
بعد بؤس ما الرأي فقلت يا أمير المؤمنين على ما أجمعت قال على ان
أرتحل بموالي وعيالي وأموالي ومن تبعني من الناس حتى أقطع
الدرب ثم أميل الى مدينة من مدائن الروم فانزلها وأكاتب
صاحب الروم واستوثق منه فما يزال يأتيني الخائف والهارب
حتى يلتف أمري قال اسماعيل : وذلك والله الرأي فلما رأيت
ما أجمع عليه ورأيت سوء آثاره في قومي وبلائه القبيح عندهم قلت
له أعيذك بالله يا أمير المؤمنين من هذا الرأي ان تحكم فيك أهل
الشرك وفي بناتك وحرمك وهم الروم لا وفاء لهم ولا تدري
ما تأتي به الايام فان أنت حدث عليك حادث بالروم ولا
يحدث الا خير ضاع أهلك من بعدك ولكن اقطع الفرات

ثم استدعي الشام جنداً جنداً فانك في كنف وجماعة وعزة ولك في كل جند صارم يسيرون معك حتى تأتى مصر فانها أكثر أرض الله مالا ورجالا ثم الشام امامك وافريقية خلفك فان رأيت ما تحب انصرفت الى الشام وان كانت الاخرى مضيت الى افريقية قال صدقت ثم استخار الله وقطع الفرات فمر بكور من كور الشام فوثبوا عليه فاخذوا مؤخر عسكره فانتهبوه ثم مر بحمص فصنعوا له مثل ذلك ثم مر باهل دمشق فوثبوا عليه ووثب به الوليد بن معاوية وكان عامل مروان على دمشق ثم مضي الي الاردن فوثب به هاشم بن عمر ثم مر بفلسطين فوثب به الحكم ثم مضي الي مصر فاتبعه الحجاج بن زمل السكسكي فقيل له أتتبعه وقد عرفت بغضه لقومك فقال ويحكم انه اكرمني لمثل هذا اليوم لا آخذله وتبعه أيضاً أبوسلمة الخلال وثعلبة بن سلامة وكان عامله على الاردن وتبعه أيضاً الرماحس فقال اني لاسير مع مروان حيث جزنا فلسطين فقال يارماحس انفرجت عني قيس انفراج الرأس ماتبعني منهم أحد وذلك انا وضعنا الامر في غير موضعه وأخرجناه من قوم ايدنا الله بهم وخصصنا به قوما والله مارأينا لهم وفاء ولا شكراً .

﴿ تولية أبي مسلم قحطبة بن شبيب قتال مروان ﴾

ذكروا ان الهيثم بن عدي أخبرهم عن رجال أدركوا الدولة
صحبوا أهلها قالوا: لما استولى أبو مسلم على خراسان وولى قحطبة
الطائى قتال مروان بن محمد وبعث معه ثلاثين الفا من رجال
اليمن وأهل الشيعة وفرسان خراسان وخرج مروان وهو
يريد أبا مسلم بخراسان ومعه مائة الف فارس سوى أصحاب
الحمولة فهرب من بين يديه أبو العباس وأبو جعفر وعيسى بن
علي بن عبد الله بن عباس فلحقوا بالكوفة فبعث أبو العباس
الى أبي سلمة الخلال واسمه حفص بن سليمان وكان واليا
لابراهيم بن محمد على الشيعة بالكوفة فامره ان بلغه أمر فيه
وهلا لأبي مسلم بخراسان ان يظهر أمره بالكوفة ويدعو اليه
بناهض صاحب الكوفة ففعل ذلك أبو سلمة فلما غلظ أمر
أبي مسلم بخراسان واستولى عليها وبعث الجيوش الى مروان
ظهر أمره بالكوفة وطرد عامل الكوفة فخرج هاربا.

﴿ ذكر البيعة لابي العباس بالكوفه ﴾ وذكروا ان أبا
مسلم لما بلغه ان أبا سلمة قد أظهر أمره بالكوفة ودعا الى
محمد وجه رجلا من قواده الى الكوفة في الفي فارس وأمره

ان يسرع السير حتى يأتيها فاقبل ذلك القائد حتى دخل الكوفة فلقي غلاماً اسود لابي العباس فقال له أين مولاك قال هو في دارها هنا قال دلني عليه فدله على الدار فاستفتح الباب ثم دخل عليه فسلم عليه بالخلافة وكان أبو سلمة يريد صرف الخلافة الى ولد علي بن أبي طالب وكان ينهى أبا العباس عن الخروج ويقول له ان الامر لم يتم وان موالي بني أمية قائمون بالحرب والامر أشد مما كان فقال أبو العباس ان أبا سلمة منعني عن الخروج حتي يولى العمال ويعمل الخراج فقال القائد لعن الله أبا سلمة والله لا اجلس حتى تخرج الى الناس فخرج له مع رجاله الى المسجد ونودى الصلاة جامعة فصعد أبو العباس المنبر فحمد الله وأثني عليه وصلى على نبيه ثم ذكر بني أمية وسوء آثارهم وذكر العدل فحض عليه ووعد الناس خيراً ورجالهم الاصلاح وقسمة الفيء على وجهه ثم دخل دار الامارة وجلس الناس فلما بلغ أبا سلمة خروجه أتاه يعتذر فقبل منه وأراه المكانة منه والخاصة به وقد كان علم أبو العباس الذي أراده أبو سلمة من صرفه الخلافة الى ولد على بن أبي طالب.

﴿ حرب مروان بن محمد وقتله ﴾ وذكروا ان قحطبة

ابن شبيب لما انتهى الى بعض كور الشام التقى بمروان فقاتله
فانهزم مروان فاقحم قحطبة في طلب مروان فرسه في الفرات
فحمله الماء فمات فيه وقد أصاب أهل عسكر قحطبة من أموال
مروان وأمتعة عسكره مالا يحصى كثرة فتناول اللواء حميد
ابن قحطبة وعبر الفرات حتى أتى الشام فقيل له ان مروان ترك
الطريق الى دمشق وذهب صالح بن علي بن عبد الله بن عباس
وكان بناحية من الشام وقد اجتمع اليه الناس لما علموا من
قرابته لامير المؤمنين فلما اجتمع مع حميد بن قحطبة سلم اليه
الامر وقال الناس انه خرج باظهار الدعوة لابي العباس من
غير أمره فلما سلم الامر الى صالح بن علي أتاه كتاب أبي مسلم
أن يرجع ابن قحطبة ببعض عساكره الى العراق فيكون فيها
حتي يأتيه أمره فاتى صالح بن علي كتابه بانه قد صير اليه الشام
وما وراءها الى المغرب ويأمره فيه ببعثه الجيوش في طلب
مروان فولي صالح بن على رجلا من الازد يقال له أبو عون
على مصر وأمره بطلب مروان في أرض المغرب وبعثه في
عشرين الفا وكان سليمان بن هشام قد نافر مروان وقاتله مرارا
قبل أن يشتد أمر أبي مسلم فسار اليه في أربعة آلاف وذلك

بعد خروج قحطبة من عند أبي مسلم فنزل به سليمان وكانت بينه وبين أبي العباس مودة قديمة فبايع أبا مسلم على طاعة أبي العباس فسربه أبو مسلم وشيعته ثم سيره في طلب قحطبة ممداً له وقد قاتل مروان قحطبة قبل قدوم سليمان بيومين فلما نظر مروان الى دخول سليمان بن هشام في عسكر قحطبة وكثرة من جاء معه انهزم فمضى سليمان مع حميد بن قحطبة في طلبه ولم يكن مروان انهزم عنه غلبة ولكنه كان نظر في كتب الحدثان فوجد فيها ان طاعة المسوّدة لا تجاوز الزاب فقال ذلك لوزرائه فقيل له ان بمصر زاباً آخر قال فاليها نذهب اذاً .
والزاب الذي أراد علمه هو بارض المغرب فاقبل مروان وهو يريد مصر فالتفت الخيل فانهزم خيل أبي عون وأسر القوم وصاحب ابراهيم فاتى مروان بالاساري فقال مروان شدوا أيديكم بالاسرى فقد أجنّنا الليل وبات مسروراً . فلما أصبح جعل يهيء أصحابه للقاء القوم فاقبل سليمان بن هشام وأبو عون وكان مروان قد أرخى حبال الجسر وتوسط أصحابه فيما هنالك وهم آمنون فقال أبو عون للقبط هل لهذا النهر من مخاضة فقالوا له ماعلمنا ذلك ولا بلغنا ان أحداً خاضه قط فقطع عما

قصد واراد. فكتب الى صالح بن على بذلك ويسأله أن يبعث اليه بمراكب ساحل البحر عاجلا فبينما هـو في ذلك اذ أتاه رجل من القبط فقال له ان أبي كان يقرأ الكتاب وكان يحدثنا بامور تكون بعده ويصف لنا موضعا يجعله الله لكم تخوض فيه الخيل عند تلك الامور وقد اختبرت ذلك الليلة. فسر بذلك أبو عون ثم بعث معه الخيل الي ذلك الموضع بعد ان وصله ووعده خيراً وكان مروان نظر الى الرايات السود بناحية مصر ونظر الى الخيل تعدو النهر ولا يشك انهم لا يجدون سبيلا الى عبوره فلم ينشب أهل عسكر مروان أن نظروا الى خيل أبي عون قد جاوزت النيل فعبأ مروان أصحابه وأهـل بيته ثم خطبهم وحضهم على الصبر وقال لهم: ان الجزع لا يزيد في الاجل وان الصبر لا ينقص الاجل. وأقبل القوم فاقتتلوا من وقت صلاة الصبح الى ان مالت الشمس فأصيب عبد الله ومحمد ابنا مروان وبنو ابيه أكثرهم وولد عبد العزيز وصابر القوم فلما لم يبق حوله الا قدر الثلاثين حمل على القوم فاكردهم ورجع فجعل أصحابه يفترقون عنه. فلما رأى ذلك نزل عن فرسه وانشأ يقول متمثلا:

ذل الحياة وهول الممات * وكلا أراه وخيما وبيلا

فان كان لابد من ميتة * فسيري الي الموت سيراً جميلا

فوثب رجل الى فرسه فاخذه فقال له مروان أكرمه فانه أشقر مروان . ثم كسر غمد سيفه وقاتل قتالا شديداً ثم أصيب فنزل أبو عون فامر بضرب قبابه وأمر سليمان بن هشام بطلب المنهزمين حتى أصيب عامتهم واستأثر منهم من استأسر وكان فيمن أسر منهم عبد الحميد كاتبه وحكم المكي مؤذنه فاستبقاهما أبو عون وبعث بهما الي صالح بن علي ثم أمر أبو عون بطلب جثة مروان على شاطىء النيل فلما كان من الغد ركب أبو عون وسليمان بن هشام لينظرا مروان فنظرا اليه ثم تحول أبو عون الى سليمان فقال: الحمد لله الذي شفى صدرك قبل الموت من مروان فهل لك يا أبا أيوب ان تذهب الى أمير المؤمنين بكتابي وبما هيأ الله على يديك وشفى به صدرك فيفعل بك خيراً ويعرف من قرابتك ونصحك ما أنت أهله فرضى بذلك سليمان فكتب وسار . فلما قدم سليمان بن هشام على أبي العباس أمير المؤمنين رحب به وقربه واستلطفه وأنزله بعض دور الكوفة وفعل به مالم يفعل باحد سواه من البر والاكرام وكان سليمان يختلف الى مائدة أبي العباس في كل يوم فيتغدى معه ويتعشى وكان كاحد

وزرائه وفوقهم وكان يجاس أبا جعفر عن يمينه وسليمان عن يساره

﴿ قتل أبي سلمة الخلال ﴾ وذكروا ان أبا العباس لما تمت له الامور واستوثقت استشار وزراءه في قتل أبي سلمة فادار القوم الرأي فيه وكان أبو سامة يظهر الادلال والقدرة على أمير المؤمنين وكان يقيم عنده في كل ليلة الى حين من الليل فاذا أراد الخروج والرجوع الى منزله قربت اليه دابته الى المجاس فيركب منه دون غيره ثم يخرج الى داره . فقالوا له انك ان قتلته ارتاب أبو مسلم ولكن الرأي ان تكتب اليه بأمره اليه فلما قدم الكتاب الى أبي مسلم كتب الى أبى العباس ان كان رابك منه ريب فاضرب عنقه فلما أتاه الكتاب قال له وزراؤه لا تأمن ان يكون ذلك غدراً من أبي مسلم وان يكون انما يريد ان يجد السبيل الى ماتخوف منه ولكن اكتب اليه ان يبعث اليك برجل من قواده يضرب عنقه فكتب اليه بذلك وذكر في كتابه اني لا أقدم ولا أؤخر الا برأيك فبعث اليه برجل يقال له مرّار الضبي فلما قدم على أبي العباس أمر ذلك الضبي ان يقعد له في الظلمة في داخل دار الامارة بالكوفة فاذا خرج ضربه بالسيف ثم يأتيه برأسه . فقتله ثم أمر بصلبه

فلما أصبح الناس اذا هم بأبي سلمة مصلوبا على دار الامارة .

﴿ قتل رجال بني أمية بالشام ﴾ وذكروا ان أباالعباس ولي عمه عبد الله بن على الذي يقال له السفاح الشام وأمره ان يسكن فلسطين وان يجد السير نحوها وهناه بماأصاب من أموال بني أمية وكتب الى صالح بن على ان يلحق بمصر واليا عليها . فقدم السفاح فلسطين وتقدم صالح الي مصر فأتاها بعد قتل مروان بيومين وان السفاح بعث الى بني أمية وأظهر للناس ان أمير المؤمنين وصاه بهم وأمره بصلتهم والحاقهم في ديوانه ورد أموالهم عليهم فقدم عليه من أكابر بني أمية وخيارهم ثلاثة وثمانون رجلا وكان فيهم عبد الواحد بن سليمان ابن عبد الملك وابان بن معاوية بن هشام وعبد الرحمن بن معاوية وغيرهم من صناديد بني أمية . فأما عبدالرحمن بن معاوية فلقيه رجل كان صنع به براً واسداه خيراً وأولاه جميلا فقال له: اطعني اليوم في كلمة ثم اعصني الى يوم القيامة . فقال له عبد الرحمن وما أطيعك فيه اليوم فقال له الرجل :ادرك موضع سلطانك وقاعدتك المغرب، النجا النجا فان هذا غدر من السفاح ويريد قتل من بقي من بني أمية فقال له عبد الرحمن

ويحك انه كتاب أبي العباس قدم عليه يأمره فيه بصلتنا ورد أموالنا الينا والحاقنا بالعطاء الكامل والرزق الوافر . فقال له الرجل: ويحك أتغفل والله لايستقر ملك بني العباس ولا يستولون على سلطان ومنكم عين تطرف . فقال له عبدالرحمن ماأنا بالذي يطيعك في هذا فقال الرجل أفتأذن لى ان أنظر الى ماتحت ظهرك مكشوفا فقال له وما تريد بهذا فقال له انت والله صاحب الامر بالاندلس فاكشف لى فكشف عبد الرحمن عن ظهره فنظر الرجل فاذا العلامة التى كانت في ظهره قد وجدت في كتب الحدثان وكانت العلامة خالا اسود عظيما مرتفعاً على الظهر هابطا فلما نظر اليه الرجل قال له :النجا النجا والهرب الهرب فانك والله صاحب الامر فاخرج فانا معك ومالى لك ولى عشرون الف دينار مصرورة كنت أعددتها لهذا الوقت . فقال له عبد الرحمن وعمن أخذت هذا العلم فقال الرجل من عمك مسلمة بن عبد الملك فقال له عبد الرحمن: ذكرت والله عالما بهذا الامر أما لئن قلت ذلك لقد وقفت بين يديه وأنا غلام يوم توفي أبي معاوية وهشام يومئذ خليفة فكشفت عن ظهري فنظر الى مانظرت اليه فقال لهشام

جدي وهو يبكي: هذا اليتيم ياأمير المؤمنين صاحب ملك المغرب
فقال له هشام وما الذي أبكاك ياأبا سعيد لهذا تبكي فقال ابكي
والله على نساء بني أمية وصبيانهم كأني بهم والله وقد أبدلوا
بعد أساورة الذهب والفضة الاغلال والحديد وبعد الطيب
والدهن البقل والعقار وبعد العز الذل والصغار . فقال هشام
أحان زوال ملك بني أمية ياأبا سعيد فقال مسلمة أي والله حان وان
هذا الغلام يعمر منهم ثم يصير الى المغرب فيملكها . فقال
له الرجل فاقبض مني هذا المال واخرج بمن تثق به من
غلمانك فقال عبد الرحمن والله ان هذا الوقت مايوثق فيه بأحد
فولى ذاهبا وخرج لايدرى متى خرج فلحق بالمغرب واقبل
القوم من بني أمية وقد أعد لهم السفاح مجلسا فيه اضعافهم
من الرجال ومعهم السيوف والاجرزة فاخرجهم عليهم فقتلهم
وأخذ أموالهم واستخفى عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك
وكان عبد الواحد قد بذّ العابدين في زمانه وسبق المجتهدين في
عصره فركب السفاح الى أموال عبد الواحد وكان عبد الواحد
قد اتخذ أموالا معجبة تطرد فيها المياه والعيون فأمره السفاح
ان يصيرها اليه فابي عليه واختفى منه فأخذ رجالا من أهله

فتواعدهم السفاح وأمر بحبسهم حتى دلوه عليه فلما قبضه أمر
بقتله ثم استقصي ماله فبلغ ذلك أبا العباس أمير المؤمنين وكان
أبو العباس يعرفه قبل ذلك وكان عبد الواحد أفضل قرشى
كان في زمانه عبادة وفضلا. فقال أبو العباس رحم الله عبد
الواحد اما والله كان يقاتل المقاتلة ولا ممن يشار اليه بفاحشة
وما قتلته الا أمواله ولولا ان السفاح عمّي وذمامه ورعاية حقه
علي واجب لاقدت منه ولكن الله طالبه وقد كنت أعرف
عبد الواحد برا تقيا صواما قواما. ثم كتب الى عمه السفاح الا
يقتل أحدا من بنى أمية حتي يعلم به أمير المؤمنين فكان هذا
أول مانقم أبو العباس على عمه السفاح

﴿ ذكر قتل سليمان بن هشام ﴾ وذكروا ان عيسى
ابن عبد البر أخبرهم قال كان سليمان بن هشام أكرم الناس على
أبى العباس أمير المؤمنين لحسن بلائه مع قحطبة وقيامه معه
على مروان ابن عمه وكان هو الذى تولى كبره وقتل على يديه
فكان لذلك أخص الناس بأبي العباس فبينما هما يوما وقد تضاحكا
وتداعبا اذ أتى رجل من موالي أبي العباس يقال له سديف
فناول أبا العباس كتابا فيه :

صبح الملك ثابت الاساس * بالبها ليل من بنى العباس
الموا وتر هاشم فشفوها * بعد ميل من الزمان وياس
تقيلنّ عبد شمس عثاراً * واقطعن كل نخلة وغراس
لها أظهر التودد منها * وبها منكم كحز المواسي
لقد غاظني وغاظ سوائى * قربهم من منابر وكراسى
اذكرن مقتل الحسين وزيداً * وقتيلا بجانب المهراس

فقرأها أبو العباس ثم قال له نعم ونعما عين وكرامة سننظر
حاجتك ثم ناول الكتاب أبا جعفر ثم سلم سليمان بن هشام
قام وخرج فتطلع رجل من موالي بني أمية كانت له خاصة
ندمة في بني العباس فعرف بعض مافي الكتاب فلما خرج
ن عند أمير المؤمنين مر بسليمان بن هشام في غرفة له
كوفة فسلم ثم قال لسليمان من عندك يا أبا أيوب فقال له
ندي غير ولدي فقال له: إن الملا يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج
لك من الناصحين . فخرج سليمان من ليلته هاربا فلحق ببعض
حي الجزيرة وكتب الي مواليه وصنائعه فاجتمع اليه منهم
كثير فبعث اليه أبو العباس بعثا يقاتله فانهزم ذلك البعث
مث اليه بعثاً آخر فهزمه أيضاً قال فتنقل سليمان عن ذلك

الموضع الي غيره ثم بعث اليه بعثاً آخر فاسر سليمان وولده
فاتى بهما أسيرين الي أبي العباس فامر فقطعت لهما خشبتان
وقدمتا اليهما فامر بضرب رقابهما وصلبهما فقال سليمان لولده
تقدم يابني على مصيبتي بك فتقهقر الغلام ثم تقدم فقتل ثم قتل
سليمان (١) وصلبا على باب دار الإمارة بالكوفة

﴿ خروج السفاح على أبي العباس وخلعه ﴾ وذكروا
ان الهيثم بن عدي اخبرهم قال لما ولي السفاح الشام واستصفى
أموال بني أمية لنفسه أعجبته نفسه وحسد ابن أخيه على الخلافة
فاظهر الطعن على أبي العباس والتنقص له فلما بلغ ذلك أبا العباس
كتب اليه يعاتبه على ما كان منه فزاده ذلك عجباً وحسداً
بما فيه فحبس الخراج ودعا الى نفسه وخلع طاعته ثم قرب موالي
بني أمية وأطعمهم وسد ثغورهم وأبدى الحزم وأظهره على محاربة
أبي العباس فلما انتهت أخباره الى أبي العباس كتب الى أبي مسلم

---

(١) يروى ان سديفا دخل على السفاح وعنده سليمان وقد أكرمه فقال:
لا يغرنك ما ترى من رجال . ان تحت الضلوع داء دويا
فضع السيف وأرفع السوط حتى لا ترى فوق ظهرها أمويا
فقال سليمان قتلتني ياشيخ ودخل السفاح وأخذ سليمان فقتل .

يستغيثه ويذكر عظيم يده عنده ويسأله القدوم عليه لامر السفاح فقدم أبو مسلم فاقام عنده أياماً ثم خرج الي السفاح ومعه أجناده وقواده فلقى السفاح على الفرات فهزمه واستباح عسكره وأخذ أسيراً فقدم به على أبي العباس فلما قدم اليه وأدخل عليه قال: ياعمي أحسنا وواسينا فحسدت وبغيت وقد رأيت تعطفا عليك وصلة لرحمك ان أحبسك حبساً رفيقاً حتى تؤدب نفسك ويبدو ندمك ثم أمر فبني له بيت جعل أساسه قطع الملح فحبسه فيه فلما كان بعد أيام أرسل الماء حول البيت فذاب الملح وسقط البيت عليه فمات فيه ورد ابا مسلم الى عمله بخراسان فاقام فيها بقية عامه ثم أخرج أبو العباس أبا جعفر والياً على الموسم وخرج أبو مسلم أيضاً حاجا من خراسان

﴿اختلاف أبي مسلم على أبي العباس﴾ وذكروا ان ابا العباس وجه أبا جعفر في ثلاثين رجلا الى أبي مسلم وكان فيهم الحجاج ابن ارطاة الفقيه والحسن بن الفضل الهاشمي وعبد الله بن الحسين فلما توجه أبو جعفر الى أبي مسلم بخراسان وقدم عليه استخف به بعض الاستخفاف ولم يزد الاجلال له وجعل يعظم في كلامه وفعله الخليفة ولم يزل أبو مسلم يتخوف ان يصنع به مثل ماصنع

بأبى سلمة الخلال وكان لايظهر ذلك لاحد . فلما قدم أبو جعفر عليه ومعه الثلاثون رجلا وفيهم عبد الله بن الحسين قام اليه سليمان بن كثير فقال ياهذا انا كنا نرجو ان يتم أمركم فاذا شئتم فادعوا الى ماتريدون فظن انه دسيس من أبى مسلم فخاف ذلك فبلغ أبا مسلم ان سليمان بن كثير سامر عبد الله ابن الحسين بن على فقال لسليمان بلغني انك سامرت هذا الفتي قال أجل له قرابة وحق علينا وحرمة فسكت فاتى عبد الله بن الحسين أبا مسلم فذكر له ذلك وظن انه ان لم يفعل اغتاله أبو مسلم فبعث أبو مسلم الى سليمان بن كثير فقال له أتحفظ قول الامام من اتهمته فاقتله قال نعم قال قد اتهمتك فقال ناشدتك الله قال لاتناشدني وأنت منطوٍ على غش الامام فأمر فضربت عنقه وكتب أبو مسلم الى محمد بن الاشعث ان يأخذ عمال أبي سلمة فيضرب أعناقهم واستعمل أبو العباس عيسى بن على على فارس فأخذه محمد فهم بقتله فقيل لمحمد ان هذا لايسوغ لك قال أمرني أبو مسلم ان لايقدم على أحد الا ضربت عنقه فقال ماكان أبو مسلم ليفعل شيئاً الا بأمر الامام فلما قدم أبو جعفر من عند أبي مسلم قال لابي العباس

لست بخليفة ولا أمرك بشيء ان لم تقتـل أبا مسلم فقال أبو العباس وكيف ذلك قال لا والله مايعبأ بنا ولا يصنع الاما يريد فقال له أبو العباس اسكت واكتمها

﴿ قتال ابن هبيرة وأخـذه ﴾ وذكروا ان أبا العباس وجه أبا جعفر الى مدينة واسط فقدم على الحسين بن قحطبة وهو على الناس وكتب أبو العباس الى الحسين بن قحطبة ان العسكر عسكرك والقواد قوادك فان أحببت ان يكون أخي حاضرا فاحسن مؤازرته ومكانفته وكتب الى أبي نصر مالك ابن الهيثم بمثل ذلك وذكروا ان ابن هبيرة كان قد نصب الجسور بين المدينتين فقالت اليمانية الذين مع ابن هبيرة لا والله لا نقاتل على دعوة بني أمية أبداً لسوء رأيهم فينا وبغضهم لنا وقالت القيسية لا والله لا نقاتل حتى يقاتل اليمانية فلم يكن يقاتل مع ابن هبيرة الا صعاليك الناس وأهل العطاء . وكان كثيراً ما يتمثل ويقول :

الثوب ان أنهج فيه البلى * اعيا على ذي الحيلة الصانع
كنا نرقعها اذا مزقت * فاتسع الخرق على الراقع

وكان من رأي ابن هبيرة ان لا يعطي طاعة لبني العباس وكان رأيه ان يدعو الي محمد بن عبد الله بن الحسين فاطلع على

ذلك أبو العباس وخاف أن يثور اليمانية مع ابن هبيرة في ذلك. فكاتبهم أبو جعفر وقال في كتابه لهم : السلطان سلطانكم والدولة دولتكم وكتب الى زياد بن صالح الحارثي بذلك وكان عامل ابن هبيرة فى المدينة وكان عامله قبل ذلك على الكوفة فأجاب زياد بن صالح وذلك لما خاف ان يدخل المدينة فيقتل بها فلما كان مغيب الشمس قاموا اليه فلما صلى المغرب ركب فطاف في مسالحه وأبوابه فرجع عتمة فتعشى ثم صلى فاقبل على ابن الهيثم فقال والله ماأتخلف غصة أعظم ولا أهم الي منك لانك مع هؤلاء ولست أدري مايكون بعد اليوم وأرى الامر قد استتب لهؤلاء القوم في المشرق والمغرب ولكن ان لقيت أبا العباس أعلمته من أمرك مثل الذي أعلمته من أمري قال ماأخاف تقصيرك ثم قال لست أثق بولد ولا بغيره ثقتي بك فيما أريد ان أوطده، تأخذ مفاتيح هذه المدينة حتى تصبح فتأتي بها ابن هبيرة فقلت انظر ماتصنع في خروجك أتثق بالقوم قال هم قد جرى بيني وبينهم ماأثق به وأتاني كتاب أبي العباس بكل ماأحب وكتاب أبي جعفر فقلت ياأبا الربيع أخاف ان لا يوفي لك. فلما أدهم الليل وانتصف

قام فصلى ركعات ثم أمر غلمانه فحملوا متاعه على أربعة بغال ثم اخرج أربعة غلمان له وابنه ثابت على برذون له ثم خرج واغلق الباب فلما انتهى الخبر الى ابن هبيرة بكى وقال مايوثق بأحد بعد زياد بن صالح بعد ايثاري اياه واكرامى وتفضيلي له وما صنعت به قلت هو هنا لك والله خير لك منه هاهنا . قال وترى ذلك ؟ قلت نعم قال ثم مشت الكتب والرسل بينهم أي بين أبي جعفر وابن هبيرة حتى صار أمرهم الى ان يلقاه ونهض ابن هبيرة اليهم وتخلى مما بيده لهم .

﴿ كتاب الامان ﴾ وذكروا ان رجلا من قيس يقال له أبو بكر بن مصعب العقيلي سعى في كتاب الصلح والامان عند أبي جعفر حتى تم له فأتى به ابن هبيرة : وفيه : بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من عبد الله بن محمد بن على أبي جعفر ولي أمر المسلمين ليزيد بن هبيرة ومن معه من أهل الشام والعراق وغيرهم في مدينة واسط وأرضها من المسلمين والمعاهدين ومن معهم من وزرائهم ، انى أمنتكم بأمان الله الذي لااله الا هو الذي يعلم سرائر العباد وضمائر قلوبهم ويعلم خائنة الا عين وما تخفى الصدور واليه الامر كله ، أمانا صادقا

لا يشوبه غش ولا يخالطه باطل على أنفسكم وذراريكم وأموالكم
وأعطيت يزيد بن عمر بن هبيرة ومن أمنته في أعلا كتابي
هذا بالوفاء بما جعلت لهم من عهد الله وميثاقه الذي واثق به
الامم الماضية من خلقه وأخذ عليهم به أمره عهداً خالصاً
مؤكداً وذمة الله وذمة محمد ومن مضى من خلفائه الصالحين
واسلافه الطيبين التي لا يسع العباد نقضها ولا تعطيل شيء منها
ولا الاحتقار بها، وبها قامت السموات والارض والجبال فأبين
أن يحملنها واشفقن منها تعظيما لها وبها حقنت الدماء ، وذمة
روح الله وكلمته عيسى بن مريم وذمة ابراهيم واسماعيل
واسحاق ويعقوب والاسباط وذمة جبريل وميكائيل واسرافيل
وأعطيتك ماجعلت له من هذه العهود والمواثيق ولمن معك
من المسلمين وأهل الذمة بعد إستئماري فيما جعلت لك منه
عبد الله بن محمد أمير المؤمنين أعز الله نصره وأمر بانفاذه
لكم ورضى به وجعله لكم وعلى نفسه وتسليم ذلك من قبله من
وزرائه وقواده وانصار الحق من شيعته من أهل خراسان
فأنت وهم آمنون بأمان الله ليس عليك حدولا تؤاخذ بذنب
أتيته وكنت عليه في خلاف أو مناوأة أو قتل أو زلة أو جرم

أو جناية أو سفك دماء خطأ أو عمداً أو أمر سلف منك أو
منهم صغيرا أو كبيرا في سر أو علانية ، ولا ناقض عليك
ماجعلت لك من أماني هذا ولم أخنك فيه ولا ناكث عنه
وأذنت لك في المقام فى المدينة الشرقية الى الاجل الذي سألت
ثم أسلك حيث بدالك من الارض آمنا مطمئنا مكلوًّا أنت
ومن سألته ان يؤذن له في المسير معك ومن تبعك وأهل
بيتك والخمسمائة رجل على ماسألت من دوابهم وسلاحهم
ولباس البياض لايخافون غدرا ولا اخفارا بك حيث أحببت
من بر أو بحر وأنزل حيث شئت من الارض الى ان تنتهى
الى منزلك من أرض الشام فأنت آمن بأمان الله ممن مررت
بهم من عمالنا ومسالحنا ومراصدنا ليس عليك شيء تكرهه
في سرولا علانية ولك الله الذي لااله الا هو لاينالك من أمر
تكرهه في ساعة من ساعات الليل والنهار ولا أدخل لك في
أماني الذي ذكرت لك غشاً ولاخديعة ولا مكراً ولايكون
مني في ذلك دسيس بشيء مما تخافه على نفسك ولا خديعة
في مشرب ولا مطعم ولا لباس ولا أضمر لك عليه نفسى الى
ارتحالك من مدينة واسط في دخولك على عسكري والغدو

والرواح اذا بدالك والدخول أي ساعات من ساعات الليل والنهار أحببت فاطمئن الي ماجعلت لك من الامان والعهود والمواثيق وثق بالله وبأمير المؤمنين فيما سلم منه ورضى به وجعلته لك ولمن معك على نفسي ولك على الوفاء بهذه العهود والمواثيق والذمم أشد ماأخذه الله وحرمه وما أنزل الله تبارك وتعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فانه جعله كتابا مبينا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ونورا وحجة على العباد حتى التقي الله وأنا عليه، وانا أشهد الله وملائكته ورسله ومن قرئ عليه كتابي هذا من المسلمين والمعاهدين بقبول هذه العهود والمواثيق واقراري بها على نفسي وتوكيدي فيها وعلى تسليمي لك ماسألت ولا يغادر منها شيء ولا ينكث عليك فيها، وادخلت في أمانك هذا جميع من قبلي من شيعة أمير المؤمنين من أهل خراسان ومن لامير المؤمنين عليه طاعة من أهل الشام والحرب وأهل الذمة وجعلت لك ان لا ترى مني انقباضا ولا مجانبة ولا ازورارا ولا شيئا تكرهه في دخولك عليّ الى مفارقتك اياي ولا ينال أحدا معك أمر يكرهه وأذنت لك ولهم في المسير والمقام، جعلت لهم أمانا صحيحا

وعهدا وثيقاً وان عبد الله بن محمد ان نقض ماجعل لكم في أمانكم هذا فنكث أو غدر بكم أو خالف الى أمر تكرهه أو تابع على خلافه أحد من المخلوقين في سر أو علانية أو أضمر لك في نفسه غير ماأظهر لك أو أدخل عليك شيئاً في أمانه وما ذكر لك من تسليم أمير المؤمنين التماس الخديعة والمكر بك وادخال المكروه عليك أو نوي غير ماجعل لك من الوفاء لك به فلاقبل الله منه صرفا ولا عدلا وهو بريء من محمد بن علي وهو يخلع أمير المؤمنين ويتبرأ من طاعته وعليه ثلاثون حجة يمشيها من موضعه الذي هو به من مدينة واسط الى بيت الله الحرام الذي بمكة حافيا راجلا، وكل مملوك يملكه من اليوم الى ثلاثين حجة بشراء أو هبة أحرار لوجه الله وكل امرأة له طالق ثلاثا وكل مايملكه من ذهب أو فضة أو متاع أو دابة أو غير ذلك فهو صدقة على المساكين وهو يكفر بالله وبكتابه المنزل على نبيه والله عليه فيما وكد وجعل على نفسه في هذه الايمان راع وكفيل وكفى بالله شهيدا . قالوا وكان من رأي أبي جعفر الوفاء لابن هبيرة وأصحابه

﴿ قدوم ابن هبيرة على أبي العباس ﴾ وذكروا أن ابن

هبيرة وأصحابه لما جاءهم الكتاب بالايمان ترددوا فيه أربعين
يوماً يتدبرونه ويستخيرون الله في الخروج اليهم ثم عزم الله
له في القدوم على أبي العباس وأبي جعفر وكان أبومسلم كثيراً
ما كتب لابي العباس: أنه قل طريق سهل يلقى فيه حجارة الا
أضر ذلك بأهله ولا والله يصلح طريق فيه ابن هبيرة وأصحابه.
وكان أبو الجهم بن عطية عين أبي مسلم على أبي العباس فكان
يكتب اليه بالاخبار وكان أبو العباس لا يقطع أمراً دون رأي
أبي مسلم وقد كان ابن هبيرة في تلك الاربعين ليلة يجمع لذلك
الكتاب ممن يعبر الكلام والفقه طرفي النهار فيترددون فيه
حتى بلغوا فيه الغاية التي يريدون. ثم خرج ابن هبيرة الى أبي
جعفر في الف وثلاثمائة فلما قدم أراد أن يدخل دار الامارة
على دابته فقام الاذن فقال مرحباً بك أبا خالد انزل راشداً
وقد طاف بالدار يومئذ نحو من عشرة آلاف رجل من أهل
خراسان مستلئمين في السلاح أعينهم تزهو من تحت المغافر
على عواتقهم السيوف مشهورة وعُمُد الحديد بأيديهم . فأتي
ابن هبيرة بوسادة فطرحت له فجلس عليها ثم دعا الحاجب
بالقواد فدخلوا على ابي جعفر ثم خرج سلام بن سلام فقال

ادخل أبا خالد قال ومن معي ؟ قال انما استأذنت لك فدخل فوضعت له وسادة فجلس فحدثه أبو جعفر طويلا ثم نهض فركب فأتبعه أبو جعفر بصره حتي انصرف

﴿ قتل ابن هبيرة ﴾ وذكروا أن أبا العباس كتب الى أبي جعفر : أن اقتل ابن هبيرة فراده أبو جعفر بالكتاب فكتب اليه أبو العباس : والله لتقتلنه أو لابعثن اليك من يخرجه من عندك ويتولى ذلك عليك . وكان ابن هبيرة اذا ركب الى أبي جعفر ركب في ثلاثمائة فارس وخمسمائة راجل فقدم يزيد بن حاتم على أبي جعفر فقال أصلح الله الامير ما ذهب من سلطان ابن هبيرة شيء يأتينا فيتضعضع به العسكر فقال أبو جعفر يا سلام قل لابن هبيرة لا يركب في مثل تلك الجماعة وليأتنا في حاشيته . قال عدي فأصبحنا فخرج ابن هبيرة أيضاً في مثل تلك الجماعة الذين كانوا يركبون معه فخرج اليه سلام فقال يقول لك الامير ما هذه الجماعة لا تسير الا في حاشيتك فتغير وجه ابن هبيرة فلما أصبح أتي في نحو من ثلاثين رجلا قال له ابن سلام كأنك انما تأتينا مباهياً فقال ابن هبيرة ان أحببتم أن نمشي اليكم فعلنا فقال سلام ما نريد بذلك استخفافاً

بك ولكن أهل العسكر اذا رأوا جماعة من معك غمهم ذلك فكان هذا من الامير نظراً لك فمكث طويلا جالساً في الرواق فقيل له ان الامير يحتجم فانصرف راشداً فلم يزل يركب يوماً ويقيم آخر لا يجيء الا في رجلين أو غلامه وقد ختموا على الخزائن وبيوت الاموال وجعل القواد يدخلون على أبي جعفر فيقولون ما تنتظر به فيقول ما أريد الا الوفاء له حتى اذا اجتمع أمرهم على قتله بعث الى الحسين بن قحطبة فأتاه فقال لو سرت الى هذا الرجل فأرحتنا منه فقال لا نريد ذلك ولكن ابعث اليه رجلا من قومه من مضر حتى يقتله فتتفرق كلمتهم عند ذلك فدعا حازم بن خزيمة والهيثم بن شعبة قال لهم أبو جعفر ائتوا الى ابن هبيرة فجددوا على بيوت المال الختم وعلى الخزائن وبعث معهما من المضرية والقيسية ان يحضروا الاذن وأريحونا من الرجل ففعلوا ثم دخلوا رحبة القصر في مائة رجل فارسلوا الى ابن هبيرة انا نريد حمل ما بقي في الخزائن فقال ادخلوا فدخلوا الخزائن فطافوا بها ساعة وجعلوا يخلفون عند كل باب عدة حتى دخلوا عليه فقالوا ارسل معنا من يدلنا على المواضع وبيوت الاموال فقال يا عثمان ارسل

معهم من يريدون فطاف حازم وأصحابه فى القصر ساعة وابن
هبيرة عليه قميص له مصري وملاءة موردة وهومسندظهره
الى حائط المسجد في رحبة القصر ومعه ابنه داود وحاجبه
وكاتبه عمر بن أيوب وعدة من مواليه وبنيه وفى حجرابن
هبيرة ولدصغير . فلما توثقوا من كل شيء أقبلوا نحوه فلما رآهم
قد أقبلوا اليه قال والله ان في وجوه القوم لشراً . فلما دنوا
منه قام أبو عثمان فقال ماوراءكم فنضحه الهيثم بالسيف
فأصاب حبل عاتقه فصرعه وقام ابنه داود فقاتل فتفرقوا
عليه فقتلوه ومواليه ثم مضوا نحو ابن هبيرة فخر ساجداً
وقال ويحكم نحوا عني هذا الصبي لايرى مصرعى قال
فضرب حتى مات ساجداً ثم أخذوا رؤسهم فأتوا بها أبا
جعفر ونادى المنادي بواسط أمن الامير خلق الله جميعا الا
الحكم بن بشير وعمرو بن ذرّ قال فضاقت علي والله الارض
بما رحبت حتى خرجت على دابتي مالى هجير الا آية الكرسى
أتلوها والله ماعرض لي أحد حتى تواريت فلم أزل خائفا حتى
استأمن لي زياد بن عبد الله بن العباس فأمّنه وهرب الحكم
ابن عبد الله بن بشير الى عسكره وضاقت بخالد بن مسلمة

الارض حتى أتي أبا جعفر فاستأذن عليه فأمنه. وبلغ ذلك أبا
العباس فكتب الي أبي جعفر والله لوكانت له الف نفس
لاتيت عليها اضرب عنقه فهرب أبو علافة الفزاري وهشام بن
هبيرة وصفوان بن يزيد فلحقهم سعد بن شعيب فقتلهم وقبض
على أصحاب ابن هبيرة فقتل من وجوههم نحوا من خمسين ثم
أمن الناس جميعا ونادى منادي أبي جعفر من أراد ان يقيم
فليقم بالجابية ومن أحب ان يشخص فليشخص وهرب القعقاع
ابن ضرار وحميد وعدة حتى أتوا زياد بن عبد الله فاستأمن لهم
فامنوا جميعا وقوي ملك بني العباس واستقرت قواعده . فلما
قتل ابن هبيرة ونودي في أهل الشام الحقوا شامكم فلا حاجة
لنا بكم فسار أهل الشام حتى قدموا الكوفة منهم من قدم
ومنهم من أخذ على عين التمر ومنهم من أخذ على طريق المدائن
ثم لحقوا بالشام على طريق الفرات واستعمل أبو جعفر على
واسط ومن فيها الهيثم بن زياد وخلف معه خيلا ثم انصرف
أبو جعفر الى أبي العباس وهو يومئذ بالحيرة ثم وجه داود بن
علي الى الحجاز فقتل من ظفر به من بني أمية وغيرهم فتوجه
الى المثني بن زياد بن عمر بن هبيرة باليمامة فقتله وأصحابه ثم

تبعهم محمد بن عمارة وكان على الطائف فقتلهم وتحول أبو العباس من الحيرة الى الانبار فأمر أبو العباس برأس ابن هبيرة فوضع بالحيرة على خشبة ومعه غيره من عمال مروان وبها رفع رأس مروان بن محمد وعن يمينه رأس ثعلبة بن سلامة ورأس عثمان بن ابي شعيب عن يساره وانقطعت شيعة بني أمية وطلبو تحت كل حجر ومدر

﴿ اختلاف أبي مسلم علي أبي العباس ﴾ وذكروا ان أبا مسلم كتب الى أبي العباس يستأذنه في القدوم عليه فقدم عليه فتلقاه الناس جميعا ومعه القواد والجماعة والخيل والنجائب ثم استأذن أبا العباس في الحج فقال لولا ان أبا جعفر يحج لاستعملتك على الموسم فقال أبو جعفر لابي العباس أطعني وأقتل أبا مسلم فوالله ان في رأسه لغدرة . فقال له أى أخي قد عرفت بلاءه وما كان منه فقال أبو جعفر هو أخطأ بذلك والله لو بعثت سنوراً مكانه لبلغ ما بلغ في مثل الدولة . قال أبو العباس كيف تقتله قال اذا دخل عليك فحادثه فاذا أقبل عليك دخلت فأتيت من خلفه فضربته ضربة آتى منها على نفسه فقال أبو العباس أى أخي فكيف تصنع بأصحابه الذين يؤثرونه

على أنفسهم ودينهم قال يؤول ذلك الى خير والى ماتريد . قال
ياأخي اني أريد ان تكف عن هذا فقال أبو جعفر أخاف ان
لم تنفذه يتعشاك . فقال أبو العباس فدونكه يا أخي قال وكان
مع أبي مسلم من أهل خراسان عشرة آلاف قد قدم بهم
يأخذون العطاء عند غرة كل شهر أوفر مايكون من الارزاق
سوي الاعاجم . فلما دخل أبو مسلم على أبي العباس دعا ابو
العباس خصياً له فقال اذهب فاعرف ما يصنع أبو جعفر فأتاه
فوجده مختفيا بسيفه فقال أبو جعفر اجالس أمير المؤمنين
فقال الوصيف قد تهيأ للجلوس ثم رجع الوصيف فذكر ذلك
لابي العباس فرده أيضاً الى أبي جعفر وقال قل له عزمت
عليك ان لاتنفذ الامر الذي عزمت عليه فكف عن ذلك
فسار الى مكة حاجا وللموسم . وخرج أبو مسلم فكان اذا كتب
الى أبي جعفر يبدأ بنفسه ثم يكتب اليه لا يهولنك ما في صدر
الكتاب فاني لك بحيث تحب ولكني أحب ان يعلم أهل خراسان
ان لي منزلة عند أمير المؤمنين

﴿ كتاب أبي مسلم الى أبي جعفر وتقدمه ان يخلع ويخالف ﴾

وذكروا ان أبا مسلم لما رجع من عند أبي العباس

وقد قيل له بالعراق ان القوم أرادوك لولا ما توقفوا ممن معك من أهل خراسان فلما كان في بعض الطريق كتب الى أبي جعفر : أما بعد فاني كنت اتخذت أخاك اماماً ودليلا على ما افترض الله على خلقه وكان في محله من العلم وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث كان فقمعني بالفتنة واستجهلني بالقرآن فحرفه عن مواضعه طمعا في قليل قد نعاه الله الى خلقه فمثل الضلالة في صورة الهدى فكان كالذي دلّ بغروره حتى وترت أهل الدين والدنيا في دينهم واستحللت بما كان من ذلك من الله النقمة وركبت المعصية في طاعتكم وتوطئة سلطانكم حتى عرفكم من كان يجهلكم وأوطأت غيركم العشواء بالظلم والعدوان حتى بلغت في مشيئة الله ما أحب ثم ان الله بمنه وكرمه أتاح لي الحسنة وتداركني بالرحمة واستنقذني بالتوبة فان يغفر فقديماً عرف بذلك وان يعاقب فبما قدمت يداي وما الله بظلام للعبيد .

فكتب اليه أبو جعفر : أروم ما رمت وأزول حيث زلت ليس لي دونك مرمي ولا عنك مقصر الرأي ما رأيت ان كنت أنكرت من سيرته شيئاً فأنت الموفق للصواب والعالم بالرشاد انا من لا يعرف غير يديك ولم يتقلب الا في فضلك فانا غير

كافر بنعمتك ولا منكر لاحسانك لا تحمل على أمر غيري ولا تلحق ماجناه سواى بي ان أمرتني ان اشخص اليك والحق بخراسان فعلت الامر أمرك والسلطان سلطانك والسلام

﴿ موت أبي العباس واستخلاف أبي جعفر ﴾ وذكروا ان أبا جعفر لما انقضى الموسم وانصرف راجعاً جاءه موت أبي العباس وكان بينه وبين أبي مسلم مرحلة . فكتب الي أبي مسلم انه قد حدث حدث ليس مثلك غائب عنه فالعجل العجل قال اسحاق بن مسلم: فقلت: لابي جعفر وأنا أسايره ونحن مقبلون من مكة أيها الرجل لا ملك لك ولا سلطان مع هذا العبد فقال أبو جعفر ظهر غشك وبدا منك ما كنت تكتم بأبي مسلم يفعل هذا قلت نعم فاني أخاف عليك منه يوم سوء فقال كذبت قال اسحاق فسكت ثم لقيته بعد ذلك من الغد ولا والله ما عرفتها فيه وعاودني بمثل كلامه الاول فقلت له أكثر أم أقل ان لم تقتله والله يقتلك . قال فهل شاورت في هذا أحداً قلت لا قال اسكت فسكت . فقدم الكوفة فاذا عيسى بن موسى قد سبقه الى الانبار وغلب على المدينة والخزائن وبيوت الاموال والدواوين وخلع عبد الله وتوثب على أبي جعفر ودعا أهل

خراسان فألحقهم باليمن وجعل لهم الجعائل الجليلة والعطايا الجزيلة .
فلما قدم أبو جعفر سلم الامر لعيسى بن موسى وتوثب عبد
الله بن علي على أهل خراسان بالشام فقتلهم ودعا الى نفسه وأتاه
أبو غانم عبدالحميد بن ربعى فقال ان أردت ان يصفو لك الامر
فاقتل أهل خراسان وابدأ بي . فلما قدم أبو جعفر من مكة قال
لابي مسلم انما هو أنا وانت والامر أمرك فامض الى عبدالله
ابن على أو أهل الشام فلما سار اليه أبو مسلم سار معه القواد
وغيرهم فلقى عبدالله بن على وأهل الشام فهزمهم وأسر عبدالله
ابن على وبعث به الى أبي جعفر فاستنكر أبو جعفر قعود أبي
مسلم عنه فبعث اليه يقطين بن موسي ورجلا معه على القبض
فقال أبو مسلم لا يوثق بهذا ونحوه فوثب وشتم وقال قولا
قبيحاً . قال له يقطين بن موسي جعلت فداك لا تدخل الغم على
نفسك ان أحببت رجعت الي أمير المؤمنين فانه ان علم ان هذا
يشق عليك لم يدخل عليك مكروها . ثم قدم أبو جعفر من
الانبار حتي قدم المدائن وخرج أبو مسلم فأخذ طريق خراسان
مخالفا لابي جعفر . فكتب اليه أبو جعفر: قد أردت مذاكرتك
في أشياء لم تحملها الكتب فأقبل فان مقامك عندنا قليل .

فلم يلتفت أبو مسلم الى كتابه . فبعث اليه أبو جعفر جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجلي وكان أبو مسلم يعرفه فقال له أيها الامير ضربت الناس عن عرض أهل هذا البيت ثم تنصرف على مثل هذه الحال ان الامر عند أمير المؤمنين لم يبلغ ما تكره ولا أرى ان تنصرف على هذه الحال فيقول أبو مسلم ويحك انى دليت بغرور وأخاف عدوه

﴿ قتل أبي مسلم ﴾ وذكروا ان جريراً لم يزل بأبي مسلم حتى أقبل به . وكان أبو مسلم يقول والله لاقتلن في الروم فأقبل منصرفا فلما قدم علي أبي جعفر وهو يومئذ بالرومية من المدائن أمر الناس يتلقونه وأذن له فدخل على دابته ورحب به وعانقه وأجلسه معه على السرير وقال له كدت ان تخرج ولم اقض اليك بما تريد فقال قد اتيت يا أمير المؤمنين فليأمرني بأمره قال انصرف الى منزلك وضع ثيابك وادخل الحمام ليذهب عنك كلال السفر وجعل أبو جعفر ينتظر به الفرصة فأقام أياما يأتى أبا جعفر كل يوم فيريه من الاكرام مالم يره قبل ذلك حتى اذا مضت له أيام أقبل على التجنى . فأتي أبو مسلم الى عيسي ابن موسي فقال اركب معي الى أمير المؤمنين فانى قد أردته

عتابه بحضرك فقال عيسى انت في ذمتى فأقبل أبو مسلم فقيل
له ادخل فلما صار الى الزقاق الداخلى قيل له ان أمير المؤمنين
يتوضأ فلو جلست فجلس وابطأ عيسى بن موسى عليه وقد هيأ
له أبو جعفر عثمان بن نهيك وهو على حرسه في عدة فيهم
شبيب بن رياح وأبو حنيفة الفقيه فتقدم أبو جعفر الى عثمان
فقال له اذا عاتبته فعلا صوتى فلا تخرجوا وجعل عثمان وأصحابه
في ستر خلف أبى مسلم في قطعة من الحجرة وقد قال أبو جعفر
لعثمان بن نهيك اذا صفقت بيدى فدونك يا عثمان . فقيل لابى
مسلم أن قد جلس أمير المؤمنين فقام ليدخل فقيل له انزع سيفك
فقال ما كان يصنع بى هذا فقيل وما عليك فنزع سيفه وعليه
قباء أسود وتحته جبة خز فدخل فسلم وجلس على وسادة ليس
في المجلس غيرها وخلف ظهره القوم خلف ستر . فقال: أبو مسلم ،
صنع بى يا أمير المؤمنين مالم يصنع باحد نزع سيفى من عنقى
قال ومن فعل ذلك قبحه الله ثم اقبل يعاتبه فعلت وفعلت فقال
ياأمير المؤمنين لمن يقال هذا الىّ بعد حسن بلاءى وما كان
منى ؟ فقال له أبو جعفر : يا ابن الخبيثة والله لو كانت أمة أو
امرأة مكانك لبلغت ما بلغت في دولتنا ولو كان ذلك اليك

ما قطعت فتيلا . ألست الكاتب الي تبدأ بنفسك والكاتب الى تخطب آمنة ابنة علي بن عمي وتزعم انك أبو مسلم بن سليط عن عبد الله بن العباس لقد ارتقيت لا أم لك مرتقاً صعبا قال وأبو جعفر ترعد يده فلما رأي أبو مسلم غضبه قال : يا أمير المؤمنين لا تدخل على نفسك هذا الغم من أجلي فان قدري اصغر مما بلغ منك هذا . فصفق أبو جعفر بيده فخرج عثمان ابن نهيك فضربه ضربة خفيفة فأومأ أبو مسلم الى رجل أبي جعفر يقبلها ويقول: انشدك الله يا أمير المؤمنين استبقني لاعدائك فدفعه برجله وضربه شبيب على حبل العاتق فاسرعت فيه فقال أبو مسلم : واتمساه ألا قوة ألا مغيث وصاح أبو جعفر اضرب لا أم لك فاعتوره القوم باسيافهم فقتلوه فأمر به أبو جعفر فكفن بمسح ثم وضع في ناحية[1] ثم قيل ان عيسي بن موسى بالباب فقال ادخلوه فلما دخل قال يا أمير المؤمنين فأين أبو مسلم قال كان هاهنا آنفاً فخرج فقال عيسي يا أمير المؤمنين

---

(١) ويروي ان أبا جعفر اقبل على من حضره وأبو مسلم طريحا فقال:

زعمت أن الدين لاينقضي * فاستوف بالكيل أبا مجرم

سقيت كاساً كنت تسقي بها * أمر في الحلق من العلقم

د عرفت طاعته ومناصحته ورأي ابراهيم الامام فيه قال له
بو جعفر: يا أنوك والله ما أعرف عدواً أعدى لك منه هاهو
ذا في البساط فقال عيسى انا لله وانا اليه راجعون. فأقبل اسحاق
صاحب شرطه قال انما كان أبو مسلم عبد أمير المؤمنين وأمير
المؤمنين أعلم بما صنع . فأمر أبو جعفر برأسه فطرح الى من
بالباب من قواد أبي مسلم فجالوا جولة وهموا أن يبسطوا
سيوفهم على الناس ثم ردهم عن ذلك انقطاعهم من بلادهم
وتغربهم واحاطة العدو بهم فبعضهم اتكأ على سيفه فمات
وبعضهم ناصب وأراد القتال. فلما نظر أبو جعفر الى ذلك أمر
بالعطاء لاصحاب ابي مسلم وأجزل الصلات للقواد والرؤساء منهم ثم
عهد اليهم أن من أحب منكم أن يكون معنا هاهنا نأمر بالحاقه
في الديوان في الف من العطاء ومن أحب أن يلحق بخراسان
كتبناه في خمسمائة ترد عليه في كل عام وهو قاعد في بيته . قال
فكأنها نار طفئت فقالوا رضينا يا أمير المؤمنين كلما فعلت فأنت
الموفق فمنهم من رضي بالمقام معه ومنهم من لحق بخراسان

﴿ ثورة عيسى بن زيد بن علي بن الحسين ﴾ وذكروا
أن أبا جعفر لما قتل أبا مسلم واستولى على ملك العراقين والشام

والحجاز وخراسان ومصر واليمن ثار عليه عيسى بن زيد بن على ابن الحسين بن على بن أبي طالب فقاتله فيما بين الكوفة وبغداد ولقيه فى جموع كثيرة نحواً من عشرين ومائة الف فأقام أياماً يقاتله في كل يوم حتى هم أبوجعفر بالهزيمة وركب فرسه ليهرب ثم جعل يشجع أصحابه ويعدهم بالعطايا الواسعة والصلات الجزيلة فقاتلوا ثم ان أبا جعفر غلبته عيناه وهو على فرسه فرأى فى نومه أنه يمد يديه ورجليه على الارض . فاستيقظ ودعا عباراً كان معه فاخبره بما رأى فقال له ابشر يا أمير المؤمنين فان سلطانك ثابت وسيليه بعدك جماعة من ولدك وهذا الرجل منهزم فما كان بأسرع من أن نظر الى عيسى بن زيد منهزما

﴿ هروب مالك بن الهيثم ﴾ وذكروا أن مالك بن الهيثم خرج هارباً حتي أتي همدان وعليها يومئذ زهير بن التركى مولى خزاعة . فكتب اليه أبو جعفر: ان الله مهرق دمك ان فاتك مالك فجاء زهير بن التركي الى مالك بن الهيثم فقال له جعلت فداك قد أعددت لك طعاماً فلو أكرمتنى بدخولك منزلي فقال له نعم وكان قد هيأ له زهير أربعين رجلا . فلما دخل مالك قال لزهير عجل طعامك وقد توثق زهير من الباب

وهيأ أصحابه فخرج عليه الاربعون فشدوه وثاقاً ثم وضعوا القيود في رجله ثم قال أبا نصر جعلت فداك والله ما عرفت هذه الدعوة حتي أدخلتني فيها ودعوتني اليها فما الذي يخرجك منها والله ما أخليك حتى تزور أبا جعفر فبعث به اليه فعفى عنه أبو جعفر وولاه الموصل . قال الهيثم : وكان يقال ان عبد الملك بن مروان كان أحزم بني أمية وان أبا جعفر كان أحزم بني العباس وأشدهم بأساً وأقواهم قلباً ألا ترى أن عبد الملك قتل عمرو بن سعيد في داخل قصره وأبوابه مغلقة وأبو جعفر قتل أبامسلم في داخل سرادقه وليس بينه وبين أهل خراسان الا خرقة وقال الهيثم ذكر ابن عياش ان أبا جعفر قال لحاجبه عيسى بن روضة تقدم الي كل من دخل أن لا يذكر أبا مسلم في شيء من كلامه قال ابن عياش فاغتممت لذلك فوقفت له خلف ستر ومر زاكب مع هشام بن عمر وعبد الله فلما طلع عمر بن عبد الرحمن صاحب شرطه وبيده الحربة ركبت قال أبو الجراح مالك فقلت أسلم على أمير المؤمنين قال دونك فدنوت والنهر بيني وبينه فقلت :يا أمير المؤمنين هنيئاً لك وقعة أقعدت كل قائم فقال بيده على فيه ولم يلتفت كالكاره لما سمع

وأقبل علي صاحبيه قال ابن عياش وكان هـذا في سنة خمس وأربعين ومائة ثم انصرف أبو جعفر الى الحيرة ومعـه عمه عبد الله بن علي في غير وثاق وعليه الاحراس وقد هيأ له أبو جعفر بيتاً فحبسه فيه فلما قدم به قيل انه سمه . قال الهيثم : بل كان أساس البيت الذي حبسه فيه من لَبِن والحيرة كثيرة السواقى ندية الارض فيقال انه أمر من الليل بجدول فسرح حول البيت فتهدم عليه فمات . قال ابن عياش أقبل رجل من همدان الى أبي جعفر في وفد من العرب فدخلوا عليه فلما خرجوا وفاتوا بصره قال للآذن عليّ بالهمداني . فلما مثل بين يديه قال له يا أخا همدان اخبرني عن خليفة اسمه على عين قتل ثلاثة أسماؤهم على عين فقال الهمداني نعم يا أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان قتل عمرو بن سعيد الاشدق اسمه على عين وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن محمد الاشعث . وأنت يا أمير المؤمنين اسمك على عين وقتلت عبد الرحمن بن مسلم أبا مسلم أول اسمه على عين وعبد الجبار الخولاني وسقط البيت على عمك عبد الله فقال وما يدخل سقوط البيت على عمي لا أم لك . ثم استعمل أبو جعفر على خراسان أسيد بن عبد الله الخزاعي

وولى أبا عون عبد الملك بن يزيد ثم ولي بعد أبي عون حميد بن قحطبة ثم ولى المسيب بن زهير حتي مات أبو جعفر المنصور

﴿ قصة سابور ملك فارس ﴾ وذكروا ان أبا جعفر دعا اسحاق بن مسلم العقيلى فقال له حدثني عن الملك الذى كنت حدثتني عنه بحران فقال : نعم أكرمك الله: اخبرني أبي عن حصين بن المنذر ان ملكا من ملوك فارس يقال له سابور الاكبر كان له وزير ناصح قد أخذ أدباً من آداب الملوك وشاب ذلك بفهم في الدين فانتصف من أهلها فضلاً وسنا فوجهه سابور داعية الى أهل خراسان وكانوا قوما يعظمون الدنيا جهالة بالدين واستكانة لحب الدنيا وذلا لجبابرتها فجمعهم على كلمة من الهدى يكيد بها مطالب الدنيا وكان يقال : لكل ذليل دولة ولكل ضعيف صولة فلما استوسقت له البلاد جعل الى سابور أمرهم وأحال عليه طاعتهم فساس قوماً لا يرامونه الى ماسبق اليهم قبله فلم ينتصف سابور من طاعتهم واشمالة أهوائهم مع ما لا يأمن من زوال القلوب وغدرات الوزاء فاحتال على قطع رجائه عن قلوبهم فضمنم فقاتلهم ووقف بهم بين الفرقة وتحطب الاعداء، فنادى الرجفة واليأس من صاحبهم

فرأوا ان يستتموا الدعوة في طاعة سابور ويتعوضوه من الفتنة فملكهم ثمانين عاماً . فاطرق أبو جعفر مليا ثم قال متمثلا :

لذي الحلم قبل اليوم ماتقرع العصا * وماعلم الانسان الا ليعلما

﴿ خروج شريك بن عون على أبي جعفر وخلعه ﴾

وذكروا ان أبا جعفر لما استقامت له الامور واستولى على الملك خرج عليه شريك بن عون الهمدانى وقال ماعلى هذا بايعنا آل محمد على ان يسفك الدماء وان يعملوا بغير الحق فخالف أبا جعفر وتبعه أكثر من ثلاثين الفا فوجه اليه أبو جعفر زياد بن صالح الخزاعي فقاتله شهوراً ونهى أبو جعفر أن يسبي أحد منهم أو يقتل أحد من رجالهم لانه كان فيهم قوم اخيار ورجال أشراف وكان خروجهم ديانة وانكاراً للدماء وللعمل بغير الحق فلذلك لم يقتلوا . وكتب اليهم : وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيداً وقد عفونا عنكم مرتكم هذه فالله الله على دمائكم احقنوها .

﴿ اجتماع شبيب بن شيبة مع أبي جعفر قبل ولايته وبعدها ﴾

وذكروا ان شبيب بن شيبة قال حججت عام هلك هشام بن عبد الملك فبينما أنا مريح ناحية المسجد اذ طلع على من بعض أبوابه

فتى أسمر رقيق السمرة موفّر اللمة، خفيف اللحية رحب الجبهة كأن عينيه لسانان ناطقان عليه ابهة الاملاك، في زى النساك تقبله القلوب وتتبعه العيون، يعرف الشرف في تواضعه والعفو في صورته واللب في مشيته فما ملكت نفسي ان نهضت في أثره سائلا عن خبره فتحرم بالطواف. فلما قضى طوافه قصد المقام ليركع وانا أرعاه ببصري ثم نهض منصرفا فكأن عيناً أصابته فنكبا كبوة دميت منها أصبعه فدنوت منه متوجعاً لما ناله متصلا به أمسح رجله من عفر التراب فلا يمتنع عليّ ثم شققت حاشية ثوبي فعصبت على رجله فلم ينكر ذلك ثم نهض متوكئا عليّ وانقدت له حتى أتى بناء باعلى مكة فابتدره غلامان تكاد صدورهما تنفرج من هيبته ففتحا له الباب فدخل واجتذبني فدخلت بدخوله فخلى يدي وأقبل على القبلة فصلى ركعتين . ثم استوى في صدر مجلسه فحمد الله وصلى على نبيه ثم قال: لم يخف على مكانك منذ اليوم فمن تكون ؟ فقلت شبيب ابن شيبة التميمي فقال : الاهتمي ؟ فقلت نعم فرحب وقرب ووصف قومي بأبين وصف وأفصح لسان فقلت : أصلحك الله أحب المعرفة وأجل عن المسألة . فتبسم وقال: لطف أهل العراق!

انا عبدالله بن محمد بن علي بن عباس فقلت بأبي أنت وأمي ما أشبهك بنسبك وأدلك على سلفك وقد سبق الى قلبي من محبتك مالا أبلغه بوصفي لك قال فاحمد الله ياأخا تميم. فانا قوم يسعد بحبنا من يحبنا ويشقى ببغضنا من يبغضنا ولن يصل الايمان الى قلب أحدكم حتى يحب الله ورسوله ومهما ضعفنا عن جزائه قوي الله على أدائه فقلت له أنت توصف بالعلم وانا من حملته وأيام الموسم ضيقة وشغل أهله كثير وفي نفسي أشياء أحب ان اسأل عنها أفتأذن فيها جعلت فداك قال نحن أكثر الناس مستوحشون وارجو ان تكون للسر موضعا وللامانة واعيا فان كنت على مارجوت فهات على بركة الله. فقدمت اليه من وثائق الايمان ما سكن اليه فتلا قول الله « قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم » ثم قال سل فقلت ماترى في من على الموسم. وكان عليه يوسف بن محمد الثقفي خال الوليد بن يزيد فتنفس الصعداء ثم قال : عن الصلاة خلفه تسأل أم استكرت ان يتأمر على آل الرسول من ليس منهم؟ قلت عن كلا الامرين أسأل قال إن هذا عند الله عظيم. أما الصلاة فرض الله على عباده فأدّ فرضه عليك في كل وقت فان الذي ندبك لحج بيته

ومجاهدة عدوّه وحضور جماعته وأعياده لم يخبرك في كتابه انه لايقبل منك نسكا الا مع أكمل المؤمنين ايمانا رحمة لك ولو فعل ذلك بك ضاق الامر عليك فاسمح يسمح لك. ثم كررت عليه السؤال فما احتجت الى ان أسأل عن أمر ديني أحدا بعده ثم قلت له يزعم أهل العلم بالكتاب انها ستكون لكم دولة لاشك فيها تطلع مطلع الشمس وتظهر بظهورها فاسأل الله خيرها ونعوذ به من شرها قال نخذ بحظ لسانك ويدك منها ان أدركتها قلت أو يتخلف عنها أحد من العرب وأنتم سادتها قال نعم قوم يأبون الا وفاء لمن اصطنعهم ونأبي الا طلبا لحقنا فننصر ويخذلون كما نصر أولنا بأولهم وخذل لمخالفتنا من خذل منهم . فاسترجعت قال هوّن عليك الامر سنة الله التي قدخلت في عباده ولن تجدلسنة الله تبديلاوليس مايكون منهم بحاجز لنا عن صلة ارحامهم وحفظ اعقابهم فقلت كيف تسلم لهم قلوبكم وقد قاتلوكم مع عدوكم فقال نحن قوم حبب الينا الوفاء وان كان علينا وبغض الينا الغدر وان كان لنا وانما يشذعنا منهم الاقل ، فأما انصار دولتنا ونقباء شيعتنا وأمراء جيوشنا فهم ومواليهم معنا فاذا وضعت الحرب أوزارها

صفحنا للمحسن عن المسيء ووهب للرجل قومه ومن اتصل
بأسبابه فتذهب المثابرة وتخمد الفتنة وتطمئن القلوب فقلت
ويقال انه يبتلى بكم من أخلص لكم المحبة: فقال: قد روي ان
البلاء أسرع الى محبينا من الماء الى قراره . قلت لم أرد هذا
قال فما الذي تريد قلت توقعون بالولي وتحظون العدو فقال: من
يسعد بنا من الاولياء أكثر ومن يسلم معنا من الاعداء أقل
انما نحن بشر ولا يعلم الغيب الا الله وربما استترت عنا الامور
فنوقع بمن لا نريد، وان لنا لاحساناً يجازي الله به مداواة ماتكلم
ورتق ما تثلم فنستغفر الله بما يعلم وما أنكر من الا يكون
الامر على ما بلغك ومع الولي التمرز والادلال والثقة والاسترسال
ومع العدو والتحرز والتذلل والاحتيال، وانك لمسؤول ياأخا بني تميم
قلت اني أخاف الا أراك بعد اليوم قال لكن ارجو أن أراك
وتراني قريبا ان شاء الله قلت عجل الله ذلك ووهب لي السلامة
منكم فاني محبكم . فتبسم وقال: لا بأس عليك ما أعاذك الله من
ثلاثة قلت وما هي ؟ قال : قدح في الدين وهتك للملوك
وتهمة في حرمة واحفظ عني ما أقول لك : أصدق وان ضرك
الصدق وانصح وان باعدك النصح ولا تخالطن لناعدوا وان

أحظيناه ، فانه مخذول . ولا تخذلن وليا وان أقصيناه ، واصبحنا بترك المماكرة . وتواضع اذا رفعوك وصل اذا قطعوك ولا تسخف فيمقتوك ولا تنقبض فيحتشموك ولا تخطب الاعمال ولا تتعرض للاموال . وانا رائح من عشيتي هذه فهل من حاجة فنهضت لوداعه فودعته . ثم قلت أوقت لظهور الامر ومتى قال الله الموقت والمنذر فخرجت من عنده فاذا مولى له يتبعني فأتاني بكسوة من كسوته وقال لي يأمرك أبو جعفر ان تصلي في هذه ثم افترقنا فوالله ما رأيته الا وحرسيان قابضان عليّ يدفعاني الى بيعتي في جماعة من قومي لنبايعه . فلما نظر الى أثبتني وقال للحرسيين : خليا عمن صحت مودته وتقدمت قبل اليوم حرمته وأخذت بيعته فاكبر الناس ذلك من قوله . ثم قال لي أين كنت أيام أبي العباس أخي . فذهبت أعتذر فقال : امسك فان لكل شيء وقتاً لا يعدوه ولن يفوتك ان شاء الله حظ مودتك وحق مشايعتك واخترمني رزقا يسعك أو خطة ترفعك أو عملا ينهضك . فقلت انا لوصيتك حافظ فقال وأنا لها أحفظ إني انما نهيتك ان تخطب الاعمال ولم انهك عن قبولها ان أعرضت عليك . فقلت الرزق مع قرب أمير المؤمنين أحب اليّ . فقال

وذلك أحب الىّ لك وهو أجم لقلبك وأودع لك واعفى ان شاء الله فهل زدت أحداً في عيالك بعد . وقد كان سألني عنهم فعجبت من حفظه فقلت زدت الفرس والخادم فقال قد الحقنا عيالك بعيالنا وخادمك بخدامنا ولو لم يسعني حملت لك على بيت المال فهل تحملك مائتا دينار لكل غرة أو نزيدك فقلت ياأمير المؤمنين ان شطرها ليحملني العامين قال فانها لك في كل غرة فاقبضها من عاملي في أي بلد أحببت وان شئت فقد ضممتك الى المهدي فانه أفرغ لك مني وأرضاه لك ان شاء الله .

﴿ حج أبي جعفر ولقائه مالك بن أنس وما قال له ﴾ ذكروا أن أبا جعفر أمير المؤمنين لما استقامت له الامور واستولى على السلطان خرج حاجا الى مكة وذلك في سنة ثمان وأربعين ومائة فلما كان بمنى أتاه الناس يسلمون عليه ويهنئونه بما أنعم الله عليه وجاءه رجال الحجاز من قريش وغيرهم وفقهائهم وعلمائهم ممن صاحبه وألفه معه على طلب العلم ورواية الحديث فكان فيمن دخل عليه منهم مالك بن أنس . فقال له أبو جعفر يا أبا عبد الله اني رأيت رؤيا فقال مالك يوفق الله أمير المؤمنين الى الصواب من الرأي ويلهمه الى الرشاد من القول ويعينه

على خير الفعل فما رأى أمير المؤمنين ؟ فقال أبو جعفر: رأيت أني أجلسك في هذا البيت فتكون من عمار بيت الله الحرام واحمل الناس على علمك واعهد الى أهل الامصار يوفدون اليك وفدهم ويرسلون اليك رسلهم في أيام حجهم لتحملهم من أمر دينهم على الصواب والحق ان شاء الله . وانما العلم علم أهل المدينة وأنت أعلمهم فقال مالك : أمير المؤمنين أعلا عيناً وأرشد رأياً واعلم بما يأتي وما يذر وان أذن لي أقول قلت ،فقال أبو جعفر فنعم لخقيق أنت أن يسمع منك ويصدر عن رأيك فقال مالك يا أمير المؤمنين ان أهل العراق قدقالوا قولا تعدوا فيه طورهم ورأيت أنى خاطرت بقولى لانهم أهل ناحية وأما أهل مكة فليس بها أحد وانما العلم علم أهل المدينة كما قال الامير وان لكل قوم سلفاً وأئمة . فان رأى أمير المؤمنين أعز الله نصره اقرارهم على حالهم فليفعل فقال أبو جعفر أما أهل العراق فلا يقبل أمير المؤمنين منهم صرفاً ولا عدلا وانما العلم علم أهل المدينة وقد علمنا أنك انما أردت خلاص نفسك ونجاتها فقال مالك أجل يا أمير المؤمنين فاعفني يعفو الله عنك فقال أبو جعفر قد أعفاك أمير المؤمنين وايم الله ما أجد

بعد أمير المؤمنين أعلم منك ولا أفقه

﴿ دخول سفيان الثوري وسليمان الخواص على أبي جعفر وما قالا له ﴾ وذكروا أنه لما كان أبو جعفر بمنى في العام الذي حج فيه سفيان الثوري وسليمان الخواص قال أحدهما لصاحبه ألا ندخل على هذا الطاغي الذي كان يزاحمنا بالامس في مجالس العلم عند منصور والزهري فنكلمه ونأمره بحق وننهاه عن باطل فلعل أن يقع كلامنا منه موقعاً ينفع الله به المسلمين ويأجرنا عليه فقال سليمان الخواص انى لاخشي أن يأتي علينا منه يوم سوء . فقال الثوري : ما أخاف ذلك فان شئت فادخل وان شئت دخلت . فدخل سليمان الخواص فأمره ونهاه ووعظه وذكره الله وما هو صائر اليه ومسؤل عنه . فقال له ابو جعفر انت مقتول ماتقول في كذا وكذا لشيء سأله عنه من باب العلم فاجابه . فلما خرج قال سفيان الثوري ماذا صنعت قال امرت ونهيت ووعظت وذكرت فرضاً كان في رقابنا أديناه مع انه لا يقبل وسألني عن مسئلة فأجبته قال سفيان ما صنعت شيئاً فدخل سفيان الثوري فأمره ونهاه فقال له هاهنا أبا عبد الله الي الي ادن مني فقال اني لا اطأ ما لا

املك ولا تملك فقال ابو جعفر يا غلام ادرج البساط وارفع الوطاء فتقدم سفيان فصار بين يديه وقعد ليس بينه وبين الارض شيء وهو يقول «منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى» فدمعت عينا ابي جعفر. ثم تكلم سفيان دون أن يستأذن فوعظ وأمر ونهى وذكر وأغلظ في قوله فقال له الحاجب أيها الرجل أنت مقتول فقال سفيان وان كنت مقتولا فالساعة فسأله أبو جعفر مسألة فأجابه. ثم قال سفيان: فما تقول أنت يا أمير المؤمنين فيما انفقت من مال الله ومال أمة محمد بغير اذنهم وقد قال عمر في حجة حجها وقد انفق ستة عشر ديناراً هو ومن معه: ما ارانا الا وقد اجحفنا ببيت المال. وقد علمت ما حدثنا به منصور بن عمار وأنت حاضر ذلك وأول كاتب كتبه في المجلس عن ابراهيم عن الاسود عن علقمة عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال: رب متخوض في مال الله ومال رسول الله فيما شاءت نفسه له النار غداً. فقال له ابو عبيد الكاتب: امير المؤمنين يستقبل بمثل هذا؟ فقال له سفيان اسكت فانما أهلك فرعون هامان وهامان فرعون. ثم خرج سفيان فقال ابو عبيد الكاتب: ألا تأمر بقتل هذا الرجل فوالله ما

اعلم احداً احق بالقتل منه فقال أبو جعفر: اسكت يا أنوك فوالله ما بقي على الارض احد اليوم يُستحي منه غير هذا ومالك بن أنس

﴿ دخول ابن ابي ذؤيب ومالك بن انس وابن سمعان علي ابى جعفر ﴾ وذكروا عن مالك بن أنس قال: لما ولى ابو جعفر الخلافة ورقى اليـه الملاّقون المشاؤن بالنميمة عني بكلام كان قد حفظ علي فاتاني رسوله ليلا قال اجب امير المؤمنين وذلك بعد مفارقتي له وخروجي عنه فلم اشك انه القتل ففزعت من عهدي واغتسلت وتوضأت ولبست ثياب كفني وتحنطت ثم نهضت فدخلت عليه في السرادق وهو قاعد على فراش قد نظم بالدر الابيض والياقوت الاحمر والزمرد الاخضر، حكى لي انه كان من فرش هشام بن عبد الملك كان قد أهداه اليه صاحب القسطنطينية لا يعلم ثمنه ولا يدري ما قيمته والشمع يحترق بين يديه وابن ابى ذؤيب وابن سمعان قاعدان بين يديه وهو ينظر في صحيفة في يده فلما صرت بين يديه سلمت فرفع رأسه فنظر اليّ وتبسم تبسم المغضب ثم رمى بالصحيفة واشار لي الى موضع عن يمينه أقعد فيه فلما قعدت وأخذت مقعدي وسكن روعي رفعت رأسي أنظر تلقائي فاذا انا بواقف عليه درع وبيده سيف

قد شهره يلمع له ما حوله فالتفت عن يميني فاذا انا بواقف عليه
جرز من حديد ثم التفت عن يساري فاذا انا بواقف عليه درع
وبيده سيف قد شهره وهم اجمعون قد صغوا اليه ورمقوا
بابصارهم خوفاً منهم ان يأمر في احد امراً فيجده غافلا . ثم
التفت الينا قال : أما بعد معشر الفقهاء فقد بلغ امير المؤمنين
عنكم ما اخشن صدره وضاق به ذرعه ، وكنتم احق الناس
بالكف من السنتكم والأخذ بما يشبهكم وأولى الناس بلزوم الطاعة
والمناصحة في السر والعلانية لمن استخلفه الله عليكم . قال مالك
فقلت : ياامير المؤمنين قال الله تعالى « يا ايها الذين آمنوا ان
جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على
ما فعلتم نادمين » فقال ابو جعفر على ذلكم أي الرجال انا
عندكم أمن ائمة العدل ام من أئمة الجور ؟ فقال مالك فقلت ياامير
المؤمنين انا متوسل اليك بالله تعالى وأتشفع اليك بمحمد صلى
الله عليه وسلم وبقرابتك منه الا ما اعفيتني من الكلام في هذا
قال قد اعفاك امير المؤمنين . ثم التفت الى ابن سمعان فقال له ايها
القاضي ناشدتك الله تعالى أي الرجال انا عندك فقال ابن سمعان :
أنت والله خير الرجال يا امير المؤمنين تحج بيت الله الحرام

وتجاهد العدو وتؤمن السبل وتأمن الضعيف بك أن يأكله القوي وبك قوام الدين فأنت خير الرجال وأعدل الأئمة . ثم التفت الي ابن ابي ذؤيب فقال له ناشدتك الله أي الرجال انا عندك ؟ قال : أنت والله عندي شر الرجال استأثرت بمال الله ورسوله وسهم ذوي القربى واليتامى والمساكين وأهلكت الضعيف وأتعبت القوى وامسكت اموالهم فما حجتك غداً بين يدى الله . فقال له ابو جعفر ويحك ما تقول اتعقل أنظر ماامامك قال : نعم قد رأيت اسيافاً وانما هو الموت ولا بد منه عاجله خير من آجله . ثم خرجا وجلست قال اني لاجد رائحة الحنوط عليك قلت اجل لما نمى اليك عني ما نمى وجاءني رسولك في الليل ظننته القتل فاغتسلت وتطيبت ولبست ثياب كفني . فقال ابو جعفر سبحان الله ما كنت لاثلم الاسلام واسعى في نقضه او ما تراني أسعى في أود الاسلام واعزاز الدين عائذاً بالله مما قلت يا اباعبدالله انصرف الى مصرك راشداً مهدياً وان احببت ما عندنا فنحن ممن لا يؤثر عليك احداً ولا يعدل بك مخلوقاً . فقلت ان يجبرني امير المؤمنين على ذلك فسمعاً وطاعة وان يخيرني امير المؤمنين اخترت العافية . فقال : ما كنت لاجبرك ولا اكرهك إنقلب

معافاً مكافأ . قال فبت ليلتي فلما اصبحنا أمر ابو جعفر بصرر دنانير في كل صرة خمسة آلاف دينار ثم دعا برجل من شرطته فقال له تقبض هذا المال وتدفع لكل رجل منهم صرة أما مالك بن أنس ان أخذها فبسبيله وان ردّها لا جناح عليه فيما فعل وان اخذها ابن ابي ذؤيب فأتني برأسه وان ردها عليك فبسبيله لا جناح عليه . وان يكن ابن سمعان ردها فأتني برأسه وان اخذها فهي عافيته . فنهض بها الى القوم فأما ابن سمعان فأخذها فسلم وأما ابن ابى ذؤيب فردها فسلم وأما أنا فكنت والله محتاجاً اليها فأخذتها . ثم رحل ابو جعفر متوجهاً الى العراق

﴿ كتاب عبيد الله العمري الي ابي جعفر ﴾ وذكروا ان ابا جعفر لما قفل من حجه سنة ثمان واربعين ومائة سأل عن عبيد الله بن عمر بن حفص بن عبد الله بن عمر بن الخطاب وهو الفقيه المعروف بالعمري فقيل له انه لم يحج العام يا امير المؤمنين ولو حج لكان أول داخل عليك فلا تقبل عليه احداً يا امير المؤمنين ولا يقدح فيه عندك الا باطلٌ او كذاب فانه من علمت . فقال ابو جعفر والله ما تخلف عن الحج في عامه هذا الا علماً منه باني حاج فلذلك تخلف ولا والله ما زاده ذلك

عندي الا شرفاً ورفعة واني من التوقير به والاجلال له بحال لا اخال احداً من الناس بذلك لشرفه في قريش وعظيم منزلته من هذا الامر والموضع الذي جعله الله فيه والمكان الذي انزله به . فلما قدم ابو جعفر بغداد ورد عليه كتاب عبيد الله العمري : فيه : بسم الله الرحمن الرحيم لعبدالله ابي جعفر امير المؤمنين من عبيد الله بن عمر سلام الله عليك ورحمة الله التي اتسعت فوسعت من شاء . أما بعد فاني عهدتك وامر نفسك لك مهم وقد اصبحت وقد وليت امر هذه الامة احمرها وأسودها وأبيضها وشريفها ووضيعها يجلس بين يديك العدو والصديق والشريف والوضيع ولكل حصته من العدل ونصيبه من الحق فانظر كيف أنت عند الله يا ابا جعفر ، واني أحذرك يوماً تفني فيه الوجوه والقلوب وتنقطع فيه الحجة لملك قد قهرهم بجبروته واذلهم بسلطانه والخلق داخرون له يرجون رحمته ويخافون عذابه وعقابه ، وانا كنا نحدث ان امر هذه الامة سيرجع في آخر زمانها ان يكون اخوان العلانية اعداء السريرة واني اعوذ بالله ان تنزل كتابي سوء المنزل فاني انما كتبت به نصيحة والسلام . ﴿فأجابه أبو جعفر المنصور﴾

من عبد الله بن محمد أمير المؤمنين الى عبيدالله بن عمر بن حفص سلام عليك أما بعد فانك كتبت اليّ تذكر انك عهدتني وأمر نفسي الى مهم فاصبحت وقد وليت أمر هذه الامة بأسرها وكتبت تذكر انه بلغك ان أمر هذه الامة سيرجع في آخر زمانها ان يكون اخوان العلانية أعداء السريرة ولست ان شاء الله من أولئك وليس هذا زمان ذلك انما ذلك زمان تظهر فيه الرغبة والرغبة تكون رغبة بعض الناس الى بعض ، صلاح دنياهم أحب اليهم من صلاح دينهم وكتبت تحذرني ماحذرت به الامم من قبلي وقدماً كان يقال : اختلاف الليل والنهار يقربان كل بعيد ويبليان كل جديد ويأتيان بكل موعود حتى يصير الناس الى منازلهم من الجنة والنار . وكتبت لتعوذ بالله ان تنزل كتابك سوء المنزل وانك انما كتبت به نصيحة ، فصدقت وبررت فلا تدع الكتب اليّ فانه لا غنى بي عن ذلك والسلام .

﴿ اجتماع أبي جعفر مع عبدالله بن مرزوق ﴾ وذكروا ان أبا جعفر المنصور أمير المؤمنين لما حج ودخل بالطواف بالبيت الحرام أمر بالناس فنحوا عن البيت ثم طاف أسبوعه

فوثب اليه عبدالله بن مرزوق: وقال: من جرأك على هذا فلببه بردائه وهزه وقال له: من جعلك أحق بهذا البيت من الناس تحول بينه وبينهم وتنحيهم عنه؟ فنظر أبو جعفر في وجهه فعرفه فقال عبدالله بن مرزوق؟ قال نعم. فقال من جرأك على هذا ومن أقدمك عليه فقال عبد الله بن مرزوق: وما تصنع بي بيدك ضر أو نفع، والله ما أخاف ضرك ولا أرجو نفعك حتى يكون الله عز وجل يأذن لك فيه ويلهمك الى فعله. فقال له أبو جعفر انك أحللت بنفسك وأهلكتها فقال عبدالله بن مرزوق: اللهم ان كان بيد أبي جعفر ضري فلا تدع من الضر شيئاً الا أنزلته علي وان كان بيده منفعتي فاقطع عني كل منفعة منه، أنت يا رب بيدك كل شيء وأنت مليك كل شيء. فأمر به أبو جعفر فحمل الى بغداد فسجنه بها وكان يسجنه بالنهار ويبعث اليه بالليل يبيت عنده ويسامره يلبث نهاره بالسجن اجمع ثم يسامره بالليل ليظهر للناس انه سجن من اعترض عليه لئلا يجترئ الجاهل فيقول قد وسع عفو أمير المؤمنين فلاناً أفلا يسعني. فكان دأبه هذا معه زماناً طويلاً حتى نسي أمره وانقطع خبره ثم خلي سبيله فلحق بمكة فلم يزل بها حتى مات أبو جعفر

وولي ابنه المهدي . فلما حج المهدي فعل مثل ذلك ففعل به عبد الله
ابن مرزوق مثل ذلك أيضاً فاراد قتله فقيل له :يا أمير المؤمنين
انه قد فعل هذا بأبيك فكان من صنيعه أن حمله الى بغداد فسجنه
بالنهار وسامره بالليل وأنت أحق من أخذ بهديه واحتذى على
مثاله وورث اكروماته . فحمله المهدي معه فمات ببغداد رحمه الله

﴿ ذكر ما نال مالك بن أنس من جعفر بن سليمان ﴾

وذكروا انه هاج بالمدينة هيج في ابتداء أيام أبي جعفر
فبعث اليها أبو جعفر ابن عمه جعفر بن سليمان بن العباس
ليسكن هيجها وفتنها ويجدد بيعة أهلها فقدمها وهو يتوقد ناراً
على أهل الخلاف لهم فاظهر الغلظة والشدة وسطا بكل من
ألحد في سلطانهم وأشار الى المنازعة لهم وأخذ الناس بالبيعة .
وكان مالك بن أنس رحمه الله لم يزل صغيراً وكبيراً محسداً
وكذلك كل من عظمت نعمة الله عليه في علمه أو عمله أو فهمه
أو ورعه فكيف بمن جمع الله ذلك فيه ولم يزل منذ نشأ
كذلك قد منحه الله تعالى العلم والعمل والفهم واللب والنبل
ووصل له ذلك بالدين والفضل عرف منه ذلك صغيراً وظهر
فيه كبيراً واستلب الرئاسة ممن كان قد سبقه اليها بظهور نعمة

الله عليه وسموها به على كل سام فاستدعي ذلك منهم الحسد.
له والجأهم ذلك الى البغي عليه ، فدسوا الى جعفر بن سليمان من
قال له ان مالكا يفتي الناس بان ايمان البيعة لا تحل ولا تلزمهم.
لمخالفتك واستكراهك اياهم عليها وزعموا انه يفتي بذلك أهل
المدينة أجمعين لحديث رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه.
قال : رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما اكرهوا عليه . فعظم.
ذلك على جعفر واشتد عليه وخاف أن ينحل عليه ما أبرم من
بيعة أهل المدينة وهم ان يبدر فيه بما عافاه الله منه وأنعم على.
المسلمين ببقائه فقيل له : لا تبدر فيه ببادرة فانه من اكرم
الناس على أمير المؤمنين وآثرهم عنده ولا بأس عليك منه فلا
تحدث شيئا الا بامر أمير المؤمنين أو يستحق ذلك عندنا بامر.
لا يخفى على أهل المدينة . فدس اليه جعفر بن سليمان بعض من
لم يكن مالك يخشى أن يؤتى من قبله ولا من منه يؤتى الحذر.
فسأله عن الايمان في البيعة فافتاه مالك بذلك طمأنينة اليه.
وحسنه فيه . فلم يشعر مالك الا ورسول جعفر بن سليمان
فيه . فاتوا به اليه منتهك الحرمة مذال الهيبة فامر به فضربه.
سبعين سوطا فلما سكن الهيج بالمدينة وتمت له البيعة بلغ بمالك.

ألم الضرب حتى أضجعه .

﴿ انكار أبي جعفر المنصور لضرب مالك ﴾ وذكروا انه لما بلغ أبا جعفر ضرب مالك بن أنس وما أنزل به جعفر ابن سليمان أعظم ذلك اعظاماً شديداً وأنكره ولم يرضه وكتب بعزل جعفر بن سليمان عن المدينة وأمر أن يؤتى به الى بغداد على قتب . وولي على المدينة رجلا من قريش من بني مخزوم وكان يوصف بدين وعقل وحزم وذكاء وذلك في شهر رمضان من سنة احدى وستين ومائة . وكتب أبو جعفر الى مالك بن أنس ليستقدمه الى نفسه ببغداد فابى مالك وكتب الى أبي جعفر يستعفيه من ذلك ويعتذر له ببعض العذر اليه . فكتب أبو جعفر اليه ان وافني بالموسم العام القابل ان شاء الله فاني خارج الى الموسم

﴿ دخول مالك على أبي جعفر بمنى ﴾ وذكروا ان مالكا حج سنة ثلاث وستين ومائة ثم وافى أبا جعفر بمنى أيام منى فذكروا ان مطرفاً أخبرهم وكان من كبار أصحاب مالك قال : قال لي مالك لما صرت بمنى أتيت السرادقات فاذنت بنفسي فاذن لي ثم خرج الي الاذن من عنده فادخلني فقلت للاذن اذا انتهيت بي الى القبة التي يكون فيها أمير المؤمنين

فاعلمني فـر بي من سرادق الى سرادق ومن قبة الى أخرى
في كلها أصناف من الرجال بايديهم السيوف المشهورة والاجزرة
المرفوعة حتى قال لي الاذن هو في تلك القبة ثم تركني الاذن
وتأخر عني فمشيت حتى انتهيت الى القبة التي هو فيها فاذا هو
قد نزل عن مجلسه الذي يكون فيه الى البساط الذي دونه واذا
هو قد لبس ثياباً قصده لا تشبه ثياب مثله تواضعاً لدخولي
عليه وليس معه في القبة الا قائم على رأسه بسيف صلت . فلما
دنوت منـه رحب بي وقرب ثم قال هاهنـا الي فأوميت
للجلوس فقال هاهنا فلم يزل يدنيني حتى أجلسني اليه ولصقت
ركبتي بركبتيه . ثم كان أول ما تكلم به أن قال : والله الذي لا اله
الا هو يا أبا عبدالله ما أمرت بالذي كان ولا علمته قبـل ان
يكون ولا رضيته اذ بلغني (يعني الضرب) قال مالك فحمدت
الله تعالى على كل حال وصليت على الرسول صلى الله عليه وسلم
ثم نزهته عن الامر بذلك والرضاء به . ثم قال يا أبا عبدالله لا
يزال أهل الحرمين بخير ما كنت بين اظهرهم واني أخالك
أماناً لهم من عذاب الله وسطوته ولقد دفع الله بك عنهم وقعة
عظيمة فانهم ما علمت أسرع الناس الى الفتن وأضعفهم عنهـا

قاتلهم الله أنى يؤفكون. وقد أمرت أن يؤتى بعبد والله من المدينة على قتب وأمرت بضيق مجلسه والمبالغة في امتهانه ولا بد أن أنزل به من العقوبة أضعاف ما نالك منه. فقلت له عافى الله أمير المؤمنين وأكرم مثواه قد عفوت عنه لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم منك قال أبو جعفر وأنت فعفى الله عنك ووصلك. قال مالك ثم فاتحني فيمن مضى من السلف والعلماء فوجدته اعلم الناس بالناس ثم فاتحني في العلم والفقه فوجدته اعلم الناس بما اجتمع عليه وأعرفهم بما اختلفوا فيه حافظاً لما روى واعياً لما سمع: ثم قال لي: يا أبا عبدالله ضع هذا العلم ودونه ودون منه كتباً وتجنب شدائد عبدالله بن عمر ورخص عبدالله بن عباس وشواذ ابن مسعود واقصد الى اواسط الامور وما اجتمع عليه الأئمة والصحابة رضي الله عنهم لتحمل الناس ان شاء الله على علمك وكتبك ونبثها في الامصار ونعهد اليهم ان لا يخالفوها ولا يقضوا بسواها. فقلت له أصلح الله الامير ان أهل العراق لا يرضون علمنا ولا يرون في علمهم رأينا فقال أبو جعفر يحملون عليه وتضرب عليه هاماتهم بالسيف وتقطع طي ظهورهم بالسياط فتعجل بذلك وضعها

فسيأتيك محمد ابني المهدي العام القابل ان شاء الله الى المدينة
ليسمعها منك فيجدك وقد فرغت من ذلك ان شاء الله. قال
مالك فبينما نحن قعود اذ طلع له بُنيّ صغير من قبة بظهر القبة
التي كنا فيها فلما نظر اليّ الصبي فزع ثم تقهقر فلم يتقدم فقال
له أبو جعفر تقدم يا حبيبي انما هو أبو عبدالله فقيه اهل الحجاز
ثم التفت الي فقال يا أبا عبدالله أتدري لما فزع الصبي ولم يتقدم
فقلت لا فقال والله استنكر قرب مجلسك مني اذ لم يرَ به أحداً
غيرك قط فلذلك قهقر. قال مالك ثم أمر لى بالف دينار عيناً
ذهباً وكسوة عظيمة وأمر لابني بالف دينار ثم استأذنته فاذن
لى فقمت فودعني ودعا لى ثم مشيت منطلقاً فلحقني الخصي
بالكسوة فوضعها على منكبي وكذلك يفعلون بمن كسوه وان
عظم قدره فيخرج بالكسوة على الناس فيحملها ثم يسلمها الى غلامه،
فلما وضع الخصي الكسوة على منكبي انحنيت عنها بمنكبي كراهة
احتمالها وتبرءاً من ذلك فناداه ابو جعفر بلغها رحل ابي عبدالله

﴿ما قال ابو جعفر لعبد العزيز بن ابي رُواد﴾ وذكروا
ان ابا جعفر لما دخل في الطواف بالبيت لقى عبد العزيز بن ابى
رواد في الطواف فقبض على يده ثم قال له اتعرفني قال لا الا

ان قبضتك قبضة جبار فقال له انا ابو جعفر امير المؤمنين فسلني من حوائجك ما شئت اقضيها قال اسألك برب هذا البيت ان لا ترسل اليّ بشيء حتى آتيك طوعاً فقال له ابو جعفر ذلك لك فاقبل يمشي بمشيته في طوافه وكان شيخاً كبيراً ضعيفاً فتأنف بقربه وثقل عليه كلامه فقال أسألك بحرمة هذا البيت الا تنحيت عني فتنحى عنه ابو جعفر وخلى سبيله . وكان عبد العزيز بن ابي رواد هذا لا يرفع رأسه الى السماء تخشعاً لله فاقام كذلك اربعين سنة

﴿ قدوم المهدي الى المدينة ﴾ وذكروا ان مالك بن أنس لما اخذ في تدوين كتبه ووضع علمه قدم عليه المهدي بن ابي جعفر فسأله عما صنع فيما امره به ابو جعفر فاتاه بالكتاب وهي كتب الموطأ فامر المهدي بانتساخها وقرئت على مالك فلما تم قراءتها امر له باربعة آلاف دينار ولابنه بالف دينار

﴿ موت ابي جعفر المنصور واستخلاف المهدي ﴾

وذكروا انه لما كانت سنة ست وستين ومائة قدم ابو جعفر مكة فلما قضى حجه احتضر ثلاثة ايام ثم توفي في اليوم الرابع وولي ابنه محمد المهدي وكان معه يومئذ بمكة اخوه جعفر ببغداد وكان قد عهد اليه ابو جعفر فلما قفل المهدي الى بغداد اتاه رجل فقال

له ادرك اخاك جعفر فانه قدم بمنازعتك وهو يريد خلعك فاخذ في السير ومعه الجنود والاموال وصناديد الرجال من العراق ورجال العرب ووجوه قريش . فلما قدم العراق اعتذر اليه جعفر مما رفع اليه عنه وحلف له انه ما نوى ولا اراد منازعته ولا اشار الى خلافه ولا همّ به فقبل منه المهدي ذلك وعفى عنه وكان كريماً سخياً حليما . فلما كان سنة سبع وستين ومائة قدم حاجاً فدخل المدينة زائراً لقبر النبي صلى الله عليه وسلم فدخل عليه مالك فحضه على الاحسان الى اهل المدينة وحدثه بفضلها وفضل اهلها وبقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها : امرت بقرية تأكل القرى يقولون يثرب (وهي المدينة) تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد [1] ثم قال يا امير المؤمنين أفليس هؤلاء أهلا ان يعانوا على الصبر عليها وعلى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المهدي بلي والله ياأبا عبد الله حتى لاأجد الا مثل هذا ومد يده ليأخذ من الارض شيئا فلم يجده

---

(١) المعنى : امرني ربي بالهجرة الى قرية تأكل القرى تظهر عليها وتتغلب على انحائها وان اهلها تغلب أهل سائر البلاد . يقال اكلنا بني فلان غلبناهم وظهرنا عليهم وتنفي الناس أي الخبيث منهم

ثم قال صدقت فيهم وبررت وحضضت على الرشد فأنت أهل
ان يطاع أمرك ويسمع قولك فأمر له بخمسة أبيات مال
والبيت عندهم خمسمائة ألف وأمر مالكا أن يختار من تلامذته
رجالا يثق بهم ويعتمد عليهم يقسمونها على أهل المدينة
ويؤثرون أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيت
أبي بكر وعمر وعثمان ثم أهل بيوت المهاجرين والانصار ثم الذين
اتبعوهم باحسان ففعل فاغنى أهل المدينة عامهم ذلك

﴿ ذكر استخلاف هارون الرشيد ﴾ وذكروا انه لما
كانت سنة ثلاث وسبعين ومائة توفي المهدي وذلك انه
خرج يوما الى بعض المنازل ومعه أهله وبعض بنيه وكان قد
ذكر ان يستخلف ابنه عبد الله بعده ثم غفل عن ذلك وتركه
فحمل عبد الله الحرص والطيش الى ان دس على أبيه
بعض الجوارى المتمكنات منه بسمه وبذل لها على ذلك
الاموال ومناها أماني الغرور . فلما سمته ووصل اليه السم
عرف المهدي انه قد قتل فدعا كاتبه فقال له عجل واكتب
عهد هارون الرشيد وخذ بيعة الجند وأمراء الاجناد
واكتب بذلك الى ولاة الامصار وكان الرشيد أصغر بنيه وكان ابن

أمة لا يطمع في خلافة ولا يظن بها فأدخله على نفسه وهو يجود بها والرشيد لا يعلم انه مستخلف. فقال له المهدى: أى بني والله ماأردت استخلافك ولا هممت به لحداثة سنك وقد كان قال لى جدك أبو جعفر وانت يومئذ قد ترعرعت في أول رؤية رآك: ان ابني هذا الاعين سيلي هذا الامر ويسير فيه سيرة صالحة فقلت ياأبت أتظن ذلك قال ماهو بالظن ولكنه اليقين ويكون ملكا بضعا وعشرين سنة وتقتله الحمي الربع فاندفع الرشيد باكيا فقال له مايبكيك يافتى: قال: ياأبت انك والله نعيت لى نفسي وعرفتني متى أموت وبماأموت قال هو ذاك فشمر واجتهد وجد وخذ بالحزم والكرم ودع الإحن وانظر أخاك عبد الله فلا يناله منك مكروه فقد عفوت عنه فقال الرشيد يا أبت وتعفو عنه وقد اتى ما ذكرت وصنع ما وصفت قال يا بنيّ وما عليّ ان اعفو عمن اكرمني الله على يديه وارجو ان يغفر لي بصنيعته بي ان شاء الله، عليك يا بني بتقوى الله العظيم وطاعته فاتخذها بضاعة يأتيك الربح من غير تجارة. أوصيك باخوتك خيراً وأهل بيت رسول الله صلي الله عليه وسلم أقبل حسناتهم وتجاوز عن سيآتهم واغفر زلاتهم واوصيك باهل الحرمين

خيراً فقد علمت من هم وابناء من هم، اجزل لهم العطاء واحسن لهم الجزاء يكافئك الله في الآخرة والاولى . ثم توفي المهدي من يومه ذلك واستخلف الرشيد (١) وخرج الى الناس يبايعهم بوجه طلق ولسان سلط فبايعوه ببغداد وذلك يوم الخميس من المحرم سنة ثلاث وسبعين ومائة وتمت له البيعة يوم الجمعة في المسجد الجامع فلم يختلف عليه احد ولا كره خلافته مخلوق فاحسن السيرة واحكم امر الرعية وكان اوحد اهل بيته ولم يشبهه احد من الخلفاء من اهله رحمه الله

﴿ قدوم هارون الرشيد المدينة ﴾ وذكروا انه لما كانت سنة اربع وسبعين ومائة خرج هارون حاجاً الى مكة فقدم المدينة زائراً قبر النبي عليه السلام فبعث الى مالك بن أنس فاتاه فسمع منه كتاب الموطأ وحضر ذلك يومئذ فقهاء الحجاز والعراق والشام واليمن ولم يختلف منهم احد الا وحضر الموسم مع الرشيد

---

(١) ويروى عن الثقات وهو الصواب : ان المهدي عزم على خلع ابنه موسى الهادى والبيعة للرشيد بولاية العهد وتقديمه عليه فبعث اليه وهو بجرجان في القدوم عليه فامتنع وضرب الرسول فسار المهدي يريده فمات في الطريق . ثم بويع بعده للهادي ثم من بعده استخلف الرشيد ولم يكن له ابن اسمه عبدالله ولعله أراد به موسى والله أعلم .

وسمع وسمعوا من مالك موطأه الذي وضع وكان قارئه يومئذ حبيب كاتب الرشيد . فلما تم قراءته قال هارون لفقهاء الحجاز والعراق : هل انكرتم شيئاً من هذا العلم؟قالوا:ما انكرنا شيئاً الا ما ذكر من امر الدماء والتدمية في القتل فان هذا من انكر ما يكون من العلم وابطله . يقول الرجل قتلني فلان فيقبل منه ويحلف اولياؤه على القاتل خمسين يميناً ثم يقتل ولعل أولياءه لم يحضروا ولم يكونوا بمصره فيعرض بهم الحنث في الايمان فيقبل قول رجل على غيره وهو لا يقبل في ربع دانق يدعيه الا ببينة تقوم ان هذا لهو الضلال . وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذى رواه بن عباس حيث قال: لو يعطى الناس بدعواهم لادعى ناس دماء قوم واموالهم ولكنّ البينة على المدعى واليمين على من انكر . قال الرشيد ويحكم ان في كتاب الله ما يصدق ذلك ولا اخال ابا عبدالله أخذه الا من كتاب الله فاستثبتوه فارسل اليه فاقبل فقال هارون ياابا عبد الله ان اصحابنا هؤلاء لم يختلف منهم اثنان في الانكار عليك فيما وضعت في موطئك من التدمية وتصديق قول من ادعى وأنت وهم تزعمون بطل دعوى من ادعى على رجل دانقاً الا

ببينة تقوم له فاخبر القوم وأوضح لهم حجتك في ذلك وانا معك عليهم فانى لا اعلم بعد امير المؤمنين احداً اعلم منك . فقال مالك يا امير المؤمنين ان مما يصدق القَسامة ما في كتاب الله من القتل والاخذ بالدم الذي كان في بنى اسرائيل قال الله عز وجل « اضربوه ببعضها » فذبحت البقرة ثم ضربوه بعضو من اعضائها فحيي القتيل ثم تكلم فقال فلان قتلني فقتله موسى بن عمران عليه السلام بقوله ذلك وهو حكم التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلمو فالذين أسلموا محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقد حكم بالتوراة رسول الله في المرجوم اليهودي الذي زنا فرجمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكر أنس بن مالك رضي الله عنه ان يهودياً لقى جارية من جواري الانصار في بعض انقاب المدينة وعليها اوضاح من ذهب وورق فاخذ الاوضاح منها وشدخ رأسها بين حجرين فأدركت الجارية وبها رمق فاتهم بها اليهود فاتى بهم فعرضوا عليها رجلا رجلا وهي لا تتكلم حتى اتى بصاحبها الذي قتلها فعرفته فقيل لها هذا الذي قتلك فأومأت برأسها أن نعم فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فشدخ رأسه بين حجرين فهذا

يا أمير المؤمنين حكم الدماء والقسامة فيها سنة قائمة من رسول الله صلى لله عليه وسلم والخلفاء. فقنعوا منه بذلك وصاروا الي الرضاء بقوله والتصديق لروايته والتسليم لتأويل ما تأول من القرآن الكريم. ثم قال له مالك: ان اباك يا أمير المؤمنين بعث اليّ في هذا المجلس كما بعث اليّ وحدثته بما حدثتك به في شأن أهل المدينة وما يصيرون عليه من البلاء وشدة الزمان وغلاء الاسعار صبراً على ذلك واختياراً لجوار قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هارون: ذلك ابي وانا ابنه وسوف أفعل ما فعل وأمر لاهل المدينة بعشرة ابيات مال ضعفي ما امر لهم المهدي. وكان ابو يوسف القاضي مع الرشيد يومئذ فسأله ان يجمع بينه وبين مالك ليكلمه في الفقه فقال الرشيد لمالك كلمه يا ابا عبد الله فأنف من ذلك مالك وتنزه عنه وقال لهارون ها هنا من فتيان قريش من تلامذتنا من يبلغ حاجة أمير المؤمنين ويخصمه فيما يتكلم به ويذهب اليه فسر ذلك الرشيد حين اضاف ذلك الى قريش فقال من هو فقال المغيرة بن عبد الرحمن المخزومي فبعث اليه الرشيد فقال له كلمني بما بدا لك اجاوبك فقال ابو يوسف القاضي يا أمير المؤمنين ان هؤلاء يعني مالك واصحابه

يقضون بغير ما في كتاب الله يقول الله عز وجل « وأشهدوا ذَوَيْ عدلٍ منكم » وقال « وأشهدوا شهيدين من رجالكم » وهؤلاء يقضون باليمين مع الشاهد ولا تسمع ان الله تعالى ذكر الا شاهدين وأربعة شهداء ولم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قضى به وانما يدور هذا الحديث الذي روي فيه سهيل عن ابي صالح عن ابيه ثم نسيه سهيل فكان يحدث ويقول حدثني ربيعة عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى باليمين مع الشاهد فلما نسيه سهيل بطل الخبر واثبت أصله فلا معنى لذكره قال المغيرة قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقضي به عليّ بالكوفة. فقال ابو يوسف : انا اكلمك بالقرآن وأنت تكلمني بافعال الناس اتراك تعرفني بهذا وبما قضى به عليّ وغيره فقال المغيرة فأنت كافر بنبي قضي باليمين مع الشاهد أو مؤمن به فسكت ابو يوسف فحجه المغيرة . فسر بذلك الرشيد وأمر للمغيرة بالف دينار. ثم ارسل الرشيد الى مالك فقال ما تقول في هذا المنبر فاني اريد ان انزع ما زاد فيه معاوية بن ابي سفيان وارده الى الثلاث درجات التي كانت بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك لا تفعل يا امير المؤمنين فانما

هو من عود ضعيف قد تخرمته المسامير فان نقضته تفكك وذهب أكثره ومع هـذا انه يا امير المؤمنين لو اعدته الى ثلاث درجات لم آمن عليه ان ينتقل عن المدينة يأتي بعدك احد فيقول او يقال له ينبغي لمنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكون معك حيث كنت فانما المنبر للخليفة فينتقل كما انتقل من المدينة كلما كان بها من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعلم انه ترك له عليه الصلاة والسلام بها لا نعل ولا شعر ولا فراش ولا عصاة ولا قدح ولا شيء مما كان له ها هنا من آثاره الا وقد انتقل . فاطاعه الرشيد وانتهى عن ذلك برأي مالك بن أنس وكان ذلك رحمة من الله لاهل المدينة وتثبيتاً لمنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم

﴿ مسير الرشيد الى الفضل بن عياض ﴾ وذكروا ان الرشيد كان كثيراً ما يتأثم فيحضر مجالس العلماء بالعراق وهو لا يعرف . وكان قد قسم الايام والليالي على سبع ليال : فليلة للوزراء يذاكرهم أمور الناس ويشاورهم في المهم منها وليلة للكتاب يحمل عليهم الدواوين ويحاسبهم عما لزم من أموال المسلمين ويرتب لهم ما ظهر من صلاح أمور المسلمين وليلة

للقواد وأمراء الاجناد يذاكرهم أمر الامصار ويسألهم عن الاخبار ويوقفهم على ما تبين له من صلاح الكور وسد الثغور . وليلة للعلماء والفقهاء يذاكرهم العلم ويدارسهم الفقه . وكان من أعلمهم . وليلة للقراء والعباد يتصفح وجوههم ويتعظ برؤيتهم ويستمع لمواعظهم ويرقق قلبه بكلامهم . وليلة لنسائه وأهله ولذاته يتلذذ بدنياه ويأنس بنسائه . وليلة يخلو فيها بنفسه لا يعلم أحد قرب أو بعد ما يصنع ولا يشك أحد انه يخلو فيها بربه يسأله خلاص نفسه وفكاك رقه . فبينما هو يوماً في مجلس محمد بن السماك وقد قصد لرؤيته يسمع لموعظته ولا يعلم أحد بمكانه فسمع بعض أهل المجلس يذكر الفضل بن عياض ويصف فضله وعبادته وعلمه وورعه فاشتهى النظر اليه وتاقت نفسه الى رؤيته ومحادثته فتوجه من العراق الى الحجاز قاصداً اليه ومعه عبدالله بن المبارك فقيه أهل بغداد وعالمهم وكان الفضل ابن عياض يسكن العراق فلما قربا من موضعه قال عبدالله بن المبارك يا أمير المؤمنين ان الفضل ان عرفك وعرف مكانك لم يأذن لك عليه ويسفر عنك فقال هارون تستأذن أنت عليه وتخفي مكاني عنه حتى يأذن بالدخول . فاستأذن عليه ابن

المبارك قال الفضل من بالباب قال ابن المبارك .قال مرحباً
يا أخي وصاحبي فقال ابن المبارك ومن معي يدخل فقال الفضل
ومن معك قال رجل من قريش فقال الفضل لا أذن لا حاجة
لي برؤية أحد من قريش فقال له ابن المبارك انه من العلم
والعناية والفقه فيه بمكان فقال له الفضل أو ما علمت ان ابليس
أفقه الناس فقال له ابن المبارك انه سيد قريش في زمانه هذا
وفوقهم وانما عنّ انه فوقهم في الدنيا وسيدهم فقال له الفضل
فان كان كما تقول فليدخل فدخل الرشيد فسلم عليه ثم جلس
بين يديه فتحدثوا ساعة فقال له ابن المبارك يا أبا الحسن
أتدري من هذا قال لا أدري فقال له هذا هارون بن محمد
الرشيد أمير المؤمنين فنظر اليه الفضل بن عياض ساعة ثم قال
هذا الوجه الجميل يسأل غداً عن أمة محمد ويؤاخذ بها لئن كان
العفو والغفران يسعك مع ما أنت فيه ان هذا لهو الفضل المبين .
وكان الرشيد من أجمل الناس خلقاً وأحسنهم نطقاً، وأبلغهم لساناً
وأعذبهم كلاماً ، وأكثرهم علماً وفهماً . ثم جعل الفضل بن عياض
يعظه ويخوفه حتى بكى هارون بكاءً شديداً : قال : ابن المبارك ما
رأيت أحداً يبكي بكاء الرشيد يومئذ ثم أفاق من بكائه فجعل

الفضل يذكر مثالبه ومثالب أهل بيته ورداءة سيرتهم وخلافهم الحق ثم لم يدع شيئاً يعيبه به ولا أمراً ينتقصه فيه الا واستقبله به فقال له الرشيد يا أبا الحسن أما لك ذنوب تخاف أن تهلك بها ان لم يغفرها الله لك فقال الفضل بلى فقال الرشيد فما جعلك باحق أن ترجو المغفرة مني وأنا على دين يقبل الله فيه الحسنات ويعفو عن السيآت ومع ذلك فاني والله ما كنت لأخير بين شيء وبين الله الا اخترت الله تعالى على ما سواه ، الله الشاهد على قولي والمطلع على نيتي وضميري وكفى به شهيداً . وأنا مع هذا ألي من الاصلاح بين الناس والجهاد في سبيل الله والامر بالمعروف والنهي عن المنكر مالا تليه أنت فما جعلك أحق أن ترجو المغفرة مني فسكت الفضل ساعة ثم قال ما ظلمك من خجلك ثم قام هارون للخروج فقال الفضل يا أمير المؤمنين اني أخشى أن يكون العلم قد ضاع قبلك كما ضاع عندنا فقال الرشيد أجل انه ما قلت فلما قدم الرشيد العراق كان أول ما ابتدأ فيه النظر ان كتب الى الامصار كلها والى أمراء الاجناد أما بعد فانظروا من التزم الاذان عندكم فاكتبوه في الف من العطاء ومن جمع القرآن

وأقبل على طلب العلم وعمر مجالس العلم ومقاعد الادب. فاكتبوه في الفي دينار من العطاء ومن جمع القرآن وروى الحديث وتفقه في العلم واستبحر فاكتبوه في أربعة آلاف دينار من العطاء وليكن ذلك بامتحان الرجال السابقين لهذا الامر من المعروفين به من علماء عصركم وفضلاء دهركم فاسمعوا قولهم وأطيعوا أمرهم فان الله تعالى يقول « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم » وهم أهل العلم. قال ابن المبارك: فما رأيت عالماً ولا قارئاً للقرآن ولا سابقاً للخيرات ولا حافظاً للحرمات في أيام بعد أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيام الخلفاء والصحابة أكثر منهم في زمن الرشيد وأيامه لقد كان الغلام يجمع القرآن وهو ابن ثمان سنين. ولقد كان الغلام يستبحر في الفقه والعلم ويروي الحديث ويجمع الدواوين ويناظر المعلمين وهو ابن احدى عشرة سنة

﴿ ذكر الحائك المتطفل ﴾ وذكروا ان الرشيد لما انصرف من الحجاز وصار بالرقة قال لوزيره عمرو بن مسعدة ما زلت تكامني وتستلطفني في الرجحي حتى وليته الاهواز فقعد في سرة الدنيا يأكلها خضماً وقضماً ولم يوجه الينا درهماً

فاخرج اليه من ساعتك هذه حتى تحل ساحته ثم لا تدع له حرمة الا انتهكتها ولا اكرومة الا اهنتها ثم لا تسمع له حجة يرفعها ولا تقبل منه كلمة ينهيها ، إن اعتذر فلا تقبل له عذراً ، وان قال فلا تقبل له قولا فشر قائل واكذب متظلم فقلت في نفسي أبعد الوزارة أصير مستحثا على عامل خراج ولكن لم أجد بداً من طاعة أمير المؤمنين اذ كانت ولايته بسببي فقلت أخرج يا أمير المؤمنين قال فاحلف انك لا تلبث في بغداد الا يوماً فحلفت له ثم انحدرت الى بغداد ثم خرجت فلما صرت بين دير هرقل وبين دير العاقول اذا رجل يصيح يا ملاح رجل منقطع فقلت للملاح قرب الى الشط فقال يا سيدي هذا رجل شحاذ وان قعد معك آذاك فلم يلتفت اليه وامرت الغلمان فادخلوه فقعد فلما حضر الغداء دعوته فكان يأكل أكل جائع بنهامة الا انه نظيف الاكل فلما رفع الطعام اردت ان يقوم ويغسل يديه في ناحية فلم يفعل فغمزه الغلمان فلم يفعل فتشاغلت عنه ليقوم ثم قلت له يا هذا ما صناعتك قال لى حائك فقلت في نفسي هذه شر من الأولى ما ألوم غير نفسي اذ لم أقبل ممن نصحني وصرت اواكل

الحوكة فقلت توضأ يا أخي فتوضأ ثم قال لي جعلت فداك قد سألتني عن صناعتي فما صناعتك أنت فقلت في نفسي هذه شر من الاولى وكرهت ان اذكر الوزارة وقلت اقتصر على الكتابة فقلت له كاتب فقال ان الكتابة على خمسة اصناف كاتب رسائل يحتاج ان يعرف الفصل من الوصل والصدور ورقيق الكلام والتهاني والتعازي والترهيب والترغيب والمقصور والممدود وجملا من العربية وكاتب جند يحتاج الى ان يعرف حساب التقدير وشيات الدواب وحلي الناس ونعوتهم وكاتب قاضي يحتاج ان يكون عالماً بالشروط والاحكام عارفاً بالناسخ والمنسوخ من القرآن والحلال من الحرام والفروع والمواريث وكاتب شرطة يحتاج ان يكون عالماً بالجروح والقصاص والديات فقيهاً في احكام الدماء عارفاً بدعوى التعدي وكاتب خراج يحتاج ان يعرف الزرع والمساحة وضروب الحساب فايهم انت اعزك الله ؟ قلت : فوالله ماقضى كلامه حتى صار أعظم الناس في نفسي وأحبهم الى وصار كلامه عندي اشهى من الماء البارد العذب على الظمآن . فقلت له اصلحك الله تقدم الي وادن مني اكلمك واقعدك المقعد الذي يقعده مثلك فلولا ان من البر يكون

عقوقاً لا قعدتك مقعدي هذا: قال: مقعدي الذي انا به أولى بي.
فقلت امتع الله ابك انا كاتب رسائل قال فاخبرني لو كان لك صديق
تكتب اليه في المحبوب والمكروه وجميع الاسباب فتزوجت
أمه كيف كنت تكتب اليه تهنئه أم تعزيه؟ قلت: والله ما أدري
كيف الوجه في هذا وهو بالتعزية أولى منه بالتهنئة قال صدقت كيف
كنت تعزيه فقلت والله ما اقف على ماتقول قال: فلست بكاتب
رسائل فأيهم أنت؟ قلت كاتب خراج قال فما تقول أصلحك الله
وقد ولاك السلطان عملا فبثثت عمالك فيه فجاء قوم يتظلمون
من بعض عمالك فاردت ان تنظر في امرهم وتنصفهم اذا كنت
تحب العدل وتؤثر حسن الاحدوثة وطيب الذكر وكان لاحدهم
براح فاردت مساحته كيف كنت تمسحه قلت اضرب العطوف
في العمود وانظر الى مقدار ذلك قال اذاً تظلم الرجل قلت
فامسح العمود على حدته قال اذاً تظلم السلطان قلت والله ما
ادري قال لست بكاتب خراج فايهم أنت قلت كاتب جند قال
فما تقول في رجلين اسم كل واحد منهما احمد احدهما مقطوع
الشفة العليا والآخر مقطوع الشفة السفلي كيف كنت تنعتهما
تحليهما فقلت: كنت اكتب أحمد الأعلم واحمد الاعلم قال

فكيف يكون هذا ورزق هذا مائتا درهم ورزق ذاك الف درهم فيقبض هذا عطاء ذاك وذاك عطاء هذا فتظلم صاحب الالف . قلت والله ما أدري قال فلست بكاتب جند فايهم أنت قلت كاتب قاضي قال فما تقول في رجل خلف سرية وزوجة وكان للزوجة بنت وللسرية ابن فلما كان تلك الليلة التي مات الرجل أخذت الحرة ابن السرية فادعته وجعلت ابنتها مكانه فتنازعتا فيه فقالت هذه ابني وقالت هـذه ابني كيف كنت تحكم بينهما وأنت خليفة القاضي ؟ فقلت والله ما أدري . قال فلست بكاتب قاضى فايهم أنت فقلت كاتب شرطة قال فما تقول في رجل وثب على رجل فشجه شجة موضحة فوثب عليه المشجوج فشجه شجة مأمومة كيف كنت تفتي بينهما فقلت ما أعلم قال فلست بكاتب شرطة . فقلت: أصلحك الله قد سألت ففسر لي ماذكرت : فقال: أما الذي تزوجت أمه فتكتب اليه : أما بعد فان أحكام الله تجري بغير محاب المخلوقين والله يختار للعباد فخار الله لك في قبضها اليه فان القبر أكرم لها والسلام . وأما البراح فتضرب واحداً وثلثاً في مساحة المعطوف فمن ثم بابه ، وأما احمد واحمد فتكتب حليـة المقطوع الشفة الى

الاعلم والمقطوع الشفة السفلي أحمد الاشرم، وأما المرأتان فيوزن لبن هذه ولبن هذه فايهما كان أخف فهي صاحبة البنت . وأما صاحب الشجة فان في الموضحة خمساً من الابل وفي المأمومة ثلاثاً وثلاثين وثلثاً فيرد صاحب المأمومة ثمانية وعشرين وثلثاً .

فقلت أصلحك الله فما اتى بك هاهنا قال ابن عم لي كان عاملا على ناحية فخرجت اليه فألفيته معزولا فقطع بي فأنا خارج اضطرب في المعاش . قلت الست قد ذكرت انك حائك؟ فقال: جعلت فداك انما احوك الكلام ولست بحائك الثياب . قال فدعوت المزين فاخذ من شعره وأدخل الحمام وطرحت عليه من ثيابي فلما صرت الي الأهواز كلمت فيه الرجحي فأعطاه خمسة آلاف درهم ورجع معي فلما صرت الى امير المؤمنين ألفيته قد توقد على ناراً وامتلأ غيظاً وقد حلف بالمشي الى الكعبة ان ينالني منه يوم سوء لطول مقامي واشتغالي عنه بالرجل فلما دخلت عليه قال ما كان من خبرك في طريقك وما الذي شغلك بعد امري لك ان لا تلبث ببغداد الا يوماً واحداً ويمينك على ذلك؟ فاخبرته خبري حتى حدثته بحديث الرجل وقصتي معه

...حدثني باعظم الفوائد فلاي شيء يصلح ويحك قلت هو

والله يا امير المؤمنين أعلم الناس بالفقه والعلم والحلال والحرام والهندسة والفلسفة والحساب والكتابة . فولاه هارون البناء والمرمة والمهم من الامور وأولاه على عمال الخراج يتقاضاهم ويحاسبهم فكنت والله القاه في المواكب العظيمة فينحط عن دابته ساعياً حتى يقبل على يدي يقبلها فأحلف عليه فيقول سبحان الله انما هذه نعمتك وبك نلتها: ويقول :

فلو ان للشكر شخصاً يرى * اذا ما تأمله الناظر
لمثلته لك حتى ترا * ه فتعلم أني امرؤ شاكر

قال عمرو بن مسعدة: ثم قال لي هارون ويحك لما ابطأت علي حلفت بالمشي الى الكعبة ان ينالك مني يوم سوء ولا والله ما هذا جزاؤك لدي فما الرأي فقلت يا أمير المؤمنين انت أعلى عيناً وأولى من بر يمينه فقال والله ما اريد ذلك قلت فليكفر امير المؤمنين يمينه فان النبي عليه السلام قال : من حلف على يمين فرأى خيراً منها فليكفر وليأت الذي هو خير . فقال :ويحك ان العلماء لم يروا الكفارة في هذا وانما تأولوا قوله عليه السلام في الايمان بالله تعالى وقد اجمعت على المشي والمضي الى الكعبة راجلا فقلت انى لك بذلك وكيف تصل راجلا. قال لا بدّ من

ذلك فقال عمرو يا امير المؤمنين فامهل عاملك هذا وتأنّ حتى اسهل لك طريقاً واجدد لك مراحل واوقت لك مواقيت يسهل عليك ذلك ان شاء الله قال ذلك لك. فامر عمرو بالانهار فعرجت عن مسيلها وبالآكام والجبال فسويت وبالخنادق والاودية فردمت حتي صارما بينه وبين مكة كالراحة الموزونة وصارت الانهار والاودية تسايره على طريقه ثم صنع له مراحل قد حدد له عند كل مرحلة حداً وابتني في كل مرحلة داراً وكانت المرحلة بريداً قدرها اثنا عشر ميلا ثم امر بالمراحل ففرشت بالبسط الرهاوية ونصب له جداراً بالستور وسمكها باكسية الخز الرفيع الملون وقد ضرب عند كل فرسخ قبة مزوقة قد اقام فيها الفرش الممهدة وقد احاط بها الظلال الممدة بالرواقات الكثيفة فيها أنواع الطعام والشراب وألوان الفواكه . فلما تم صنعه ذلك وابرم أمره قال يا أمير المؤمنين قد تم ما أردته وكمل ماحاولته فانهض على اسم الله العظيم . وكانت زبيدة زوجته التي قد أغرته عليه وحملته على اليمين لمعاقبته فخرج الرشيد ماشيا ومعه دابته وزبيدة فكانت المرحلة تفرش والستور تنصب والسمك ترفع فيمشي ثلاثة أميال ثم ينزل في قبة أمامها

رواق فينال راحته ويصيب ما اشتهى من لذة في مأكل ومشرب
ثم ينهض ثلاثة أخرى فينزل على مثل ذلك فاذا استكمل
مشى أربع فراسخ نزل في قصر قد شيد له ودار قد بنيت فيها
حمام طيب ينال فيها راحته مع أهله ويصيب لذته مما شاء وكيف
شاء ثم يكسر فيه يوما ثم يخرج في اليوم الثاني الى مثل ذلك
قد شايعه في طريقه الوزراء والقواد وأمراء الاجناد والعلماء
والفقهاء والجنود والعساكر قد صاروا منه بمعزل يحاذونه في
طريقه. اذا نزل في الرواق صار الخصيان حوله بحيث يسمعون
كلامه ولا يرون شخصه فلا يشتهي شيئا من معرفة أخبار
الامصار والبلدان الا وخط فيه كتابا يامر فيه بايصاله لحيث
شاء من الاماكن مسيرة الايام والليالي فيأتيه الجواب من
يومه على النجائب من مسيرة ثمانية أيام ويأتيه الجواب من
يومه من مسيرة شهر ونحوه على أجنحة الحمام، يعلق الكتاب
في جناحه فيرتفع في الجوّ ارتفاعا يغيب شخصه عن من في
الارض وينقض على وطنه وموضع فراخه فاذا نزل لا يستقر
نزوله حتى يؤخذ الكتاب من جناحه فيجاوب بما أحب ثم
يسرح غيره فيرتفع في الجو حتى يوازي وطنه وموضعه من

بعد تلك الاماكن التي عليها طريق أمير المؤمنين فيؤخذ الجواب منه وقد صار الموكلون بذلك لايهتمون بغير ماقلدوا ولا يتشاغلون بغير ماحملوا فلم يزل كذلك ماشيا حتى وصل الى مكة في ثلاثة أشهر فقضى حجه وشهد مناسكه ومشاعره ثم انصرف قافلا الى بغداد وذلك فى آخر شهر ذى الحجة من سنة ثمانين ومائة . فلما هم بالانصراف وذكر القفول الى العراق رفع اليه أهل مكة كتابا يسألونه فيه ان يولى عليهم قاضيا عدلا فادخلهم على نفسه فقال ان شئتم فاختاروا منكم رجلا صالحا أوليه قضاءكم وان أحببتم بعثت اليكم من العراق رجلا لاألوكم فيه الا خيرا فخرجوا فاختاروا رجلا فاختلفوا فيه فاختارت طائفه منهم رجلا واختارت أخري رجلا آخر فلما اختلفوا ارتفعوا الى الرشيد يذكرون اختلافهم فقال لهم هارون ادخلوا عليّ هذين الرجلين اللذين اختلفتم فيهما فاذا برجلين أحدهما شيخ من قريش والآخر غلام حدث من الموالي فلما نظر اليهما الرشيد قال للشيخ ادن مني فدنا منه فقال له الرشيد : أيها القاضى ان بيني وبين وزيري هذا خصومة وتنازعا فاقض بيننا بالحق فقال الشيخ: قصا عليّ قصتكما فقصا

عايه فقال الشيخ تقيم البينة ياأمير المؤمنين على ماذكرته أو
يحلف وزيرك هذا فقال له هارون ان أخي لا يدافعني ماأقول
ولا ينكر الا قليلا مما ادعى فلم يزالا يترددان القول بينهما
ويتنازعان حتى قضى القاضى لامير المؤمنين على الوزير فقال
له قم فقام عنه . ثم دعا بالغلام الحدث الذي دعته الطائفة
الاخري فدخل عليه فقال له ادن مني فدنا منه فقال له هارون
ان بيني وبين وزيري تنازعا وخصومة فاسمع منا قولنا ثم اقض
بيننا بالحق . قال لهما: ان مقعدكما مختلف ومجلسكما متنائى
واخشى اذا اختلف مجلسكما ان يختلف قولكما فاذا تفاضل
مجلس الخصوم اختلف بينهما القول وكان صاحب المجلس
الارفع ألحق بحجته وادحض لحجة صاحبه وكان اصغاء الحاكم
الى صاحب المجلس الارفع أكثر واليه أميل ولكن تقومان
من مجلسكما هذا الذى قد استعليتما فيه فتجلسا بين يدي ثم
أسمع منكما قولكما واقضي لمن رأيت الحق له ثم لا ابالي على
من دار منكما . فقال الرشيد صدقت وبررت في قولك فقام
الرشيد وقام عمرو بن مسعدة حتى صارا بين يديه جالسين فلما
جلسا بين يديه ذهب الرشيد ليتكلم فقال له القاضي لو تركت

هذا يتكلم فانه أسن منك فقال الرشيد ان الحق اسن منه
فقال القاضي بلي ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لحويّصة ومُحيّصة كبّر كبر. يريد ليتكلم عمكما لانه أسن منكما
واكبر فتكلم عمرو بن مسعدة ثم تكلم الرشيد وتنازعا الخصومة وترافعا
الحجة بينهما حتى رأى القاضي ان الحق لعمرو فقضى له به على
الرشيد فلما قضى عليه قال لهما عودا الى مجلسكما فعادا فعجب الرشيد
من قضائه وعدله واحتفاظه وقلة ميله فالتفت الى عمرو فقال ان هذا
أحق بقضاء القضاة من الذي استقضيناه فقال عمرو بلي والله
ولكن القوم أحق بقاضيهم الا أن يأذنوا فيه فدعا الرشيد
برجال مكة فادخلهم على نفسه واجزل لهم العطاء وأحسن على
قاضيهم الثناء ثم قال لهم هل لكم أن تأذنوا اوليه قضاء القضاة
فيسير الى العراق يقضي بينهم فقالوا نعم يا أمير المؤمنين أنت
احق به نؤثرك على انفسنا. فارسل اليه الرشيد فقال انى قد
وليتك قضاء القضاة فسر الى العراق لتقضى بينهم وتولى
القضاة في البلدان والامصار من تحت يدك وتوليتهم اليك
وعزلهم عليك فقال القاضي ان يجبرني أمير المؤمنين على ذلك
فسمعاً وطاعة وان يخيرني في نفسي اخترت العافية وجوار هذا

البيت الحرام فقال الرشيد ماينبغي لي ان ادع المسلمين وفيهم مثالك لا أوليه عليهم فخذ على نفسك فانى مصبح على ظهر ان شاء الله . فخرج الرشيد ومعه الفتى حتى قدم العراق فولاه القضاء وجعل اليه قضاء القضاة فلم يزل بها قاضياً حتى توفي وذلك بعد ثلاثة اعوام من توليته . فلما توفي اغتم الرشيد وشق عليه فجعل الناس يعزونه فيه علما منهم بما بلغ منه الغم عليه . فسأل عن قاضي يوليه قاضي القضاة والعراق بعد ذلك فرفعت اليه تسمية عشرة رجال من خيار الناس وعلمائهم وأشرافهم فلما رفعت اليه التسمية امر بهم فادخلوا عليه رجلا رجلا ليتفرس فيهم من يوليه القضاء فنظر الى رجل منهم توسم فيه الخير والعلم فامر به فقدم اليه فلما صار بين يديه قال له: ما اسمك ؟ قال معشوق قال فما كنيتك قال: ابو الهوي . قال فما نقش خاتمك قال: دام الحب دام وعلى الله التمام . فقال له قم لا قمت ثم دعا بالآخر وكان قد تفرس فيه ماتفرس في صاحبه فقال له مانقش خاتمك فقال «مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين» فقال له اخرج . فدعا الرشيد يحيي بن خالد بن برمك وكان ممن رفع اليه اسماءهم فعنفه بهم وقال رفعت اليّ اسماء المجانين قال له والله ما في العراقيين أعقل من الرجلين اللذين

سألت ولا أفضل منهما فقال ويحك اني اختبرت منهما جنوناً قال يحيي انهما والله كانا كارهين لما دعوتهما اليه وانما ارادا التخلص منك قال ويحك اعدهما علي فطلبا فلم يوجدا ٠

﴿ ذكر الاعرابي مع هارون الرشيد ﴾ وذكروا ان أعرابياً قدم على هارون الرشيد مستجدياً فاراد الدخول عليه فلم يمكنه ذلك فلما رأى انه لم يؤذن له اتى عبد الملك بن الفضل الحاجب فقال له توصل كتابي هـذا الى امير المؤمنين وكان الرشيد قد عهد الى حاجبه ان لا يحبس عليه كتاب احد قرب أو بعد فاعطاه الاعرابي كتاباً فيه أربعة أسطر ٠ السطر الاول فيه : الضرورة والامل قاداني اليك ٠ والثاني: العدم يمنع من الصبر والثالث: الانقلاب عنك بلا فائدة شماتة الاعداء ٠ والرابع: فاما نعم مثمرة واما لا يائسة مريحة ٠ فلما وصل الكتاب الى الرشيد قال: هذا رجل قد ساقته الحاجة ووصلت اليه الفاقة فليدخل فدخل فقال له الرشيد ارفع حاجتك وحوائجك تقض كلها فقال الاعرابي: تأمر لي يا أمير المؤمنين بكلب اصيد به فضحك الرشيد ثم قال له قد أمرنا لك بكلب تصيد به فقال تأمر لي يا أمير المؤمنين بدابة اركبها فقال الرشيد قد امرنا لك بدابة

تركبها فقال تأمر لي يا أمير المؤمنين بغلام يخدم الدابة فقال له-
الرشيد قد أمرنا لك بغلام. قال الاعرابي : تأمر لي ياأمير
المؤمنين بجارية تطبخ لنا الصيد وتطعمنا منه فقال الرشيد قد
أمرنا لك بجاريتين جارية تؤنسك وجارية تخدمك فقال
الاعرابي لا بد لهؤلاء من دار يسكنونها فقال له الرشيد قد
أمرنا لك بدار قال الاعرابي ياأمير المؤمنين يصيرون فيهاعالة
وعليّ كلالة لا بد لهم من ضيعة تقيمهم فقال له الرشيد قد
اقتطعتك مائة جريب عامرة ومائة جريب غامرة فقال
الاعرابى وما الغامرة ياأمير المؤمنين قال الرشيد غير معمورة
تأمر بعمارتها فقال الاعرابي انا أقطعتك الف الف جريب من
أرض أخوالي بني أسد بالحجاز تأمر بعمارتها فضحك الرشيد
وقال قد أقطعتكهاعامرة كلها ثم قال الرشيد تمت حوبجاتك
كلها ياأعرابي. فقال نعم وبقيت حاجتى العظمى فقال له الرشيد
ارفعها تقض فقال أقبل رأسك ياأمير المؤمنين فقال له الرشيد-
هذا لاسبيل اليه فقال الاعرابى أتمنعني حقا هو لي وتدفعني
عما بذلت لي ياأمير المؤمنين فقال الرشيد هذا الامر لا يكون
يااعرابي ولا سبيل الى مثل هذا فقال الاعرابي لا بد من ان

أصل الي حق الا أن أغصبه فقال له الرشيد ياأعرابي اشتري منك هذا الحق الذي وجب لك فقال له الاعرابي هذا الحق مما لا يشتري وهل في الارض من المال مايكون ثمنا لهذا أو عوضا منه لا والذي نفسي بيده مافي الدنيا صفراء ولا بيضاء يشتري بها هذا فقال الرشيد تبيعه ببعض ماتراه من الثمن فانه لايكون ولا يتوصل اليه فقال له الاعرابي فاذا قد أبيت فاعطني مما أعطاك الله فامر له بمائة الف دينار فأتي بها اليه فقال الاعرابي ما هذه فقيل له هذه مائة الف دينار تأخذها فقال الاعرابي هي للغرماء عليّ وهم أولى بها مني . فضحك الرشيد ثم أمر له بمائة الف أخرى فقال ما هذه فقيل له مائة الف ثانية والاولى للغرماء وهذه لك فقال الاعرابي هذه لضعفاء أهلي يصلهم بها أمير المؤمنين فبما اوسع على نفسي فأمر له الرشيد بمائة الف ثالثة فقيل له هذه مائة الف ثالثة توسع بها على نفسك في معيشتك ارضيت يا اعرابي فقال نعم رضيت فرضي الله عنك يا أمير المؤمنين وابني فضالة يقرأ السلام عليك ويسألك مائة الف يستعين بها في نكاحه ويتزين بها في دنياه وانه قد جمع القرآن وعرف شرائعه واحكامه وعلم ناسخه ومنسوخه وتفنن

في ضروب من العلم واحكم انواع الادب وقد جمع الدواوين
والكتب وتبحر في فهم الحديث والاثر، قداخذ من كل علم
اهذبه ومن كل ضرب امحضه الى لب لبيب وعقل رصين وعلم
ثابت ونظر عجيب وفضل ودين يصوم النهار كله ويقوم الليل
اكثره وقد صار في كثير من الاهل والعيال وعدد من البنين
والصبيان فقال الرشيد اولست تذكر يا اعرابي انه يريد
الاستعانة على النكاح والتوسع في المعاش ثم اراك تصفه بكثرة
العيال وعدد البنين والصبيان فقال الاعرابي يا أمير المؤمنين
انه ذو ثلاث نسوة من حرائر النساء وتسعة من سرائر الاماء
وهو ذو خمسة من الولد من كل حرة وذو سبع بنات من كل
امة ويبتغي نكاح الرابعة الحرة استتماماً لما امر الله به في التنزيل
المحكم واباح في كتابه الناطق بكلامه الصادق فقال الرشيد
يا اعرابي لقد سألت كثيراً فهلا سألت مائة الف درهم فيعطاها
قال الاعرابي فاعطه يا أمير المؤمنين تسعين الف دينار واحطط
عنك عشرة آلاف دينار فقال الرشيد والله لقد سألت كثيراً
وحططت قليلا قال الاعرابي انما سألتك يا أمير المؤمنين على
قدرك وحططت على قدري فاختر ما شئت فقال الرشيد يا

اعرابي انما تريد مغالبتي لاغلبتني اليوم فامر له بمائة الف دينار ذهباً فقال له امير المؤمنين ارضيت يا اعرابى فقال ما بقي لي شيء يا امير المؤمنين الا الحملان والكسوة وطرائف الكوفة وتحف البصرة وجوائز الضيافة وحقها فقال الرشيد وما يصلح لك من الحملان يا اعرابي . فقال: اقصد ما يكون دابة للجمال واخرى للحملان وثلاثة للاسترسال ولابني مثل ذلك ومن الكسوة ما لا بد منه من ثياب المهنة والاستشعار وما لا غنى عنه من الوطاء والدثار مع زائغ الثياب التى تكون للجمال والجماعات والاعياد ولابني وبني ابني مثل ذلك . فدعا الرشيد بجعفر بن يحيي وقال ارحني من هذا وأمر له بما سأل من الحملان وما اراد من ثياب المهنة والجمل واغدق عليه من التحف والطرائف ما ترضيه بها واخرجه عني فخرج جعفر فامر له بما سأل واعطاه ما اراد . ثم انصرف الاعرابى راجعاً الى الحجاز باموال عظيمة لايوصف اكثرها ولايعرف اقلها وكل هذا يقل عند ما عرف من جود الرشيد وسخائه وجزيل عطائه

﴿ قتل جعفر بن يحيي بن برمك ﴾ قال عمرو بن بحر الجاحظ حدثني سهل بن هارون: قال : والله كان سجاعو الخطب ومحبرو

القريض اميالا على يحيي بن خالد بن برمك وجعفر بن يحيي . ولو كان كلام يتصور دراً، ويحيله المنطق السريّ جوهراً لكان كلامهما والمنتقى من لفظهما، ولقد كانا مع هذا عند كلام الرشيد في بديهته وتوقيعاته في اسافل كتبه عيين ، وجاهلين اميين ولقد عبرت معهم و ادركت طبقة المتكلمين في ايامهم وهم يرون أن البلاغة لم تستكمل الا فيهم ولم تكن مقصورة الا عليهم ولا انقادت الالهم وانهم محض الانام، ولباب الكرام وملح الايام عتق منظر ، وجودة مخبر، وجزالة منطق وسهولة لفظ ونزاهة نفس واكتمال خصال حتى لو فاخرت الدنيا بقليل أيامهم والمأثور من خصالهم كثير أيام من سواهم من لدن آدم أبيهم الى نفخ الصور وانبعاث أهل القبور حاشا أنبياء الله المكرمين وأهل وحيه المرسلين لما باهت الابهم ، ولا عولت في الفخر الا عليهم ، ولقد كانوا مع تهذيب أخلاقهم وكريم اعراقهم وسعة آفاقهم ورفق ميثاقهم ومعسول مذاقهم وسنا أشراقهم ونقاوة أعراضهم وطيب اغراضهم واكتمال خلال الخير فيهم الى ملء الارض مثلهم في جنب محاسن المأمون كالنفثة في البحر ، وكالخردلة في المهمه القفر . قال سهل :اني

لمحصل أرزاق العامة بين يدى يحيى بن خالد في داخل سرادقه وهو مع الرشيد بالرقة وهو يعقدها جهلا بكفه اذ غشيته سامة وأخذته سنة فغلبته عيناه فقال ويحك ياسهل طرق النوم شفري عيني وأطلت السنة خواطري فما ذاك ؟ قلت : طيف كريم ان أقصيته أدركك وان غالبته غلبك وان قربته روحك وان منعته عنتك وان طردته طلبك . فنام أقل من فواق بكيه أو نزح رَكيَّة ثم انتبه مذعوراً فقال يا سهل لامر كان ذهب والله ملكنا وذل عزنا وانقطعت أيام دولتنا فقلت وما ذاك أصلح الله الوزير . قال كأن منشداً أنشدني :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر

فأجبته عن غير روية ولا اجالة فكر :

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا * صروف الليالى والجدود العواثر

فوالله مازلت أعرفها فيه وأراها ظاهرة منه الى الثالث من يومه وانى لفي مقعدي ذلك بين يديه اكتب توقيعات في أسفل كتبه لطلاب الحوائج اليه قد كلفني اكمال معانيها باقامة الوزن فيها اذ وجدت رجلا ساعياً اليه حتى أومأ مكبا عليه فرفع رأسه وقال مهلا ويحك ماأكتتم خيرا ولا أستر

شراً قال له قتل أمير المؤمنين الساعة جعفراً قال أو فعل قال نعم فما زاد أن رمي بالقلم من يده وقال هكذا تقوم الساعة بغتة . قال سهل : فلو انكفأت السماء على الارض ما تبرأ منهم الحميم واستبعد عن نسبهم القريب وجحد ولاءهم المولى واستعبرت لفقدهم الدنيا فلا لسان يخطر بذكرهم ولا طرف ناظر يشير اليهم . وضم يحي وبقية ولده والفضل ومحمداً وخالداً بنيه وعبد الملك ويحي وخالداً بني جعفر بن يحي . والعاصي ويزيداً ومعمراً بني الفضل بن يحي . ويحي وجعفراً وزيداً بني محمد بن يحي . وابراهيم ومالكا وجعفراً وعمرو بني خالد بن يحي ومن لف لفهم أو هجس بنفسه أمل فيهم . قال سهل وبعث الى الرشيد فوالله لقد أعجلت عن النظر فدخلت ولبست ثياب أحزاني وأعظم رغبتي الى الله الاراحة بالسيف والا نعيت كما نعي جعفر ، فلما دخلت عليه ومثلت بين يديه عرف الذعر في تمرض ريقي والتمايد في طريقي وشخوصي الى السيف المشهور ببصري فقال لي هارون : ايها يا سهل من غمط نعمتي واعتدى وصيتي وجانب موافقتي أعجلته عقوبتي . فوالله ما وجدت جوابها حتى قال ليفرخ رَوْعك وليسكن جأشك

ولتطب نفسك ولتطمئن حواسك . فان الحاجة اليك قربت منك وأبقت عليك بما يبسط منقبضك ويطلق معقولك ، فاقتصر على الاشارة قبل اللسان فانه الحاكم الفاصل والحسام الناصل وأشار الى مصرع جعفر : وهو يقول :

من لم يؤدبه الجميل * ففى عقوبته صلاحه

قال سهل: فوالله ما أعلمني أنى عييت بجواب أحد قط غير جواب الرشيد يومئذ فما عولت في شكره والثناء عليه الا على تقبيل يديه وباطن رجليه: ثم قال لي: اذهب فقد أحللتك محل يحيي ابن خالد ووهبتك ماضمته ابنيته وحوى سرادقه فاقبض الدواوين واحص جباءه وجباء جعفر لنأمرك بقبضه ان شاء الله . قال سهل فكنت كمن نشر عن كفن وأخرج من حبس فأحصيت جباءهما فوجدت عشرين الف الف دينار . ثم قفل الى بغداد راجعاً وفرق البرد الى الامصار بقبض أموالهم وغلاتهم وأمر بجيفة جعفر فنصبت مفصلة على ثلاثة جذوع رأسه في جذع على رأس الجسر مستقبل الصراط وبعض جسده في جذع آخر في آخر الجسر الاول وأول الجسر الثاني وباقيه في جذع على آخر الجسر الثانى مما يلي بغداد . قال سهل فلما

دنونا من بغداد طلع الجسر الذي فيه وجه جعفر لنا أولا واستقبلنا وجهه واستقبلته الشمس . فوالله لخلتها تطلع من بين حاجبيه وأنا عن يمينه وعبدالملك بن الفضل عن يساره فلما نظر اليه الرشيد كأنه قنيء شعره وطلي بنور بشره اربد وجهه وأغضي بصره قال عبد الملك بن الفضل لقد عظم ذنب لم يسعه عفو أمير المؤمنين فقال الرشيد: واغرورقت عيناه حتى لعرفنا الجهش في صدره : من يَرد غير مائه يصدر بمثل دائه ، ومن أراد فهم ذنبه يوشك أن يقوم على مثل راحلته . عليّ بالنضاحات قال سهل فنضح عليها حتى احترقت عن آخرها وهو : يقول : أما والله لئن ذهب أثرك لقد بقي خبرك ولئن حط قدرك لقد علا ذكرك . قال سهل وأمر بضم أموالهم فوجد من العشرين الف الف التي كانت مبلغ جبايتهم اثنى عشر الف الف مكتوب على بدورها صكوك مختومة تفسيرها رقيا حبوابها فما كان منها حباء على غريبة أو استطراف ماحة تصدق يحي بها وأثبت ذلك في ديوانها على تواريخ أيامها وساعات أعطياتها فكان ديوان انفاق واكتساب فائدة . وقبض من سائر أموالهم ثلاثين الف الف وستمائة الف وستين

الفاً الى سائر ضياعهم وغلاتهم ودورهم ورباعهم ورياشهم والدقيق والجليل من مواهبهم فانه لا يصف أقله ولا يعرف اكثره الا من أحصى الاعمال وعرف منتهى الآجال . وأبرزت حرمه الى دار البانوقة ابنة المهدي فوالله ما علمته عاش ولا عشن الا من صدقات من لم يزل متصدقاً عليه وصار من موجدة الرشيد فيما لم يعلم من ملك قبله على آخر ملكه . وكانت أم جعفر بن يحيى فاطمة بنت محمد بن الحسن بن قحطبة بن شبيب قد أرضعت الرشيد مع جعفر وكان ربي في حجرها وغذي برسلها لان أمه ماتت عن مهده فكان الرشيد يشاورها مظهراً لاكرامها والتبرك برأيها وكان قد آلى على نفسه وهو في كفالتها ان لا يحجبها وأن لا تستشفعه لاحد الا شفعها وآلت عليه أم جعفر أن لا دخلت عليه الا مأذوناً لها ولا تشفعت لاحد لغرض دنيا . قال سهل فكم أسير فكت ومبهم عنده فتحت ومنغلق منه فرجت . قال واحتجب الرشيد بعد قدومه فطلبت الاذن عليه من دار البانوقة ومتت بوسائلها اليه فلم يأذن لها ولا امر بشيء فيها فلما طال ذلك بها خرجت كاشفة وجهها واضعة لثامها محتفية في مشيتها حتى صارت بباب

قصر الرشيد فدخل عبد الملك بن الفضل الحاجب: فقال: ظئر امير المؤمنين بالباب في حالة تقلب شماتة الحاسد الى حنين الوالد وشفقة أم الواحد فقال له الرشيد ويحك يا ابن الفضل او ساعية فقال نعم اصلح الله امير المؤمنين حافية فقال: ادخلها يا عبد الملك فرب كبد كريم غذتها وكربة كشفتها وفرجة فرجتها وعورة سترتها . قال سهل فوالله ما شككت في شيء قط ما شككت يومئذ في طلابها واسعافها بحاجتها . فلما دخلت ونظر اليها داخلة محتفية قام محتفياً حتى تلقاها بين عمد المجلس فاكب على تقبيل رأسها ومواضع ثديها ثم اجلسها معه فقالت: ياأمير المؤمنين: أيعدو علينا الزمان ويجفونا خوفاً لك الاعوان، يحردك بنا البهتان ويوسوس لك بأذانا الشيطان وقد ربيتك وأخذت برضاعي لك الامان من دهري . فقال لها وما ذلك يا أم الرشيد . قال سهل: فآيسني من رأفته بتركه كنيتها آخراً ما كان اطمعني منه في بره بها اولا . قالت له ظئرك يحي وأبوك بعد ابيك ولا ارشحه باكثر مما عرفه به امير المؤمنين من نصيحته له واشفاقه عليه وتعرضه للحتف في شأن موسى أخيه فقال: يا أم الرشيد: قدر سبق وقضاء حتم وغضب من الله نزل قالت يا أمير المؤمنين يمحو

الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب . فقال الرشيد صدقت فهذا مما لا يمحوه الله فقالت الغيب محجوب عن النبيين فكيف عنك يا أمير المؤمنين . قال سهل فاطرق الرشيد يسيراً ثم قال:

واذا المنية انشبت اظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

فقالت بغير روية ما أنا ليحيي بتميمة يا أمير المؤمنين وقد قيل :

واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد * ذخراً يكون كصالح الاعمال

هذا بعد قول الله « والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » فاطرق هارون قليلا ثم قال :

اذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد * اليه بوجه آخر الدهر تقبل

فقالت يا أمير المؤمنين وهو يقول :

ستقطع في الدنيا اذا ما قطعتني * يمينك فانظر أي كف تبدّل

قال الرشيد رضيت فقالت يا أمير المؤمنين فهبه لله تعالى فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من ترك شيئاً لله لم يوجده الله . فاكب الرشيد ملياً ثم رفع رأسه وهو يقول : لله الامر من قبل ومن بعد قالت يا أمير المؤمنين ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ثم قالت أذكرك يا أمير المؤمنين بأليتك ان لا استشفعتك الا شفعتني فقال وانا

اذكرك يا أم الرشيد بأليتك ان لا شفعت لاحد تعرض لدنيا. قال سهل فلما رأته صرح بمنعها ولاذ عن مطلبها اخرجت له حقاً من زمردة خضراء فوضعته بين يديه فقال الرشيد ماهذا ففتحت عنه قفلا من ذهب فاخرجت منه حذاءه وحفضه وذؤابته وثناياه وقد غمس ذلك بمسك نثير في الحق فقالت يا أمير المؤمنين استشفع اليك واستعين بالله وبما صار معي من كريم جسدك وطيب جوارحك ليحيي عبدك وخثرك فاخذ الرشيد جميع ذلك فلثمه ثم استعبر وبكي بكاء شديداً وبكي أهل المجلس ومضى البشير الى يحيي فلم يظن الا ان البكاء رحمة عليه ورجوع الرشيد عنه فلما افاق من بكائه رد جميع ذلك في الحق وقال لها لحسناً ما حفظت الوديعة فقالت فأهل للمكافأة انت يا أمير المؤمنين فسكت وضم الحق ودفعه اليها وقال « ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها » قالت وقال عز وجل «واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » وقال تعالى « وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم » فقال لها وما ذاك يا أم الرشيد قالت ما أقسمت لي به يا أمير المؤمنين ان لا يحجبك عني حاجب فقال لها يا أم الرشيد احب ان تشتريه محكمة فيه قالت انصفت يا أمير المؤمنين وقد

فعلت غير مستقبلة لك ولا راجعة عنك قال بكم قالت برضاك عن من لم يسخطك قال: ياأم الرشيد أمالي عليك من الحق مثل الذي لهم ؟ قالت: بلى يا أمير المؤمنين انك لاعز عليّ وهم احب اليّ . قال لها فتحكمي في ثمنه بغيرهم قالت بلى قد وهبتكه وجعلتك في حل منه وقامت عنه فبقي الرشيد مبهوتاً ما يحير لفظة قال سهل وخرجت عنه فلم تعد اليه ولا والله ان رأت عيني لعينها عبرة ولا سمعت أذني لنعيها انةً . قال سهل وكان الامين رضيع يحيى بن جعفر فمت اليه يحيي بن خالد بذلك فوعده استيهاب أمه اياهم ثم شغله اللهو عنهم . فكتب اليه يحيى وقيل انها لسليمان الاعمى أخي مسلم بن الوليد :

يا ملاذي وعصمتي وعمادي * ومجيري من الخطوب الشداد
بك قام الرجاء في كل قلب * زاد فيه البلاء كل مزاد
انما أنت نعمة أعقبتها * أنعم نفعها لكل العباد
وعد مولاك أتممنه فأبهى الدر * ما زين حسنه بانقماد
ماأظلت سحائب اليأس الا * خلت في كشفها عليك اعتمادي
إن تراخت يداك عني فواقاً * أكلتني الايام أكل الجراد

وبعث بها اليه فبعثها الامين الى أمه زبيدة فاعطتها الرشيد وهو

في موضع لذاته وفي اقبال من أريحيته وتهيأت للاستشفاع وهيأت
جواريها ومغنياتها وأمرتهن بالقيام اليه معها فلما فرغ الرشيد
من قراءتها لم ينقض حبوته حتى وقع في أسفلها : عظيم ذنبك
أمات خواطر العفو عنك . ورمى بها الى زبيدة فلما رأت توقيعه
علمت انه لا يرجع عنه . قال واعتل يحيي فلما أشفى دعا برقعة فكتب
في عنوانها ينفذ امير المؤمنين الرشيد ابقاه الله عهد مولاه يحيي
ابن خالد وفيه : بسم الله الرحمن الرحيم قد تقدم الخصم لموضع
الفصل وأنت على الاثر والله الحكم العدل . فلما ثقل قال للسجان
هذا عهدي توصله الى امير المؤمنين فانه ولى نعمتي واحق من
نفذ وصيتي . فلما مات اوصل السجان عهد يحيي الى الرشيد فلما
قرأه استمد فكتب ولا ادرى لمن الرقعة . فقلت يا أمير المؤمنين
ألا اكفيك قال كلا اني اخاف عادة الراحة ان يقوي سلطان
العجز فيحكم بالغفلة ويقضي بالبلادة . قال سهل فوقع فيها : الحكم
الذي رضيت به في الآخرة لك هو أعدى الخصوم عليك في الدنيا
وهو من لا ينقض حكمه ولا يرد قضاؤه ثم رمى بالكتاب
اليّ فلما رأيته علمت انه ليحيى وان الرشيد اراد ان يؤثر
الجواب عنه . قال سهل قلت لبعض من اثق بوفائه واعتقد

صدق اخائه من خصيان القصر المتقدمين عند أمير المؤمنين والمتمكنين من كل ما يكون لديه :ما الذي يعني جعفر بن يحيى وذويه عند أمير المؤمنين وما كان من ذنبه الذي لم يسعه عفوه ولم يأت عليه رضاه ؟فقال: لم يكن له جرم ولا لديه ذنب كان والله جعفر على ما عرفته عليه وفهمته عنه من اكتمال خصال الخير ونزاهة النفس من كل مكروه ومحذور الا ان القضاء السابق والقدر النافذ لا بد منه كان من أكرم الخلق على أمير المؤمنين وأقربهم منه وكان أعظمهم قدراً وأوجبهم حقاً فلما علم ذلك من حسن رأي أمير المؤمنين فيه وشديد محبته له استأذنته أخته فاختته بنت المهدي شقيقته في اتحاف جعفر ومهاداته فاذن لها وكانت قد استعدت له بالجواري الرائعات والقينات الفاتنات فتهدى له كل جمعة بكراً يفتضها الى مايصنع له من ألوان الطعام والشراب والفاكهة وأنواع الكسوة والطيب كل ذلك بمعرفة أمير المؤمنين ورأيه فاستمرت بذلك زمانا ومضت به اعواماً فلما كانت جمعة من الجمع دخل جعفر القصر الذى استعدت له ولم يرع جعفر الا بفاختة ابنة المهدي في القصر كأنها جارية من الجواري اللاتي كن يهدين له فأصاب منها

لذته وقضي منها حاجته ولا علم له بذلك . فلما كان المساء وهم
بالانصراف أعلمته بنفسها وعرفته بأمرها واطلعته على شديد
هواها وافراط محبتها له فازداد بها كلفاً وبها حبا ثم استعفاها
من المعاودة الى ذلك وانقبض مما كان يناله منها من جواريها
واعتذر بالعلة والمرض فاعلم جعفر أباه يحيي فقال له يابني اعلم
أمير المؤمنين ما كان معجّلا والا فاذن لى فاعلمه فاني أخاف
علينا منه يوم سوء ان تأخر هذا وبلغه من غيرنا واعلامك له
في هذا الوقت يسقط عنا ذلك الذنب فهي أحق بالعقوبة منك
قال جعفر لا والله لاأعلمته به أبدا فالموت على أيسر منه وارجو
ان لا يطلعه الله عليه فقال له يحيي لاتظن هذا يخفي عليه فاطعني
اليوم واعلمه فقال جعفر والله لاأفعل هذا أبدا ولا أتكلم به
وبالله أستعين فلم يرع الرشيد أن رفعت اليه جارية من جواريها
رقعة واعلمت ذلك فيها فاستحق ذلك عند الرشيد باستعفاء
جعفر لما كان من اتحافها واعتذاره بالعلة من غير مرض ينهكه
فغفل عنه الرشيد ولم ير لذلك جفوة ولا زاد له الا كرامة
ولا لديه الا حرمة ورفعة حتى قرب وقت الهلاك ودني
منقلب الحتف والله أعلم * تم بعون الله تعالى مابه ابتدأناوكمل

وصف ماقصصنا من أيام خلفائنا وخير أئمتنا وفتن زمانهم وحروب أيامهم وانتهينا الي أيام الرشيد ووقفنا عند انقضاء دولته اذ لم يكن في اقتصاص أخبار من بعده ونقل حديث مادار على أيديهم وكان في زمانهم كبير منفعة ولا عظيم فائدة وذلك لما انقضى أمرهم وصار ملكهم الى صبية اغمار غلب عليهم زنادقة العراق فصرفوهم الى كل جنون وادخلوهم الى الكفر فلم يكن لهم بالعلماء والسنن حاجة واشتغلوا بلهوهم واستغنوا برأيهم. وكان الرشيد مع عظم ملكه وقدر شأنه معظما للخير وأهله محباً لله تعالي ورسوله ولما دخلت عليه سنة تسعين ومائة أخذته الحمي التي أخبر بها جده أبو جعفر المنصور وهو في المهد صغيراً فعرف انه قد دنى أجله وحان هلاكه فاجتمع اليه أطباء العراق يعالجونه ثم استعان بأطباء الروم والهند واستجلبهم من الآفاق فلم يزالوا يداوونه حتى مضت له ثلاثة أعوام ولا أقلعت عنه ولا يزيده العلاج الا شدة . فلما دخلت سنة أربع وتسعين ومائة أثرت به وانهكت بدنه واشتد ألمه وتمادى به وجعه فذكر البيعة لابنه المأمون فلما سمعت بذلك زبيدة وكان ابنها منه محمد الامين هجرته وتغاضت

عنه وأكربها ذلك وأغمها حتى ظهر ذلك عليها وأثر الغم في وجهها فدخلت عليه تعاتبه في ذلك أشد المعاتبة وتؤاخذه أعنف المؤاخذة: فقال لها الرشيد: ويحك انما هي أمة محمد ورعاية من استرعاني الله تعالى مطوقا بعنقي وقد عرفت مابين ابني وابنك ليس ابنك يازبيدة أهلا للخلافة ولا يصلح للرعاية. قالت ابني والله خير من ابنك واصلح لما تريد ليس بكبير سفيه، ولا صغير فهيه، أسخى من ابنك نفساً واشجع قلبا: فقال هارون: ويحك ان ابنك قد زينه في عينيك مايزين الولد في عين الابوين فاتق الله فوالله ان ابنك لأحب الىّ الا انها الخلافة لاتصلح الا لمن كان لها أهـلا وبها مستحقا ونحن مسؤولون عن هذا الخلق ومأخوذون بهذا الانام فما أغنانا ان نلقى الله بوزرهم وننقلب اليه باثمهم فاقعدي حتى أعرض عليك مابين ابني وابنك. فقعدت معه على الفراش فدعا ابنه عبدالله المأمون فلما صار بباب المجلس سلم على أبيه بالخلافة ووقف طويلا وقد طأطأ برأسه وأغض ببصره ينتظر الاذن حتى كادت قدماه ان ترما ثم اذن له بالجلوس فجلس فاستأذن بالـكلام فامر له. فتكلم فحمد الله على ما منّ به عليه من رؤية ابيه ويرغب اليه في تعجيل الفرج مما به ثم استأذن

في الدنو من ابيه فدنا منه وجعل يلثم اسافل قدميه ويقبل باطن راحتيه. ثم انثنى ساعياً الى زبيدة فاقبل على تقبيل رأسها ومواضع ثديها ثم انحنى الى قدميها ثم رجع الى مجلسه فحمد الله اليها فيما منّ به عليها من رضى ابيه عنها وحسن رأيه فيها ويسأله تعالى العون لها على بره وأداء المفروض عليها من حقه ويرغب ان يوزعها شكره وحمده : فقال الرشيد: يابني اني اريد ان اعهد اليك عهد الامامة واقعدك مقعد الخلافة فاني قد رأيتك لها أهلا وبها حقيقاً. فاستعبر عبد الله المأمون باكياً وصاح منتحباً يسأل الله العافية من ذلك ويرغب اليه ان لا يريه فقد ابيه : فقال: له يا بنى اني اراني لما بي وأنت احق وسلم الامر لله وارض به واسأله العون عليه فلابد من عهدي يكون في يومي هذا . فقال عبد الله المأمون : يا أبتاه اخي احق مني وابن سيدتي ولا اخال الا انه اقوى على هذا الامر مني واشد استطلاعاً عرض الله لك ما فيه الرشاد والخلاص وللعباد الخير والصلاح ثم اذن له فقام خارجاً. ثم دعا هارون بابنه محمد فاقبل يجر ذيله ويتبختر في مشيته فمشى داخلا بنعليه قد انسى السلام وذهل عن الكلام نخوة وتجبراً وتعظما واعجاباً فمشي

حتى صار مستوياً مع ابيه على الفراش: فقال هارون: ما تقول اي بني فاني اريدان أعهداليك؟ فقال: يا أميرالمؤمنين ومن أحق بذلك مني وأنا أسن ولدك وابن قرة عينك فقال هارون اخرج يا بني. ثم قال لزبيدة كيف رأيت ما بين ابني وابنك ؟فقالت: يا أمير المؤمنين ابنك احق بما تريد واولى بما لديك فقال هارون فاذا اقررت بالحق وانصفت مما رأيت فانا اعهد الى ابني ثم الى ابنك بعده. فكتب عهد عبدالله المأمون ثم محمد الامين بعده فلما كان سنة خمس وتسعين ومائة توفي الرشيد رحمه الله وعبد الله المأمون خارج عن العراق وكان وجهه أبوه بالجيوش الى بعض الفرس لشيء بلغه عنهم فلظ بمحمد الامين قوم من شرار أهل العراق فقيل له معك الاموال والرجال والقصور فادفع في نحر أخيك المأمون فانك أحق بهذا الامر منه واعانته على ذلك أمه زبيدة فقدم أخوه عبد الله بغداد ومعه الجيوش قد أخذ بيعتهم فنهض اليه الامين قاصداً ومعه الجيوش فلم يرجع ولم يمانع ولم يختلف عليه أحد ثم انه غدر بأخيه الامين لما بلغه عنه. فنهض المأمون الى القصر فدخله فأخذ أخاه وشد وثاقه وحبسه وأشار الى أمه لما أعانته عليه فهرب محمد من

الحبس فبعث المأمون في طلبه فأخذ وقتل والله تعالى أعلم

﴿ خاتمة ﴾

ثم بعون الله وحسن توفيقه طبع هذا الكتاب الجليل بعد بذل الجهد في تصحيحه وتهذيبه . وقد جمعنا هذه النسخة من ثلاث غيرها قديمة العهد بعيدة زمن الكتابة ولكنها مع ذلك لم تسلم من عبث النساخ فكان فيها من التناقض والتحريف شيء عظيم خصوصا ما عثرنا عليه في أثنائه من الجمل المنثورة والقطع المبتورة والفصول المتباينة حتى اضطررنا ان نرجع في أكثرها الى عراض الكتب وأمهات التاريخ بحيث استخلصنا هذه الجوهرة النفيسة من بين تلك الاغلاط كما يستخلص الذهب من الثرى ولقد تكبدنا في ذلك العناء الذى تفتر عنده الهمم ولا غرض لنا غير خدمة العلم وإحياء آثار السلف . ولذلك فان نسختنا هذه ليست كما كانت سيما وقد أثبتنا عليها حلا لطيفا وشرحا موجزا وزدنا ماوجدنا في الكتب منسوبا لهذا الكتاب فحقوق طبعها بهذا الوجه محفوظة لنا . والله نسأله التوفيق الى أقوم طريق

فهرست

﴿ كتاب الامامة والسياسة ﴾

(للامام الفقيه أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوَري)

(تمت)

﴿ الخطأ والصواب ﴾

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٢	٨	صاحبك	صاحبيك
٤	١٠	متوكا	متوكئاً
٩	١٤	مؤثرون	مؤثرين
١٦	٤	أقره	أقوى
١٦	١٦	قيس بن سعد	بشير بن سعد
٢٧	٣	لتوحيد	لتوجيه
٣٩	٩	سممت	سمعت
٦٩	١٦	يسقتد	يستقد
١٣٦	٣	هل فه	فه هل
١٣٧	٣	الربدة	الربذة
١٤٦	٦	اقضى	اقض
١٦٠	٧	سروه	سروره
٢٠٨	١٣	شيب	شبث
٢١٤	٦	تعطيه	تعطه
٢٥٦	١٢	يديه ورجليه واذنيه	يداه ورجلاه واذناه
٢٧٤	١٥	على الآباء	عن الآباء
٢٨٢	١	الحسن	الحسين

فهرست

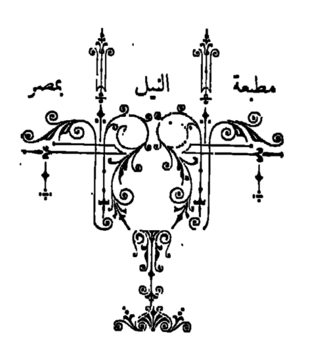
﴿ الجزء الثانى من كتاب الامامة والسياسة ﴾

(تمت)



﴿ الجزء الثاني ﴾

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٣	١٧	اجسلك	اجلسك
٩	٢	من رأيته	ابن زانية
١٧	٦	مدرة	مدره
١٨٣	١	الى لحاضر	انى لحاضر
١١٦	٩	انذراً	اندراً
٢٦٦	٦	بصري	ببصرى
٢٧٠	١	أصبحنا	اصحبنا
٣٢٠	٢	يعقدها جهلا	يعقد بها جهلا
٣٢٠	٣	سامة	سآمة


مطبعة النيل بمصر


Bibliotheca Alexandrina
04200730